آداب ذمار

مجلة علمية محكمة تعنى بالمعرفة الإنسانية تصدرها كلية الآداب والألسن ـ جامعة ذمار

- أ.د. عبدالله محمد المجاهد
- أ.د. عبد العزيز المقالح
- أ.د. صبري مسلم
- أ.د. عبد الحميد أحمد اليونس
- د. أحمد سيف حيدر
- د. أحمد ياسين السامرائي
- د. آمنة يوسف
- د. حميد دولاب ضيدان
- د. داوود المندعي
- د. عبد الكريم الخلف
- د. عبدالله عبد الكريم الأهدل
- د. فاضل النعيمي
- د. مارش أحمد سعيد
- د. محمد إبراهيم الصانع
- د. محمد أحمد الجلال
- د. محمد يحيى المعافا
- د. مسعد النجار
- د. مهيوب غالب أحمد
- د. وجدان عبد الإله الصائغ

2002

العدد 1 فبراير

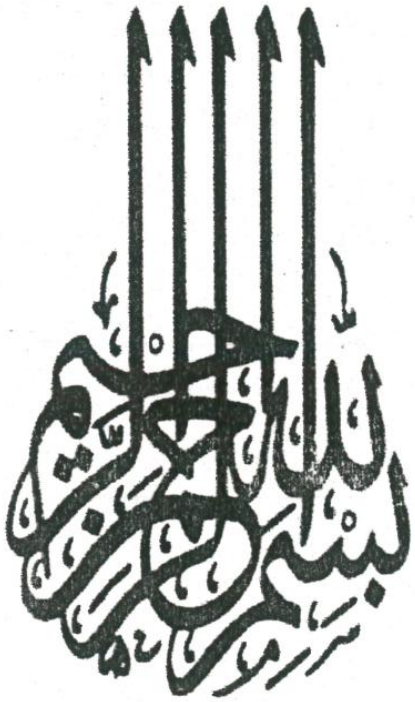
بسم الله الرحمن الرحيم

آداب ذمار

مجلة علمية محكمة تعنى بالمعرفة الإنسانية
تصدرها كلية الآداب والألسن – جامعه ذمار

رئيس الهيئة الإشرافية
أ. د.عبد الله المجاهد
رئيس جامعة ذمار

نائب رئيس الهيئة الإشرافية
أ. د. أمين الحميري
النائب الأكاديمي لرئيس الجامعة

رئيس التحرير
أ. د. صبري مسلم
عميد كلية الآداب والألسن

هيئة التحرير
أ. د. علي المخلافي
أ. د. عادل الألوسي
د. مسعد النجار
د. مهيوب غالب
د. مارش أحمد سعيد

مديرة التحرير
د. وجدان الصائغ

الخبرة اللغوية
د. سعدون الدليمي
د. طلال يحيى

سكرتارية التحرير
أ. يحيى داديه

الإخراج الفني
أ. علي الوشلي

الأمين العام
أ. عبد الحكيم المخلافي

المراسلات

مجلة آداب ذمار
كلية الآداب والألسن /جامعة ذمار
محافظة ذمار / الجمهورية اليمنية
هاتف : ٥٠٩٥٨٤
فاكس : ٥٠٩٥٥٦

قواعد النشر

مجلة آداب ذمار- مجلة علمية محكمة تعنى بالمعرفة الإنسانية والإبداع تصدرها كلية الآداب والألسن بجامعة ذمر وهي مجلة أكاديمية متخصصة ترحب بالبحوث والدراسات التي تتميز بالأصالة والجدة، وتسهم في إضاءة أفق التلقي بألق المعارف الإنسانية وإثارة السؤال حول المشهد الثقافي العربي.

ترحب آداب ذمار بمشاركة الباحثين والكتاب فيها وتقبل للنشر الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص الإبداعية وفقا للشروط التالية :

1- تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري ووفق معايير القبول الأكاديمي التي هي الموضوعية والجدة في الرؤية والدقة في التوثيق والتأصيل .

2- لا يقبل نشر البحوث التي تتجاوز 6000 كلمة (20 صفحة A4)

3- تقدم المواد مصفوفة على الحاسوب مع نسختين

4- يكون توثيق الهوامش في نهاية المادة ويراعى في توثيق المراجع توثيقا دقيقا وترقيما موحدا وعلى النحو التالي :

الكتب : اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المطبعة، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، الصفحة .

الدوريات : اسم المؤلف، اسم المقال، اسم المجلة، العدد، المطبعة، مكان الطبع، التاريخ، الصفحة .

الرسائل الجامعية : اسم صاحب الرسالة، عنوانها، الجامعة والكلية، تاريخ إجازتها، الصفحة .

5- يرفق الباحث مع بحثه سيرة علمية ويكتب في رأس الصفحة عنوان البحث، واسم الباحث ورتبته العلمية، ومنصبه الإداري إن وجد .

6- المواد التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها أو إضافات عليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها .

7- وتتولى المجلة إبلاغ أصحاب المواد المرسلة بوصول المادة وبقرار لجنة التحكيم حول صلاحيتها بالنشر أو عدمه .

8- تنشر المجلة ملخصات الرسائل الجامعية المجازة وتقارير المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية وعروض الكتب في مجالات الآداب واللغات الإنسانية والعلوم الاجتماعية .

9- تمتنع المجلة عن نشر أية مادة سبق نشرها

10- أصول المواد المرسلة للمجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

فهرس المحتويات

في البدء	كلمة رئيس الهيئة الإشرافية	1	أ. د. عبدالله محمد المجاهد
الدراسات الإسلامية	قاعدة الوسطية في الإسلام	3	د. عبد الكريم الخلف
	منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في إيراد الشواهد القرآنية في معجم العين	19	د. فاضل التميمي
اللغة العربية	علي احمد با كثير رائد التحديث للقصيدة الجديدة	41	أ. د. عبد العزيز المقالح
	قصيدة من تجليات (حي بن يقظان) بين الفضاء السردي والإهاب الشعري	49	أ. د. سيري مسلم
	عولمة الحب في الشعر المعاصر	59	د. أمنة يوسف
	مكابدات (الأنا) في القصيدة النسوية المعاصرة	71	د. وجدان عبد الإله الصائغ
علم النفس	الاضطرابات النفسية : أسبابها والوقاية منها من منظور إسلامي	81	د. سعد النجار
مناهج وطرق تدريس	اتجاهات طلبة جامعة ذمار نحو الديمقراطية	97	د. أحمد سيف
	تطوير كتب الدراسات الاجتماعية في مرحلة التعليم الأساسي	119	د. محمد يحيى المعافا
	دور التربية الإسلامية في حماية البيئة	147	د. محمد أحمد الجلال
	صورة المسلمين والمستعمرين في كتب التاريخ	169	د. عبدالله عبد الكريم الاهدل
التاريخ	فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي	193	د. داوود المندعي
	أثيوبيا والصراع العربي الصهيوني حول البحر الأحمر	211	د. حميد دولاب ضيدان
البيئة	التصحر في الوطن العربي وفي اليمن خاصة آثاره ومعالجاته البيئية (بحث مشترك)	231	أ. د. عبد الله محمد المجاهد أ.د. عبد الحميد احمد اليونس
الجغرافيا	نحو منهج جغرافي يستجيب لسوق العمل في اليمن	239	د. مارش أحمد سعيد العديني
	تقييم منسوب المياه الجوفية لمشروع مياه ذمار (بحث مشترك)	257	د. أحمد ياسين السامراني أ. نبيل خشافة
إضاءة مترجمة	استعراض موجز لكتاب عالم السيئات الروسي افرام لوندين	273	د. مهيوب غالب أحمد
مكتبة المجلة	إصدارات جامعة ذمار	279	د. محمد ابراهيم الصائغ

- المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .
- ترتيب المواد في المجلة يخضع لاعتبارات فنية .

كلمة رئيس الهيئة الإشرافية

بقلم أ. د. عبدالله المجاهد
رئيس جامعة ذمـار

لا يمكـن أن تفصـح الجامعة أيّة جامعة عن هويتها الأكاديميّة وتوجهها على صعيد الدراسات الإنسـانية والدراسات العلمية دون أن تكون لها مجلة متخصّصة تستوعب تطلّعاتها وتنسجم مع نهجها وتـنمو معها . وهذا مما ينطبق على مجلة آداب ذمار التي صدر منها العدد صفر فكان طليعة هذا الجهد المتميّز الذي يأخذ على عاتقه تغطية الدراسات الإنسانية التي هي الجناح المهمّ في هذه الجامعة ، ويبقى طمـوح جامعة ذمار أن تنهض مجلة أخرى بالجناح الآخر وأعني به الجانب العلمي التطبيقي ، والجهود دائبة في هذا الشأن وفي شئون أخرى تشكل هاجساً لجامعة ذمار الفتية التي تسعى إلى أن تطوّر مسيرتها العلمية والإنسانية .

إنّ هـذه الخطوة تحقق أكثر من هدف أكاديمي فهي إذ تعتمد على جهود التدريسيين في مجال البحـث والدراسـة فإنهـا في هذه الحالة تدرّب كادراً إعلامياً وأكاديميّاً في آن ، ويرهص هذا بطموح جامعـة ذمار في أن تؤسس مركزاً للبحوث أسوة بشقيقاتها من الجامعات التي تجعل من البحث العلمي مصـدر إثراء لبرامجها الأكاديمية ، وفي شأن مثل هذا يسعى المركز إلى أن يحتضن بذور الأفكار الأصيلة على أكثر من صعيد وأن ينمّيها ويشكل من خلالها حركة فكرية وثقافية أصيلة وحقيقية . فضلاً عن أن جامعـة ذمـار خاصة في أمسّ الحاجة لإعداد درجات علمية متميّزة من شأنها أن تبرز خصوصية هذه الجامعـة وحماسها صوب أقصى التطوّر ومن منطلق الإمكانات الموجودة ومحاولة تخطّي الصعاب وتحقيق الأهداف المنشودة .

وقد سعت جامعة ذمار منذ لبناتها الأولى إلى أن ينعكس عطاؤها على ما حولها فهي تتعامل مع البيـئة ومتطلـباتها وتسعى إلى أن تتعزّز الآصرة المهمّة بين الجامعة والبيئة المحلية ولذلك فإنها اتخذت من البيـئة الزراعـية والثقافية والاجتماعية أسساً وركائز تعتمد عليها ومن ذلك أنها تسعىللنهوض بعلماء الـيمن وأحرارها ومفكريها ورجالاتها ومنهم أحمد عبد الوهاب الوريث الذي كان محور مهرجان ناجح أقامـته جامعـة ذمـار وهـي ترعى الآن مهرجانا آخر للشهيد الشاعر زيد الموشكي وسـليه مهرجان الـبردوني الـذي من المؤمل أن يقام في العام القادم ويتزامن صدور هذا العدد من مجلة آداب ذمار مع الكـتاب الـتذكاري الـذي ضمّ بين دفتيه بحوثاً ودراسات صدحت بها حناجر المشاركين في مهرجان الوريـث الثقافي وأرّخ الكتاب لها ولصداها في الصحف المحلية فضلاً عن النقاشات القيمة التي رافقت إلقـاء هـذه البحوث. وقبل أن أنتهي من كلمتي هذه لا يسعني إلا أن اشكر القائمين على هذه المجلة وكلـية الآداب والألسـن الـتي تبنتها ، و الأقلام التي رفدتها و أدعو الأخوة التدريسيين الى مواصلة الكـتابة إلـيها و تعزيز مسيرتها الأكاديمية فهي منهم و إليهم و ليكن لنا قدوة مضيئة قوله جل شأنه ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾

صدق الله العظيم

قاعدة الوسطية في الإسلام
(دراسة فكرية)

د. عبد الكريم الخلف *

المقدمة :

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة المحمدية التي اتخذت الوسطية مبدءاً لها ، وخصها بالعدل والتوسط والخيار ، والشهادة على الناس بقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[1] .

الحمد لله الذي أبان للعباد منهج التربية القويمة في قرآنه الكريم ، وأوضح للعالمين مبادئ الخير والهداية ، والإصلاح في أحكام شرعه الحنيف ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله للإنسانية مشرفاً ومؤدباً ومربياً وداعياً إلى الله ، وأنزل عليه تشريعاً يأخذ بالوسطية ، والعدل والتيسير ليحقق للبشرية أسمى آيات عزها ومجدها ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين أعطوا الأجيال المتعاقبة نماذج طيبة وفريدة في تطبيق مبدأ العدل والخيار والوسطية في أمورهم الدنيوية والأخروية .

أما بعد : فمن خلال اطلاعي على مبادئ وتشريعات الأمم الأخرى التي لا تنتمي إلى الإسلام من يهود ونصارى وغيرهم جعلني أكتب في مجال مبدأ الوسطية في الإسلام ، لكي أظهر الفروق الشاسعة بين المبادئ الأخرى المتطرفة والبعيدة كل البعد عن العدل والتوسط .

فمن فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم وسطي في تربية النفوس ، وسطي في الإشراف وتنشئة الأجيال وتكوين الأمم وبناء الحضارات ، وإرساء قواعد المجد ، وسطي في العقائد والعبادات ، وفي المأكل والمشرب والملبس والحرب والسلم ، هذا ما أردت إثباته في هذا البحث ، وإلقاء

---

* رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم / رداع / جامعة ذمار

الضوء عليه من خلال النصوص القرآنية ، والسنة النبوية ، وأقوال العلماء المستنبطة من الأحكام والقواعد التشريعية ، سائلاً المولى عز وجل أن يرشدني إلى سواء السبيل ، وأن يوفقني إلى إثراء هذا البحث وإخراجه بالشكل المطلوب إنه نعم المولى ونعم النصير .

معنى ومدلول " الوسطية " :

الوسط هو : الخيار أو العدل ، وقيل التوسط بين الأمرين . فيقال فلان أوسط قومه صار في وسطهم ، وتوسط ، فلان . أخذ الوسط بين الجيد والرديء ، وفلان أوسط قومه وواسطتهم . أي خيارهم ، وفلان بينهم وسط ، أي وسط فيهم بالحق والعدل[2] ، وهذه المعاني كلها يحتملها قول الشاعر (زهير بن أبي سلمى) :

هم وسط ترضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

أنتم أوسط حي عملوا بصغير الأمر أو إحدى الكبر

والذي يدل دلالة واضحة على معنى " الوسطية " قول الراجز : (لا تذهبن في الأمور مفرطاً – لا تسألن إن سألت شططاً – وكن من الناس جميعاً وسطاً) وهناك كثير من الأحاديث النبوية وردت في تفسير قوله تعالى [وكذلك جعلناكم أمة وسطاً] أي أمة عادلة[3] .

الأمة المحمدية وسط بين الأمم

أولاً : الأمة الإسلامية وموقعها الوسطي من الأنبياء :

لما كان الوسط مجانباً للغلو والتطرف والإفراط والتفريط كان محموداً ، ومن هنا أخذت الأمة المحمدية بمبدأ الوسطية . فوصفها الله تعالى بقوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[4] . فلم تغل غلو النصارى في عيسى عليه السلام عندما جعلوه رباً يعبد من دون الله ، وهذا إفراط وتطرف منهم لأنهم رفعوا المخلوق إلى مستوى الخالق ، وقالوا فيه غير الذي قيل ، متجاوزين الحد لذلك جاءهم الرد والتوبيخ من الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾[5] ، كما جاء النهي عن الإفراط والغلو والتطرف في قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد . له ما في السماوات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلا ﴾[6] ، والمراد من الآية النهي عن الإفراط تارة ، والتفريط تارة أخرى ، والإفراط غلو النصارى في عيسى عليه السلام عندما جعلوه إلهاً ، والتفريط فعل اليهود إذ جعلوه غير راشد ، وما أحسن قول الشاعر :

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم[7] .

كما أن اليهود أمة متطرفة ومن خلقها الغلو عندما قالت (عزيز بن الله) ، وهذا يماثل غلو النصارى عندما اتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله . وهناك مواقف كثيرة للنصارى واليهود تتصف بالغلو والتطرف والتقصير بحق أنبيائهم تجنبت ذكرها خوفاً من الإطالة .

أما الأمة الإسلامية فلا شيء عندهم من هذا الغلو ، وقفوا موقف العدل والتوسط ، أطاعوا رسولهم وآمنوا به كما آمنوا بالأنبياء جميعهم على خلاف الأمة النصرانية واليهودية . وكذلك ، فإن الأمة المحمدية لم تقصر بحق رسولهم ، وقالوا فيه قول الحق والعدل ولا بحق عيسى عليه السلام ولا بغيره من الأنبياء فلذلك عندما سأل (النجاشي) أصحاب رسول الله عليه وسلم وعلى رأسهم " جعفر بن أبي طالب " رضي الله عنه . عن عيسى بن مريم قال لهم : ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ، فأجابوا بمصداقية وعدل مجانبين الغلو ، والتطرف والتقصير والذم . يقول فيه قول الله : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته﴾[8] وقوله : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾[9] إذن لم يقولوا فيه كما قال النصارى في رفع عيسى عليه السلام إلى مستوى الربوبية ، ولا بقول اليهود بأنه فاقد لرشده ، ولكنهم قالوا فيه قول الحق والعدل ومن هنا تظهر سمات الوسطية على الأمة المحمدية . متخذة منها منهجاً شرعياً لها ، ومبدءاً سامياً من مبادئها .

ثانياً : الأمة الإسلامية وسط في الشهادة :

الأمة الإسلامية تشهد على الناس جميعاً فتقيم فيهم العدل والقسط ، وتنصب لهم الموازين ، وترسم القيم ، وتوازن بين تصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم ثم تقوم بالفصل بين هذه الأمور كلها ، وتقول هذا حق وهذا باطل ، وبالمقابل فإنها لا تأخذ تصوراتها وقيمها وموازينها من الناس ، كما أنها شاهدة عليهم فإن الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد عليها ، فيرسم لها طريق سيرها ويحدد مسار اتجاهها ، ويضع لها الموازين ويحكم على أعمالها وتصرفاتها بالصحة أو البطلان لقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[10] ، نعم إنها أمة الوسط بكل معاني الوسطية سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل أم من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد أم من الوسط بمعناه المادي والحسي[11] .

ثالثا: الأمة المحمدية أمة الوسطية في التصور والاعتقاد :

إن أمتنا الراشدة لا تغلو في التجرد الروحي ، ولا في الارتكاس المادي إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبسة بجسد أو جسد تتلبس به الروح ، وتعمل على رقي الحياة والنهوض بها ، في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها ، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق والنوازع من غير تفريط ولا إفراط في قصد وتناسق واعتدال .

رابعاً : أمـة الإسلام وسط في التنظيم والتنسيق :

الأمـة الإسلامية لا تطلق الحياة كلها للمشاعر والنزوات والأهواء النفسية ، ولا تترك الفرد أسـير هواه أو ملبياً رغبات النفس المطلقة ، بل وضعت له الضوابط والقيود مراعاة لمصالح الناس وحفاظاً على حياتهم ، كما أنها لا تطلق الحياة كلها للأحاسيس ولا للضمائر ، ولا تتركها قيد التنكيل والتأديب ، إنمـا تنهض بضمائر البشر بالإرشاد والتوجيه والتهذيب وغرس روح المراقبة لله ، تعمل كل هذا وتمزج بـين هذا وذاك لتحافظ على نظام المجتمع في التشريع والتأديب ، وهذا كله حتى تضمن نماءها واستمرارها ، وقـد حققـت كـل مـا تريد حتى شهد لها الأعداء بحيويتها ونشاطها ونظامها المحكم وقد كان للأمة الإسـلامية التأثير المباشر على الحضارات الأخرى كما قال الأستاذ (ليبري) (لو لم تظهر الأمة الإسلامية على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربة الحديثة)[12] وكما قال : الياس أبو شبكة : (إن زوال الحضارة الإسـلامية العربـية كان شؤماً على أسبانيا وأوربا فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب ، وحالما ذهـب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب)[13] فهذه الأقوال والشهادات من قبل الخصوم وغيرهم تعطي لكل ذي فهم وبصيرة ، البرهان الساطع والقاطع على ما انطوى عليه نظام الأمة المحمدية مـن أسـس ومبادئ وتعاليم حيوية وخالدة وتنسيق دقيق ومنظم ، يحفظ لها مصالحها ومجتمعها ، والفضل كل الفضل أن يعترف بوسطية هذه الأمة المنصفون ، والحق ما شهدت به الأعداء .

خامساً : الأمة الإسلامية وسط في الارتباط والعلاقات :

الأمة القرآنية في تعاملها مع الفرد لا تلغي شخصيته ومقوماته ، ولا تذيب شخصيته مطلقاً في شخصـية الجماعة أو السلطة ، ولا تتركه فرداً محرراً من كل القيود . جشعاً لا هم له إلا نفسه ، ولكنها توسـطت في الأمـر فأوجدت من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والبناء ، وأطلقت من النوازع والصـفات مـا يحقق ويكون شخصية الفرد وكيانه ، ثم وضعت الكوابح التي تقف أمام الغلو والتعصب والـتطرف كمـا أوجدت عناصر التشويق التي تثير رغبة الفرد في تقديم الخدمات للجماعة بل لأن يكّون خادمـاً لها . وكذلك فعلت في علاقاتها وارتباطها بدول الجوار إذ تعاملت معها على مبدأ الوسطية لا هي ألغـت كـيانها ولا هي تركتها على إطلاقها ، بل قامت بتنظيم العلاقات القائمة بينهما على أساس الحق والعـدل واستئمان كلا الطرفين كما وضعت الضوابط التي تقوم على حماية المجتمعات وتحافظ عليها وتمنع طغـيان القـوي على الضعيف ، هذه مبادئ عظيمة ، وقد لاحظنا عظمتها من خلال معاملة الدول القوية الأوربـية كأمريكا مع الدول الضعيفة وكيف ظهرت مواقفها التسلطية عليها ، وكيف أنها اتبعت أسلوب الغلـو والـتطرف والانحـياز التام والكيل بمكيالين ، تظلم تخيف تمزق ترهب توقع الفتن بين دول الجوار وغيرهـا ، وتمـتص خيرات البلاد الضعيفة إلى غير ذلك من مواقف الغلو والتطرف والفوضى والإخلال

الخلقـــي والظلم في المعاملة ، وهذا كله لابتعادها عن مبدأ الوسطية والاعتدال في التعامل ، لذلك فالفرق كبير بينها وبين أمة الرحمة والاعتدال والوسطية .

سادسا: الأمة الإسلامية وسط في المكان

فالأمـــة الإســـلامية في موقعها تشكل سرّة الأرض ، وهي في أوسط بقاعها ، كما أن الكعبة المشرفة وســـط الأرض لقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ . أي مثل ذلك الجعل جعلناكم أمة وسط الأرض ، كما جعلنا الكعبة المشرفة وسط الأرض [14] .

وإذا تتبعـــت هـــذا الأمـــر تجـــد وإلى هـــذه اللحظة أنها تتوسط دول العالم شرقاً وغرباً وجنوبا وشمالا [15] ، ومن هذا الموقع الجغرافي المتوسط نجدها شاهدة، على الناس كافة ، تعطيهم ما عندها من ثمار الطبـــيعة ، والروح ، والفكر ، والعقائد والأخلاق ، وتنشر الرحمة والعدل بينهم ، وتحقق الكرامة للإنسان مهمـــا كـــان مستواه ، وترفع عنه الظلم ، كما تنشر بينهم المعارف والعلوم ، وهذا الموقع الوسطي لهذه الأمـــة ســـاعد على التعاون بين الناس في المبادلات التجارية ، كما ساعد على التقدم ، والتطور في جميع الاتجاهـــات ، وحقق الأمان ووجد قانون الاستئمان بين رعايا الدول المجاورة ، وقوى الارتباط بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبين الإنسان وربه ، كما أوجد دعائم الفضائل ، وقضى على أُم الرذائل .

مـــا أكثر ما يتحدث الناس اليوم عن العلم ، والتقدم ،والتطور والرفاهية الاقتصادية المادية ، ما أشـــد انصرافهم عن الله سبحانه وتعالى ، وعن الدين والخلق والفضائل بأنواعها ، كأن الحياة ليست شيء ســـوى الخـــبز والنعم الظاهرة ، أجل الحديث عن هذه الأشياء حسن وجميل ، ولكن الذي هو أجمل منه ،العناية بفضائل الإنسان ومثله ، وقيمه ،وإقامة العدل ،ورفع الظلم عنه ، والتعامل معه من موقع الوسطية الذي تمثلت به هذه الأمة الرشيدة ، والتي أعطت جانبا كبيرا من الأهمية للمثل و الفضائل ، لأنها العناصر الأساسية في تكوين وتقويم شخصية الإنسان وحمايته من الارتكاسات المادية وغيرها .

سابعا : الأمـــة وسط في الزمـــان

الأمـــة الإســـلامية وسط في الزمان ، لأنها تحمي زمن الطفولة بالمراقبة والملاحظة وبهذا الأسلوب يـــتربى الطفـــل إيمانياً ، ويتكون خلقيا ، ويقوى جسميا ، وينضج عقليا ويكتمل نفسيا واجتماعيا ، وبمبدأ المراقـــبة والملاحظـــة الوســـطى المعـــتدل يـــنجو الطفل من رفاق السوء والخلطة الفاسدة ،وقرناء الفتنة والانحـــراف ، ويـــتحرر مـــن كل العوامل التي تؤدي إلى انحرافه ، وشقائه . يتحرر من مشاهدات الأفلام الخلـــيعة الجنسية ، ومن الروايات البوليسية المحرضة على ارتكاب الجرائم ، كما يتحرر من البرامج الماجنة الموجهـــة ، ومـــن قـــراءة الجـــرائد والمجلات الخلاعية المثيرة ، والقصص الجنسية ، والمسرحيات الهابطة اللاأخلاقية التي تفتك بجوانب الفضيلة ، وتطعن الأخلاق في الصميم ، وبالمراقبة والملاحظة يصل الطفل إلى قمـــة التربـــية الفاضـــلة ، ويكتمل روحا وعقلا وأخلاقا ومن ثم يعطي لغيره القدوة الصالحة في الأخلاق

والمعاملـــة وغـــير ذلك من الفضائل الحسنة ، وهذا المسلك المحمدي ، مسلك الحق والعدل ، وبه يحقق الله الخـــير كل الخير للطفل ، إذ يترفع به إلى مدارج العزة والكرامة ويجنبه مهاوي الردى ،ويجعل منه إنسانا نافعا سويا ورجلا حكيما ومسلما فاضلا كريما .

أمـــا المجتمعات الغربية والشرقية ، من نصرانية ويهودية فإنها تهمل زمن الطفولة وتترك لهم الحبل على الغارب ، فالمراقبة والإشراف والملاحظة ، كل ذلك معدوم في شريعتهم ، لذلك نجد أبناءهم يهملون ويـــتركوا فريســـة للانحـــراف والانحطـــاط الخلقي والضعف العقلي والأمراض النفسية ، وما أكثرها في المجـــتمعات الأوربية ، وقد حدثني أحد الأخوة الموثوقين ، وقد عاش فترة من الزمن في فرنسا أن الفرنسي يوجد لديه كل متطلبات الحياة من المادة وغيرها ، من السكن والراحلة ، ولكن الفراغ سكن قلبه فيجعله مضـــطربا شاردا ضائعاً ، كل هذا نتيجة التطرف وإهمال الأزمنة التي يمر بها الإنسان وخاصة زمن الطفولة وعـــدم الإشـــراف والمراقبة عليها ، وهذا ما ابتعدت عنه الأمة الإسلامية إذ قامت بالإشراف ومتابعة هذه الأزمنة بالمراقبة والملاحظة ، وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة ثابتة لها بقوله " الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، وكلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته " متفق عليه وقوله صلى الله علية وسلم " إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع " رواه ابن حبان ، وقوله "ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن " .

والأمة أخذت بمبدأ الوسطية في الزمان بحماية جهالة البشرية من قبلها وقامت على حفظ وصيانة عهـــد الرشـــد العقـــلي من بعدها ،ووقفت في الوسط لتزيل عن البشرية ما علق بها من خرافات وبدع وأوهـــام مـــن زمـــن الطفولة ، وتصدها عن الفتنة بالعقل و الهدى ، كما قامت بعملية التلقيح بين تراثها الـــروحي المأخوذ من عهود الرسالات ،برصيدها العقلي المستمر في النمو ، وأخذت بالسير على الصراط المســـتقيم بـــين هـــذا وذاك ، ولكن السائل يسأل أين كل هذا . أقول : إن الأمة اليوم تواجه كثيرا من العوائـــق التي تقف أمامها وتمنعها من أن تأخذ مكانها الطبيعي والصحيح ، وأن تقوم بدورها المطلوب وأن تطـــبق مـــبدأها الوســـطي السامي ، وأخطر ما تواجهه تخلي القائمين عليها عن منهج الله الذي أختاره لها ســـبحانه وتعالى ، متخذين مناهج ما أنزل الله بها من سلطان ، واتخاذ القوانين الوضعية ، وتركهم القوانين الإلهـــية ، وابتعادهم عن القيم والفضائل الشرعية ، وتقليدهم ملة الكفر والطغيان ، سائلاً المولى عز وجل أن يهـــدي الأمة إلى رشدها والعمل بشرع الله حتى تعود إلى مكانتها وموقعها الصحيح وتعمل على تطبيق مبدأ الوسطية قاعدة أساسية لها .

ثامناً : التـوسط في العـبادة :

مـــن مـــبادئ الشريعة الغراء التوسط والاقتصاد في العبادة . دون الإهماك والأضرار بالنفس وطبيعـــتها البشرية ، وهجر ما هو مألوف في حياة الناس ، وهذا ما قرره حديث أنس بن مالك رضي الله عـــنه . عـــندما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته . فلما أخبروا وكأنهم تقالّوها فقالوا : أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر الله له ما تقدم من

ذنـــبه ، وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقـــال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : " أنتم قلـــتم كـــذا وكـــذا . أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكن أنا أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " متفق عليه .

فإن الأمة المحمدية شريعتها مبنية على التوسط والاقتصاد ، والتسهيل ، والتيسير وعدم التعسير ، وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[16] ، والحكمة من ذلك :أن التشـــديد في العبادة يؤدي إلى الملل القاطع لأصلها ، والتمسك بالفرائض فقط دون النوافل ، وترك النفل قد يؤدي إلى الكسل وعدم النشاط في العبادة لذلك لم يشدد الإسلام عليها ، ولم يتساهل إلى حد البطالة ، ولكن أرسى قواعده على خيار الأمور أوسطها . فأمرنا بالنوم حتى نقوى على القيام ليلاً ، والإفطار لنقدر عـــلى الصوم نهاراً ، والتزوج بالنساء لغض البصر ، ونحصن الفرج ، ونكثر من الولد ، ومن خالف هذا المبدأ ليس من أهل الحنفية السهلة ، وخارجاً عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

تاسعاً : التوسط في تطبيق العقوبات

إن الأمـــة الإســـلامية أخـــذت بمبدأ الوسطية حتى في الجرائم والعقوبات ، ووضعت لها القواعد والضوابط والمعايير ، وجعلتها ترتكز على أصول ثابتة -، ومن هذه الأصول :

القواعـد الأوليـة : أنـــه لا يسأل عن الجرم إلا فاعله ، ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره مهما كانت صـــلة القرابة ، وهذا الأصل قرره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾[17] وقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[18] ، وقوله ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾[19] .

والأصل الـثاني : الذي يحافظ على التوازن والاعتدال والتوسط : أن تكون العقوبة عامة شاملة جميع الأشخاص مهما اختلفت أقدارهم وأنسابهم بحيث يتساوى أمامها الحاكم والمحكوم ، والغني والفقير ، والمتعلم والجاهل .

والأصل الثالـث : التوسط بين التشديد المطلق للعقوبة ، والتخفيف المطلق لها ، فمثلاً نجد شريعة الأمـــة لا تتســـاهل في عقوبـــة الحدود ولا تأخذ بالظروف المخففة لها ، وبالمقابل تراعي الظروف المخففة للتعازير كما أنها تقيد سلطة الحاكم في الحدود وتطلقها في التعازير .

والأصل الـرابع : التوسط في حد العقوبة ، فجعلته متناسباً مع حاجة الجماعة ومصلحتها ، فإذا اقتضت مصلحة الجماعة التشديد شددت العقوبة ، وإذا اقتضت مصلحتها التخفيف خففت العقوبة ، فلا يصـــح أن تـــزيد العقوبـــة أو تقل عن حاجة الجماعة ، ولا تجعل العقوبة انتقاماً من المجرم ، وإنما وضعت لاستصـــلاحه وزجر الآخرين ، ومن هنا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم ، أن يقصد الإحسان إليهم والرحمة بهم كما يقصد الوالد تأديب ولده ، وكما يقصد الطبيب معالجة مريضه .

والأصل الخامس : التوسط في تطبيق العقوبات ، فمثلاً في حد رجم المحصن يظهر هذا الأصل جلياً حيث يضرب المرجوم بالمدر أي الطين اليابس المتحجر ، والحجارة المتوسطة ، وهي ملء الكف، ولا يصح رميه بالحصيّات الخفيفة جداً ، ولا بصخرات كبيرة جداً . بل يرمى بالحجارة المتوسطة لا صغيرة ولا كبيرة ، وأما الجلد فيكون بأداة وسط لا غليظة ولا نحيلة ولا ثقيلة ولا خفيفة بل وسط بين الأمرين ، ولا يمدد المحدود على الأرض كما يفعل اليوم ولا يرفع الجلاد يده إلى فوق رأسه ، ولا يجعلها منخفضة إلى حد كبير . بل ترفع رفعاً وسطاً على مستوى الكتف ، وهو وسط بين الانخفاض والارتفاع وهذا ما فعله عمر بن الخطاب- وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا للجلاد : " لا ترفع يدك حتى ترى بياض إبطك " . إذن يرفع الجلاد يده على مستوى كتفه ويضرب ضربة متوسطة لا بالثقيلة ولا بالخفيفة إذ ضربوا حداً بسوط بين سوطين [20] .

والأصل السادس : الاعتدال في توزيع الضربات في الجلد على جميع أنحاء الجسم فلا يتركز الضرب في مكان واحد من الجسم أو على عضو واحد ، وإنما يفرق على الأعضاء جميعها مع تجنب الضرب على الأعضاء الحساسة لقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للجلاد : " أضربه وأعط كل عضو منه حقه واتق وجهه ومذاكيره" والأمثلة على وسطية هذه الأمة في مجال الجرائم والعقوبات كثيرة أكتفي بهذا القدر منها خشية الإطالة .

عاشراً : الأمة الإسلامية وسط في الإنفاق :

أجل إن الأمة الإسلامية تأمر بالتوسط في الإنفاق ، والأخذ بمبدأ التوازن ، والتوازن في الشريعة هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي القويم ،والغلو كالتفريط يخل بالتوازن ، وأصل هذه القاعدة العظيمة القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[21] .والتعبير في هذه الآية يجري على طريقة التصوير ، فيصور البخل يداً مغلولة إلى العنق ، كما يصور الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً ، ويصور نهاية البخل ونهاية الإسراف "قعدة" كقعدة الملوم المحسور ، والحسير في اللغة الدابة العاجزة عن السير ضعفاً وعجزاً[22] .وكذلك البخيل يحسره بخله فيقف عن الإنفاق ، والمسرف ينتهي به إسرافه إلى وقفه عن الإنفاق أيضاً متحسراً ملوماً في الحالتين على البخل وعلى الإسراف ، ومن هنا يظهر مبدأ الأمة المحمدية (خير الأمور أوسطها) ، وعلى هذا المبدأ السامي تسير الأمة الإسلامية ، وترسم معالم وطرق الرزق والإنفاق بقولها : إن الله هو الرازق الباسط الموسع ، والمضيق والمقدر ، ومعطي كل ذلك ، هو الذي أمر بالتوسط في الإنفاق بقوله تعالى : ﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيرا﴾[23] . يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصيرة ، ويقدر كذلك الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصيرة ، ويأمر بالاقتصاد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ما عال من اقتصد "كما يأمر بالاعتدال والتوسط ، وينهى عن البخل والإسراف وهو الخبير بعباده والبصير بالأقوام في جميع الأحوال .

أمـــا الأمـــم الأخرى فبعيدة كل البعد عن مبدأ الوسطية ومن ثم فإن الفرق شاسع بينها وبين أمة الهدايـــة . ففي الجاهلية على سبيل المثال كانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر والإملاق ، وهذا اشد أنواع البخل ، وأشار تعالى إلى ذلك في قوله ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾[24] . ولماذا نقول في الجاهلية ، إنمـــا هـــذا مـــا يحـــدث اليوم في المجتمعات الأوروبية ، فهم يتخلصون من أولادهم خشية الإنفاق عليهم ويـــتركونهم بالتخلي عنهم للآخرين لاستخدامهم في شتى الأعمال أو استعمالهم جنساً ثان لإشباع غريزة الجنس ، ما أعظم الإسلام وما أروع قيمه يحمي مرحلة الطفولة يطعم الولد ويلبسه ويسقيه ويشرف عليه مـــن جوانـــب التربـــية ، ويجعل منه الرجل الإيماني الشجاع الغيور على دينه وأرضه يجعل منه الشخصية الإنســـانية القويـــة ، وفي ظـــل الإسلام ينعم كل شيء والحمد لله الذي جعلنا من أمة الإسلام أمة الوسط والاتزان .

الحادي عشر :التوسط في المأكل والمشرب :

الأمة أخذت بمبدأ الوسطية حتى في المأكل والمشرب فنهت عن الإسراف بالمأكل فيهما وعدته غير محمود ، ومناف لشرعها ، لأنه مضر بالجسد والمعيشة والنفس ، وهذا ما دل عليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " ما ملأ آدمي وعاء شراً ، من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه "[25] . وفي رواية "ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه " وفي رواية أخـــرى " فإن غلبت ابن آدم نفسه فثلثا لطعامه ، وثلثاً لشرابه وثلثاً لنفسه " وهذه الروايات تدل على ذم الإكـــثار من الأكل والشبع والامتلاء ، وتصف ذلك بالشر ، لما فيه من المفاسد الدينية والبدنية ، وفضول الطعام مجلبة للسقام ومثبطة عن القيام بالتكاليف ، وتطبيق ما جاء في هذه الروايات يجعل المعدة خفيفة غير مثقلة ، وهضم الطعام يكون يسيراً عليها ، ويسهل على البدن أن يستمد الغذاء منها ومن ثم لا يتولد عن ذلـــك الأمـــراض ، وهناك كثير من الأحاديث التي تذم أيضاً كثرة الطعام والإسراف فيه ومنها ما أخرجه الـــبزار بلفظ : " أكثرهم شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة " وما أخرجه الطبراني بإسناد حسن : " أهـــل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة " وعنه أيضاً : " أن النبي رأى رجلاً عظيم البطن فقال بأصـــبعه لـــو كان في غير هذا المكان خيراً لك " ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " رآني النبي ، وقد أكلـــت في اليوم مرتين فقال يا عائشة أما تحبين أن لا يكون لك مشغل إلا جو فك ، الأكل في اليوم مرتين مـــن الإسراف والله لا يحب المسرفين " ، فالإسراف ليس من شرع الأمة الإسلامية وهو مذموم ومنهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : " كل واشرب والبس وتصدق من غير سرف ومخيلة "هذا الحديث يدل دلالة قاطعـــة على تحريم الإسراف في المأكل والمشرب والملبس والتصدق ، وحقيقة الإسراف مجاوزة الحد في كل فعـــل أو قـــول وهو في الإنفاق اشهر وأظهر[26] . والحديث مأخوذ من قوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[27] ، وقد علق عبد اللطيف البغدادي على هذا الحديث فقال : أنه جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه ، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة [28] .

إذا فالإســـراف بكل شيء مضر مضر بالجسد والمعيشة ، ويؤدي إلى الإتلاف بالنفس إذا كانت تابعة للجسد في أكثر الاحوال ، والمخيلة تضر بالنفس ، وقد علق البخاري عن أبن عباس : " كل ما شئت واشرب ما شئت ما اخطأتك أثنتان سرف ومخيلة "[29] وما أحسن قول لقمان عند ما أراد أن ينصح أبناءه بعـــد أن عرف أضرار السرف في المأكل والمشرب حين قال لهم : "يا بني إذا امتلأت المعدة ثابت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة ، وفي الخلو عن الطعام فوائد ، وفي الامتلاء مفاسد ، وفي الجـــوع صـــفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، ونفاذ البصيرة ، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في المعدة والدماغ "[30] يالها من نصيحة شاملة مفيدة فيها العلاج كل العلاج لمريض الإسراف كل هذا يظهر مبدأ الوسطية عند الأمة المحمدية .

أما الإسراف عند الأمم الأخرى وخاصة في عصرنا الحالي فنرى الناس في إسراف عجيب ويمكن أن يكـــون الطعام الملقى في حاويات بقايا الأطعمة وغيرها يكفي آلاف الفقراء والمساكين الإسراف في كل شـــيء ، وخاصة في المأكل والمشرب إذ أن أنواع المأكولات التي توجد على مأدبة الطعام كثيرة ومتنوعة ، ويلبســـون ألوانـــا مـــن الثياب كل هذا جعل الناس يقصرون بالتكاليف وغيرها وكان النبي صل الله عليه وســـلم يعـــيش واقعنا الحالي حين قال : " سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ، ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام فأولئك شرار أمتي " .

وبالمقـــابل نهـــت الأمة عن الشح والتقتير والنجل ، وهذا ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قـــال: قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإنـــه أهلـــك مـــن كـــان قبلكم " أخرجه مسلم ، والمقصود هنا بالهلاك هلاك الدنيا ، وأمرت هذه الأمة بالتوسط بين الإسراف والشح والتقتير ، وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾[31] ، والقوام هنا كما جاء في معظم التفاسير هو التوسط بين الشبع والجوع والإسراف والتقتير فالإنسان القوام هو الذي ألا يجوع ولا يعرى ولا يسرف في الشبع ولا يقـــتر إلى درجة الجوع ، والآية الكريمة هي بشأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته المعتدلة في كل شـــئ كـــانوا لا يأكلون الطعام للتنعم والإسراف بالتلذذ ، بل كانوا يأخذون من الطعام ما يقويهم على طاعـــة الله ومـــن اللباس ما يسترون به عوراتهم ويقيهم الحر والبرد . هذا هو مبدأ الأمة الكريمة العزيزة ، فعند ما طبقت في حياتها مبدأ الوسطية سادت العالم وحافظت على كرامتها وعزتها بين الأمم وعندما قلدت الآخـــرين وابـــتعدت عـــن مبادئها الربانية ضاعت كرامتها وقلت هيبتها بين الأمم ، سائلاً المولى أن تعود لقـــرآنها وســـنة نبيها لتأخذ موقعها الصحيح ، موقع العزة والإرشاد والتوجيه ، وإقامة العدل والأمان بين الـــناس ولتعطي كل ذي حق حقه وتقوي الرابطة بينها وبين خالقها ، وتقيم شرعه على أرضه وتساوي بين الـــناس في المأكل والمشرب ، وتجنبهم المظالم صغيرها وكبيرها ، نعم هذا هو دور الأمة المحمدية ، وهذا هو شرعها الحكيم والحمد لله الذي جعلنا من هذه الأمة الوسيطة وجعلنا من المسلمين .

الثاني عشر : التوسيط في قواعد الحرب والسلم :

(أ) الحرب والقتال :

إن مبدأ الأمة الإسلامية ، والقاعدة الأساسية لها " السلام "، والحرب والقتال هما الاستثناء . فالحرب في نظر الإسلام لامسوغ لها مهما كانت الظروف إلا في بعض الحالات كالدفاع عن النفس والمال، والوطن عند الاعتداء عليه والدفاع عن الدعوة إلى الله ، هذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[32] ومن هنا فإن المسلمين يقاتلون من قاتلهم ويسالمون من سالمهم .

فالآية الكريمة تقرر مبدأ الوسطية في الحرب عند الأمة الإسلامية . فهي تنص على الأمر بقتال الذين يبدأون بالعداوة ، ومقاتلة المعتدين ، وعدم التقاعس عن قتالهم ، وترك جهادهم لأن في ذلك تهاون ومذلة . أما الذين لا يبدأون بالعدوان فلا يجوز قتالهم ابتداء لأن الله نهى عن الاعتداء ، وحرم البغي والظلم و هذا صريح في قوله تعالى : ﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ، ولأن في ذلك تطرف وغلو وبعد عن مبدأ الوسطية . لذلك نرى أن حروب الرسول صلى الله عليه وسلم كانت كلها دفاعية ليس فيها من العدوان شيء . كما يدخل في مضمون الآية الكريمة النهي عن ارتكاب المناهي كقتل النساء والصبيان والشيوخ ، وحرق الأشجار والمزروعات ، والإجهاز على الحيوانات من غير مصلحة وهذا ما يؤكده قول المصطفى صلى الله عليه وسلم من حديث بريده : " اغزوا في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع " وقول ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله علية وسلم إذا بعث جيوشه قال : " اخرجوا باسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا ولا تغلوا ولا تمثلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع " وحديث ابن عمر رضي الله عنه قال : " وجدت امرأة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان " . نعم أنه مبدأ الوسطية مبدأ الرحمة حتى في ساحة القتال ومبدأ الحرب.

أما الأمم الأخرى وعلى وجه الخصوص أمة اليهود فإنهم لا يراعون هذا ولا يتقيدون بمبدأ ولا عرف ، فمن أخلاقهم الاعتداء على الآخرين من غير سبب . مغرمين بسفك الدماء لأتفه الأمور ، وغريزة حب الاغتصاب تجري في عروقهم ودمائهم ، ومبدأ الحرب عندهم الحرق والخراب والتمثيل والغلو والظلم ، وحرق الأشجار واقتلاعها وقتل النساء والصبيان والشيوخ والأبرياء ، والمبدأ السائد عندهم حرقوا دمروا نكلوا احرقوا اليابس والأخضر اقتلعوا الأشجار أبيدوا الإنسان والحيوان من غير اليهود دمروا البيوت على رؤوس أصحابها أشعلوها ناراً تلتهم كل شيء .

وهذا منتهى التطرف والغلو والاعتداء في حروبهم ، ونحن الآن نرى كل يوم اعتداء جديداً من اليهود على جيرانهم من غير مبرر ، وكل يوم يسفكون الدماء ويقتلون الأبرياء والأطفال ، وليس الطفل "محمد الدره " ببعيد ، بل إن غلوهم وتطرفهم في حروبهم طال الطفل الرضيع الذي مازال في المهد ، وقتل العاجزين من الرجال والشيوخ والنساء ، والتمثيل بضحاياهم من المجاهدين ، فتارة يسحبونهم خلف السيارات في الشوارع وتارة أخرى يبقرون بطونهم أو يقطعون رؤوسهم وأعضاءهم ، إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية والغطرسة الماجنة ، كما أنهم يدمرون وعلى مشهد من الناس البيوت على رؤوس أصحابها الآمنين ويقتلعون الأشجار أو يحرقونها ، وهذه مشاهد يشاهد بعضها اليوم الداني والقاصي على

شاشـــة التلفاز وغيره من وسائل الإعلام . إذن اعتداءات وحروب لا رحمة فيها ولا قواعد تنظمها ، ولا إنســـانية فيها ، حرب لا عدل فيها ولا توسط بل تطرف واعتداء وغلو وتمثيل وتقتيل وتشريد و اغتصاب من غير وجه حق .

(ب) – في السلم :

إن السلام كما تقدم هو القاعدة الأساسية للأمة الإسلامية ، ومبدأ من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوس أبنائه فأصبحت جزءا لا يتجزأ من كيانهم ، وعقيدة من عقائدهم ، ولقد صاح الإسلام منذ طلع فجره وأشرق نوره صيحته المدوية في آفاق الدنيا يدعو إلى " السلام " ووضع الخطة الرشيدة التي تبلغ بالإنسانية إليه ، إن الإسلام يحب الحياة ويحترمها ، ويحب الناس فيها ، وهو لذلك يحررهم من الخوف ، ويرسم الطريقة المثلى لتعيش الإنسانية متجهة إلى غاياتها من الرقي والتقدم ، وهي مظللة بظلال الأمن الوارف .

ولفـــظ الإســـلام الذي هو عنوان هذا الدين مأخوذ من مادة " الســلام " وشعاره الســلام عليكم ورحمـــة الله وبركاته ، ومن أسماء الله السلام ، وهذا كله للإشعار بأن دين الأمة دين السلام والأمان ، وهم أهـــل السلم ومحبو السلام ، ولكن الإسلام لا يقف عن حد الرعاية بهذا المبدأ فحسب إنما يقوم أيضا ببناء العلاقـــة الوطـــيدة بـــين الأفراد والجماعات والدول على أساس السلام والأمان ، وهذا يستوي في علاقة المسلمين بعضهم ببعض ،وعلاقة المسلمين بغيرهم فمن مبادئ الأمة الإسلامية الوسطى السلم هي :

1 ـ علاقة المسلم بأخيه المسلم :

فمـــن مـــبادئ الإسلام المآخاة بين المسلمين وتوحيد القلوب ،ورص الصفوف بهدف إقامة كيان موحـــد بـــين الســـلمين ناهيا عن عوامل الفرقة والضعف وأسباب الفشل والهزيمة ، ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات والمصالح والمقاصد النبيلة والأهداف الصالحة وإعلاء كلمة الله في أرضه ،وإقامة الحق ، وفعل الخير ، فهو لهذا كله يؤلف روابط ، ويوجد صلات قوية بين أفراده ، لذلك نجد في صـــدر الإسلام هذه الروابط أقوى من رابطة الدم أو القرابة ، وأقوى من رابطة اللون واللغة والوطن ، وفوق كل المصالح المادية ، وهذا ما قرره كله القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بـــين أخويكـــم وأتقـــوا الله لعلكم ترحمون﴾[33] ، وقوله سبحانه ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعـــض ﴾[34] وقـــول الرسول صلى الله علية وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " .

2 ـ علاقة المسلم بغير المسلم :

علاقة تعارف وتعاون ومحبة وبر وعدل وهذا يؤكده قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكـــر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم أن الله عليم خبير﴾[35] وقوله تعـــالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إلـــيهم أن الله يحـــب المقسطين﴾[36] ، والآية الكريمة تقضي العلاقة الصادقة مع الآخرين ، وبناء المصالح والمنافع مع الجوار ، وتقوية الصلات الإنسانية ، وحماية الداخلين إلى ديار الإسلام ، وعدم الاعتداء عليهم

أو قتلهم أو اختطافهم ، وغير ذلك من الأساليب المتبعة اليوم ، بل لابد أن يعاملوا بالحسنى ما داموا في حالة سلم ، وان تراعى مصالحهم ، وأن يتم التعاون معهم على البر والتقوى ،والصدق والأمانة ، وعدم الإضرار بهم إطلاقا ، وعدم اكراههم على الدخول في الدين[37] لقوله تعالى :﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[38] هذا هو مبدأ الأمة الإسلامية الوسطي .ومن سماحة الإسلام واعتداله أنه أباح للنصارى واليهود ما أباحه لهم الدين من المطعم والملبس والمشرب ، فلا يقتل لهم خنزير ،ولا تراق لهم خمر مادام ذلك جائز في دينهم ،وأعطاهم الإسلام الحرية في ممارسة قضاياهم وطقوسهم في الزواج والطلاق والنفقة وغير ذلك كما قام الإسلام على حماية كرامتهم وصيانة حقوقهم ، وأعطاهم حرية الكرم والمناقشة والحوار مع الآخرين مع التزامهم الأدب والبعد عن الخشونة والغطرسة والقوة والعنف ، وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾[39] أية عظيمة تقرر وبكل وضوح مبدأ وسطية هذه الأمة الرشيدة ، والإسلام بمبدئه السامي الوسطي : أحل للمسلم طعام أهل الكتاب والأكل من ذبائحهم والتزوج من نسائهم وهذا في قوله تعالى :﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ﴾[40] ، كما أباح الإسلام زيارتهم وعيادة مرضاهم ، وتقديم الهدايا لهم ومبادلتهم البيع والشراء ، أنظر يا أخي المسلم إلى سماحة الإسلام في السلم وفي معاملة غير المسلمين . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي لقاء دين عليه ، وأنظر إلى أفعال الصحابة ، أنهم إذا ذبح أحدهم شاه يقول لخادمه إبدأ بجارنا اليهودي ، يالها من مبادئ وسطية عدلية إنصافية متميزة عن سائر الأمم ، والأمثلة على وسطية هذه الأمة الهادية المهدية كثيرة لا يشبع منها القلم ، ولولا الإطالة لذكرت منها الكثير ، وأختم بحثي هذا بهذه القاعدة العظيمة التي قررها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾[41] أي إذا قاموا للسلم والمصالحة والمهادنة فميلوا إليها وأقبلوا منهم ذلك[42] .

وخلاصة القول :

أن الأمة الإسلامية وسط تتميز بالوسطية عن باقي الأمم الأخرى ، فهي وسط في العبادة ووسط في المكان والزمان وفي المطعم والمشرب والملبس وحتى في موقعها الجغرافي كما أنها وسط في تعاملها ، وإيمانها بالرسل والأنبياء ، ووسط في علاقتها وارتباطها مع أفرادها ، ومع دول الجوار ، و أهل الكتاب من نصارى ويهود ، ووسط في تنفيذ العقوبات كما أنها وسط في الإنفاق ووسط في الحروب والقتال .بل أقول إنها وسط في كل أمر من أمورها الدنيوية والأخروية ، وبعيدة كل البعد عن التطرف والغلو والظلم وغير ذلك .

الهوامش

(1.) : [البقرة – 143] .

(.2) : القـاموس المحيط – الفيروز أبادي –دار المأمون ط4–1357هـ مادة (وسط) وللاستزادة يـنظر المعجـم الوسـيط –قام بإخراجه إبراهيم مصطفى و آخرون – دار الدعوة تركيا 1989م – مادة وسط .

(.3) : تفسير فتح القدير – محمد علي الشوكاني –دار الفكر –بيروت –1983م (152/1)

(.4) : [البقرة 143] .

(.5) : [المائدة –116] .

(.6) : [النساء –171] .

(.7) : تفسير ضلال القرآن – سيد قطب – دار الفكر ، بيروت – ط6 – 1981م – (198/1) .

(.8) : [النساء – 171] .

(.9) : [آل عمران – 59] .

(.10) : [البقرة –143]

(.11) : تفسير ظلال القرآن –سيد قطب –دار الفكر بيروت ط6–1981م –(213/1)

(.12) : تربـية الأولاد فـي الإسـلام – عـبد الله ناصـح علوان – دار السلام للطباعة ، حلب ، ط3– 1983م (6/1) .

(.13) : روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة–إلياس أبو شبكة – دار الأندلس بيروت983م– (ص/122).

(.14) : تفسير فتح القدير – محمد علي الشوكاني – دار الفكر بيروت 1983م – (150/1)

(.15) : كتاب إسلامنا – السيد سابق – دار الفكر بيروت ، ط2–1402هـ–1982م (ص–71) .

(.16) : [البقرة – 185] .

(.17) : [الأنعام – 164] .

(.18) : [فاطر–18] .

(.19) : [النجم – 39] .

(.20) : نيل الأوطار – محمد علي الشوكاني – دار الفكر – بيروت – 1983م – (121/3) .

(.21) : [الإسراء– 29]

(.22) : القـاموس المحـيط – الفـيروز أبادي – دار المأمون – ط4–1357هـ – مادة (حسر) وللإسـتزادة يـنظر المعجـم الوسيط – قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون – دار الدعوة تركيا– 1989م مادة (حسر).

(.23) : [الإسراء– 30]

(.24) : [الإسراء – 31]

(.25) : سنن الترمذي – لابي عيسى محمد بن عيسى بن سوره – دار إحياء التراث العربي بيروت –1979م–(266/4).

(.26) : كتاب سبل السلام – محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني– دار الجبل – 1981م (1124/3)

(.27) : [الأعراف – 31] .

(.28) : المرجع السابق .

(.29) : فتح الباري شرح صحيح البخاري – السيوطي – دار الأندلس –1977م (87/4)

(.30) : رياض الصالحين – للإمام النووي – دار الجيل بيروت – 1983م – (ص/ 172)

(.31) : [الفرقان – 67]

(.32) : [البقرة – 190]

(.33) : [الحجرات – 10]

(.34) : [التوبة – 71]

(.35) : [الحجرات – 13]
(.36) : [الممتحنه – 8]
(.37) : [فقه السنة – السيد سابق – دار الكتاب العربي بيروت ، ط2–1987م – (545/2).
(.38) : [البقرة – 256]
(.39) : [العنكبوت– 46]
(.40) : [المائدة – 5]
(.41) : [الأنفال –60]
(.42) : مختصر تفسير ابن كثير – محمد علي الصابوني – دار القرآن الكريم بيروت ط7 1402هـ–1981م – (116/2)

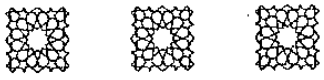

منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في إيراد الشواهد القرآنية في معجم العين

"دراسة تحليلية"

د. فاضل النعيمي *

المقدمة

مازالـــت لغة القرآن الكريم موضع عناية الدارسين ومعقد اهتمامهم ، وذلك لما يجدون فيها من أســـرار دقـــيقة وخبايا وكنوز ثمينة ، لم يوقف على مثلها في النصوص الأدبية ، وإن سمت إلى أعلى مراتب الإبداع .

وقـــد كان العلماء الأوائل من مفسرين ولغويين في مقدمة من استوقفتهم هذه الأسرار ، فراحوا يستكشفونها ويرفعون عنها الحجب ، ليتذوقها القارئ الكريم ، ويزداد يقينا باعجاز هذا النص ، وبأنه من لدن عزيز حكيم .

والخلـــيل بـــن أحمد الفراهيدي (ت 175هـــ) واحدٌ من أولئك الأعلام الموهوبين البارزين في اللغـــة وأحد أساطينها في القرن الثاني للهجرة ، الذين تغلغلوا في سرائر لغة القرآن الكريم وفقهها ، عليما بصرفها ونحوها وبيانها وبديعها وعروضها .

وقـــد اتفـــق المؤرخون على أن الخليل أول من وضع معجماً للعربية ، وأول من وضع الصوت اللغـــوي موضـــع تطبيق فني في دراسته اللغوية التي انتظمها كتابه الشهير (العين) ، ولم يستطع أحد ممن تقدمه أو ممن عاصره أن يهتدي إلى شيء من ذلك [1] ، فكان بذلك الرائد والمؤسس .

لقـــد عرض الخليل في معجمه اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والقياس والقراءات والبلاغة وغيرها من علوم العربية ، وأضاف إلى كل ذلك ذوقه وشخصيته في التفسير والشرح والبيان .

---

* أستاذ مساعد / قسم الدراسات الإسلامية / كلية التربية – جامعة ذمار

وأدرك الخليل دقة التعبير في الألفاظ ، إذ كان يبحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي ، ومن ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة ، وأخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتعود ألفاظاً بدايةً ونهايةً طرداً وعكساً ، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة ، والمهمل غير المستعمل[2] .وكل هذا ينم عن كشف عبقرية لغتنا التي لم يستطع غير القرآن الكشف عنها .

والخليل – رحمه الله – شخصية علمية وثقافية كبيرة ، لم تقف معرفته عند علم معين دون سواه من العلوم ، ولم تقتصر ثقافته على ناحية واحدة ، فهو متعدد الجوانب ، فقد كان لغوياً ماهراً بلهجات العرب ، وواضع علم العروض ، وكان في عصره إماماً لامعاً من أئمة اللغة ، وعلماً من أعلامه وشيخاً من شيوخه ، وهو من علماء النحو المتقدمين ، وإن كتاب سيبويه قد حفل بعلمه في النحو واللغة [3] ، وقد رجع إليه الباحثون والدارسون وأفادوا منه كثيراً في شتى الفروع من متن اللغة ، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، وعلم القراءات .

وكانت ثقافته اللغوية ثقافة واسعة ، ولا عجب فقد تتلمذ على أعلام عصره في اللغة والنحو وغيرهما ، وقرأ وطالع وأفاد من رحلاته وتجاربه وخبرته بالحياة ، مما نمّى عنده روح الأدب ووّسع من مواهبه ومداركه ونوّع من فنونه .

فقد أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وروى عن أيوب وعاصم والأحول وغيرهما ، وأخذ عن الأصمعي ، وسيبويه ، والنضر بن شُميل ، وأبي فَيْد مُؤرِّج السدوسي ، وعلي بن نصر الجهضمي وغيرهم، وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحضر أشعار العرب [4] .

وقال عنه النضر بن شُميل – وهو من علماء اللغة المتقدمين – : " أَكَلَتْ الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خص لا يشعر به " [5] .

ومن تصانيفه : كتاب الإيقاع ، وكتاب الجمل ، وكتاب الشواهد ، وكتاب العروض ، وكتاب العين في اللغة [6] .

وليس من غرض البحث أن نذكر كل ما قيل في ترجمة هذا النابغة الكبير[7] الذي كان رأس المدرسة البصرية في عصره بلا منازع ، ومنارة اهتدى بها علماء العربية الأوائل كافة ، وإنما القصد أن نقتبس من نور خدمته العلمية ما ينير لنا طريق الحياة في سيرنا العلمي من خلال بيان طريقته في إيراد الشواهد القرآنية في معجمه الأصيل .

وفيما يتعلق بالشواهد القرآنية التي أوردها الخليل في معجمه واعتمدها فقد بلغ عددها (599) شاهداً مع المكرر ، وكانت على النحو الآتي :

الجزء الأول 36 شاهداً
الجزء الثاني 40 شاهداً
الجزء الثالث 77 شاهداً
الجزء الرابع 78 شاهداً
الجزء الخامس 106 شاهداً

الجزء السادس 48شاهداً
الجزء السابع 90 شاهداً
الجزء الثامن 124 شاهداً

وكانت خطتنا في البحث قائمة على الوقوف أمام بعض الشواهد القرآنية التي عوّل عليها الخليل إذ اعتمدناها نماذج حية بعد إخضاعها للتحليل والتمحيص والمناقشة ، لتوصلنا في النهاية إلى كشف دقة توظيفها ، وإبراز ما كَمنَ من خصائصها الذاتية ، وهي بمجموعها تعطينا الصورة الواضحة والجلية عن منهجية الخليل في إيراد هذه الشواهد في معجمه ، وكانت على النحو الآتي :

المبحث الأول : أنه يستعين بالشاهد القرآني لإثبات معنى لفظة من الألفاظ اللغوية الواردة في معجمه ، ملماً بشتى فروع الكلمة وبيان الصيغ الأخرى التي ترد في مادتها اللغوية ودلالات تلك الصيغ ، وبما قاربها أو شابهها من الألفاظ .

فنراه مثلاً في وقوفه عند لفظة (المُعصرات) حين عرض لها في مادة (عصر) بالبيان ، نجده يقول في معناها : سحابات تُمْطِر ، ثم يحتج بالشاهد القرآني الذي يثبت هذه اللفظة ويستعين به في قوله تعالى : ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ﴾ [النبأ : 14] ثم يستطرد في الكلام بعد ذلك في بيان دلالات الصيغ الأخرى التي ترد في مادتها اللغوية فيقول : وأعصر القوم : أُمْطِروا ، ويستدل بشاهد قرآني آخر في هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿ وفيه يَعْصِرُون ﴾ [يوسف : 49] ، ثم ينتهي بعد ذلك إلى بيان معنى الإعصار فيقول : الغبار الذي يستدير ويسطع ، وغبار العجاجة إعصار أيضاً ، ويعضد قوله بشاهد قرآني آخر هو قوله تعالى : ﴿ فأصابها إعصار فيه نار ﴾ [البقرة : 266] يعني العجاجة[8] .

وهكذا نجد الخليل قد توسع في تبيين دلالات اللفظة في اللغة وتتبع مواطن ورودها في القرآن الكريم ، فهو في هذا المثال يجعل القرآن الكريم شاهداً على معاني الألفاظ في اللغة ، لأن الاستشهاد بالقرآن يعني اعتماد أبلغ الكلام وأعلاه وأوثقه ، فلا بد إذاً من تقديمه على ما سواه من الشواهد الأخرى مهما علت واستوثقت .

ومن أمثلة ذلك وقوفه عند لفظة (طهر) الواردة في معجمه ، فنجده كيف يوجّه اللفظ ويبين مدلوله من خلال مباحث علم الاشتقاق ، فقد بيّن معنى الإطهار بالاغتسال كما في قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم جنباً فاطّهَّروا ﴾ [المائدة : 6][9]

ثم يوضح معنى التطهُّر الوارد في قوله تعالى:﴿ رجال يحبون أن يتطهَّروا والله يحب المتطهرين ﴾ [التوبة : 108] ، فالتطهُّر عند الخليل في هذه الآية يأتي بمعنيين أحدهما : حسي الذي هو الاستنجاء بالماء ، والآخر : معنوي روحي الذي هو التنزه والكف عن الإثم [10] .

وأدرك صاحب معجم العين أضداد هذه اللفظة فأوضح أن الطُّهْر نقيض الحيض . يقال : طَهَرَت المرأة ، وطَهُرَت لغتان ، فهي طاهر إذا انقطع ، وهي ذات طهر ، وتطهرت أي : اغتسلت واطهرت .

ثم ذكر الخليل بعض اشتقاقات اللفظة التي منها (المُطهَّرون) التي وردت في قوله تعالى: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ [الواقعة : 79] التي هي بمعنى الملائكة .

وختم مبحثه في هذه اللفظة فقال : والعرب تجمع طهر النساء : أطهاراً ، وهي أيامها التي لا تحيض فيها[11] .

وهكذا فالخليل بيّن دلالات اللفظة في اللغة ، واستشهد بالشواهد القرآنية التي تؤيد دلالات اللفظة اللغوية ، وجعلهما أصلاً لمعاني الكلمات التي تقرب من هذه الكلمة .

ومن ذلك ما جاء في لفظة (المُكاء) فعندما يورد دلالتها اللغوية نراه يحتج بالشاهد القرآني الذي يثبت هذه اللفظة ويستعين به في قوله تعالى: ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديةً ﴾ [الأنفال : 35] فقال : " المكاء : الصَّفير ، والتصدية : التصفيق باليدين ، كانوا يطوفون بالبيت عراة يصفرون بأفواههم ، ويصفقون بأيديهم ، وقد مكا الإنسان يمكو مكاء أي صفر بفيه "[12]

ومن ذلك وقوفه عند لفظة (الرجم) فقال : الرَّجْمُ في القرآن القتل في شأن نوح عليه السلام . والرَّجْمُ : اسم لما يُرْجَمُ به الشيء ، والجميع الرُّجُوم ، وهي الحجارة . والرُّجُوم : التي ترمى بها الشياطين ، والشيطان رجيم مرجوم ملعون . والرَّجْمُ : الرمي بالحجارة ، والرجم القذف بالغيب والظن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لارجُمَنَّكَ واهجُرني مَلياً ﴾ [مريم : 46] أي لأقولن فيك ما تكره [13]

فالخليل استعان بالشاهد القرآني لتأييد أحد المعاني المشابهة للفظة . وهذا المعنى ذهب إليه الزمخشري في كشافه عند تفسيره لفظة (لأرجمنك) الواردة في آية سورة مريم حيث قال : " لأرمينك بلسان يريد الشتم والذم ، ومنه الرجيم المرمى باللعن ، أو لأقتلنك من رجم الزاني ، أو لأطردنك رمياً بالحجارة ، وأصل الرجم الرمي بالرجام "[14]

وعند بيان دلالة (الأَزْرُ) اللغوية نراه يقول : " الأزر : الظهر ، وآزره أي : ظاهره وعاونه على أمر ، والزرع يؤازر بعضه بعضاً ، إذا تلاحق والتفَّ . وشد فلان أزره ، أي : شد معقد إزاره ، وائتزرَ أزْرَهُ "[15] .

ثم جاء بنظائر هذا المعنى مستدلاً بآي من القرآن كما في قوله تعالى :﴿ وأشدد به أزري ﴾ [طه : 31] ليعضد قوله المذكور ، ثم ذكر أن المئزر هو الإزار نفسه ، وآزر : اسم والد إبراهيم عليه السلام[16].

وقد أكد الطبري هذا المعنى في تفسيره حيث قال : " يقول تعالى ذكره : مخبراً عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون ، وإنما يعني بقوله : ﴿أشدد به أزري ﴾ قوِّ ظهري ، وأعنِّي به ، يقال منه : قد أزر فلان فلاناً : إذا أعانه وشدّ ظهره "[17] .

ويتضح من الأمثلة المتقدمة أن الخليل أفاض في الشرح والتحليل والتعمق في بيان دلالات الألفاظ في اللغة ، مستعيناً بالشواهد القرآنية ليعضد بها ما ذهب إليه ، وكل ذلك ينم عن سعة علمه في اللغة ، وتمكنه من معجمها الضخم، لأن الإلمام بالمعنى اللغوي للكلمة هو من مقومات الفهم اللغوي للفظ.

المبحث الثاني : أنه يأتي بالشاهد القرآني على غير ما ورد في المعجم من لفظ لاثبات معنى من المعاني ، أو ليعضد تفسير حالة نحوية ، أو حملاً على نظائر حالة مشابهة لها أو غيرها .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ [النمل : 14] فلفظة (جحدوا) الواردة هنا نوع من أنواع الكفر ، وهو كفر الجحود مع معرفة القلب . والكفر نقيض الإيمان ، ويقال لأهل دار الحرب : قد كفروا ، أي عصوا وامتنعوا . والكفر : نقيض الشكر ، كفر النعمة ، أي لم يشكرها[18] .

ثم نراه يقسم الكفر إلى أربعة أنحاء :

كفر الجحود مع معرفة القلب ، نحو قوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ .

وكفر المعاندة : وهو أن يعرف بقلبه ، ويأبى بلسانه .

وكفر النفاق : وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر .

وكفر الإنكار : وهو كفر القلب واللسان .

وإذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرته [19] .

فاللفظة الواردة في المعجم هي (الكفر) والشاهد القرآني الذي استعان به متمثل بلفظة (الجحود) إذ بيّن وأوضح أنه نوع من أنواع الكفر الأربعة المتقدمة الذكر .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره لبيان لفظة (دري) الواردة في معجمه قال : " درى يدري درية ودَرْياً ودريانـاً ودرايـةً ، يقال : أتى فلان الأمر من غير درية ، أي من غير علم . والعرب ربما حذفوا الياء من قولهم : لا أدر في موضع لا أدري ، يكتفون بالكسرة فيها كقول الله عز وجل : ﴿ والليلِ إذا يَسْر ﴾ [الفجر : 4] والأصل يسري "[20] .

فالخليل استدل على هذا التوجيه اللغوي للفظة الواردة في معجمه بما يؤيده من الشواهد القرآنية ، محتكماً في ذلك إلى لغة العرب .

ومما جاء تطبيقاً لهذه الحالة أيضاً ، ما ذكره الخليل في بعض الألفاظ وتعرضه للمذكر والمؤنث ، فيقول مثلاً في لفظ (الشجر) : " أهل الحجاز يقولون : هذه الشَجَرُ ، وهذه البُرُّ ، وهي الشعير (وهي التمر) ، وهي الذهب ، لأن القطعة منه ذهبة " [21] . واستعان على هذا التوجيه المؤيد لكلام أهل الحجاز بلغة القرآن الكريم فقال : " وبلغتهم نزل قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [التوبة : 34] ولذلك لم يقل : " ينفقونه لأن المذكر غالب للمؤنث ، فإذا

اجـتمعا فالذهـب مذكر والفضة مؤنثة "[22] . فاللفظة الواردة في المعجم هي (الشجر) والشاهد القرآني الذي استعان به متمثل بلفظة الذهب .

ولأبي عبـيدة في هذا الموضع رأي يتفق به مع الخليل فيقول : " صار الخبر عن أحدهما ، ولم يقل ولا ينفقونهما والعرب تفعل ذلك إذا أشركوا بين أثنين قصروا فخبّروا عن أحدهما استغناءً بذلك وتخفيفاً ، لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر "[23] .

والـذي عليه أهل اللغة هو أن الضمير المؤنث هنا " يعود على الأموال أو الكنوز المدلول عليها بـالفعل ، أو على الذهب والفضة لأنهما جنسان ، ولهما أنواع ، فعاد الضمير على المعنى ، أو على الفضة لأنها أقرب ، ويدل ذلك على إرادة الذهب "[24] .

ووقـف الخليل عند لفظة (أجل) فذهب إلى القول : "تقول : أجِنَّكَ بمعنى : أجل أنّكَ ، فحذفت اللام والألف" [25] . واستدل على هذا الحذف الوارد في الألفاظ بما يؤيده في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لكنّا هو الله ربي ﴾[الكهف :38] معناه ، والله أعلم : لكن أنا ، فحذفت الألف فالتقت النونان فجاء التشديد ، ثم استدل بعد ذلك بدليل آخر ليعضد به ما قدمه من الدليل القرآني ، وهو قول الرسول (ﷺ): (أجِـنَّك مـن أصحاب رسول الله) أي من أجل أنك ، ومثله : لَهَنَّكَ الرجل عاقل ،أي والله أنك لرجل عاقل[26].

وبذلـك زاوج الخليل بين الشاهد القرآني وشاهد حديث رسول الله (ﷺ)في التفسير المبني على الملاحظ اللغوية والتوجيهات النحوية .

المبحث الثالث : ومن منهجه أنه يجعل الشاهد القرآني الأساس في استخلاص القاعدة النحوية .

تفـوق الخلـيل عـلى علماء عصره في أصول النحو وفروعه ، وكان إماماً لامعاً من ائمة اللغة والنحو ، وعلماً من أعلامه ، وشيخاً من شيوخه ، ورجع إليه المستفيدون والدارسون في هذا المضمار . وللخلـيل الكـثير من الآراء اللغوية والنحوية ، ومعجمه (العين)خير شاهد على ذلك بما حوى من آراء ومسائل دقيقة .

فمـن أمثلة ذلك وقوفه على الأداة (كلاّ) فذهب إلى أنها تأتي على وجهين : الوجه الأول : بمعنى (حقاً) والشاهد فيه قوله تعالى ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصيّة ﴾ [العلق : 15][27] .

وكان الكسائي يرى الرأي نفسه [28] .

والوجـه الثاني : بمعنى (نفياً) والشاهد فيه قوله تعالى : ﴿ أيطمعُ كلُّ امرئٍ منهم أن يُدْخَلَ جَنَّةَ نعـيم * كـلاّ ﴾ [المعـارج :38-39] ومثله قول أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الذي ذهب إلى أنها : "مركـبة مـن كـاف التشـبيه ولا النافـية قال وإنما شددت لامها لتقوية المعنى ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين"[29] .

وذهب غيرهم من النحاة إلى أنها بسيطة وإنما وضعت في أول الأمر على هذه الصورة [30] .

وكان ابن هشام يرى أن (كلاّ) عند سيبويه والخليل والمبرّد والزجّاج وأكثر علماء البصرة أن لها معنى واحداً لا تفارقه وهو الردع والزجر وأنهم يجيزون أبداً الوقف عليها والابتداء بما بعدها ، قال جماعة منهم : متى سمعت (كلاّ) في سورة فاحكم بأنها مكية لأن فيها معنى التهديد والوعيد ،و أكثر ما نزل ذلك بمكة .

ورأى الكسائي وأبو حاتم ان معنى الردع والزجر ليس مستمراً فيها فزادوا معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها ، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال : أحدها : للكسائي الذي ذهب إلى أنها بمعنى حقاً . والثاني : لأبي حاتم السجستاني الذي ذهب إلى أنها تكون بمعنى الا الاستفتاحية . والثالث : للنضر بن شُميل والفرّاء اللذين ذهبا إلى أنها تكون بمعنى إي الجوابية التي بمعنى نعم[31] .

وقد رجّح ابن هشام حملها على الردع لأنه الغالب فيها .

ووقف الخليل عند قوله تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المُسَبِّحينَ ﴾[الصافات : 143] فذهب إلى أن (لولا) الواردة في الآية بمعنى : فلو لم يكن ، وهي مركبة عنده من (لو) و (لا) . فقال : "واما (لولا) فجمعوا فيها بين (لو) و (لا) في معنيين ، أحدهما : (لو لم يكن) ، كقولك : لولا زيد لأكرمتك ، معناه : لو لم يكن . والأخر:(هلاّ) كقولك لولا فعلت ذاك ، في معنى : هلاّ فعلت"[32] . ثم أضاف وقال : " وقد تدخل (ما) في هذا الحد في موضع (لا) ، كقوله تعالى : ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة ﴾ [الحجر: 7] ، أي: هلاّ تأتينا " [33] .

وذهب ابن جني مذهب الخليل في أن الكلام إذا خلط بعضه ببعض صار له بالامتزاج والتركيب حكم آخر فقال : "الا ترى أن (لولا) مركبة من (لو) و (لا) ، ومعنى (لو) امتناع الشيء لامتناع غيره ،ومعنى (لا) النفي أو النهي ، فلما ركبا معاً حدث معنىً آخر وهو امتناع الشيء لوجود غيره" [34] .

ومن الأدوات الأخرى التي تحدث عنها الخليل في معجمه الأداة (لمّا) فقال : " وأما (لمّا) فعلى معنيين : أحدهما: من جمع (ما) و (لم) فجعلت لمّا بناءً واحداً . وثانيهما : بمعنى (إلاّ) كقوله تعالى: ﴿ إن كُلُّ نفسٍ لمّا عليها حافظ ﴾ [الطارق : 4] .. ومنهم من يقول : لا ، بل الألف في (لمّا) أصلية والميم منها في موضع العين ، وهو بوزن فعّل "[35] .

ومثل قول الخليل في أن (لمّا) بمعنى (إلاّ) قول سيبويه والكسائي[36] .

ولنظر إليه عندما وقف الخليل عند قوله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدونَ ﴾ [الصافات : 147] فذهب إلى أن (أو) الواردة في الآية تكون بمعنى الواو ، وتكون بمعنى (بل) ، وتفسر الآية : بل يزيدون ، ومعناه : ويزيدون ، والألف زائدة . [37] .

وقـد وافـق الفرّاء و قُطْرُب الخليل نفسه ، فهي عند الفرّاء أن (أو) قد تأتي بمعنى بل ، وعند قطرب أنها قد تكون بمعنى الواو . (38) .

لكـن ابن جني أشار إلى أن (أو) لا تكون على مذهب الفرّاء ، ولا على مذهب قطرب ، لكنها عـنده تأتي للشك ، فقال : " لكنها عندنا على بابها في كونها شكاً ، وذلك أن هذا كلام خرج حكاية من الله عـز وجـل لقول المخلوقين وتأويله عند أهل النظر : وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموهم لقلتم أنهم فيهم : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون " (39) .

فالشك حاصل في الرائي لهم في مقدار عددهم فيقول : هم مائة ألف أو يزيدون .

ووقف الخليل عند قوله تعالى : ﴿ فلا اقتحَمَ العَقَبَةَ * وما أدراك ما العقبةُ ﴾ [البلد : 11-12] فذهـب إلى أن (لا) تكون بمعنى النفي وبمنزلة (لم) أي (فلم يقتحم العقبة) ، وقال : " وأكثر ما يستعمل هـذا الوجه بتكرار (لا) كما قال سبحانه : ﴿ فلا صدَّقَ ولا صَلّى ﴾ [القيامة : 31] أي لم يصدق ولم يصـل ، إلا أن في الآيـة مـا يـنوب مـناب الـتكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى:﴿ ثم كان من الذين آمنوا ... ﴾ فكأنه قال :فلا أقتحم العقبة ولا أمن ،فمعنى التكرار حاصل " (40)

مـن خـلال الأمثلة المتقدمة يتضح أن الخليل من خلال استعانته بالشواهد القرآنية يجعل للنحو وظيفة معنوية هي الإبانة عن معاني الكلام ووجوه فهمه .

ومهما يكن من رأي نستطيع أن نؤكد أن ليس هناك بابٌ من أبواب النحو يخلو من رأي للخليل في ترجـيح وجـه على وجه أو في الذهاب إلى رأي ينفرد به دون غيره من علماء النحو الذين جاءوا من بعـده ، ويطول بنا المقام لو حاولنا استقصاء آرائه في شتى أبواب النحو باباً باباً ، والموازنة بينه وبين غيره من العلماء فيما ذهب إليه .

المبحـث الرابع :أنه يأتي بالشاهد القرآني لإيراد دلالات بلاغية وجمالية .

للخلـيل في معجمـه (العـين) جهد بيّن في توجيه بعض عنايته إلى المنحى البلاغي مع أن ظهور معجمه في زمن لم يكتمل فيه تدوين المصطلحات البلاغية .

والخليل مع امامته في اللغة والأدب ، شديد الإحساس بالجمال البياني ، ذواقاً للأساليب العربية، متمكنا في فهم خصائص البلاغة العربية وأصولها ، موازنا بين تعبير وتعبير وأداء وأداء ، ونظم ونظم .

فمـن أمـثلة الشواهد القرآنية التي لمح فيها بعض الأساليب البلاغية التي استدل عليها بسجيته الفطـرية قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ [البقرة : 10] يقول : " أي نفاق ، يقال : قلب مريض من العـداوة ومـن النفاق " (41) . بهذا التذوق الدلالي ، والنظر الموضوعي ، فهم الخليل الأسلوب البلاغي الوارد في الآية الذي يعبر عنه بالمجاز عند البلاغيين .

قال الزمخشري مؤكداً معنى المرض الوارد في الآية بالمجاز " استعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقةً ومجازاً فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول : في جوفه مرض ، والمجاز أن يستعار لبعض أمراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض ، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك "[42] .

ثم يذهب بعد ذلك إلى حمل الآية على المعنى المجازي ويقول : " والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء ، لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله (ﷺ) غلاً وحنقاً " [43] .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ والسماءَ بنيناها بأيدٍ ﴾ [الذاريات :47] قال الخليل : "أي بقوة"[44] ، ثم أضاف : " وإياد كل شيء ما يقوى به من جانبيه ، وهما إياداه ، وأياد العسكر الميمنة والميسرة وكل شيء كان واقيا لشيء فهو إياده " [45] .

وهذا المعنى أكده أبو عبيدة في مجاز القرآن : " أي بقوة "[46] .

إن هذا الاستعمال المجازي الذي استعمله الخليل في هذه الآية مسوق لبيان عظمة الله وقدرته ، لأن مظاهر القوة والقدرة والمقدرة إنما تصدر عن اليد وبها يتجلى مدى الاستيلاء المطلق فهو قد تلمس العلاقة أو المناسبة بين هذه الصفة أو الملكة وبين اليد ، وهذا أسلوب من أساليب العرب لانهم يريدون باليد القوة دون إرادة التجسيم والتشبيه اللذين نزه الخالق عنهما في مشابهة المخلوقات لقوله جل شأنه : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : 11].

والخليل هنا ينظر إلى المجاز باعتباره مقابلاً للحقيقة وهو قسيم لها في تنظيره له ، وتلك بداية لها قيمتها الفنية .

وتكلم الخليل عن التشبيه الذي هو : " العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ، ولا يخلو التشبيه في أن يكون في القول أو في النفس "[47] .

وقد اشتمل معجمه على شواهد للتشبيه من القرآن الكريم نبرز منها قوله تعالى :﴿ في البحرِ كالأعلام ﴾ [الشورى : 32، الرحمن :24] ، قال الخليل : " شبه السفن البحرية بالجبال "[48] .

وورد في تفسير هذه الآية : " أي السفن الجارية في البحر كأنها من عظمها أعلام أي جبال شاهقة "[49]. فالمشبه هنا السفن البحرية ، والمشبه به الجبال ، وأداة التشبيه الكاف وهذا التشبيه أكده أبو هلال العسكري وهو يقسم التشبيه إلى أربعة وجوه إذ قال : " والوجه الرابع : إخراج ما لاقوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها "[50].وعلى هذا يكون المعنى إنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها ، لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو[51] .

وتابعه على هذا بدر الدين الزركشي[52] . وأورد النص ذاته جلال الدين السيوطي الذي استشهد بالشاهد القرآني المتقدم فقال : " والجامع فيهما العظم والفائدة إبانة القدرة على تسخير الأجسام العظام في ألطف ما يكون من الماء وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الاثقال وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان "[53] .

وتعرض الخليل لتشبيه المحسوس بالمحسوس الوارد في قوله تعالى :﴿ إنها ترمي بشررٍ كالقصر * كأنه جمالةٌ صفرٌ ﴾ [المرسلات : 32-33] فقال : " ان الشرر يرتفع فوقهم كأعناق النخل ثم ينحطُّ عليهم كالأينق السود ، والقصرة : أصل العنق ، وكذلك عنق النخلة أيضا "[54] .

وقد فسر ابن عباس هذه الآية : ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ بقوله : " يعني كأصول الشجر العظام تقع على اكتاف الأشقياء ، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر ، وهي الإبل السود ، ولما كانت الإبل أعظم الأشياء في نفوس العرب لصبرها على الأهوال واحتمال الأثقال وكانوا يضربون بها الأمثال في كثير من الأحوال ، فكذلك شبه تعالى شرر جهنم بها تعظيماً له وتهويلاً وارهاباً منها وتخويفا " [55]

فالآية ناظرة إلى وصف أولئك المكذبين في تصوير حالهم وأزمتهم النفسية المضطربة وخوفهم من هذه الظاهرة التي يتوقع فيها هلاكهم ، فعادت حركة هؤلاء المكذبين والكافرين من شدة الهلع والرعب والفزع نتيجة تساقط الشرر المتوهج عليهم ، كالإبل السود في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة فيدخل بعضهم في بعض لا يعرفون أين يتوجهون . فالاستهانة واضحة والاشمئزاز فيها متوقع مضافا إلى العذاب المستمر الذي توجده هذه الصورة الشديدة .

ويشير الخليل في معجمه إلى الاستعارة التي يرى علماء البلاغة أن أول من سبق إليها وأطلق عليها هذا الاسم هو أبو عمرو بن العلاء .[56]

وقد عرفها القاضي الجرجاني بقوله : " الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا تبين في أحدهما إعراض عن الآخر "[57]

ومن الاستعارات القرآنية التي أوردها الخليل في معجمه ما ذكره في قوله تعالى:﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ [يس : 7] فقال : " إنسلخ النهار من الليل أخرج منه خروجا لا يبقى معه شيء من ضوئه ، لأن النهار مكوّر على الليل فإذا أنسلخ منه ضوؤه بقي الليل غاسقاً فقد غشي الناس "[58]

والواقع أن الخليل هنا بيّن الاستعارة القرآنية ، إذ استعير السلخ هنا لانفصال النهار عن الليل .

فالتعبير القرآني الاستعاري في الآية الكريمة أبلغ من التعبير الحقيقي ، لو عبّر به عن هذه المعاني ، فقيل مثلا : وآية لهم الليل نخرج منه النهار ، لأن الخيال الذي يحدثه التعبير القرآني يؤثر في النفوس ويحرك الأحاسيس ومن ثَمَّ يؤدي إلى تحقيق مقاصد القرآن البلاغية والجمالية ، وهذا ما أشار إليه الرماني .[59]

ولا ينسى الخليل الكناية وهو يورد الصور البيانية في العبارة القرآنية ، وهي عند أهل البيان : "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى وهو تاليه ورديفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه "[60]

ومن شواهد الكناية التي ذكرها الخليل في معجمه ما ورد في قوله تعالى :﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ [البقرة : 197] فقال : " الرفث : الجماع ، رفث بها وترفّث ، وهذه كناية ، وفلان يرفث أي يقول : الفحش "[61] . ومعنى الآية : إنما نهى عن قول الفحش .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ [النساء : 43] قال الخليل : " كنى عن النكاح "[62]

ان هذا التعبير القرآني الذي أشار إليه الخليل في الآيتين الكريمتين يدلل على أن الكناية أبلغ من التصريح على حد قول شهاب الدين النويري الذي أشار إلى أن الهدف من الكناية فقال : " ومن عادة العرب وشأنهم استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحى من ذكرها ، قصداً للتعفف باللسان ، كما يتعفف سائر الجوارح "[63]

وذهب السيوطي إلى الرأي نفسه الذي يذكر بأن للكناية أساليب منها : " أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره لكناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول "[64] .

والقرآن الكريم حينما يريد للكلمة المهذبة أن تشيع وللعبارة المؤدبة أن تنتشر يعمد إلى مجموعة من الألفاظ التي تتعلق بالجنس فيعبر عنها تعبيرا موحياً ، تفهم من ضم بعضه إلى بعض مراد الله به بعبارة مؤدبة من غير حذر أو إحراج .[65]

ومن الشواهد القرآنية التي أوردها الخليل للكناية قوله تعالى : ﴿ ولا تبسطها كل البسط فتعقد ملوما محسوراً ﴾ [الإسراء : 29] قال : "التبذير إنفاق المال في المعاصي ، وقيل هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته"[66]

وقد أشار أحمد أحمد بدوي إلى هذه الآية بقوله : " فالتعبير القرآني ببسط اليد كل البسط يصور هذا المبذر الذي لا يبقى من ماله على شيء كهذا الذي يبسط يده ، فلا يُبْقي بها شيء ، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً ومؤثراً " .[67]

ومن أمثلة الكناية ما جاء في قوله تعالى : ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ [طه : 22] فقال : " وأما السوء فكل ما ذكر بسيئ فهو السوء .. ويكنى بالسوء عن البرص "[68] .

وهكذا نجد القرآن الكريم وهو يصوغ هذه المعاني كنائياً تدل دلالة قاطعة على عدة جوانب نفسية تمشياً مع الغرض الذي يهدف إليه والمقصد الذي يتوخاه في مراعاة الألفاظ والحفاظ عليها وتكريمها أحسن تكريم ومراعاة لأدب النفوس ، وكل ذلك يدل على أهمية هذا الأسلوب البلاغي المعجز .

المبحث الخامس : أنه يأتي بالشاهد القرآني لبيان الإحساس بالجمال الصوتي في القرآن ، وإيضاح بعض الألفاظ الغريبة في تركيبها .

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم لغة ضعيفة في مفرداتها وتراكيبها ، وألفاظها ومعانيها ، بل كانت لغة تحمل في طياتها عناصر الحياة وقوة التعبير وجمال الكلمة ورشاقة الألفاظ وغزارتها.

وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة ، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل ، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس .[69]

وقد ألمّ الخليل في ثنايا معجمه ببعض الشواهد القرآنية التي تكفي للتدليل على ذلك ، منها ما ورد في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تَؤُزُّهُم أزاً ﴾[مريم :83) ، قال الخليل " أي تزعجهم إلى المعصية وتغريهم بها ، والأزّ : أن تؤزَّ إنسانا ، أي أن تحمله على أمر برفق واحتيال حتى يفعله كأنه يُزَيَّن له . أززته فائتزّ "[70] .

وقد أكد هذا ابن جني في كتابه " الخصائص " في باب سماه :(باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) وقال في ﴿ تَؤُزُّهُم أزاً ﴾ : " أي تزعجهم وتقلقهم ، فهذا في معنى تَمُزُّهم هَزاً ، والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين ، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ ، لأنك قد تهز ما لا بال له ، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك [71] .

ومن ذلك لفظة(متشاكسون) الواردة في قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴾ [الزمر : 29] قال الخليل : " الشَّكِسُ : السيئ الخلق في المبايعة وغيرها . والشَّكِس : المصدر ، والليل والنهار يتشاكسان أي يتضادان ولا يتوافقان ، وكذلك الشركاء الشكسون "[72]

وهذه اللفظة تجعل المعنى مصورا في الذهن عندما توضع في مكانها من الجملة فحروف لفظة (متشاكسون) أعطت مجتمعةً نغماً موسيقياً خاصاً حملها أكثر من معنى الخصوصية والجدل والنقاش بما أكسبها من أزيز في الأذن يبلغ السامع ، إلا ان الخصام قد بلغ درجة الفورة والعنف من جهة ، كما أحاطت بجرس مهموس خاص يؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى .[73]

ومن ذلك أيضا اللفظة " ضِيزى " الواردة في قوله تعالى : ﴿تلك إذاً قسمةٌ ضِيزى ﴾ [النجم : 22] قال الخليل : " أي ناقصة ، تقول : ضَيَّزْتُهُ حَقَّهُ أي منعته ، ضَيْزا "[74]

وقد ذكر أبو حيان في تفسير هذه الآية أقوال متقاربة : فذكر أن ابن عباس وقتادة ذهبا إلى أنها تعني جائرة ، وإن سفيان ذهب إلى أنها منقوصة . وقال ابن زيد : مخالفة . وقال مجاهد ومقاتل : عوجاء . وقال الحسن : غير معتدلة . وقال ابن سيرين : غير مستوية .

وعقب ابو حيان على ذلك بقوله : كلها أقوال متقاربة في المعنى . فكل لفظة من هذه الألفاظ المذكورة لم يقم مقام لفظة (ضِيزى) مع أنها تتفق معها في المعنى [75]

قال الرافعي : " وفي القرآن لفظة غريبة هي من اغرب ما فيه ، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه ، وهي كلمة (ضِيزى) ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ، فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم ، مفصلة كلها على الياء ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب ، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع وأدهم البنات فقال تعالى : ﴿الكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمةٌ ضِيزى ﴾[النجم : 21-22] فكانت غرابة اللفظ أشد الاشياء ملائمة لغرابة القسمة التي أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى "[76]

ومن ذلك اللفظة (نضّاختان) الواردة في قوله تعالى : ﴿ فيهما عينان نضّاختان ﴾ [الرحمن : 66] قال الخليل : " النضخ : من فور الماء من العين والجيشان "[77]

وقد فسر ابن جني (النضخ) بتفسير بليغ واتفق مع الخليل في رأيه ، فقال : " أن النضح بالحاء المهملة تستعمل للماء ونحوه ، والنضح بالخاء المعجمة أقوى من النضح ، فجعلوا الحاء المهملة لرقتها تستعمل للماء الضعيف ، والخاء المعجمة لغلظها تستعمل لما هو أقوى منه "[78]

وهكذا فإن الخليل استطاع أن يستخرج كنوز القرآن الدقيقة والأبعاد البيانية في كل من جرس الألفاظ ودلالتها في هذا الضرب من الكلام أو اللفظ الغريب .

المبحث السادس : أنه يأتي بالشاهد القرآني الذي يحصل فيه تعدد وجوه القراءات في اللفظة الواحدة ويمثل به لاستظهار المعنى القرآني الوارد في الآية .

أكثر الخليل في معجمه من ذكر وجوه بعض القراءات القرآنية والاستدلال بها على معاني الألفاظ وأساليب الكتاب الحكيم ، وقد علل الخليل تلك القراءات تعليلاً نحوياً أو صرفياً أو لغوياً .

ويدل ما ذكره الخليل في العين على تبحره في علم القراءات وتفوقه فيه ، ويستعين بذلك كله على تفسير كتاب الله وتبيين معانيه وتوضيح أغراضه ، لأن ذكر وجوه القراءات القرآنية يعتمد على نظر واعٍ ومعرفة وطيدة بالقرآن الكريم كله قراءةً ومعنىً .

ومن القراءات التي ذكرها الخليل لتوضيح المعنى المقصود من القرآن ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وكَفّلها زكريّا ﴾ [آل عمران :37] قال الخليل : " الكافل الذي يكفل إنساناً يعوله وينفق عليه ، ومعنى الآية : أي هو كفل مريم لينفق عليها حيث ساهموا على نفقتها حين مات أبواها فبقيت بلا كافل ، ومن قرأ : " وكَفّلها زكريّا " بالتثقيل فمعناه كَفّلها الله زكريّا "[79]

وذهـــب إلى هذه القراءة ابن خالويه ، وذكر أن حجة من قرأ بالتشديد أنه عدّى بالتشديد الفعل إلى مفعولين: أحدهما : الهاء والألف المتصلتان بالفعل ، والثاني : (زكريّا) وبه ينتصب (زكريّا) في قراءة من شدد الفاء ، لأنه عطفه على قوله : (فتقبلها ربّها) وكفلها[80] .

وفي قولـــه تعـــالى : ﴿ يضـــاهون قول الذين كفروا ﴾[التوبة :30] قال الخليل : " المضاهاة ، مشاكلة الشيء الشيء . وربما همزوا : يضاهئون قول الذين كفروا قراءة عاصم "[81] .

ومـــن الشواهد القرآنية التي يحصل فيها تعدد وجوه القراءات في اللفظة الواحدة ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قِطَعاً من الليل مظلماً ﴾ [يونس :27] قال الخليل : " وقرئ : قِطْعاً " [82] .

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله تعالى : ﴿ بَعِدَت ثمود ﴾ [هود :95] قال : " ويقرأ بَعُدَت ثمود والبُعْدُ والبعاد أيضاً من اللعن "[83] .

ومـــن أمثلة ذكره للقراءات ما ورد في قوله تعالى : ﴿ بدمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : 18] فقال :" الكَذِبُ . : الدم الطرئ ، والكَذَبُ : البياض في أظفار الأحداث ، والقراءة "بدم كذب" بالذال المعجمة "[84] .

وفي قولـــه تعـــالى : ﴿واعتَدَتْ لـــهُنَّ مُتّكا ﴾ [يوسف: 31] قال الخليل في معرض قراءات هذه الآية : " مُـــتّكا بلا همز قراءة مجاهد وسعيد بن جبير ، والـــمُتْكَةُ : أُتْرُجَّةٌ واحدة ، ومنهم من قرأ " مُتّكاً " أراد المرافق بالتشديد والهمز (85) ومثله قول الزمخشري لما في هذه الآية من قراءات (86) .

وفي قولـــه تعالى : ﴿ ظَلْتَ عليه عاكفاً ﴾ [طه :97] قال الخليل : " وقرئ : ظِلْتَ عليه ثم فتح فالأصل فيه ظَلِلْتَ عليه ، ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر ، وبقيت الظاء على فتحها "[87].

وقـــال الزمخشـــري في معرض قراءات هذه الآية : " (ظَلْتَ) : يقرأ بفتح الظاء وكسرها ، وهما لغتان،والأصل ظَلِلْتَ بكسر اللام الأولى ، فحذفت ونُـــقلت كسرتها إلى الظاء ، ومن فتح لم ينقل "[88].

ومـــن ذلـــك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ إن كانت إلا صيحةً واحدةً ﴾ [يس :29] وهي قراءة العامة ، وقراءة ابن مسعود : " إن كانت إلا زقيةً واحدة " أي صيحة [89] .

وأنكـــر ابو جعفر النحاس قراءة ابن مسعود فقال : " هذا مخالف للمصحف ، وأيضاً فإن اللغة المعروفة : زقا يزقوا إذا صاح فكان يجب على هذا أن يكون إلاّ زقوةً " [90] .

وهكـــذا نجد الخليل وهو يذكر أوجه القراءات المتعددة يحترم آراء الآخرين فيما يذهبون إليه من آراء حـــول القراءات ، ولم يطعن ويخطئ أحداً إزاء قضية الاستشهاد بالقراءات ، مع أنه أغفل أحياناً نسبة بعـــض القـــراءات إلى أصحابها . كما أننا نجده لم يحكم على قراءة من القراءات بأنها متواترة أو ضعيفة أو شاذة أو غير ذلك من أنواع القراءات .

المبحث السابع : أنه يأتي بالشاهد القرآني للتدليل على اختلاف اللهجات أو لغات العرب .

كان القرآن الكريم مع قراءاته الواردة إلينا عن الصحابة رضوان الله عليهم وقرّاء التابعين رحمهم الله حجـة في اللغـة، لا سـيما لهجات العرب الذين أبيح لهم أن يقرؤوه على لهجاتهم المختلفة ، فكانت قراءات القرآن موئلاً جامعاً للهجات العرب [91] .

وقـد ذكر علماؤنا القدامى قدراً كبيراً من ظواهر اللهجات العربية المختلفة ، وتطرقوا إليها في مؤلفاتهم وبحوثهم اللغوية ، وفي معجماتهم العربية .

والحـق أن الخلـيل كان واحداً من هؤلاء الأعلام الذين ذكروا اللهجات ، فهو الرائد الأول في ذكر هذه اللهجات مثلما هو الرائد الأول في تأليف المعجمات .

ومـن الشواهد القرآنية التي مثّل بها الخليل في معجمه على اختلاف اللهجات العربية ما ورد في قولـه تعالى : ﴿ وإياكَ نستعينُ ﴾ [الفاتحة : 5] الذي عقب عليه الخليل قائلاً : " كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقرأ : وإياك نستعينُ فيشبع رفع النون إشباعاً وكان قرشياً قلباً ، أي محضاً "[92] .

ومـن ذلـك قولـه تعالى : ﴿ ها أنتم أولاءِ تحبّونَهُم ﴾ [آل عمران :119] الذي عقب عليه الخلـيل قائلاً : " أهل الحجاز يقولون في الإجابة : ها خفيفة ، وفي هذا المعنى (ها) بدل من ألف الاستفهام تقول : ها إنّك زيد ؟ معناه : أإنّك زيد؟ أو يقصر فيقال : هإنّك زيد ؟ و (ها) تنبيه يفتتح بها "[93]

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [التوبة : 34] ذكـر الخلـيل أن :"أهل الحجاز يقولون : هذه الشَجَرُ ، وهذه البُرُّ ، وهي الشعير (وهي التمر) ، وهـي الذهب ، لأن القطعة منه ذهبة ، وبلغتهم نزل قوله تعالى ، ولذلك لم يقل:ينفقونه لأن المذكر غالب للمؤنث فإذا اجتمعا فالذهب مذكر والفضة مؤنثة "[94]

ويذكـر الخلـيل الـلهجات واللغـات الـواردة في قوله تعالى : ﴿ وإنّ كُلاّ لما لَيُوفّيَنَّهُم ﴾ [هود :111] فقال :" وللعرب في (إنّ) لغتان : التخفيف والتثقيل ، فأما من خفف فأنه يرفع بها ، إلا أن ناساً من أهل الحجاز يخففون وينصبون على توهم الثقيلة . وقرئ : (وإن كلا لما ليُوفيَّنهم) خففوا ونصبوا (كلاّ) "[95] .

ومـن ذلـك قولـه تعالى : ﴿وما شَهِدنا إلا بما عَلِمنا ﴾ [يوسف : 81] قال الخليل : " أهل الشّـحر يكسـرون صدر كل فعل يجيء على بناء عمل ، نحو قولك : شَهِد وسَعِد ، ويقرؤون : وما شِهِدنا إلا بما علمنا "[96] .

ومـن الشـواهد القرآنـية الـتي ذكرها الخليل ما أورده في قوله تعالى : ﴿وكنتم قوماً بوراً ﴾ [الفتح :12] إذ عقّب عليه قائلاً : " البوار : الهلاك ، يقال : هو بور ، وهي بور ، وهما بور ، وهم بور ، وهن بور ، هذا في لغة ، وأما في اللغة الفضلى فهو : بائر ، وهما بائران ، وهم بور ، أي : ضالون هلكى ، وسوق بائرة ، أي : كاسدة ، وبارت البياعات ، أي : كسدت "[97] .

ومـــن شـــواهده ما جاء في قوله تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابَهُ بيمينه فيقول هاؤم أقرءوا كتابيَه ﴾ [الحاقـــة : 19] يقـــول الخلـــيل : " هـــا بمعنى : خذ ، فيه لغات للعرب معروفة ، ويقال : ها يارجل ، وللرجلين : هاؤما ، وللرجال : هاؤم . قال الله جل وعز في هذه اللغة ، لأن القرآن نزل بها "[98] .

المبحث الثامن : أنه يأتي بالشاهد القرآني ويستعين به لتسجيل بعض الظواهر اللغوية في كلام العرب التي منها ظاهرة التقديم والتأخير .

لقد أورد الخليل في معجمه ظاهرة يجدها المتتبع لشعر العرب ونثرهم ، وهي ظاهرة القلب ونعني بهـــا تقديم ما حقه التأخير من الألفاظ ، وقد نوه عبد القاهر الجرجاني بهذه الظاهرة بقوله : " هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك من بديعه ويفضي بك إلى لطيفه "[99].

وقد حصر الزركشي أنواع التقديم والتأخير في القرآن الكريم إلى أنواع رئيسة تتشعب إلى فروع كثيرة [100] .

ومـــن الأمـــثلة عـــلى ذلك قوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر : 1] قال الخلـــيل: " إنما معناه انشق القمر واقتربت الساعة "[101] . فوجه تقديم انشقاق القمر على اقتراب الساعة عند الخليل ، لأن هناك أحداث ووقائع غير مألوفة ، والأمور الجسام التي تتقدم قيام الساعة وانتهاء الحياة الدنيا ، فبانشقاق القمر أي انفلاقه فلقتين معجزة له (ﷺ) تقع القيامة ، أي أن انشقاق القمر يكون سابقاً لقيام الساعة فهو علامة وأمارة عن الساعة وذكر اقترابها .

ومـــن ذلـــك قوله تعالى : ﴿ ما إنَّ مفاتِحَهُ لَتَـــنُوءُ بالعصبةِ ﴾ [القصص : 76] قال الخليل : " والمعـــنى : (إن العصبة تنوء بها ، وتقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، وإنما هو عرضت الحوض عـــلى الناقة ، وقولهم : إذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء ، يريدون استواء الحرباء على العود ... ويقول خداش بن زهير :

ونركبُ خيلاً لا هوادةَ بينها وتشقى الرماحُ بالضياطرةِ الحمر

يريد : تشقى الضياطرة بالرماح " [102] .

ومـــن ذلـــك قوله تعالى : ﴿ وإن امرأةٌ خافت من بعلِها نشوزاً أو إعراضاً ﴾ [النساء : 128] أوضـــح الخلـــيل الســـر في تقـــديم النشوز فقال : " ذكر الإعراض بعد النشوز على أن النشوز البغض والإعـــراض الموجـــدة من غير بغض "[103] ، فعبّر بالتدني من الأعلى إلى الأدنى لا بالترقي من الأدنى إلى الأعلى .

وقد فسر ابن عطية النشوز بتفسير بليغ واتفق مع الخليل في الفرق بين النشوز والإعراض فقال : " النشوز الارتفاع بالنفس عن رتبة حسن العشرة ، والإعراض أخف من النشوز "[104] .

المبحث التاسع : أنه يستعين بالشاهد القرآني لتبيين بعض الألفاظ المبهمة الخاصة بالأماكن وتعيين البقاع الجغرافية .

لقد امتاز القرآن الكريم بتفرده بجمال الإسلوب ، ودقة العبارة ، وعمق العطاء ، وهو كتاب الله الذي نصبه مناراً للإعجاز في شتى عوالمه التشريعية والبلاغية والاسلوبية والتاريخية وسواها ، فليس هناك غرابة أن يودع الله فيه ألفاظاً مبهمةً دالة على بقاع وبلدان معينة .

لكن هذا الأمر قد يدعو إلى التساؤل : لم أودع سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ألفاظاً مبهمة ، مع وصفه له بأنه تبيان لكل شيء كما في قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ [النحل :89]وقوله : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الانعام : 38] ، ألا يكون في هذا تعارض ؟والجواب على ذلك : إن القرآن الكريم أراد هذا الإبهام لعظيم غاية ، ولحكمة بالغة ، فالإبهام جاء مقصوداً ، وفي هذا بلاغة يقصدها القرآن ، فقد يكون الإبهام أسمى مراتب البيان [105] .

وان القرآن الكريم لا يرى أهمية ملحة في ذكر بعض الأسماء ، وتعيين البقاع ، وتحديد الزمن بقدر اهتمامه بشمولية الآية ومقصدها ، وعمومية الحدث وحكمته ، لأن تحديد ذلك أمر ثانوي ، فالزمن يلجأ إلى تحديده إذا كان هناك كبير نفع وعظيم فائدة ، اما إذا أدى إهماله إلى فائدة اعم ونفع اعظم فهو الطريق .

ومن الأمثلة على ذلك وقوفه عند اللفظة (بلد) نراه أولاً يبين دلالة هذه اللفظة في اللغة فيقول: " البلد : كل موضع مُستحيز من الأرض عامر او غير عامر ، خال أو مسكون ، والطائفة منه بلدةٌ ، والجميع البلاد . والبلد اسم يقع على الكور ، والبلد المقبرة ، ويقال : هو نفس القبر ، وربما عني بالبلد التراب " [106] .

ثم ينتقل الخليل ثانية إلى استخدام اللفظ نفسه لتحديد المكان المعين به الوارد في قوله تعالى : ﴿ لا اقسم بهذا البلد ﴾ [البلد : 1] فيقول : يعني مكة نفسها [107].

فالخليل أراد بـ (البلد) في الآية المذكورة مكة نفسها وذلك لتعظيمها بالوصف الكامل دون الاسم .

وقد حدد السيوطي[108] أسباب الإبهام الوارد في القرآن وأجملها في نقاط عدة ، ومن هذه الأسباب : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ، فالقسم الوارد في الآية جاء بمكة نفسها ، إذا لا يمكن أن يكون هناك قسم صادر من الباري عز وجل ببلد مبهم ، ولما كانت مكة معظّمة في شأنها وقدسيتها عبر عنها بالبلد تجوزاً .

ومـــن ذلك ايضا ما ورد في قوله تعالى : ﴿ إلى رَبْوةٍ ذاتِ قرار ومعين ﴾ [المؤمنون : 50] قال الخليل في معنى الرَّبوة الواردة في الآية : " هي أرض فلسطين ، وبها مقابر الأنبياء ، ويقال : بل هي دمشق ، وبعض يقول : بيت المقدس ، والله أعلم "[109] .

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ لرادُّكَ إلى مَعادٍ ﴾[القصص: 85] ذهب الخليل إلى بيان معنى (معاد) الواردة في الآية فقال:" يعني مكة ، عدة للنبي (ﷺ) أن يفتحها ويعود إليها "[110] .

وإلى هـــذا المعـــنى ذهـــب الزمخشري في تفسيره فقال : " إن الذي أوجب عليك العمل بأحكام القـــرآن وفرائضـــه لـــرادك إلى محل عظيم القدر أعتدته وألفته ، وهو مكة ، والمراد بذلك عوده إليها يوم الفـــتح ، وقـــد كان للعود شأن عظيم لاستيلاء رسول الله (ﷺ) عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه . فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أن يهاجر منها ويعيده إليها ظاهراً ظافراً "[111] .

الخـاتمـــة

بعـــد هذا العرض المقتبس من شذرات القرآن الكريم في معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي ودراســـتها دراســـة تحليلية فاحصة نرى أن الخليل وُفق في نظراته التفسيرية الأولى حين نظر إليها من جهة اللغـــة والـــنحو والبلاغة والقراءات وبيان الإحساس بالجمال الصوتي وإيضاح بعض الألفاظ الغريبة وبيان لهجات العرب وتسجيل بعض الظواهر اللغوية مثل ظاهرة التقديم والتأخير وغير ذلك ، مما يستدعي الحال أن نقـــول أن الخلـــيل وإن كان عالماً من علماء اللغة المبرزين إلا أن نظراته التفسيرية التي امتازت بالنضج والدقـــة والعمـــق تعـــد بدايتها من البواكير الأولى للتفسير ، ليـــسهم في خدمة هذا النص الإلهي المعجز ، والوقوف على كنوزه وأسراره وإعجازه .

وإني أســـأل الله تبارك وتعالى بأن يجعل عملي هذا مقبولاً وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يـــلهمني الســـداد ، ويوفقني إلى طريق الرشاد . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الهوامـــش :

(1) : يـــنظر : الخلـــيل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد 1980م ، المقدمة ، 7/1 .

(2) : ينظر : د. محمد حسين علي الصغير ، تطور البحث الدلالي ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ط1 ، 1999م ، 28 .

(3) : ينظر : الخليل ، كتاب العين ، المقدمة ، 7/1 .

(4) : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1991م ،301/3 .

(5) : الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، القاهرة ، 1294هـ ، 48 .

(6) : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 302/3 .

(7) : ينظر ترجمة الخليل عند كل من : السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1 ، وياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 3/300-302 .
(8) : ينظر : الخليل ، كتاب العين ، 1/295 .
(9) : ينظر : المصدر نفسه ، 4/18 .
(10) :ينظر : المصدر نفسه ، 4/19 .
(11) :ينظر المصدر نفسه والصفحة .
(12) :المصدر نفسه ، 5/418 .
(13) :المصدر نفسه ، 6/120 .
(14) :الزمخشري ، الكشاف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) ، 2/511 .
(15) :الخليل ، كتاب العين ، 7/382 .
(16) :ينظر : المصدر نفسه والصفحة .
(17) :الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1954م ، 16/160 .
(18) :ينظر : الخليل ، كتاب العين ، 5/356 .
(19) :ينظر : المصدر نفسه والصفحة .
(20) :المصدر نفسه ، 8/58-59 .
(21) :المصدر نفسه ، 6/31 .
(22) :المصدر نفسه والصفحة .
(23) :أبو عبيده ، مجاز القرآن ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1970م ، 1/257 .
(24) :ينظر : العكبري ، التبيان في اعراب القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت 1987م ، 2/641 .
(25) :المصدر نفسه ، 6/178 .
(26) :المصدر نفسه والصفحة .
(27) :ينظر : المصدر نفسه ، 5/407 .
(28) :ينظر : ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : د. مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، دار الفكر ، دمشق 1964م ، 1/161 . وينظر : السيوطي ، همع الهوامع وجمع الجوامع ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 1327هـ ، 2/74 .
(29) :ابن هشام ، مغني اللبيب ، 1/161 .
(30) :ينظر : المصدر نفسه والصفحة .
(31) :ينظر : المصدر نفسه ، 1/160-161 .
(32) :الخليل ، كتاب العين ، 8/350-351 .
(33) :المصدر نفسه ، 8/351 وينظر : السيوطي ، همع الهوامع ، 2/66 .
(34) :ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق : مصطفى السقا وجماعته ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ، 1954م .
(35) :الخليل ، كتاب العين ، 8/322 .
(36) :ينظر : السيوطي ، همع الهوامع ، 1/236 والنحاس ، اعراب القرآن ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد 1977م ، 1/173 .
(37) :ينظر : الخليل ، كتاب العين ، 8/438 .

(38) :ينظر : ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة 1987م ، 459/2 ، 462 .
(39) :ابن جني ، الخصائص ، 463/2 . و ينظر : العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، 34/1 ، 2/ 1093 .
(40) : الخليل ، كتاب العين ، 350/8 ، وينظر : ابن هشام ، مغني اللبيب ، 321/1 والعكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، 1288/2 .
(41) :الخليل ، كتاب العين ، 7 /40 .
(42) :الزمخشري ، الكشاف ، 1/ 175- 176 .
(43) :المصدر نفسه ، 176/1 .
(44) :الخليل ، كتاب العين ، 97/8 .
(45) :المصدر نفسه والصفحة .
(46) :ابو عبيدة ، مجاز القرآن 46/1 .
(47) :الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة 1976م ،74 .
(48) :الخليل ، كتاب العين ، 153/2 .
(49) :حسنين محمد مخلوف ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، الطبعة الثالثة ، (د.ت) ، 617 .
(50) :أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق : محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبي ، القاهرة 1971م ، 248 .
(51) :المصدر نفسه ، 245 .
(52) :الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1957م 421/3 .
(53) :السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، 1967م ، 43/2 .
(54) :الخليل ، كتاب العين ، 59/5 .
(55) :ابن ناقيا البغدادي ، الجمّان في تشبيهات القرآن ، تحقيق : د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1968م ،343 .
(56) :ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل الجديد ، بيروت ، 1972م ، 181/1 .
(57) :القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1966م ، 41 .
(58) :الخليل ، كتاب العين ، 198/4 .
(59) :الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، 81-82 .
(60) :الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مطبعة مجلة المنار ، القاهرة 1321هـ ، 52 .
(61) :الخليل ، كتاب العين ، 220/8 .
(62) :المصدر نفسه ، 241/1.
(63) :النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، (د.ت) 152/3.
(64) :السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، 47/2 .
(65) :ينظر : د. محمد حسين على الصغير ، اصول البيان العربي ، دار الشئون الثقافية ، بغداد 1986م ،11.
(66) :الخليل ، كتاب العين ، 183/8 .

(67) :ينظر : أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، مكتبة النهضة مصر ، القاهرة 1950م ، 226 .
(68) :الخليل ، كتاب العين ، 329/7 .
(69) :مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، الطبعة السادسة ، بيروت 1973، 71 .
(70) :الخليل ، كتاب العين ، 397/7 .
(71) :ينظر : ابن جني ، الخصائص ، 148/2 .
(72) :الخليل ، كتاب العين ، 289/5 .
(73) :ينظر : د. محمد حسين علي الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، دراسة نقدية وبلاغية ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد ، بغداد 1981م ، 238 .
(74) :الخليل ، كتاب العين ، 53/7 .
(75) :ينظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، نشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض ، (د.ت) ، 162/8 .
(76) : مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، 230 .
(77) :الخليل ، كتاب العين ، 177/4 .
(78) :ابن جني ، الخصائص ، 158/2 .
(79) :الخليل ، كتاب العين ، 373/5 وينظر : النحاس ، إعراب القرآن ، 326/1 ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967م ، 45/4 .
(80) :ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق : د. عبدالعال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1990م ، 108 وينظر : عبدالعال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر ، معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ، الطبعة الأولى ، 1982م ، 24/2 وهذه القراءة هي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وابو جعفر ويعقوب .
(81) :الخليل ، كتاب العين ، 70/4 ، وينظر : ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تحقيق : د . محمد سالم محسن ، نشر مكتبة القاهرة ، (د . ت) ، 279/2.
(82) :الخليل ، كتاب العين ، 139/1 ، وينظر ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، 282/2 وهي قراءة ابن كثير والكسائي ويعقوب .
(83) : الخليل ، كتاب العين ، 53/2 وذكر ابن جني في المحتسب (327/1) قراءة لأبي عبد الرحمن السلمي : بعُدت ثمود – بضم العين . وينظر : الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب القصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، 1957م ، 58/6 والزمخشري ، الكشاف ، 291/2 .
(84) :الخليل ، كتاب العين ، 332/5.
(85) :المصدر نفسه ، 344/5 .
(86) :الزمخشري ، الكشاف ، 446/2.
(87) :الخليل ، كتاب العين ، 149/8 . وينظر : النحاس ، إعراب القرآن ، 358/2 .
(88) :الزمخشري ، الكشاف ، 551/2 وقد نسب عبد العال سالم مكرم في معجمه (110/4) : قراءة (ظِلْتَ) إلى ابن مسعود وقتادة والأعمش .
(89) :ينظر : الخليل ، كتاب العين ، 192/5 .
(90) :النحاس ، اعراب القرآن ، 717/2 .
(91) :ينظر : أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1978م ، 104/1 .
(92) :الخليل ، كتاب العين ، 171/5. وينظر : الفراء ، معاني القرآن ، نشر : عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983م ، 375/2.

(93) : الخليل ، كتاب العين ، 103/4 .
(94) : المصدر نفسه ، 31/6 .
(95) : المصـــدر نفســـه ، 397/8 .
(96) : ينظر : المصدر نفسه ، 317/7 .
(97) : المصدر نفسه ، 285/8 .
(98) : المصدر نفسه ، 102/4 .
(99) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 80 .
(100) : ينظر للتفصيل : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 238/3 وما بعدها .
(101) : الخليل ، كتاب العين ، 125/3 .
(102) : الخلـــيل ، كـــتاب العين ، 392/8 وينظر : الشريف المرتضى ، الأمالي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1954م ، 466/1-467
(103) : الخليل ، كتاب العين ، 386/7 .
(104) : ابـــن عطـــية ، مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ضمن كتاب مقدمتان في علوم القرآن ،نشر :آرثر جفري ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة 1954م ، 270/4.
(105) : ينظر : عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير في القرآن ، دار المريخ للنشر ، الرياض 1983م ، 17.
(106) : الخليل ، كتاب العين ، 42/8 .
(107) : المصدر نفسه والصفحة .
(108) : ينظر : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، 145/2 .
(109) : الخلـــيل ، كـــتاب العين ، 283/8 ، وينظر : أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1985م ، 27/18-28 .
(110) : الخليل ، كتاب العين ، 218/2 .
(111) : الزمخشـــري ، الكشـــاف ، 237/4 طبعة دار المصحف ، القاهرة 1977م وينظر : الرازي ، التفسير الكبير ، 19/25 وأحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، 104/20 .

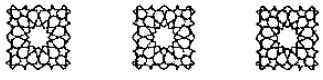

علي أحمد باكثير
رائد التحديث
للقصيدة الجديدة

أ. د.عبد العزيز المقالح

ربما كان الوحيد المعترف له إجماعاً بريادة التجديد الشعري من رواد التجديد أنفسهم وفي طليعتهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ،وإن كان هذا الاعتراف قد ظل منسياً وبعيداً عن متناول قراء الشعر العربي الحديث . يقول السياب في حديث نشرته مجلة الآداب بعد اشارته إلى الاختلاف الذي كان دائرا حول اولية المتقدم في كتابة قصيدة التفعيله : " وإذا تحرينا الواقع وجدنا أن الأستاذ علي أحمد باكثير هو أول من كتب على طريقة الشعر الحر في ترجمته لرواية شكسبير روميو وجوليت"[1]

ولا أجد – حتى الآن – تفسيراً واحداً لمحاولة عدد من النقاد ودارسي التحول الكبير في القصيدة العربية تجنب الإشارة إلى هذا الاعتراف وإلى الدور الرائد لبا كثير في تأسيس هذا النمط الشعري القائم على التفعيلة بدلاً عن البيت. وقد كان هذا التجاهل واحداً من أشكال الظلم الذي لحق بهذا المبدع العربي وجعل حياته سلسلة من الآلام انتهت بوفاته وهو في ذروة قدراته على العطاء .(توفي عن ستين عاما1910 – 1969) كان شيخ القصة العربية القصيرة يحي حقي يقول بعد رحيل علي أحمد باكثير إن حياة هذا المبدع العربي لا تقل أهمية عن إبداعه فقد كانت ملحمة طويلة خاض غمارها بقلب صبور ونفس راضية وعزيمة لا تعرف اليأس ، وتلك حقيقة قلما توقف عندها النقاد ، فقد ولد باكثير في اندونيسيا وعاش شبابه الأول كما تلقى بدايات تعليمه في اليمن ، ومارس كتاباته الشعرية في السعودية، وفي مصر درس الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة ، وعمل مدرساً للغة الإنجليزية في مدارس المنصورة وانتقل للعمل في

المجلس الأعلى للثقافة والفنون في القاهرة بعد ان ذاع صيته وأصبح كاتباً مشهوراً وبعد وساطة من صديقه الأستاذ عباس العقاد ، ولم تكن حياته سوى سلسلة في حلقات مضنية لم يتمكن من تجاوزها حتى ساعاته الأخيرة .

وقبل أن نقترب – في هذه القراءة العجلى والملاحظات العابرة – من شعر باكثير وملامح ريادته في تحديث القصيدة العربية تجدر الإشارة إلى أنه كان واضحاً مع بداية القرن الماضي (العشرين) أن العالم يستعد لانتقالة كبرى لا تقتصر على مجالي الصناعة والاقتصاد بل تتناول الآداب والفنون، وكانت الهوة تتزايد بين ما ورثناه من أشكال أدبية وما تقتضي الحياة الجديدة أن يطرأ عليها من تحديث حتى لا يضعها التطور الجارف موضع التصفية ، وكان على محبيها أن يسارعوا إلى تطورها من داخلها وأن يحتفظوا بعناصرها الأساسية ، وكان الشعر هو أضخم وأهم موروث أدبي عرفه العرب في تاريخهم الطويل ، وكان القلق قد بدأ يعتري كبار الشعراء تجاه عجز بحور الشعر في قوالبها القديمة عن استيعاب المتغيرات في الأشكال الفنية الجديدة كالمسرح وما تفرع عنه من أساليب حوارية . وهذا ما يوجزه باكثير في الصفحات الأولى من كتابه (فن المسرح من خلال تجاربي الشخصية) حين يقول : " كانت ثقافتي عربية خالصة وظلت كذلك حتى حضرت إلى مصر فعزمت على أن أدرس الأدب الإنجليزي لما بلغني أنه غني بالشعر الرفيع فقد كانت غايتي إذ ذاك أن أصقل موهبة الشعر عندي وأعد نفسي لأكون شاعراً كبيراً وعسى أن تفتح لي الدراسة آفاقاً جديدة في الشعر فالتحقت بقسم اللغة الإنجليزي في كلية الآداب بجامعة القاهرة . وما أن سلخت عاما فيها حتى وجدتني في بلبلة نفسية من حيث نظرتي إلى الشعر الذي كنت انظمه و أنشره في الصحف فقد غيرت هذه الدراسة من نظرتي لمفهوم الأدب كله .... وقد نتج عن هذه الأزمة النفسية التي عايشتها من جراء تغير مقاييسي الأدبية ان انقطعت برهة عن نظم الشعر نمت في خلالها تجربة جديدة بالنسبة لي ثم تبين أنها جديدة أيضاً بالنسبة إلى مستقبل الشعر العربي الحديث واعني بها محاولة ايجاد الشعر المرسل في اللغة العربية "[2]

والتجربة التي يشير إليها باكثير في هذه السطور هي اكتشافه إمكانية الخروج على بنية القصيدة التقليدية بكل أنواع التجاوزات التي شهدتها من موشحات ومربعات ومسمطات ومبيتات فكلها تقوم على التشطير مع تجاوزات محدودة في تنوع البحور والقوافي ، أما هذا الاكتشاف فيقوم على استخدام التفعيلة وإرساء نظام جديد للقصيدة على أساس سطري قد يتكون السطر فيه من كلمة أو كلمتين أو ثلاث أو أربع أو أكثر وهو ما شاع بعد ذلك وذاع على أيدي شعراء القصيدة الجديدة ، وقد كان يرى أن (المرسل) هي التسمية المناسبة لهذا النوع من الشعر المتحلل من الشطرية والقافية وأنه الأسلوب الأمثل لمن يريد أن يكتب المسرح الشعري ، شارحاً وجهة نظره في السطور التالية " وخلاصة ما سبق اننا إذا اردنا أن نوجد المسرحية الشعرية عندنا فإن أصلح أسلوب لذلك هو الشعر المرسل على الوضع الذي

وصـــفناه مـــن قـــبل وهو المستند على التفعيلة – لا البيت – كوحدة نغمية تتلاحق التفعيلات في الجملة المسرحية الواحدة متصلة مترابطة دون نظر إلى الحيز الذي تشغله ، فقد تشغل ماكان يشغله بيت واحد أو أكثر أو أقل . شأنها في ذلك شأن الجملة النثرية . ولتوضيح ذلك سأورد لكم نماذج من مسرحيتي اختاتون ونفـــر تـــيتي : " هـــذا اختاتون وهو محزون لوفاة زوجته الأولى (تادوا) يقص على والدته بعض ذكرياته معها:

فطفقت اقبلها قبلات الشهر الذي
غابته بايامه ولياليه في
ثغرها المعسول اللذيذ وفي وجنتيها الورديتين
وفي شعرها الذهبي الجميل . وكانت ...
تعدّ عليّ وكنت أغالطها في الحساب "[3]

ويمضـــي با كثير في توضيح ما ذهب إليه بعد أن يورد عدداً من النماذج من شعره المسرحي إلى القول " في هـــذا الـــنموذج تـــرون الجمل المسرحية في معظمها طويلة منسرحة يمكن أن يلقيها الممثل في نفس واحد لو اســـتطاع وقد تبصرون فيها القافية أحياناً ولكنها لا تجري الصورة ولا تتلاحق في رتابة وجمود بل تظهر هنا وهـــناك في ومضـــات كالـــبرق الخـــاطف فتتضاعف موسيقية الجملة المنطلقة دون أن تحبسها أو تحد من انطلاقتها وانسيابها حتى منتهاها "[4]

ويـــبدو أنـــنا وصـــلنا إلى حيث ينبغي أن نتساءل عن شعر هذا الرائد أين هو ؟ وأين دواوينه ؟ وكيف انهارت العلاقة المتفاعلة بينه وبين هذا الفن الذي أحبه وتمنى أن يكون من كبار مبدعيه ؟

كانـــت الجامعة المصرية وقسم اللغة الانجليزية منها بخاصة قد جعلته يرتوي من ثقافات العصر ويعكف على القراءة الجادة من الأدب العربي والعالمي ويرتاد عوالم لم يكن يعرف عنها شيئا وهو يتجول في الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها ، وكان كما سبقت إشارته قد ادرك أن الشعر ليس ما كان يمارس كتابته، ولا هو القصائد الموزونة أو الشكل المحفوظ في قوالب جامدة تنقلها الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة دون تغـــيير ، لقـــد تحـــول الشعر بالنسبة له من مشروع كتابة إلى مشروع تساؤل وصار يعيد النظر في ماهية وظائفـــه ومكوناتـــه واستغرقه التساؤل وأخذ منه زمنا طويلا . سواء قبل ان يهتدي إلى الشكل الجديد في كتابة القصيدة أو بعد أن اهتدى إلى ذلك الشكل وهو مستغرق به يطرحه على نفسه أولاً ، ويطرحه على اصـــدقائه المقـــربين ثانياً ، ثم يطرحه – ثالثاً – على القراء الذين رأى انهم بحاجة إلى مستوى من الشعر يخـــتلف عـــن السائد الذي كان يكتبه كبار شعراء العربية في ذلك الزمان ، وكان حافظ وشوقي مايزالان مـــلىء ســـمع الدنيا وبصرها عندما نزل باكثير إلى مصر كما كانت مصر قد شهدت بعد رحيلهما شعراء كـــباراً آخرين . وعرف لبنان وسوريا في نفس المرحلة عدداً من الشعراء المشاهير ، لكن الشعر المطلوب

الذي يحمل سمة العصر وإيقاعه الشعر الذي يحلم بالدخول إلى عصور جديدة لم يكن قد ظهر إلى الساحة ، وبعد أن ظهر هذا الشعر كان باكثير قد تفرغ للرواية والمسرح وعندما تنبه أخيراً ووجد الساحة قد امتلأت بأصوات شعراء يتوافقون مع رؤيته الريادية ويسعون إلى كتابة قصيدة تستمد عناصرها و بنيتها الثقافية من عصرها دون أن تتخلى عن جذورها اللغوية والبلاغية – وفي أغلب الأحيان عن اوزانها – أقول عندما تنبه اخيراً إلى ذلك كان الشعراء المجددون قد قطعوا شوطاً بعيداً وارتكب بعضهم قدراً من الشطط وبدأوا معه يكتبون القصيدة الجديدة بدوافع مغايرة لما كان يتصوره أو يتمناه ، لذلك لم يتردد عن إعلان اسفه واستيائه لكنه ظل مؤمنا بالتجربة مدافعاً عنها وكان آخر شعر كتبه قبل الوفاة ملتزماً نظام التفعيلة ، وفي مقابلة له مع إذاعة الكويت اجراها الدكتور نجم عبد الكريم قبل وفاة باكثير بعام ونصف العام يقول موضحا الفارق بين تجربته في تجديد القصيدة وتجربة الأستاذ محمد فريد أبو حديد : " الأستاذ محمد فريد أبو حديد كان من أوائل الناس الذين جربوا هذا النوع من الشعر ، ولكن تجربته تختلف عن التجربة التي قمت بها بعده بكثير . التجربة التي قام بها هي أنه ارسل الشعر من القافية ولكنه التزم حدود الشعر القديم ، كل ما هناك انه أرسل الشعر من القافية ، أما الذي قمت به فهو التجربة الأم لهذا الشعر المرسل والشعر الحر الذي أنتشر فيما بعد في العالم العربي واحتذاه الأستاذ بدر شاكر السياب ونازك الملائكة " [5]

وفي الحوار نفسه يسأله الدكتور نجم : أفهم من هذا أن الأستاذ باكثير كتب الشعر الذي نحن نسميه بالشعر الحر أو الشعر المرسل في الوقت الحاضر قبل السياب والملائكة والبياتي والقباني وغيرهم ؟ ويجيب باكثير : " نعم .. قبلهم بما لا يقل عن عشر سنوات " . ويستمر المحاور في طرح اسئلته ومنها : يقال ان هناك اصابع اتهام منك تشير إلى هذه النوعية من الشعر ، هل صحيح انك تتخذ الآن منه موقفاً آخر ؟ ويرد باكثير : " ابدا . أنا ازكي هذا الشعر وازكي الجميل منه "[6] والفقرة الأخيرة دليل على سعة أفق باكثير وموضوعيته فهو يصرح بتزكية النماذج الجميلة من الشعر الجديد ودليل على إيمانه الثابت بالتطور في فن الشعر وحتمية تبدل أنساقه ونظمه ..

ومما يؤسف له حقاً ان هذا الشاعر الرائد قد فارق الحياة بعد أن اصدر عشرات المسرحيات والروايات ، لكنه لم يصدر ديواناً شعرياً واحداً ، كما لم يكن مهتما بجمع شعره باستثناء تلك العناية التي لقيتها بداياته التي جمعها تحت عنوان (أزهار الربى وشعر الصبا) وقد ظلت مخطوطة منسية في مكتبته إلى أن عثر عليها قبل أعوام الصديق الدكتور محمد ابوبكر حميد الذي اشرف على نشر هذا الديوان الوحيد وصدّره بمقدمة ضافية تتحدث عن حياة الشاعر وهمومه ومعاركه وقد تضمنت المقدمة رسالة من الدكتور عبده بدوي وهو من ابرز الأساتذة الذين اهتموا بالشاعر الرائد علي أحمد باكثير ، وكان له فضل اثارة الاهتمام بباكثير وآثاره ، كما كان وراء عقد أول ندوة أقيمت لأحياء ذكراه في مدينته بمحافظة

حضرموت ، تقول سطور الرسالة " ان صورة باكثير لن تتم الاّ حين تظهر كل خطوطها والوانها وظلالها ، فمن حقه مادام قد كتب بأصالة ان يتواجد في ضمير أمته بعمق . فطاقة باكثير الحقة _ من وجهة نظري — تتواجد في الشعر ، والشعر هو الذي دفعه إلى المسرح والرواية ، كذلك فالشعر هو أهم مصادر الطاقة عند باكثير ، فهو الذي ولد نبوغه في كل ماكتب ، وهو الذي يعطيه — وهو في جوار ربه — طاقة على التجول في العديد من العصور ، ومن حق باكثير ذلك لأننا إذا نفيناه مرة أخرى — كما نفيناه من قبل — نكون قد حكمنا على أمتنا بالبوار ونكون قد سلمنا رقبة الحرف العربي إلى المقصلة "[7]

وتنتمي قصائد ديوان (أزهار الربى في شعر الصبا) إلى مرحلة ما قبل الإحياء فهي تقليدية الأسلوب والمضمون ، وقد توزعت على سبعة أبواب ،باب الأدب ، باب الوصف ، باب النسيب ، باب الاخوانيات، باب الاجتماعيات ، باب الرثاء ، باب الاستحياء والتشطير ، وهذا مقطع من قصيدة طويلة من باب النسيب :

لمن طلل تحاكيه الوشوم ... عفت منه المعالم والرسوم
يحاكي مصحفا من عهد عاد ... بخط الحميري له رقوم
ترحل عنه أحبابي جميعاً ... وخلوني تساورني الهموم
وواد مثل جوف العير صفر ... فريت وليله ليل بهيم
فريت هجوله والليل مرخ ... دجاه وقد تجاوب فيه بوم
وليس لدي هنالك من مواس ... ولا خل هناك ولا نديم
أديم الأرض أفري لست أخشى ... سوى ربي وهل يخشى الكريم
واني في الندى غيث مطير ... واني للعدا سيف صروم
صراطي نجدة وندى وحلم ... وذاك هو الصراط المستقيم[8]

على هذا النحو من جزالة اللفظ وتقليدية المعاني تمضي قصائد الديوان في أبوابه السبعة بعد أن جمع فيه الشاعر نماذج متنوعة من بداياته الشعرية قبل أن يقترب من الثقافة المعاصرة ويبدأ في تغيير مقاييسه الأدبية التي تغيرت معها نظرته إلى الشعر وإلى مفهوم الأدب كله كما تحدث عن ذلك بما يشبه التفصيل في كتابه (فن المسرحية) .

ومن المؤكد ان في شعره غير المنشور قصائد بالغة العذوبة والجمال بعضها ينتمي إلى التيار الرومانتيكي الذي كان قد بدأ يمد ظلاله الشفيفة على حقول الشعر العربي ابتداء من عشرينيات القرن المنصرم . وفي البعض من هذه القصائد خروج على البنية الواحدة للقصيدة واتجاه إلى نظام المقاطع متعددة القوافي كما هو الحال مع هذا النموذج :

في غـــــرفة واجمـــــةٍ قفـــــرةٍ ... ليســـــت بهـــا بارقـــــة للمـــــنى
هادئـــــةٌ لا عـــــن طمأنيـــــنة ... ســـــاكنةٌ مـــــثل ســـــكون الفـــــنا
الـــــنور في ارجائهـــــا حائـــــر ... يصـــيح مـــن يـــأس أقـــــبري هـــنا ؟!
ولا جـــــوابٌ غـــــير همـــــسٍ بهـــــا ... ويلـــك يـــا ابـــن الشـــمس ايـــن الســـنا ؟
لا ذنـــــب للـــــنور ولا غـــــيره ... في غـــــرفةٍ خالـــــية مـــــن " أنـــــا "
ياليـــــت للـــــيأس ســـــبيلاً إلى ... قلـــــبي فاحـــــيا بفـــــؤاد خلـــــي
واعجـــــبا مـــــني أأســـــتنجد ال ... يـــــأس كـــــأني لم يمـــــت مـــــأملي
مـــــا أنـــــا فـــــيه الـــــيأس لـــــولم اكـــــن ... عـــــن راحـــــة الـــــيانس في معـــــزل
مصـــــيبتي هـــــذا الشـــــعور الـــــذي ... يـــــربط ماضـــــي بمســـــتقبلي
ومـــــا الـــــذي انســـــاني اسمـــــي فـــــلا ... اذكـــــر مـــــا اسمـــــي خـــــالدٌ أم علـــــي [9]

أيـــن هذا الشعر المعاصر البديع من ذلك الذي يستلهم فيه باكثير روح الشاعر الجاهلي ويستوحي اساليبه سواء في المعمار البيتي أو في التركيب اللغوي والفني .

وهـــناك إجمـــاع بين اصدقائه وتلاميذه وفي مقدمتهم الباحث والناقد الدكتور محمد ابوبكر حميد عـــلى ان هـــناك اعمالاً شعرية كثيرة لم تجمع ولم تنشر بعد مما كتبه باكثير في القاهرة خارج نطاق مسرحه الشـــعري . ومنها حواريا ت تمثيلية نشر الشاعر والناقد العراقي هلال ناجي واحدة منها في كتابه " شعراء الـــيمن المعاصـــرون " وهي بعنوان (صفي وليليان) كما نشر في الكتاب نفسه قصائد بالغة الأهمية ، منها قصيدة بعنوان (بين الصحو والذهول) تبدأ هكذا :

وقفـــت لا ادري عـــلام الوقـــوف ... في شـــاطئ النـــيل قبـــيل الســـحر
والكـــون غـــاف ورؤاه تطـــوف ... في همســـات الـــريح بـــين الشـــجر
في رقصـــات الـــنور نـــور القمـــر
عـــلى بســـاط المـــاء مـــاء الـــنهر
في حلـــقٍ شـــتى صـــفوف صـــفوف

وفي نقـــيق مســـتحب الصـــدى ... عـــلى توالـــي أوجـــهٍ والقـــرار
كجوقـــة تعـــزف في منـــتدى ... بالـــريف ، القـــى القـــوم فـــيه الوقـــار
قـــد شـــارك الصـــبية فـــيه الكـــبار
ينتهـــبون اللـــيل قـــبل الـــنهار

بـــين المـــزامير وبـــين الدفـــوف [10]

مـــرة أخـــرى أين هذا الايقاع الراقص المتجدد والصور العذبة الباذخة والمفردات المنتقاة من ذلك الشعر البدوي الذي كان الشاعر يجاري فيه شعراء الجاهلية ويسير على نهجهم في الوصف والنسيب والفخر .

وربمـــا لـــن تكتمل صورة باكثير الشاعر الرائد الاّ بالوقوف عند آخر قصيدة كتبها بعد زلزال النكســـة العربـــية في يونيو (حزيران) عام 1967م . وكأنها تحمل اواخر منجزات ابداعه الشعري وقد اطلـــق أحد النقاد على هذه القصيدة أسم (الملحمة) وهي جديرة بتلك التسمية فقد جمعت بين غضب الشاعر والمه ، بين الحسرة والرجاء ، بين الخوف والكبرياء . وبدأها بهذه الصرخة العالية :

إما نكون أبدا
أو لا نكون أبدا
غداً وما أدنى غدا لو تعلمون
أما نكون أبداً أو لا نكون [11]

ولا ريب ان باكثير استخدم فيها حصيلة خبرته الطويلة في كتابة قصيدة التفعيلة فجاءت منسجمة فنياً مع قصائد رواد هذا النهج في كتابة القصيدة الجديدة :

غداً بني قومي وما أدنى غدا
اما نكون أبدا
أو لا نكون أبدا
إما نكون أمة من أعظم الامم
ترهبنا الدنيا وترجونا القيم
ولا يقال للذي نريده لا
ولا يقال للذي نأبى نعم
تدفعنا الهمم
لقمم بعد قمم
أو يابني قومي نصير قصة عن العدم
تُحكى كما تحكى اساطير إرم
غداً وما أدنى غداً لو تعلمون
اما نكون أبداً أو لا نكون [12].

والآن وبعد هذه القراءة العجلى والملاحظات العابرة عن شعر باكثير وريادته في تجديد القصيدة العربية تجدر الإشارة إلى ان الرواد عندما يدلون على طريق ويرتادونه لأول مره ربما لايسيرون إلى نهايته أو إلى منتصفه ، وهذا لا يقلل من أهمية أدوارهم وأثرها على من يسيرون على هذا الطريق إلى النهاية . وكثير هم الرواد – في تاريخ الأدب والفنون – الذين كان لهم فضل الإمساك بالخيوط الأولى لظاهرة أدبية أو

فنية ثم ارتبطت بأسمائهم عبر التاريخ ، لكن هذا -- وياللاسف -- لم يحدث مع الرائد الكبير علي أحمد باكثير .

الهوامش

(1): مجلة الآداب ، بيروت ، عدد يونيو ، ص56 ، عام 1954م
(2): علي أحمد باكثير ، فن المسرح من خلال تجاربي الشخصية ، ص8 .
(3): نفسه ، ص14.
(4): نفسه ، ص16.
(5): د. محمد ابو بكر حميد ، علي أحمد باكثير من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة ، ص164.
(6): نفسه ، ص165.
(7): علي أحمد باكثير ، أزهار الربى و شعر الصبا ، المقدّمة ، ص17.
(8): نفسه ، ص17.
(9): د. عبد العزيز المقالح ، علي أحمد با كثير رائد التحديث في الشعر العربي المعاصر ، ص56.
(10): هلال ناجي ، شعراء اليمن المعاصرون ص251.
(11): د. عبد العزيز المقالح ، المرجع السابق ، ص52.
(12): نفسه ، ص12.

"حي بن يقظان"
بين الفضاء السردي والإهاب الشعري

أ.د. صبري مسلم *

تتناهى إلى أسماع الشاعر المعاصر أصداء الملحمة (Epic) التي كانت تعبّر عن روح تلك العصور الغابرة إذ يتجلى البطل الملحمي بسماته الخارقة كي يغيّر ويضيف إلى المسيرة الإنسانية وهي تخطو خطواتها الأولى في رحلة الذهن البشري ومغامراته الفذة . ألم تنظم شعراً سيدة الملاحم وأقدمها قاطبة (ملحمة جلجامش) وملحمتا الشاعر البصير هوميروس (الإلياذة والأوديسة) وملحمة فرجيل اللاتيني (الإنياذة) وملحمة الفردوسي (الشاهنامة) وملحمة سي راجا جوبال إشاري (ملحمة مهابهاراتا) وسوها[1]، مما يجذر هذا التآخي بين السرديّ والشعري في إطار الملحمة المحكم بل إن هذين الشكّلين الرئيسين في مجال التعبير الأدبي والخلق الفني إنما ينبعان من حوافزنا الذاتية الكبرى – كما عبّر هدسون–[2]، ولذلك لا نستبعد تداخل الأصوات الثلاثة (الغنائي والملحمي والدرامي) في نصّ شعريّ واحد . بيد أنّ التمييز – وكما يرى ت. س. إليوت –[3] بين هذه الأصوات الثلاثة ضروريّ في عملية تخليق النصّ وفي عملية إعادة تشكيله (نقده) وعلى حدّ سواء .

ويكاد يجمع دارسو الشعر الحديث ونقاده على أن القصيدة المعاصرة في نماذجها الناصعة تلغي هذه القطيعة الشكلية بين السرديّ والشعري[4]. ذلك أن القصيدة الغنائية – التي ألحقها أرسطو طاليس في جنس الموسيقى –[5] لم تحافظ على ولائها لتقاليد القصيدة الغنائية الصافية وكما شهدناها في نماذج الشعر العربي الرصينة في عصوره الزاهية ، فقد تسلّلت تقنيات سردية كالحوار ورسم الشخصية ونموّ الحدث والتركيز على المهاد المكاني وتوظيف الأساطير واستثمار الحكايات واقتناص جزئيات من التراث الشعبي

---

* عميد كلية الآداب والألسن / جامعة ذمـــار .

المحلي أو العالمي من أجل إثراء القصيدة المعاصرة بحشد من الرموز التي تهب المنجز الشعري إهاباً جديداً موحياً .

وفي قصيدة " من تجلّيات حيّ بن يقظان " للشاعر محمد عبد السلام منصور يطمح النص إلى أن يحكي قصة الهمّ الإنساني على صعيد إنجازاته الروحية ويحاول أن يتوغل إلى عمق الشخصية الإنسانية متلبثاً عند نزوعها صوب السماء وتطلّعها إلى ما يثري الروح ويسكت إحساسها بالظمأ في أجواء سرابية خانقة. ومنذ العنوان " من تجلّيات حيّ بن يقظان " يحيل النص إلى أجواء قصصية موصولة بقصة ابن طفيل الشهيرة ذات الطابع الفلسفي الصوفيّ رغبةً من النص في أن يعانق الفطرة الخيّرة والسجيّة الصافية حين تستدلّ على خلاصها عبر مكابداتها الذاتية واستناداً إلى صوت الضمير الحيّ ، تماماً كما أضيء درب حيّ بن يقظان في اغترابه المكاني الحاد ووسط تلك الغابة القصية البعيدة عن أسباب الحياة التي شكّلت المهاد المتخيل حيث انتقاه ابن طفيل فضاءً مكانياً لقصته الطريفة . ولم يتوغل النصّ الشعري إلى رحاب هذه القصّة وتفاصيلها بل آثر الشاعر أن يلمح فلسفة الإشراق الروحي عن طريق التأمل – كما عبّر محمد غنيمي هلال –[6] . ولا نلمس صدىً مباشراً لهذه القصة منعكساً على هذه القصيدة فيما سوى عنوانها المفصح عن طبيعة أجوائها الصوفية لاسيّما أن لفظ تجلّيات يتصدّر العنوان وهو مفعم بأشذاء الإشراق وأصداء الروح .

بيد إننا إذا سبرنا غور قصة حيّ بن يقظان من حيث إيحاؤها القصيّ ومعناها العميق فإن بإمكاننا أن نقرّر مطمئنّين إلى أن شخصية حيّ بن يقظان كانت قناعاً (Mask)[7] للشاعر إذ يتوحّدان في إطار القصيدة حين يتماهى هدف حيّ بن يقظان مع هدف الشاعر وينتهيان في آخر المطاف إلى النتيجة ذاتها ، ولا يشترط في قصيدة القناع أن تتعادل فيها أو تتطابق (أنا) الشاعر السارد وهو الذي ينتقي هذا القناع وينسجم معه ويرى ذاته أثرى وأخصب من خلاله من جانب ومن الجانب الآخر (أنا) الشخصية الأصلية (حيّ بن يقظان) ذات الإيحاء الأساس المفصح عن هدف القناع ووظيفته الدلالية والفنية .

إنّ طموح الشاعر حين يكون بسعة التاريخ الروحي للإنسان فإن هدف مثل هذه الكتابة الشعرية "هو الحفر في بنية المسكوت عنه والضائع في غضون التاريخ ، إنه تدشين لتدوين جديد مختلف . . . . إذ لم يعد التاريخ ميداناً مستقلاً بذاته بل أصبح قابلاً للاختراق الشعري ،كما أنّ الشعر لم يعد امتثالاً للظواهر الغنائية كما أنه ليس نظماً تمجيدياً للبطولات شأن الملاحم الشعرية بل تكثيفاً لنسيانات التاريخ وإهمالاته"[8]. وإذا عكسنا هذه الرؤية على الشاعر محمد عبد السلام منصور فإننا نلمس هذه القراءة الجديدة لأحداث فذة غيّرت مجرى هذا التيار البشري المتدفق إلى ما شاء الله لا سيّما أن الشاعر يحاول تأسيس رؤية خاصة للحدث التاريخي الفخم منعكساً على ذاته العطشى إلى نبع الروح ، فهي إذن انتقاء لزاوية مضّمخة بخصوصية شعرية يطمح إليها الشاعر وينشدها ويحاول تحقيقها عبر هذه القصيدة .

يبدأ الشاعر قصيدته باستهلال يشي بحسّ ذاتيّ طاغ إذ يقول :

" لا تقلقي ، إنّي أتيت على قلق ، حملتْ عذابي دمعة فكتمتها ، ومضيت يحرقني هجير الصمت ، أركض فوق رمل الحزن نحوك يا ملاذ العاشق المجنون ، من يطوي ليالي العمر مرتحلاً إلى شطآن همسك ، ضائع الخطوات في وهم المسافة ، فاشعلي برقين في عينيك كي آتيك من نوريهما حبّاً تجدّد وأتلق " .

فيوارب الشاعر باب التأويل لاسيّما أنه ينتقي شكلاً يبدو ملائماً لطبيعة القصيدة إذ يتدفق في هيئة محطّات هي أشبه بالدوائر المغلقة ظاهريّاً بيد إنها تنفتح على بعضها وتتواشج عبر سلك إيقاعيّ ينتظمها هو تفعيلة بحر الكامل (متفاعلن) وفي إطار ظاهرة التدوير الإيقاعية[9] . فضلاً عن الآصرة الدلالية التي تشدّ هذه الدوائر الشعرية إلى بعضها ، فهي تبدأ بقلق روحي تشي به المفارقة (لا تقلقي / إني أتيت على قلق) ، ثمّ تتوالى عناقيد الصور الشعرية (إصر العذاب وثقل كتمانه / الصمت المتماهي مع الهجير الناري / صحراء الحزن ورملها الجمريّ / طيف الملاذ الآمن / صفحات العمر الغارب وهمس الشطآن الحالم / مسافة الوهم الشاقة / ومض الحدقتين الساميتين إرهاصاً بغيث روحيّ دافق) .

وهذه الصور تزخر بإيحاءات ينتمي بعضها للصورة الذهنية المعبّرة عن معنى الترقب واستشراف المستقبل ويتضمّخ بعضها الآخر بعبير الحواس إفصاحاً عن امتزاج الحلم بكيان الشاعر كله إذ يشغل حواسّه جميعاً ويتوغل إلى أعماقه .

ويأتي المقطع الشعري الثاني فيعزّز أجواء المكابدات الشاقة ووحشة السفر الدائب من أجل الوصول إلى الهدف الكبير إذ يرد :

" إنّ المدى بيني وبينك موحشٌ ، ألقى عليه الليل معطفه وأدخله صقيع الخوف فاسترخى الوجود على فراش الموت ، لا نجم تلألأ فوق قبّته ولا طير تغنّى في الظلام ، أنا الوحيد العشق مشدود الخطى ، باقٍ على سفر وطيفك في دمي ، وحقائب الأحلام أمتعتي وزادي كلّما اشتد الظلام تهامست شجناً مدامعنا توهّج فوق روحينا الهوى ثم اتّحدنا واحترق " .

فيضيف النصّ لمسات وظلالاً معتمة على تلك الرحلة القاسية المريرة باتجاه بغيته التي قرّر الوصول إليها لاسيّما أن الذي بينهما (ستائر ليل معتم وصقيع خوف صلد) وهما صورتان تشبيهيّتان موحيتان بهذه المكابدة يؤازرهما انزياح استعاري يؤنسن الوجود في هيئة بشرية حين يدرك الوجود الموت فإذا بكل مظاهره في حالة غياب وتلاشٍ ينمّان عن أقصى الوحشة إذ لا أنجم تؤنس بصر الشاعر ولا طيور منشدة تداعب سمعهم ولكنه يحث السير ويتابع الخطى بإصرار من أجل الوصول إليها ، لا تمّه المعاناة ولا تشغله المشقة وهو لا يعلن عن هويتها هذه الحلم بل يشير إلى بعض سماتها ومنها أنها جزء منه ومن كينونته وبدلالة اتحادها مع روحه واحتراقهما معاً مما يستثير تأويلات القارئ باتجاه كونها ترميزاً للحقيقة الغائبة في داخل النفس الإنسانية وهي تحتاج إلى إيجاز وتأمّل وإدلاج من أجل الوصول إليها وتلمّسها نظراً لطبيعتها الشفيفة الرقيقة . وفي كلّ مرّة يضيء لنا جزءاً منها وعبر المقاطع الشعرية اللاحقة فتسفر عن ملامح قدسية ليست بذات طبيعة حسّية محدّدة بل تتشكل تبعاً لرؤية النص وفي سياقات شعرية مختلفة قد تمزج بينها وبين الطبيعة وظواهرها تارة وقد تقرن بينها وبين أعماق النفس وخلجات الروح تارة أخرى . وفي كلّ المقاطع التي يختمها حرف الرويّ القاف الذي يوصف بأنه صوت لهوي انفجاري[10] نلمس هذا

الإصـــرار عـــلى الوصول ، بيد أن المقطع الأخير المختوم بقافية القاف تتغير فيه نبرة الشاعر إذ ينتقل من مناجاة الحقيقة الغائبة إلى مخاطبة ذاته بل تعنيفها حيث يرد :

" مزّقت روحك بين من غابت تلاحقها ومن أعطيتها جسداً يدلّ على غيابك ، إنها غابت إليك وغبت عنها حائراً ، ضيعت عمرك في فراغ الوهم مخطوفاً بطيف الغيب رفقاً أيّها المجنون إن الروح زنبقة تفتح لونها نجماً شروداً فاتخذ من ومضه وطناً وسافر في فضاء النفس تحييها إذا اشتدّ الظلام بها خفق " .

فيـــبوح النصّ بهذا الاغتراب عن الذات والنأي عنها حدّ اللوم ، وكأنّه يسفه أحلام الشاعر حين يبحث عـــن الحقـــيقة المطلقة (هدف حياته) خارج ذاته ، إنما بغيته الكامنة في الذات ، ولذلك تستحل الروح في إطـــار الصـــورة التشبيهية التمثيلية زنبقة فوّاحة وتبرق نجماً ساطعاً ودليلاً للشاعر كي يبحر في فضاءات الـــروح مما يضيء ملمحاً مهمّاً من ملامح هذا النص وهو المزج الواعي بين الذات الشاعرة المرهفة ومظاهر الكـــون وسمـــات الطبـــيعة ، فهما – أي الذات والوجود خارج الذات – وجهان لكيان واحد هو هذه الصـــيرورة الملغـــزة لهـــذا الكائن الإنسان الحائر أمام لغـــز ذاته التي لا تقلّ هيبة وعمقاً عن روح الكون وجوهر الوجود فهما من ماهية غير مرئية وغير مدركة بوساطة حواس الإنسان القاصرة .

وينـــتقل النصّ إلى محطة دلالية جديدة في المقطع الشعري الأول الذي يغلقه حرف الرويّ الدال الذي يوصف صوته بأنه أسنانيّ من حيث مخرجه الصوتي وانفجاريّ من حيث قوة تأثيره[11]، إذ يرد :

" يـا أيّهـا القلق المخيّم في هدوء الروح قد أرهقتها ، دعها ترفرف إنها أدرى بأنّ الورد يغمز للفراشة مثلما لا بدّ للأشجار من طير يطارحها أغاني الفجر ، لا تنظر إلى القمر المسافر حين يذبل وانتظر لتراه مكتملاً ، وقد أفضى بسرّ الليل للعشاق رشرش روحه ضوءاً على الوادي فكان له جسد " .

فيكون الخطاب هذه المرّة في إطار التشخيص الاستعاري إذ يعلي النص شأن القلق حتى يستحيل طاغـــية يرجوه الشاعر أن يكفّ عن أذاه وسطوته وأن يدع روحه الحائرة وشأنها ، فهي بسجيتها وفطرتها تصبو إلى الجمال والحق وفضاءات الخير العميم ، وقد آخى النص بين هذه الرموز المضيئة ومظاهر الطبيعة ومـــباهج الكـــون (الورد والفراشة والأشجار والطير والفجر والقمر والليل والعشاق والضوء) في سياق انزياحات شعرية متلألئة في فضاء المقطع الشعري ، وهي جميعاً تحيل إلى عطاء كلّ الحواس ، وتمهّد للمقطع الشعري اللاحق الذي يحفّز الذات على أن تتوغل في عالم الروح دون خشية بيد أن أصداء الخوف وأشباح القلق ما تزال عالقة في غضون النفس حيث يشي بمال المقطع الشعري اللاحق :

" الخوف يربض في دمي وحشاً خبيثاً كيف يتركني وقد أطعمته ومضات روحي كل ثانية وميضاً ، خوف أن ينقضّ مني فجأة نحوي ، لقد أطفأت روحي في دمي ، فالخوف نافذة الفناء إلى قلوب الناس يطفئها ويتركهم عبيداً للفجيعة يستلذون الخشوع لمن أذلّ النفس وامتلك الولد " .

فـــتقرن مخـــيلة الـــنص بين الخوف المتجذّر في النفس والوحش الشرس المختفي في تلافيف الذّات ، وهو يكســـب الصـــورة التشبيهية طرافة عبر المفارقة (ينقضّ مني فجأة نحوي) موثقاً ما سبق أن لمحةً من أن هذه الـــرحلة الشـــاقة وهـــذا الصراع المرير ميدانهما أرجاء النفس وعالمها المتسع . بيد أن هذا الوعي بطبيعة

الصـــراع وهويـــة طرفيه إنما هو مرحلة لاحقة من مراحل الوعي والإدراك اللذين لا يأتيان إلا عبر الجهد الدائب الشاق من أجل الوصول إلى الهدف المعنويّ الكبير . ويفضي هذا إلى اقتناع مؤكد يبوح به التشبيه البليغ الذي يأخذ نكهة الحكمة وهيئة الجملة الاسمية الراسخة (الخوف نافذة الفناء) حيث ينبئ هذا التشبيه بـــالموت المعـــنوي للإنسان تحت الظلال السود للهلع وأشباحه ، ويتقصى النص هذا التشبيه فيشكل منه صورة تشبيه تمثيلي يلاحق فجيعة الإنسان الخائف وانسحاقه وطحنه في رحى سطوة المستبدّ وشراسته . مما يؤشـــر موقفاً آخر للنصّ يخرق أستار الخوف والتّردد باتجاه نفاذ جريء إلى تفاصيل الذات وإضاءة كاشفة للجوانب المعتمة فيها .

ويحاور النصّ الذات العليّة المطلقة مكنيّاً عنها بـــ(يا سيّدي) إذ يرد :

" عـن سـاكني صـوتي حديثي دامع [يا سيّدي] اغفر لي دموعي ، لا تلم ، قد ضاقت الأحوال حقاً ، إنهم سكنوا الفجيعة ما لهـم همّ سـواها ، مـات معنى الكائنات فلا تسلني عن أحاسيس الأحبة لا لهم عين تنوح وما بهم قلب توجّـع ، قـد محا الخـوف البصائر ثم ألقاهم مسوخاً في العمى يحتلهم فزع مكين مثلما الحمر الضّبيعة كلما هربت لتنجو أجفلت فتفرّ راجعة إلى الخوف الأشدّ " .

فيشـــلّ الخوف تفكيرهم ، وهم أحبّة الشاعر وقومه ومن يشكّلون قوام أمّته الشاسعة المترامية أطرافها التي لا يوحّدها شيء سوى بؤرة الخوف وكما أوحى بها هذا المقطع الشعري الذيّ يمهّد للصراع بين قومه ذوي الشـــأن من سابق عهدهم وعمق ماضيهم ، ولكنهم الآن يهربون من خوف إلى رعب ومن رعب إلى هلع ولم يجـــد الشاعر قسيما تشبيهيّا لهم أدق من (الحمر الضبيعة) التي تخشى الضبع المتربص بها فتهرب منه إلى وحـــش كاســـر ثان أو إلى تنين ثالث ، وهي في حركتها البليدة تنشد الخلاص من خلال الهروب بيد أنها حركة تفضي بها إلى هلاك مؤكّد لأن مبعثها الخوف وليس الوعي .

وتتبادل الأمم الأدوار في إطار المقطع الشعريّ اللاحق الذي يقوم فيه الشاعر :

" خفضـوا جناح الروح للفرعون مسكنة وذلاً فاستباح كرامة الهامات وانتشّ الرجولة ملء ما ذبحوا له الأبناء في وجـل تسـابيحاً فأوحى أنه الأعلى أقاموا فوق أبدان النساء لربّهم صرحاً عليّا علّه يرقى فيبلغ في السماء المنتهى قدراً يبرّر ذلهم ويعيش في الملكوت منفرداً أحد " .

فيـــلمح الشـــاعر الآيـــة " فقـــال أنا ربّكم الأعلى "[12] إفصاحاً عن ظاهرة تأليه الفرعون المتسلط الجائر والانصـــياع له ، وفـــرعون هذا العصر يتماهى مع الذين ظلمهم وإذا كان نبيّ الله موسى عليه السلام قد أنقذهم من فرعون فإنهم الآن فراعنة هذا العصر أو إنهم آلة فراعنة هذا العصر وأدواتهم على وجه الدقة ، وقد كشف المقطع اللاحق بعض سماتهم :

" سـفحوا دم العـذراء فانكسـرت كرامتهم وذلوا ، قدّموا الرضعاء قرباناً لهوديروس ، فانشقت قلوب الأمّهات ، تنهّد الزيتون مدّت بيت لحم دمعها فزعاً تصلي الأمّ تحمل طفلها في غيمة بيضاء من لبن وتمضي تحت جنح الدمع ، سبّح كوكبٌ : لـن يطفـئوا في المهـد نـور الله هللت النسـائم فـرحة ، والتين غنى إنّه عيسى فطوبى للمساكين

اصطفاهم ربّهم ، ملكوتهم في الأرض أنشأها لهم أمّاً ليقتسموا محبّتها ، رغيف واحد يكفي ، ومن يعطي لقيصر حبّه هو آثم ، فالربّ سيدنا جميعاً أيّها الإنسان إن الله في الملكوت بالملك انفرد " .

فيسبر النص أعماقا روحية تتجلى في إنجاز روحيّ جديد يرهص به المسيح عليه السلام ، وهو يتكئ على مرجعية تاريخية موثقة عبر الأديان الثلاثة التي أكّدت عتوّ أولئك القوم وعدائهم للضوء ومنابع النور وشدة فتكهم بالأنبياء والرسل . وتتداخل الأزمنة والأمكنة في نسيج النصّ حين يعود إلى قصّة مريم العذراء فيقدّمها في إهاب شعري تتواشج فيه شخصية العذراء وشخصية عيسى المسيح عليه السلام في مقابل يهوذا وهوديروس وقيصر وقبلهم فرعون ، حيث ترد هذه الشخصيات في اللوحة على نحو يكرّس التضادّ الحاد والصراع من أجل الحق ، ولذلك تدخل الطبيعة الرامزة للفطرة والسجية النقية طرفا مهمّاً إلى جانب قوى الخير وعبر التشخيص الاستعاري وإزاحة الكائنات الحيّة الأخرى – ماعدا الإنسان – والأمكنة الجامدة عن مدلولها المألوف وإكسابها إيحاءات مضافة ، ولذلك فإن الزيتون يتنهّد وإن بيت لحم (المكان التاريخي) تمدّ دموعها فزعاً ، وتلف الغيمة البيضاء الرضيع السماوي (عيسى المسيح عليه السلام) ، ويعلن كوكب في السماء أن اليهود عاجزون عن إطفاء نور الله ، وهلل النسائم ويغني التين في إطار اللوحة الشعرية الضاجّة بالرموز التي تجانس عناصر مختلفة وأدوات فنيّة معبّرة .

وينصبّ المقطع اللاحق على شخصية المسيح عليه السلام متخذاً من أقواله ورؤاه وسعيه الدائب من أجل إصلاح أولئك القوم تكوّنات فنيّة ومرتكزات أسلوبية تفصح عمّا يريد التعبير عنه إذ يرد :

" الكائنات محبة شقت رداء الليل ثمّ تدفقت من عريها شبقا تخطّفه بهاؤك يا يسوع ، تبسّمت لحظاتها سكرى بما رحبت ترى أحزانها فرحا ، وقد ناديت : لله يتبعني الجياع أحبّهم لله ومضيت يتبعك الحيارى البائسون مواكباً تمشي على الأوجاع في أمل بديد لله إنه وهم ، يهوذا باعنا ، وغداً يسلمنا لشيخ المال والكهّان يأخذ فضة ثمني ، أقول الحق : إن المال والكهّان أعداء الفضيلة والشيوخ ، فقسّموا جسدي رغيفاً ، واشربوا ، هذا دمي كأساً فروحي ترتقي المعراج نحو بهائها " . **"أبحرت في لجج المدامع كوكباً يدمى تلألأ ومضه ثمّ ابتعد** . " فيتمثل النص بعض أقوال السيد المسيح عليه السلام وأفعاله ونصرته للضعفاء والجياع والمسحوقين بيد أنّ قوى الشرّ متمثلة بشخصية يهوذا تتربّص بالمسيح عليه السلام وهي ترتدي ثوب الكهّان وشيوخ المال وتجار الرذيلة . ولم يشأ النصّ أن يفصّل في قصة الصلب بل أشار في لقطة شعرية معبّرة عن عروجه عليه السلام إلى السماء حيث عاد من حيث أتى وذاكرته تحشد زخما من أخطاء اليهود وذنوبهم .

ويجمع المقطع الشعري الذي يليه بين آخر الرسل وأكرمهم محمد صلى اله عليه وسلم وبين المسيح إذ تبلج في أفق الجزيرة بعد أن يغيب السيد المسيح عليه السلام حيث ترد إشارات دالة إلى معاناة السيد المسيح مع أولئك القوم الضالين :

" سرقوا العبارة من لسان الصدق ذرّوها رماداً في عيون الريح هل صلبوه ؟ أم صلبوا براءتهم على جسد ذبيح ؟ إنهم سفكوا الرجاء فلم يعد للروح غير صدىً لصيحته : (إلهي كيف تتركني وحيداً) ثمّ غابت في غطيط الموت ، فانطلقت طيور الرعب في الأجساد كاسرة تمزقها وتسكبها دموعاً من جفون اليأس تائهة تصلي في الفراغ لربّها

حتى أضاءت ومضة ، صوت شفيف فاض من كاس الطهارة هامساً والأرض فاحمة قنوطا – شعشعت في الكهف كالصلوات – (فلتقرأ) وحين تدفقت شفتاه بالأنوار عطرها كلام الله فاشتعلت بها الأقمار والكون اتقد " .

فنلمس هذه الرموز المحبّبة في تاريخنا العربي الإسلامي وأعني بها كهف حراء والآية الكريمة "إقرأ باسم ربّك الـذي خلق) [13] وكلام الله وأقمار الإيمان وشمس الإسلام الحنيف تحتضنها مظاهر الطبيعة كاحتضان الأمّ ولدهـا وقـد مهّدت لبزوغ فجر الإسلام الحنيف . ويتلبّث النصّ عند دفقه القويّ وإرهاصاته المتجسّدة بنصـرة الله العرب – مادة الإسلام – على جيش إبرهة (أصحاب الفيل) وموقف عبد المطلب وسواه من شيوخ مكة ، فيرد المقطع الشعري :

"جاء الهدى والكائنات كئيبة ، فاضت مدامعها ، جراحات الجنوب تئن (ذو نفر) يمدّ إلى (نفيل) آهة حمراء تشتعل الديار فدى لمكّة والقرى من حولها هربت فسار على كرامتها جنود الفيل ، والبدويّ شيخ تجارة عمياء يفرش خدّه كرماً لربّ الجند ، أطلق في غبار الخوف ناقته ، وصاح : اليوم لي إبلي وربّ البيت يحمي البيت ، فاض الكون طيرا من دخان يرجم الباغين سجّيلاً فشرّدهم بدد " .

فـيجوس الـنص في أرجاء ذلك الليل الدامس قبيل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ويلمح ضعف الأمة قبل أن يشدّ إزرها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويقودها إلى ضفة القوّة والمجد والسؤدد .

وتومـض إضـاءات خاطفـة لبعض الأحداث والصراعات في الجاهلية المتأخرة زمن احتضارها وبأسلوب الشذرة الشعرية الموحية .

ويكـشف الـنص طاقـته الشعرية حين يصل إلى قمة الحدث السماوي المفصح عن انبثاق النور السماوي المقدّس في سماء شبة الجزيرة العربية كي يشعّ على الكون كلّه مكرّراً حاجة الكون إلى هذا الينبوع الدافق بالخير والرّحمة بعد أن كان يكابد ظلال العتمة والظلام الدامس قبيل أن يخرقها هذا الضوء المحمّدي الباهر:

" يـا ربّ نـادت رملـة : هـذا دمي وطن تخثر في زمان البدو مذبوح المنى ، بيت يؤثثه الظلام تساقطت أشواقه ، صلى لآلهـة القـبائل مسّني يا ربّ منه الضّر وانطفأت على شفة الندا موؤودة فتنهّدت أحزان مكة من دموع الليل ، ضجّ الصمت ، وانكسرت ضلوع الصابرين تنفس الوادي هجيراً جفّ روح الأرض من ظمأ ، فمدّت نخلة عطشى أناملها تهدهـد غـيمة ، حتى بكت فانشقّ صدر الليل وانهمرت غيوث النور ، طوبى يا زمان محمّد ، طوبى لكل الظامئين ، الله أنجز ما وعدْ " .

فتنسـجم عـبر اللوحة الشعرية الأزمنة والأمكنة والشخصيّات المعبّرة عن مرحلة الانتقال من الظلمة إلى الـنور ومـن العجـز والضعف إلى الاقتدار ومن الجهل والتخبط إلى الفهم والإدراك ، ومن السكونية أو الحركة باتجاه الهاوية إلى الحركة الخيّرة الهادفة إلى دفع المسيرة الإنسانية خطوات واسعة صوب التطوّر على صعيد الدين والدنيا معاً وبما ينفع البشر ويثري حياتهم ويخصب أذهنتهم ويقوّم سلوكهم .

ويختـتم الشـاعر محمد عبد السلام منصور نصّه الطويل نسبيّاً بالمقطع التاسع عشر حيث يشير إلى الألفة الحميمة التي أرساها الإسلام الحنيف وتعاليمه السامية ولا سيّما أن الشاعر كتب هذه القصيدة بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف إذ يقول الشاعر :

" الأرض تشرق من فراغ الليل غامرة الطيوب تنزّل القرآن يغسل روحها حتى أضاءت نجمة تنفكّ في مسرى لياليها وتدخل في مدارات البهاء غزالةٌ شهباء جاءت من رحاب الله تسري في دماء الورد أزهاراً تعمّد لونها بالعطر تذرو في اشتعال الرمل فتنتها وتأتي من بريق العشق رمّاناً وتيناً ، زيتونةٌ فضّيةُ الومضات يشعل زيتها في الناس نيران المحبّة والجمال إلى الأبد " .

حيث يزخر هذا المقطع الشعري بروح الإسلام ومظاهره ومفرداته وهي مفعمة باحتفاء الطبيعة به واحتضان الكون له وفي مهرجان من الأضواء والألوان والظلال والأشذاء والأصوات القدسية والطعوم . وثمة تناصّ مع بعض الآيات الكريمات إذ يقتبس النص منها إضاءات شعرية دالة ومن ذلك تلك الزيتونة المباركة (فضية الومضات) التي (يشعل زيتها نيران المحبة والجمال) إذ يحيل النص إلى الآية الكريمة " الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّيّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شيء عليم" [14] وقد فسّر بعض الفقهاء قوله جلّ شأنه عن الزيتونة بأنها لا شرقية ولا غربية إنها لا يهودية ولا نصرانية [15] وهذا محور مهمّ في فلسفة هذا الدين وهويته ورؤيته القومية التي ضمّها النسيج الشعري في إهاب من الصور الشعرية المؤثرة حيث تهب النص طابعه الشعري وتخفف من أجواء سرد الحديث التاريخي المعروف .

وآية ما ذكر في هذه الدراسة إن هذا النسق الذي تتعانق فيه الهوية الشعرية مع الطابع السرديّ القصصي يتطلب مهارة وتقنية خاصّتين بحيث لا يطغى الجانب السردي الذي يحتاج إلى لغة مباشرة في بعض الأحيان كي تنمو العناصر السردية التي تستدعي أبطالاً وشخصيّات وحواراً وأحداثاً وأزمنةً وأمكنةً وما إلى ذلك من أدوات سردية لا يستغني عنها السرد الهادف إلى تقديم كيان حكائي أو قصصي موصول بالعصر البطولي العربي في ظلّ الإسلام الحنيف وقد استوعب هذه الأدوات والعناصر السردية من غير أن يفرّط بالقطب الشعري الذي ينتظم القصيدة ويهبها ضوءه وكثافة أجوائه ولغته الموحية التي كيّفها الشاعر كي تستوعب تجربته الشعرية العريضة الطامحة إلى تلخيص إنجازات الإنسان على صعيد مسيرته الروحية المظفرة . وقد حشد النص رموزاً شعريةً مفصحةً عن أقصى اغتراب الإنسان ووحشته وهو يبحث عن ملاذ روحيّ له ، وزخر النص بالانزياحات الاستعارية والصور التشبيهية وتأثيرات الحواس الخمس وأبعاد الصورة الذهنية المؤثرة وأصداء لغة القرآن الكريم ومفردات الإسلام الحنيف وإحالات إلى أحداث تاريخية وصراعات مريرة قبل الإسلام وبعده وفي إطار مهاد إيقاعي مناسب بحيث عكست هذه التجربة الشعرية الموسومة " من تجليات حيّ بن يقظان " حرفية الشاعر محمد عبد السلام منصور وصوته الشعريّ الخاص.

الهوامش

(*) : محمد عبد السلام منصور " من تجليات حي بن يقظان " دار الحكايات ، بيروت 2002 ، من ص 40 إلى ص85 .

(1) : ينظر : ملحمة جلجامش ، ترجمة : طه باقر ، دار الحرية ، بغداد 1975م ص11، وينظر : هوميروس ، الأوديسة ، ترجمة : عنبرة الخالدي ، دار العلم للملايين ، بيروت 1974م ص5 ، كما ينظر : سي راجا جوبال إشاري ، ملحمة مهابهاراتا ، ترجمة : رعد عبد الجليل جواد ، دار المأمون ، بغداد 1992م ، ص13 .

(2) : د. عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط5 ، 1973م ص21 .

(3) : د. شكري عزيز الماضي ، في نظرية الأدب ، دار الحداثة ، بيروت 1986م ، ص 101.

(4) : ينظر: عبد الإله الصائغ ، النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير ، مركز عبادي، صنعاء2000م ، ص243 ، فصل إشكالية التجنيس بين الخطابين : الشعري والسرديّ .

(5) : أرسطو طاليس ، فن الشعر ، ترجمة : د.عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت 1973م ، ص 3 .

(6) : د. محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار نهضة مصر ، القاهرة 1977م ، ص224.

(7) : مجدي وهبة وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، ط2 ، بيروت 1984م ، ص 297.

(8) : عبد العزيز بو مسهولي ، الشعر والتأويل ، قراءة في شعر أودنيس ، أفريقيا الشرق ، بيروت 1998م ، ص75 .

(9) : التدوير في القصيدة التقليدية هو أن لا يكتمل الشطر الأول من البيت بل تنشطر فيه الكلمة الأخيرة إلى شطرين أحدهما في صدر البيت والآخر في عجزة بيد أن التدوير في قصيدة التفعيلة هو أن يبدو المقطع الشعري برمته من حيث ترابط أجزائه وتلاحمها وكأنه سطر شعري واحد مهما استوعب من مساحة .

(10) : ينظر : د. نور الهدى لوشن ، علم الدلالة ، من منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي1985م ، ص73.

(11) : نفسه ، 73 .

(12) : سورة النازعات ، آية24.

(13) : سورة العلق ، آية 1 .

(14) : سورة النور، آية 35 .

(15) : أحمد علي الآنسي ، تفسير الأعقم ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء 1990م ، ص 455 .

عولمة الحب في الشعر المعاصر

د. آمنة يوسف *

بدايـــةً ، أودّ أن أشـــير إلى سببين رئيسين دفعاني إلى الكتابة عن هذا الموضوع ، أولهما ، كثرة التركـــيز الإعلامـــي عـــلى العولمة الاقتصادية التي تصرُّ على فرضها باعتبارها واقعاً متحققاً تفرضه بالقوة اللاإنســـانية ، الشركاتُ عبارة القارات التي تسعى إلى تحويل الأرض ومن عليها إلى قرية كونية في يد تلك الشـــركات الإمـــبريالية والســـاعية إلى تمجيد فلسفة الإنسان ذي البعد الواحد الرافض للآخر ، الإنسان والمحوّلة إياه تارةً إلى مجرَّد مُستهلك ينشد خيرات الشركات المهيمنة والمنتجة بقوة الاحتكار ، المتحكمة في اقتصاد الدول وسياستها والأقل دخلاً بالقياس إلى القوى الاقتصادية العظمى .

وتارةً أخرى اعتبار البشر – كل البشر– الفقراء وغير التابعين لهذه الشركات المحددة ، مجرد أشياء ، مـــنطلقين مـــن الإيمان بفلسفة التشيؤ وسياسة الرقّ ، بالنظر إلى الناس على أنهم – أشياء يمكن الاستغناء عنهم بالآلة التكنولوجية في أيّ وقت يحسُّون معه بعدم جدوى هذا الشخص أو ذاك .

ولذلـــك تتصـــف سياســـتهم بسياسة الرق ، حين يستعبدون الناس ويسرقون ثروات بلادهم وقوة عملهم إذا كانوا فقراء ، فيحولونهم إلى عبيد وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

– أمـــا الســـبب الآخـــر الـــذي دفعـــني إلى الكتابة عن هذا الموضوع ، فيكاد يكون ذاتياً، يرتبط بشخصـــيتي الرومانســـية الحالمة بعودة الحب بين الناس سواءً أكان الحب خاصاً بين الرجل والمرأة أم كان عاماً بين أفراد الأسرة والمجتمع والشعوب الإنسانية – كل الشعوب – قاطبةً .

---

* أستاذة مساعدة / كلية اللغات / جامعة صنعاء

ذلك أن عودة الحب بين الناس لا تعني افتراض انعدامه بل انحساره ، ومن ثم فإن الحلم الأكاديمي – إن جاز التعبير – بعودته يعني الالتفات إلى رفض المبدأ البرغمائي (النفعي) في شكل العلاقات بين الناس من جهة ومن جهة أخرى رفض التفضيل غير المنطقي للآلة أو التقنية على الفاعلية الإنسانية والأهمية التي تجدر بمكانة الإنسان – سيد الأرض وخليفة الله في إعمارها ونشر الخير – الذي لا يمكن أن ينتشر مع تهميش الإنسان وسيطرة الآلة التكنولوجية .

– ومن المؤسف له أن هذا الأخير هو الحاصل إلى حدٍّ كبير . ذلك أن "الواقع التكنولوجي الراهن هو واقع استعباد الإنسان وتشيّئه وتحوُّله إلى أداة لا واقع تحرره" [1] الأمر الذي يحتمّ على كل باحثٍ أكاديمي بالدرجة الرئيسة أن يتخذ موقفاً مضاداً لعولمة الاقتصاد المتخطية ذروة الإمبريالية ، هادفاً إلى إعادة القيمة – كل القيمة – للإنسان ومتوخياً المصداقية النابعة من وجدانه النقي وإيمانه بضرورة تحرير الإنسان من عبودية التكنولوجيا القاسية والشركات الفارضة فلسفتها وسياساتها غير المنسجمة مع حركة التاريخ الإنساني ، الإيجابية ومستفيداً من قصص الأمم المنهارة ، قديمة كانت أم حديثة ، حين فضّلتْ أمورٌ أخرى على الإنسان ، مادام التاريخ يعيد نفسه في كل زمانٍ ومكان .

ومن هنا أستطيع القول بأن دراستي التحليلية المتواضعة تنطلق من الموقف المضاد – قدر الإمكان– فتصبح إسهاماً أكاديمياً ينضاف إلى مواقف زملائي الرافضة لعولمة الاقتصاد والسياسة الاحتكارية .

وهو الإسهام الذي لن يبتعد عن مجال تخصصي في النقد الأدبي الحديث ، بل يستنطق نماذج من النصوص الأدبية القديمة والمعاصرة على حدٍّ سواء ، بهدف إظهار البون الشاسع بين عولمة الحب الإنسانية وعولمة الاقتصاد اللاإنسانية ،مادمنا نؤمن بموضوعية تامة .. كيف أن الأشياء والمعاني – كل المعاني – تتميز بضدِّها ، تاركة للباحث والقارئ أمر استنتاج الخاتمة التي يجدر أن ينادي بها وينحاز إليها ويطالب بها مطالبةً فاعلةً توقف أصحاب القرار الأعمى عند حدِّ الانتباه وعدم المبالغة في تأييد القادم الضارّ ، موافقةً للموضة التي قد تكون شراً مهدداً بالدمار وباحتقار المصطلحات الإنسانية ، كالهوية والخصوصية والذات والثنائية في الحوار والرأي والإرادة و .. و العدل الذي يختفي تماماً في تاريخنا الحاضر والمستقبل إذا نحن صمتنا وجرفنا تيار العولمة الاقتصادية بمادية مفهومها النفعي اليوم .

وقبل الشروع في الحديث عن عولمة الحب وإعطاء الأمثلة التحليلية من نصوص الأدب الإنساني ، يجدر التعريف الموجز بالعولمة ، كما يعرفها الإعلام بكل تقنياته التكنولوجية الحديثة والمتنوعة ، كالتلفاز والمذياع والصحف والمجلات والكتب ، فمثلاً العولمة عند جماعة من الباحثين : "هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ" [2] بين الدول المنتجة للتكنولوجيا (مثلاً) وبين الدول المستهلكة ، ومثال هذه الأخيرة : الدول النامية وبخاصة منطقة الشرق الأوسط التي تستهلك فقط وتستورد كل شيء تقريباً من

الدول الأجنبية (أمريكا ودول أوروبا) على الرغم من ثرائها في تصدير الخام من البترول الذي تستفيد منه الشركات غير العربية ، حين تستورده وتجعل الإنسان العربي بخاصة مجرَّد تابع لما تجود به الشركات والمصانع الأجنبية ، ولذلك يصبح التوازن بين نحن (العرب مثلاً) وهم (الغرب) غير متكافئ على الإطلاق، وهو التوازن المعدوم الذي تصرُّ على ثباته صيحة العولمة الاقتصادية ، يسندها في سعيها الحثيث عوامل سياسية أخرى ، نحو الإصرار على بقاء الواقع العربي غير مستقر سياسياً وكذا في الجنوب الشرقي والشرقي من الأرض مكتظاً بالخلافات السياسية المستمرة وحتى في قلب أوروبا ، وهو الأمر الذي من شأنه أن يضمن لأمريكا على وجه التحديد أن تبقى قوةً عظمى تستترف ثروات الآخرين باستمرار وتجعلهم غارقين في بحرٍ من الدماء والهموم اللامتناهية يخطط لها وينفذ اللوبي الصهيوني الذي يسيطر في الأساس على المال الأمريكي وغير الأمريكي ، ولذلك يمكن القول : إن عولمة الاقتصاد التي تفرض نفسها على واقعنا المعاصر هي أمْركة في أمْركة بالدرجة الرئيسة وبحسب الباحثين .. عولمة اليوم هي العولمة المؤمركة ، التي تبدو مسيطرة حتى على عولمة أوروبا التي يطلق عليها عولمة "متأوربة" ويشبه جماعة من الباحثين العولمة بثعبان يصرُّ على ابتلاع جميع الأرانب ، ويرونها " شكلاً من الاستعمار الجديد (..) فالعولمة رغبة الشمال في السيطرة على الجنوب وهي إحدى مراحل النمو الرأسمالي وأنها على الضدّ من الإرادة الوطنية للدولة-الوطنية في العالم الثالث وفي النتيجة فهي الماركة المسجَّلة والاسم الحركي للأمركة التي هي التعبير الحقيقي عن مركزية غربية دفينة في الهيمنة على العالم (..) ففي هذا الإطار تظهر الديمقراطية وحقوق الإنسان والأقليات وحرية المرأة وحق التعبير على أنها أفكار مستوردة (..) واعتبارها كلمة حق يراد بها باطل . " [3] أي مجرد شعارات برَّاقة وأقنعة ناعمة تمسُّ اهتمامات الشعوب وقضاياها بهدف العكس تماماً، يعني تدميراً وتحطيماً وتمزيقاً في الباطن وكلاماً جميلاً ومعسولاً في الظاهر ، ولذلك لا نبالغ إذا قلنا : أن عولمة الاقتصاد اليوم هي السيناريو المكتوب سلفاً والأكذوبة التي صنعها الماسونيون في العالم الغربي وأذنابه من العرب أيضاً ، بهدف تنفيذ مخططهم الإجرامي في احتكار ثروات البشر على يد مافيا معدودة الأشخاص استبدَّ بها الجشع ووصل بها النهم ذروته ، فقررت خداع الناس بجمال ما ينادون به من شعارات وتضليل ساحر أخَّاذ ، وهنا يحضرني تساؤل استمعت إليه من مفكر كبير زار جامعة صنعاء وألقى في قاعاتها مجموعة من الدروس والمحاضرات التي كان من حسن حظي حضور حلقة منها كانت عن العولمة ، إذْ تساءل فيها الأستاذ الدكتور / عبد المنعم تلّيمة عن سبب ذيوع مصطلح العولمة ولماذا لم يقولوا : كوكبة ؟! ما دمنا نعيش على كوكب الأرض .

أما العولمة فهي من العالم الأرضي والكوني !! وهو تساؤل إشكالي بالفعل ، فهل يدخل في العولمة : الكونُ بما فيه من مجرَّات وأجرام سماوية ونجوم؟! ونعرف علاقة الإنسان بالنجوم تلك العلاقة التي يدخل فيها علم الفلك وكيمياء الشعوذة ، وهذه الأخيرة برع فيها اليهود الصهاينة منذ الأزل ، فما الذي تريد

أن تحققـه عولمـة الأمـركة التي يختبئ في كواليسها المظلمة اللوبي الصهيوني ، بل يحركها ويسيطر عليها ويـتحكم بها كلية ؟! ولن نشغل بالاً في البحث عن الإجابة بقدر ما نكتفي بالاستنتاج البدهي أن المسألة قضية صهيونية تطمح إلى تحقيق المعتقد اليهودي والحلم القديم بالدولة العبرية ، التي تؤمن بأن اليهود شعب الله المختـار ، وهـو ما يقع في صميم سيناريو العولمة الاقتصادية فالسياسية ، ذات البعد الواحد والرافض للآخر الإنسان من غير اليهود .

– لأجـل هذا المفهوم الموجز عن العولمة ، اتخذتُ موقفاً مضاداً يتشبث بعولمة الحب الإنساني وبتعبير أدق أرتضـيه لنفسـي : " كوكبة الحب " غير أن شيوع مصطلح العولمة هو الذي جعلني أسمّي بحثي هذا بالشائع في أوساط المثقفين والأكاديميين .

– وعولمـة الحـب الـتي أتناولها بالتعريف وبالتحليل الأدبي هي عالمية الحب ، التي أحلم بالاقتراب النسـبي لتحقـيقها . ذلـك أن ما أدى إلى الصراعات الدولية والاجتماعية والنفسية ، ابتداء من الأسرة فالمجـتمع .. في رأيي انحسار العلاقات الصادقة بين الناس والانعدام النسبي للحب الخاص بين الزوجين (أو الحبيـبين) أو العـام الذي يكون بين أفراد المجتمع وغياب الثقة وحضور الفراغ العاطفي والشعور بالغربة والانفعالات الشرسة ، كالكراهية التي تصل إلى حد الحقد والغدر والرغبة في الثأر، لأسباب يرجع بعضها إلى الشـعور بالظـلم أو إلى عقدة النقص التي يعيشها أحد الطرفين أو الانتصار للكرامة والشرف وما إلى ذلـك ، ممـا يتضح عند التحليل البنيوي لنماذج النصوص الأدبية ، نحو مسرحية السيد للأديب الفرنسي (بـياركورني) وهـي النسـخة التي قام بترجمتها في إطار من التعريب الفني الشاعر اللبناني خليل مطران ، باعتـبارها نصـاً منتمياً إلى مستوى الأدب الأصيل والإسباني الأصل الذي ترجم إلى مجموعة من اللغات القومية ومنها اللغة العربية .

– وفي هذه المسرحية العالمية نجد نوعين من الحب :

الحب الخاص ، الذي يتم بين (المرأة والرجل).

والحـب العـام ، الـذي يكـون للأسرة أو الوطن (مثلاً) وكلاهما يخضع للفلسفة التي تحدِّد شكل العلاقـات والمواقف التي يجدر أن يتخذها الأفراد والمجتمع ، نحو التيار العقلي في المذهب الكلاسيكي زمن المسرحية القديمة ، هذه . وهو التيار الذي سيطر فنياً (واجتماعياً) على الحب بنوعيه الخاص والعام ، الأمر الـذي أدَّى إلى حدوث ما يمسىَّ بالصراع بين الاستجابة لنداء العاطفة أو الاستجابة لمنطق العصر العقلاني الـذي يمجِّد المعاني العامة ، نحو الشرف والكرامة والواجب والشجاعة وينظر إلى العواطف باعتبارها من الأمور التي لا تليق بطبقة النبلاء الأرستقراطية وأنها من مواطن الضعف التي يجدر الابتعاد عنها .

والحـب الخاص الذي نجده في المسرحية ، ينقسم إلى قسمين بحسب ثنائية الخفاء والتجلّي ، فالخفاء ، يعني العاطفة التي تحتفظ بسرِّيتها ابنة الملك (دونا أوراك) التي تحب القائد (دن لذريق) ولا تصارحه بحبها ،

بسبب انتمائها إلى طبقة أعلى من طبقة الحبيب ، فهي أميرة وابنة ملك أرستقراطي ولو أعلنت حبها وقبولها الزواج من ذلك القائد ، فإن هذا يعدُّ كارثة أو فضيحة لا تليق بطبقة النبلاء ، الحاكمة. ولكي تتخلص من الحب الخفي الذي طالما أرّقها سعت الأميرة إلى التقريب بين حبيبها القائد وبين (شيمان) ابنة (الكُنْت): أحد قوّاد الملك ، الذي ينتمي إلى الطبقة نفسها التي ينتمي إليها لذريق ، وفي هذا الصدد ، تقول ابنة الملك لوصيفتها (ليو نورة) : "يضاعف حزني أنني لا أبوح به ، أصغي إليّ – نفذ صبري – واعلمي أيَّ جهادٍ جاهدت وأيَّ كفاحٍ ما زلت أكافح حتى لا تخونني عزيمتي ، الغرام طاغية لا يُبقي على أحدٍ ، وهذا الفارس المقتبل الشباب ، هذا العاشق الذي أهديه إلى سواي أُحبُّه." [4].

– وهكذا .. يصبح الحبُّ الخاص سرّاً لا تبوح به الأميرة إلاّ لوصيفتها على سبيل البوح والشكوى والحوار الثانوي على خشبة المسرح : شعراً كان أم تمثيلاً يكشف عن الأبعاد النفسية للشخصيات المتحاورة ، حواراً مباشراً وتلقائياً لا مجال معه للكذب أو التفكير سلفاً بتنميق الكلام تنميقاً مجافياً للحقيقة الدرامية .

ولذلك يمكننا الحكم على مثل هذا النوع من الأجناس الأدبية – أقصد المسرحية وفن المسرح – بالصدق الفني في معظم الأحيان ، بسبب اعتماده على عنصر الحوار.

– أما القسم الثاني من الحب الخاص ، فذلك الذي يتم ويتحقّق على مستوى التجلّي بين القائد الشاب لذريق وبين شيمان لانتمائها إلى الطبقة الاجتماعية نفسها . ولذلك يعلم أبو شيمان (الكُنْت) وكذا والد لذريق (دن دياج) وحتى الملك نفسه بعلاقة الحب تلك وبالزواج الممكن عندئذٍ لولا حدوث المشكلة الحوارية بين كلٍّ من والد العاشقين . تلك المشكلة التي ظاهرها كباطنها حوارٌ تحوَّل إلى شجار ثم إلى لطمةٍ في وجه القائد العجوز "دن دياج" والد لذريق ، حسداً من لدُن "الكُنت" والدشيمان الذي اشتعل غيظاً ، لأن الملك رقّى والد لذريق ، لخبرته وأعطاه منصباً تشريفياً ، فجعله مرشداً لابنه– أي ابن الملك وأمير مقاطعة قشتالة – الأمر الذي أثار حفيظة الكنت وجعل الحسد يملأ قلبه ، في الوقت الذي أراد دن دياج أن يخطب ابنته لابنه. غير أن اللطمة والإهانة كانت بمثابة "العقدة" في الرواية والقصة القصيرة الكلاسيكيتين في التقسيم الأدبي والنقدي.

– ومن هنا يبرز أمامنا أكثر من صراع درامي أو مأساوي(سيان) : الأول لدى ابنة الملك التي تكتم الحب مستجيبة للعرف الاجتماعي ولا تبوح به إلا لوصيفتها بالقول مثلا :" شرفي وحبي يتنازعان لبي"[5] .

والثاني : الصراع الذي يدور في أعماق لذريق ، حين علم بما دار وحدث بين والده ووالد حبيبته وقراره الانتقام لشرف والده الذي أهين جرّاء تلك اللطمة.

وبالفعل تفوز كفة العقل الصارم على كفة العاطفة الصادقة وينتقم الابن لأبيه بقتل الكُنت ، انتصاراً لمكانة الشرف وما يمليه عليه الواجب الاجتماعي . وعلى الرغم من يقين الأب بالعاطفة القوية التي يحملها

الابـــن لشيمان ، إلا أنه يكلف ابنه بالاستجابة لنداء الواجب ، قائلاً له مثلا : " تعال يا بني ، تعال واثأر لوصـــمتي"، تعـــال وانتقم لي . " [6] وقبل أن ينتقم الشاب الابن لأبيه العجوز ، يسيطر عليه صراع مرير أشـــبه بالمونولوج (الحوار الداخلي) في مشهد واحد يستقل به دون أحد غيره ، فيقول مثلاً : "بادت جميع مســـراتي أو صداع شرفي أحد الأمرين يردني شقياً والثاني يفقدني الحق في البقاء." [7] ويقول : " أنا مدين لمحبوبتي كما أنا مدين لوالدي ، فإذا انتقمت أثرت غضبهاوبغضاءها وإذا لم أنتقم كسبت ازدراءها."[8].

– وبانـــتقام لذريـــق لأبـــيه ، تظهـــر عقدة ثانية ، يكون سببها لذريق نفسه الذي قتل والد حبيبته (شـــيمان) وأدى إلى شـــعورها بصراع ثالث ينضاف إلى الصراعين السابقين في المسرحية الحوارية نفسها . وعـــلى مســـتوى التجلي نفسه . ذلك أن شيمان التي تعلم بقتل أبيها على يد الحبيب لذريق ، تصر على المطالـــبة بالانـــتقام الذي يمليه عليها مثله الواجب والشرف والكرامة .. وما إلى ذلك من المعاني العامة في المجـــتمع الكلاسيكي حتى مع تدخل الملك شخصياً بإصلاح ذات البين وبخاصة بعد أن حقق القائد الشاب لذريق انتصارات متلاحقة لبلاده (إسبانيا) ضد المغاربة آنذاك.

الأمر الذي تتأكد معه ملاحظة الناقد الدكتور محمد غنيمي هلال ، عندما قال : "وقد تنتصر العاطفة عـــلى الواجـــب في المسرح الكلاسيكي . ولكن المؤلف لا يعرض ذلك إلا ليبيِّن مواطن الضعف الإنسانية ويحذر منها." [9].

ولهـــذا يمكـــن القـــول : إن تدخـــل الملك كان كذلك لأن لذريق أحد قواده الأبطال والمغامرين بـــأرواحهم في ســـبيل الوطن ، الأمر الذي جعل الملك يلقبه بالسيد ، عنوان هذه المسرحية الدرامية ذات الطـــابع الكلاســـيكي في الفـــن ، حتى حين عاد من الحرب استمر اهتمام الملك بالحياة الشخصية للذريق جاعلا الأمر والقرار مفتوحين أمام شيمان لسنيتن ، يكون حزنها فيهما قد هدأ فتتزوج بمن تحبه ، وهما المدة الزمنية تمنح العقل التفكير المنطقي والجدية في اتخاذ قرار الموافقة وعدم الاستسلام لما يمليه القلب من انفعال مـــتهور وبهـــذا يضـــمن الملك سلامة قائده من الوقوع في شَرَكِ العاطفة المأساوي وانتباهه إلى النجاح في الواجـــب الوطـــني بإخلاص وحماس وقوة وتركيز لا تؤثر فيه العاطفة الخاصة باعتبارها نقطة ضعف يجدر بالقـــائد الفـــذ أن يتغلب عليها ويعطيها حيزاً صغيراً من الاهتمام وبخاصة إذا كان في ساحة الحرب حاثاً بذلك قائده على الانشغال بالدفاع عن الوطن .

– ومهمـــا كـــان القائد شجاعاً وعقلانياً ولا تسيطر عليه العاطفة أو الغرام ، فإن من شأن نجاحه في الحـــب الخاص واحتياجه الغريزي إليه ، أن يقوي من عزيمة النفس البشرية وليس كما يذهب العرف الفني في المذهـــب الكلاســـيكي ، باعتبار العاطفة من مواطن الضعف الإنساني ، أقول : إن المنطق ذاته يرى أن الاستقرار النفسي (بالحب الخاص أو العام) يزيد من حماس القائد في المعركة أو في الحياة الميدانية ، على حد سواء وليس العكس .

فمثلاً ، يقول الشاعر العربي المصنَّف من شعراء العصر الجاهلي ومعلقاته: عنترة بن شداد ، الذي تذكر حبيبته في قلب المعركة ، فأنشد يقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم (10)

في هذين البيتين المنتميين إلى الحقبة التاريخية نفسها تقريباً من العصر الكلاسيكي ، يتذكر الشاعر حبيبته وقد حمي الوطيس ولمعت السيوف والسهام أو الرماح ، حتى مع إصابته بها وهو الفارس والقائد الفذ ، فيتمنى أن يقبِّل السيوف اللامعة فقط ، لأنها ذكرته بثغر حبيبته الباسم وأسنانها اللامعة مثل بريق السيوف في خضم المعركة.

ومن هنا يمكن الاستنتاج أن الحب ، سواء أكان علاقة عاطفية خاصة بين حبيبين أم كان علاقة عاطفية عامة بين أفراد المجتمع ، انفعال ضروري لا غنىً عن نوعيه الخاص أم العام ، المتلازمين تلازم الروح مع الجسد أو تلازم الفرد مع المجتمع ، منذ اللحظة التي نقتنع معها أن الفرد مُهم مثلما المجتمع وأن الانفعالات الخاصة مُهمةٌ مثلما المعاني العامة ، وأن كليهما يؤدي إلى الاستقرار النفسي ومن ثم الاستقرار الاجتماعي وليس كما يزعم أصحاب المذهب الكلاسيكي في الشروط الفنية أن العاطفة شر ينبغي التطهر منه أو هي من مواطن الضعف الإنساني التي على الأديب إهمالها وعدم تمجيدها ، إذْ كيف لفاقد الشيء أن يعطيه ؟ ومهما كان الشخص القائد وغير القائد مثالياً كالمسيح عليه السلام فإن ثمة نقصاً في شخصيته يظل يؤرقه فيتغلب عليه تارة ويهزمه تارة أخرى ، وبذلك يكون شخصية غير مستقرة وغير متكاملة ، مما يؤكد أن الصحة النفسية ضرورية في صنع الاستقرار العاطفي الذي يتحكم فيه حضور الحب حضوراً كاملاً بنوعيه الفردي والاجتماعي على حد سواء . والنفس البشرية حين تنجح في تحقيق الحب الفطري بين الرجل والمرأة ، ترى كل شيء في الحياة جميلاً . وهكذا تتسع المساحة الضوئية للحب بدءاً من الفرد والآخر وصولاً إلى الناس أجمعين . وفي هذا الصدد نمثل بمقطع قصير للشاعر المعاصر: "أدونيس" حين يقول في أسطر قصيدته الموسومة : "بيت الحب" .

(أحبك ، حتى كأن القلوب مرايا لقلبي
وحتى كأن الحياة ابتكار لحبي
أحبك ، والضوء في ناظريك انزوى وانغمر
وشعرك شلال ثلج على كتفيك انهمر) (11) .

وما يمكن أن نلاحظه من القراءة الأولى للمقطع الشعري يؤيد نسبياً الاستنتاج الذي وصلنا إليه . ذلك أن الشاعر وهو يخاطب حبيبته المرأة (حقيقة) أو حبيبته الأرض (مجازا) إنما ينطلق من تجربته الخاصة والذاتية مع الآخر (الأنثى) ، فهو يحبها إلى الحد الذي يرى معه القلوب الإنسانية من حوله مرايا لقلبه العاشق والمستمر في بيت الحب الذي يجمع تحت سقفه الزوجين (الحبيبين) بالمودة والرحمة وكذا الطفلين أو الأطفال ، مكوناً بذلك أسرة نواتها الحب المشع من الفرد أولاً باتجاه الآخر (الحبيبة أو الزوجة) وشيئاً

فشيئاً قلوب المجتمع والبشر – كل البشر– التي أصبحت مرايا لقلبه إلى درجة أنه يرى الحياة التي ينبغي أن تكون في مخيلته لا بحسب ما هي كائنة بالفعل .. إنما هي من ابتكار حبه .

وهكـــذا .. يغـــدو الحب خاصاً كان أم عاماً – بحسب تقسيمنا – من صنع الفرد فالفردين فالثلاثة فالمائـــة فـــالألف ، فالمليون .. فأكثر من ذلك . الأمر الذي يمكننا معه استشراف النتيجة المطلقة وليست النسبية ، والسوية وليست السلبية والجميلة وليست القبيحة ، بالرسم البياني المتخَّيلِ على النحو الآتي :

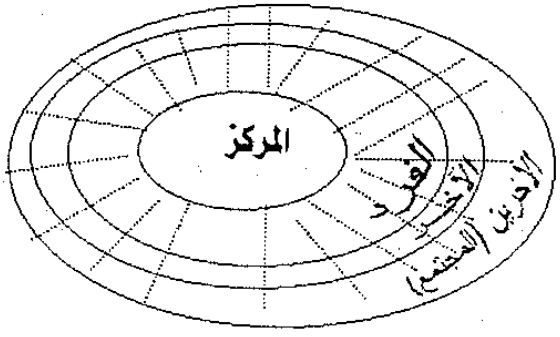

شعاع الحب

الأجل هذا قال شاعر الحب : نزار قباني :

(الحب في الأرض ، بعض من تخيلنا

لـــو لم نجده عليها ، لاخترعناه)!؟

– نعم ، سوف نخترعه ، لأننا لا نستيطع أن نكون بصحة نفسية سوية من دونه ومن دون أن يتبادله الفـــرد مع الآخر أو الآخرين ، وسوى ذلك تصبح الحياة جحيماً لا يُطاق وجوعاً لا يشَبْع وظمأً لا يرتوي بأشهى الأطعمة أو بمياه الشلالات العذبة ، المتدفقة ، ومن دون الحب الإنساني الصادق تنحسر دائرة الخير وتتســـع دائـــرة الشر وتكثر صفات وسلوكيات الأشخاص المعدومين من نعمة الحب ، نحو : الحقد والشر والـــثأر والحسد والطمع والسرقة أو السطو على ما لدى الآخرين حتى مع كثرة القوانين الرادعة شكلاً ، مضمونُهُ خرابٌ في خراب.

– ومـــن هـــنا كان الحب ضرورة وجودية حتى على مستوى المتخيل وأحلام اليقظة . ذلك أن وهم الحب أفضل بكثير من انعدامه والاقتناع بهذه العدمية المرعبة.

ومـــثل ذلـــك المقطع الشعري الذي نقتبسه من مطلع قصيدة لغة الأصابع للشاعر الكبير الدكتور: عبد العزيز المقالح ، على النحو الآتي :

(أوهمت شجر القلب ، أنا حبيبان

أن أصابعها تتلمس صوتي على البعد ،

تقرؤني في الخيال

وتبحث في كلماتي عن الوجع المترسب في الكبد – العين

لكنها أخلفت وعد جرحي

وطارت.)[12].

ونلاحـــظ منذ الكلمة الأولى وهم الحب لدى الشاعر الذي تخَّيل وجود علاقة عاطفية على مستوى حـــلم الـــيقظة أو الوهم (سيان) مع الحبيبة الموجودة أو المفترضة ومن ثم المستحيلة التي تطير وتختفي عند

الصـــحو من حالة الخيال إلى حالة الحقيقة التي يصبح عليها الشاعر الظامئ إلى نواة الحب المشعة ، باعتباره كائناً اجتماعياً لا يستغني البتة عن هذه العاطفة الضرورية لبقائه في صحة نفسية سوية .

– وقـــد نعجز عن اختراع الحب على مستوى الواقع الفعلي وقد نمل من افتراض وجوده – أقصد نـــواة الحب الخاص – ذلك ممكن ومحتمل بوفرة ، غير أن المحزن أكثر عندما نحصل على الحب ولا تكتمل العلاقـــة العاطفـــية وتسير في طريقها المشروع اجتماعياً لأسباب لا مجال لحصرها – قد يكون أبرزها ذلك الواضح على المستوى الفني وجودياً وصوفياً خالصاً ، على نحو ما يمكن أن نمثل له بمطلع قصيدة :

"الحب في هذا الزمان" لصلاح عبد الصبور ، الذي يقول فيه :

(تسألني رفيقتي : ما آخر الطريق ؟!
وهل عرفت أوله ؟!
نحن دمىً شاخصة
فوق ستار مسدلة
خطىً تشابكت بلا ..
قصد ، على درب قصير ضيق
الله وحده الذي يعلم ما غاية هذا الوله المؤرق
يعلم هل تدركنا السعادة
أم الشقاء والندم ؟
ـ كيف توضع النهاية المعادة)

وهكذا .. يمكن أن تكون علاقة الحب الموجودة باعتبارها واقعاً فعلياً ، قد يعوق استمراره الطبيعي ، مثل هذه الرؤية الصوفية المسكوبة في قالب فني من الشعر المتحرر من قيود الوزن والقافية إلى شعر التفعيلة الحديـــث والعاجز في الوقت نفسه عن التحرر من قيد التصوف المحصور بما يطلق عليه النقاد بالرومانسية التشاؤمية والموقف الوجودي الخالص .

ومـــثل هـــذا النوع من الشعر المتحرر حتى من قيود التفعيلة الحديثة والمتمرد باتجاه قصيدة النثر مع الوقـــوع في أســـر الرؤية الصوفية ، نضرب مثلاً شعرياً ، بعنوان : سجود لصاحبة هذه الدراسة الأدبية ، تقول فيه :

(أسجد للحب
أسجد للقلب الذي
يأخذني
كل ليلة
إليك .. يا الله
وحين لا يعود بي
يتركني لحزني
أسجد للرعب
أسجد للدرب التي

تمنحني

كل لحظة

يديك * يا الله)[14]

والملاحظ في هذه القصيدة التي تكاد أن تكون قصيدة نثر ، وقوعها في قيدين: قيد الرؤية الصوفية المنسجمة وفطرة الإنسان على حب الله ، رمز الخير والجمال والضمير والعدل والصدق والاستقرار الروحي .. وقيد القافية الكامن في المخزون الثقافي الممجد (منذ الأزل) الوزن والقافية وأحياناً السطر الشعري الممجد بدوره للتفعيلة نفسها مع الخروج عن عدد التفعيلات نفسها والتمرد عليها بالشكل المنثور مع التعويض بالكثافة والرؤية الفلسفية المتصوفة دون القدرة على التمرد تماماً على الموروث الفني قديمه وحديثه ، بدليل بقاء الإيقاع الموسيقي الداخلي عن طريق التوظيف البنيوي لتقنية الإصاتة ، أي تكرار الحرف داخل نسيج القصيدة ، مع بقاء شيء من الحضور الفني للقافية ، حضوراً – على ما يبدو – غير مزعج للأذن وغير مقصود لذاته في الجو الروحاني الذي يسيطر على القصيدة ، منذ التضمين (التناص) الديني المتحقق في لفظة : أسجد وكذا عنوان القصيدة : "سجود" وارتباط الحب الواصل ذروته ذات الشفافية الخالصة بالله الذي نحتاجه – نحن البشر– باعتبارنا غير مكتملين إلا به وكذا الأمر عند استشراف واقع متحقق بالحب الذي نتجلّى بالحصول عليه فنتحد عندئذ بالذات الإلهية المقدسة . وها هو شاعر آخر يفترض امتلاك حبيبته على مستوى المتخيل الفني ، فيتغزل بعينيها الحقيقيتين أو المجازيتين (لا فرق) في مطلع قصيدة هذا الشاعر : بدر شاكر السياب الذي يقول لحبيبته :

(عيناك غابتا نخيل ساعة السحر ،
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر
يرجه المجداف وهناً ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما ، النجوم..)[15].

ولا نخطئ إذا قرأنا القصيدة كاملة بالقول : إن بدر شاكر السياب (رائد قصيدة التفعيلة مع نازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي) لم ينسلخ من صفتي الأصالة والمعاصرة في القصيدة الحديثة . ذلك أن مطلع القصيدة في ارتباطه بالمقاطع اللاحقة منها يبدو مدخلاً غزلياً جاء على طريقة الشعراء القدامى في شكل القصيدة العمودية التي يحتّم عرفها الفني على الشاعر ، كي يبدأها بالمقدمة الطللية أو الغزلية .. قبل الحديث عن موضوعها الرئيس الذي من أجله قيلت القصيدة (مشافهة) وحُفظتْ أو رُويتْ، أو كُتبتْ قديماً أو حديثاً – أقصد كانت كلاسيكية قديمة أم كلاسيكية جديدة .

ولذلك اتصفت بالأصالة بسبب استعانتها بالمطلع الغزلي وبالمعاصرة ، بسبب أنها وردت في شكل أسطر القصيدة الحديثة نسبياً على الوزن الخليلي المتعارف عليه منذ الشعر الجاهلي .

وعلى الرغم من أن الأنشودة بحسب ما أسماها صاحبها : أنشودة المطر ، تبدأ بمطلع غزلي إلا أنه الغزل الجديد الذي يخترع الشاعر معناه اختراعاً غير تقليدي تظهر فيه براعته الفنية وهو يشبه عيني الحبيبة

ورموشـــها بغابـــة من النخيل تارة وتارة أخرى بشرفتين في ليل معتم لم يظهر فيه القمر ، لكنهما مع ذلك محتفظـــتان ببريقهما الشبيه ببريق النجوم من وجهة نظر الشاعرالفنية والعاطفية والفلسفية. وهذه الأخيرة تجعل من القصيدة أنشودة حالمة على طريقة التيار العاطفي في المذهب الرومانسي ، غير المنقطع عن معالجة الواقـــع المأساوي من حوله معالجةً يمتزج فيها الرومانسي المتشائم بالواقعية الناقدة ، وهذا يؤكد حقيقة ما وصـــلنا إلـــيه من استحالة أن ينقطع الحب الخاص عن الحب العام، فالشاعر لا ينغلق في برجه العاجي عن الواقـــع . ذلك أنه ابن مجتمعه وعواطفه الذاتية لا يمكن أن تشغله على الإطلاق عن انتمائه القومي ، مهما سيطرت على وجدانه ، فمثلاً يقول في أسطر القصيدة اللاحقة :

(مطر

مطر

مطر

وفي العراق جوع

وينثرالغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشوان والحجر

رحى تدور في الحقول .. حولها بشر.) [16].

وهكـــذا .. يصعب أن نفصل الحب باعتباره نواة الحب العام ، المشعة ، التي من شأنها أن تقوي من أواصـــر المحبة بين جميع بني البشر وتدفع الفنان – أي فنان أصيل – باتجاه التعبير المخلص عن نفسه أو عن مجتمعه الإنساني القريب أو الواقع في أقصى الأرض .

الهوامش :

(1) : هـــربارت مـــاركوز ، الإنســـان ذو البعد الواحد ، ترجمة : جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب – بيروت ، الطبعة الثالثة 1988م ، صـــ 19 .

(2) : الســـيد ياسين ، في مفهوم العولمة ، دراسة منشورة في مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ، عدد شباط / فبراير 1998م ، بيروت – لبنان ، صـــ 8 .

(3) : تركي علي الربيعو ، ما العولمة : إنهم ينادون من مكان بعيد ، دراسة منشورة في مجلة الكلمة ، العـــدد (26) السنة السابعة – شتاء 2000م / 1420هـــ ، الكلمة للدراسات والأبحاث لبنان والكويت تصدر عن منتدى

(4) : بياركورنـــي ، مســـرحية السيد ، تعريب : خليل مطران ، دار مارون عبود، بيروت ، الطبعة العاشرة ، 1981م ، صـــ 19 .

(5) : المصدر السابق نفسه ، صـــ 22.

(6) : المصدر السابق ، صـــ 30.

(7) : المصدر نفسه ، صـــ 33.

(8) : نفسه ، صـــ33.

(9) : د. محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة ، الطبعة الثالثة ، (د.ت) ، صـــ 44.

(10) :عنترة بن شداد ، ديوان شعره ، شرح : د. يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992م ، صـ 21.

(11) :أدونيس ، الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد الأول ، الطبعة الخامسة، عن دار العودة ، بيروت ، 1988م ، صـ 48.

(12) :د. عبد العزيز المقالح ، ديوان شعر (أوراق الجسد العائد من الموت)، ط1 ، عن دار الآداب – بيروت ، 1986، صـ 80.

(13) :صلاح عبد الصبور ، ديوان شعر ، ط1 ، عن دار العودة – بيروت، 1972م ، صـ 219.

(14) :آمنة يوسف ، ديوان شعر (إنكسارات) ، ط1 ، عن الهيئة العامة للكتاب في اليمن ، 2001م ، صـ 63.

• يديك في القصيدة : مفعول به .

(15) :بدر شاكر السياب ، قصائد اختارها وقدم لها ، أدونيس ، الطبعة الثالثة ، عن دار الآداب – بيروت – 1987م ، صـ 87 .

(16) :المصدر السابق نفسه ، صـ 91 .

مكابدات (الأنا) في القصيدة النسوية المعاصرة

مقاربة تأويلية بلاغية لمجموعة (أزاهير العطش) للشاعرة نادية مرعي

د. وجدان عبد الإله الصائغ *

تتحرك (الأنا) الأنثوية المسكونة بالإبداع بين ثنائية (التابو / الإنعتاق) ناسجة من رحلتها الصعبة الوعـرة فراديس مكتنزة بالحلم والارتواء .وتشكل القصيدة الملاذ والمظلة التي تحتمي بها الذات من هجير الراهن وجدب الآتي .

وفي مجموعـة (ازاهـير العطش) للشاعرة اليمنية نادية مرعي تغدو القصائد مرايا صقيلة تعكس تجلـيات الذات ومكابداتها في آن واحد ، وبشكل يبلور ظاهرة مهيمنة على مناخات المجموعة الشعرية التي قـدم لها الشاعر عبد الله البردوني واشاد بشاعريتها المكثفة إذ قال : (شرفني ان املي هذه الخاطرة ضمن تسـطير المجموعة الشعرية الاولى للشاعرة نادية مرعي ولا اريد أن أطيل التفسير والتنويه في هذه الادغال الاشـعاعية فـأكون كمن يشرح الوردة فيعريها من حسنها واوراقها فتستحيل إلى ذرة تلهو بها النسمات الصباحية في ربيع صنعاء الجميلة ، ومن هذه الإيماءة العجلى إلى هذه الأزاهير سننتظر مواسم شعرية ارغد لأن البرق يختصر اضواء النجوم كلها بومضة واحدة)[1] .

ويعكـس عنوان المجموعة (ازاهير العطش) نصا مفخخا وبنية تشبيهية تحيل إلى فضائين متصادمين الاول (الازاهـير) (المشبه به) مترع بالنضارة والارتواء وهو يستدعي النشوة المستجلبة من الملمس الغض واللـون الزاهي والرائحة الذكية وأما الآخر (العطش)(المشبه) فهو افق مشحون باليباس والمكابدة المستنبطة مـن حاسـة الـذوق ، ويفلح التعالق التشبيهي في ان يماهي بين طرفي التشبيه المحسوسين كي يبلور فكرة الانعـتاق مـن اسار الراهن الكابوسي باتجاه افاق حلمية خصبة تتسق وانبلاجات هذه الازاهير في ذاكرة

---

* رئيسة قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار

الـــتلقي ، وحين ننظر في عناوين قصائد المجموعة (بيتي ، رماد ، اقتناص ، شقية ، طنين ، مدبرة ، بهوت ، جـــنوح ، قشـــة ، راحل ، هاجس ، فلتة قلب ، حوذي ، أرق ، انشقاق ، ضلة ، كومة ، ...الخ) – وقد شـــذر مخـــيال الشاعرة هذه القصائد صوب مسميات ثلاثة هي : (شرايين رمادية) و (مدارات جانحة) و (انشطارات يتيمة) – نحدس مواجهة حادة بين الذات وتشظياتها المتوالية .

تسقط (الأنا) الشاعرة في قصيدة (كومة)[2] مكابداتها على الأشياء و تسرد معاناتها بضمير الغائب :

تتزاحم ايامها . .
تتكور
تنفك
سديما هشاً
يهددها اليوم . .
تقشره . .
تدحرجه تحت عجلات العبث
عصير فناء مر ،
تغص به
تباً (لليوغا)
تزاحم ايامها
تتكور
تتقشر
تتدحرج
كومة أشياء

يشـــكل عـــنوان القصيدة نصا قبليا يتحرك على بنية ترميزية مكثفة تتسلل إلى المتن اللاحق إذ سيتخذ وتحت تأثير العنونة الشعرية من الدائرة الدلالية هيئة له وبذلك افصح تكرار الألفاظ التي تحيل إلى الكومة – العنوان – (تتكور ، تدحرجه ، تتكور ، تتدحرج) إلا أن هذه الكومة يزيحها المخيال الاستعاري باتجاه الذات المنغلقة ازاء انفلات الزمن (الأيام) وحركتها المتراخية صوب افق مشحن بالبياس والسكونية . ويحلو لمخيال الشاعرة في خاتمة القصيدة ان يتحرك بهذه الكومة صوب افق ملبد بالعدم والركود حين تعلن بمـــرارة (كومـــة اشياء) وهي صياغة تركيبية تؤشر الانفصال الحاد بين الذات المترقبة المنتظرة وبين الراهن المسكون بالجمود .

وتعكس قصيدة (خالجة)[3] احساسات (الأنا) ازاء انفلاتات الزمن :

فارغة
سلتها الايام

تغرف العمر
ضحل ما ندركه من حلم
فارغة
(لا شية) بها !
العام خديج
اقتح صفحة !

يتمحور المتن الشعري حول نواة زمنية تفضحها الألفاظ (الأيام ، العمر ، العام) وهي تتحرك في افق ملبد بالعدم (فارغة سلتها + ضحل ما ندركه من حلم + فارغة لا شيء بها) ومؤثث بالنقص وغياب الاكتمال حد التشويه (العام خديج) بيد ان مخيال النص في خاتمة القصيدة يغلق دائرة الفضاء السردي بل يفتح كوة باتجاه زمن جديد قد يبدو مختلفا عن الراهن المعتم .

وتلوذ (الأنا) الساردة في قصيدة (صلاة)[4]بالبوح له جل شأنه إذ يرد :

بين الصخور
اتخذت مكانا علياً . . !
صليت
ما آن . . بدأت
حتى انهمرنا
انا والسماء

يستثمر المتن الشعري ذاكرة الاهمار (انهمرنا) لتكون مرجعيتها المترعة بطقوس الخصب والنماء بؤرة مشفرة تتأرجح بين اقصى الغبطة والنشوة واقصى الحزن والانكسار وهو ما تؤكده خاتمة القصيدة (أنا والسماء) إذ أن هناك فرقا شاسعا بين الاهمارين (انهمار السماء بالغيث وانهمار العيون بالدموع الساخنة) وتومض قصيدة (ارق)[5] بانبلاجات جديدة للانشطار إذ يرد :

ترشفنا
تتوجس دامعة
غمضة
لا تنام !
عاثر الليل
إجتر انجمه
لا حق الهم
حلماً
ليتني

ليته

لم ينم

تشـــكل لفظة (عاثر) شذرة مشفرة تحيل إلى النص الغائب المتحرك باتجاه ذاكرة هذه اللفظة (عاثر) المرتبطة بـــالحظ حـــين يكبو إلا ان النص الحاضر قد قرنه وفي إطار انزياحي بالليل ليتشكل منه فضاء سرديا معتما يجثم على زمن (الأنا) الساردة لذا فإن النص يعلن في خاتمته (ليته ليتني لم انم) لتتخلق من انثيالات التكرار شذرة نغمية تحيل إلى اجواء التمني والرجاء .

وتـــبلور قصـــيدة (الكوكب العاشر)[6]نصا مراوغا يكسر من عنونته رتابة العدد تسعة ويشكل خرقا لطبيعة الأشياء إذ يرد :

تجترني – تدور – المجرات
غريبة ، شقية ، وحيدة
لا الأرض تحملني ، لا زحل
بغير سماء
كل المجرات . . تنكرني
امدا ..
على منكب الجوزاء
اجثو
لا حيز لي
ليس ثم فراغ
اعود
دربي طويل
شمس تمور
وتسعة كواكب
ولما أزل
أفتش عن كوكبي
ذلك المستحيل
وآمل

يحفـــز المـــتن الشـــعري المرجعية الشعبية على استدعاء الصلة المصيرية بين الكواكب والنجوم من جانب ومصـــائر البشر من الجانب الآخر وفيما يدعى بالتنجيم لا سيما ان مخيلة النص لم تجد في أي من الكواكب التســـعة الـــتي تشـــكل كينونة المجموعة الشمسية (خارج النص) مما يستجلب لها الفأل الحسن فسعت إلى البحـــث عـــن كوكب عاشر لعله يزيل عتمة النحس عن الراهن الكئيب وهو بحث تؤطره طرافة التناول

وشعرية البوح في هذا الحشد الزاخر من الأجرام السماوية (المجرات ، زحل ، الجوزاء ، المجرات ، الشمس ، تسعة كواكب ، كوكبي) وهي تؤشر انفلات الزمن امام انغلاق الذات على مكابداتها وانشطاراتها

وتصوغ قصيدة (جوقة)[7] افقا مرآويا يعكس ملامح الانكسار وتشظيات الذات ازاء حدث الغياب إذ يرد :

الدمى تتألم
تبكي فراق الصبي
والخوص والسعف الأخضر . . .
وال
الصبية اللاعبون :
يبكون الصبي
حماقاته
شقاواته
نداه !
وراء المنصة
شمس الرحيل
صامتة
غادروا . . لا مناص
غادروا

يستلهم النص من تقنية الإسقاط (Projection)[8] – التي قالها عنها كارل غوستاف يونج بأنها (العملية النفسية التي يحول بها الفنان تلك المشاهد الغريبة التي تطلع عليه من أعماقه اللاشعورية ، يحولها إلى موضوعات خارجية يمكن ان يتأملها الآخرون)[9]– براعته في بلورت شذرات ترميزية مشفرة تمتص وجع الذات تحت سلطة الغياب والفقد وتعكس في الوقت نفسه رؤاها الخاصة وقد غلفها النص بهالة من الإيحاءات الحية . فالمحمولات اللفظية (الدمى + الخوص + سعف النخيل الأخضر + الشمس) تخلق تنضيدا دلاليا يشع بأكثر من احتمال ولعل أهم هذه الاحتمالات هو هذا التصادم الحاد بين قطبي السكون (الدمى) والحياة والعطاء (سعف اخضر + خوص + الشمس) إلا أن هذين القطبين يتمفصلان باتجاهين متوازيين فالدمى تحيل إلى فضاءات البراءة وربما تشي بتحجر الإحساس وخشبيته ، ويكني (الخوص + سعف اخضر) عن الأصالة والرسوخ ، ويوقد استدعاء (شمس الرحيل) عن الفضاء الزمني الملبد بشفق الغياب المنبئ عن عتمة مطبقة كما أنه يعكس ومن خلال (وراء المنصة + صامتة)عن تماه حاد بين (الأنا) الساردة وشمس الرحيل إذ أن كليهما يشهد زمنا منفلتا ويتقهقر باتجاه ظلام الاغتراب لذلك فان (الأنا)

الســـاردة تصـرخ بمرارة في خاتمة القصيدة (غادروا لا مناص / غادروا) لتتضح حركة عبور جديدة مغايرة فهـــي ليســـت حـــركة الآخر (الصبي) باتجاه الغياب والاحتجاب حسب ، وإنما ارتحال الأمكنة الضاجة بـــــ(الدمـــى + الخوص + السعف الأخضر) صوب العتمة . وهو اجتياز يؤشر تشظيات (الأنا)الساردة وانكساراتها إزاء حدث الفراق .

ويهـــب عنوان قصيدة (ثانية)[10] مخيال التلقي سانحة تأمل الحركة المثخنة والمكررة باتجاه دهاليز الانتظار إذ يرد :

انكفئ على اضلع روحي
أتلمس تجاعيد الآمال
جولة معتادة
كل مساء
كئيب ان تجدي
ردهات النفس
ازيز فراغ
ترجعين
بادرة
متحصدة

يشـــكل عـــنوان القصـــيدة (ثانية) بؤرة النص ومحوره الاساس إذ أن (الأنا) المسكونة بالتغيير والتوق إلى الإنعـــتاق من دوامة الضياع تبقى مرغمة محشورة بين رحى الرتابة والانتظار البليد وقد فضح هذا التأويل الفعل المتخم بالانغلاق (انكفئ) وهو يمنح النص منذ البدء افقه الزمني الواسع الذي يتمدد باسترخاء على الراهن المعاش ويتحرك باتجاه الآتي ومثل ذلك يقال عن التشفير الانزياحي الكامن في (تجاعيد الآمال) المنبئ عـــن الهـــرم المفضي إلى الغياب ، و(ازيز فراغ) وهو يشكل لافتة اشارية تحيل إلى فضاءات منغلقة بيد انها منفتحة على العدم والخراب .

وترود قصيدة (جنوح)[11] فضاءات الوجد الصوفي إذ نقرأ :

الوحدة لا تقربني
رتابة اللحظة تكسرها
تبعثها حياة
لا شيء
لا احد
يمنعني حبك
غيابك لا ينفيك

شراييني صاخبة
بك حضور
لست مشتاقة لك
ابداً
انت بي

تعكس مرايا النص ملامح الذات المرهفة وهي تنتشي لمعانقة المطلق متخذة من التضاد اللغوي لثنائية (الغياب / الحضور) وما يتوالد عنها من مدلولات متصادمة معارج ترقى بها إلى اجواء نورانية مضمخة بالانبلاج والانخطاف .

ويزدحم المتن الشعري بلغة العبور في قصيدة (تجاوز)[12] إذ يرد :

يملأ جبروته
أحشاء النفس . .
يخيم ،
لا انكسارات قلبي
ولا كبوة عالمي ،
الموجوع . . .
ولا انت . . .
تنصاعون له
تتساقط أوراقه
جدرانه
تنقشع غمامته . . .
ذلك الاسى
اعتياد سيء يشاطرك
روحي
انت والالم ،
ثنائية تتلمس كيانات اليوم
تبلغة الكمال
نبضاً حميماً
يجتاز
جبروت !

يخلق عنوان القصيدة (تجاوز) ارتجاجاً في قناعات (الأنا) الساردة وهو يعكس توقها إلى الانعتاق على الرغم من صلادة الآخر (كبوة عالمي + انت) وتشظيات الذات (انكسارات قلبي)ويفضح التكرار الموقع (لا ، لا ، لا) فضـــاءات التمرد والرفض إزاء استلاب (الأنا) وتهميشها . ولا تفلح المحمولات اللفظية (الأسى ، الألم ، الموجوع ، كبوة ، انكسارات) – التي منحها مناخ النص ذاكرة جديدة – في ان تخلق جدارا صفيقا يحول دون لهفة الذات على التجاوز والخلاص .

وتخلق قصيدة (بيتي)[14] من الحلم بلورة دلالية تنتظم النص إذ يرد :

حلم بالجنة يسكنني
بالآخر
دنيا وأساطير
تكبر سدرتنا . .
أمنا ، ثقة
ثمة اشياء
تتعبنا الأشياء
فيروسا يودي بحياة
إلا نحن
أبوابك ـ جلت ـ تدهشني
ادلف من آخر للآخر
ادنى ، اقصى
حاجاتي
سكني انت
فآمني
حلمي

يـــتحرك المـــتن الشـــعري بين عضادتي الحلم (الاستهلالة + الخاتمة) حركة دائرية تلوذ بها (الأنا) الطامحة لامـــتلاك الـــزمن واستشرافه ، وقد عزز هذا التأويل استدعاء المخيال الكنائي (الجنة + السدرة) بوصفها كينونة قدسية تحفز المرجعية الشعبية باتجاه الظل والخضرة والثمار والمكان الآمن .

وتلـــوذ (الأنا) الساردة بعالم الحلم بديلا للراهن الكابوسي الذي تدينه وتدين (أشياءه) وترفضها حين تتوغل في تفاصيل الحلم وتخترق أبوابه بابا باباً وتطمئن إليه وتتآلف معه وتفضح الصيغة الطلبية لخاتمة القصـــيدة (فـــامني حـــلمي) أكثر من دلالة فـــ(الفاء) تعني أن كل ما تلاه النص يفضي إلى بوابات الحلم وصـــيغة الأمـــر (آمـــني) تعني الرجاء حد التضرع و(ياء) المتكلم المتكررة مرتين تحيل إلى فردانية الذات

واغـــترابها ويفصـــح المـــنادى (حلمي) عن تغييب اداة النداء كي لا تكون فاصلا فارقا بين الحلم والذات المسكونة به.

وتـــتخذ قصيدة (كنت لي)[15] من التقنية الدلالية الدائرية أداة فنية في ترسيم خرائطها الترميزية حين تنتهي من حيث تبدأ إذ يرد :

زوبعة
نار
بركان شقاء
ما استطعت
عني ابتعد !
إنه . .
حينما ابتذر الرب
في الخلق فطرته
كنت لي

تشكل كنت لي (العنوان) + كنت لي (الخاتمة) عضادتين نغميتين يمور بينهما المتن الشعري المدجج بالمكابدة (نـــار + بركان شقاء) والحركة العنيفة باتجاه بعثرة الأمكنة (زوبعة) ، وحين ننظر فيما يمنحه الفعل (كنت) بزمنه المنصرم الموحي بالتحقق والحدوث فإننا نستشف نشوة (الأنا) الساردة في امتلاكها الآخر النائي (ما استطعت عني ابتعد) وهو وجد ازلي يذيب تحت سلطته حواجز الأمكنة .

وبعـــد ، فإن الشاعرة نادية مرعي في مجموعتها (ازاهير العطش) قد شكلت من قصائدها بلورات دلاليـــة مضـــيئة تعكس تجليات الذات المؤطرة بمناخات معتمة حد الانغلاق وقد نفذت من خلال شعرية شـــفيفة الى قـــارات ترميزية جديدة ترفل بالهم الانثوي الذي قد يتحول تحت سطوة الظرف وصلادته الى طقـــس صوفي ينأى بالذات عن هموم الواقع وسلطة الآخر ويتوق إلى الخلاص في نشدان المطلق . وغالبا ما يســـتثمر مخيال الشاعرة تقنيات دلالية ونغمية وأهمها هذه الهيئة الدائرية حين تنتهي القصيدة من حيث تبدأ وفي سياقات شعرية مكتنزة .

الهوامش :

(*) : نادية مرعي ، ازاهير العطش ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء 2001م .
(1) :ايماءة بقلم الشاعر عبد الله البردوني ، نفسه ، ص 20 .
(2) : نفسه ، ص 117 .
(3) : نفسه ، ص105.
(4) : نفسه ، ص102.
(5) : نفسه ، ص97.
(6) : نفسه ، ص61.
(7) : نفسه ، ص68.

(8) : د . مصـــطفى سويف ، الاسس النفسية للابداع الفني دار المعارف ، ط3، القاهرة 1969م ، ص 204 .
(9) : نفسه ، ص207.
(10) : نادية مرعي ، ص 67 .
(11) : نفسه ، ص 63 .
(12) : نفسه ، ص 103.
(13) : نفسه ، ص23 .
(14) : نفسه ، ص
(15) : نفسه ، ص75 .

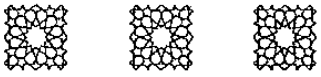

الاضطرابات النفسية : أسبابها والوقاية منها من منظور إسلامي

د. مسعد احمد النجار *

مقدمة :

عندما يسمع الإنسان حديثا عن الصحة النفسية ، فإنه ينجذب إلى ذلك الحديث لارتباطه بالسعادة والأمن والطمأنينة وراحة البال. لأن الإنسان دائما يبحث عن السعادة أو عن أي شيء يجلب له السعادة وراحة البال، ويبتعد عن الأشياء التي تعكر صفو حياته وتحرمه أو تقلل من سعادته وتؤدي به إلى الاضطراب النفسي . وهذه هي طبيعة الإنسان في الحياة .

ومن السنن الإلهية الثابتة في حياة الناس أن النتائج دائما تأتي بعد المقدمات في كل شيء . فضعف الصحة النفسية وظهور اضطراباتها في فكر وسلوك الفرد هي نتيجة لمقدمات ، وتلك المقدمات هي المخالفات التي ارتكبها الفرد في الماضي وما زال مستمرا في ارتكابها في الحاضر . فإذا كان هذا هو حال بعض الناس، فإن الطمأنينة وراحة البال والسعادة التي ينشدونها بعيدة المنال إن لم تكن مستحيلة

مفهوم الاضطرابات النفسية :

جاء في معجم علم النفس والتحليل النفسي عن الاضطراب أنه " مصطلح يطلق على الاضطرابات التي تصيب الشخصية من ناحية التفكير أو الانفعال أو السلوك، ويعني سوء توافق الفرد مع ذاته ومع الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ".(طه وآخرون{د.ت}ص 53) .

---

* رئيس قسم علم النفس / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار .

والاضـــطرابات النفســـية ينـــتج عنها انحرافات سلوكية،والشخص المنحرف هو " الذي كثرت ســـلوكياته المنحرفة، وقَلّت سلوكياته السوية، وغلب على حالته النفسية الوهن، وظهر سوء خلقه مع ربه أو مـــع نفسه أو مع الناس في مواقف كثيرة، فيسوء توافقه ويزداد همه، ويشعر بالتوتر والقلق والصراع، ويشقى في حياته بما تجلبه عليه سلوكياته المنحرفة، وأفكاره المختلة، ومشاعره المضطربة ويغدو في حاجة إلى رعاية وعلاج لانحرافاته " (مرسي،1988م،ص 178).

مدى انتشار الاضطرابات النفسية:

تكثر الاضطرابات النفسية كلما كثرت مشاكل الحياة ، وكثرت متطلبات الحياة العصرية ، مع ضعف الجانب الإيماني أو الروحي في الإنسان ، ومن ثم تكثر مخالفات الإنسان التي تؤدي به إلى الاضطراب النفســـي ، فمثلاً: " القلق النفسي هو بنسبة متصاعدة كلما تقدمت الحضارة المادية وابتعدت الإنسانية عن فهم تعاليم الله والالتزام بها، والإحصائيات اليوم تؤكد ذلك، فلقد استهلكت فرنسا في عام 1982م أكـــثر مـــن مائة مليون علبة دواء من المنومات والمهدئات ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، هناك وصفة واحـــدة لـــدواء مهدِّئ للأعصاب من كل أربع وصفات طبية عادية. أما الاضطرابات النفسية والمشاكل الاجتماعية والمآسي الأخلاقية والانتحار، فهي الأعلى نسبة في البلدان المتقدمة على صعيد الحضارة المادية والـــبعد عـــن تعاليم السماء، مع أن هذه البلاد المتحضرة، كما يصفونها، قد أمَّنت لأفرادها سُبل الرفاهية المادية والضمان الاجتماعي من الولادة وحتى الممات ".(الشريف،1992م،ص 61).

أسباب الاضطرابات النفسية :

أختلف المنظرون في تفسيرهم لظهور الاضطرابات النفسية اختلافا كبيراً، وهذا الاختلاف شيء طبيعي ، لأن كل منظر متأثر بثقافته وبمجتمعه وبالزمان الذي وجد فيه وبالمنهج الذي استخدمه في دراسته ، ولـــذا نجـــد الشناوي (1993م) يقول : " إذا بحثنا مع أصحاب النظريات الأساسية في علم النفس عن أســـباب الاضـــطرابات النفســـية التي يشيع أن يتعامل معها المرشدون والمعالجون النفسيون، لوجدناهم يضـــعون لهـــا أسبابا افتراضية إلى حد كبير، قليل منها قام على أساس تجريبي. وحتى هذا لجزء الذي أهتم بالجانب التجريبي، نُقِلَ مباشرةً من تجارب أجريت على الحيوانات كالقطط والكلاب والحمام والقردة " (ص 393) .

أمـــا الطبيـــبة النفســـانية (ك. هـــورني) فتحدد أسباب الاضطرابات النفسية فتقول في مؤتمر بنـــيويورك: " إن الحضارة الحديثة تسير بقدم مادّية واحدة أحرزت فيها منجزات ومعجزات،لكن الفقر المعـــنوي والـــروحي الناضـــب فيها كوّن في مسيرتها الخلل والتَصدُّع وسادت حياة البشر فردية طاغية، وتـــنافس عـــدواني، وعـــدم مســـاواة في الفرص، وتضخم مالي رهيب،وغلاء فاحش،وأزمات في العقول والـــنفوس لا حلول لها،وانتشار للمخدّرات والجرائم بشكل لا يمكن ضبطه،واغتراب وعزلة وجدانية بين

الـــناس وفي حـــياتهم، وظهور انفصام في الشخصية وحالات عُصابيّة واكتئابية لا عهد لعصر من العصور السابقة بها كماً وكيفا " (ياسين،1988م،ص93).

ولـــزيدان (1993م)رأي في أســـباب الانحـــراف باعتباره مظهرا سلوكيا أو نتيجة للاضطراب النفسي فيرى أن الحياة " موضع لامتحان الإنسان واختباره، وأن الله خلقه صالحا لفعل الخير والشر، وهيأ لـــه مـــن الأسباب ما يمكن الاستعانة بها على سلوك أي من السبيلين، وأودع في فطرته ما يجعله يستحسن الحسن ويستقبح القبيح، وبين له عن طريق الوحي ما يسلكه وما يتركه، ثم جعل جوهر الاختيار هو اختيار الإنســـان بين الإيمان والكفر وبين السواء والانحراف، وتحدد بناءً على صلة الإنسان بالله- إلى حد كبير- سائر أنواع سلوكه الأخرى، كما إن لسلوك الإنسان المبني على اختياره أثر تراكمي ، بمعنى أن فعل الخير يقـــود إلى المـــزيد منه، وقد ثبت من الدراسات الأمريكية وجود علاقة عكسية دالة إحصائياً بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي، وذلك أن ضعف الإيمان بالله أو عدم وجوده بالمرة يفقد الإنسان مانعاً قوياً من الانحراف، وتوجد بالإضافة إلى ذلك عوامل مشجعة سواءً كانت هذه العوامل راجعة إلى شخص المنحرف مثل حاجة غير مشبعة، أو إلحاح شهوة، أو إلى الظروف المحيطة به، مثل رفاق السوء أو شيوع الانحراف في المجتمع، ورغم هذه العوامل يمكن للإنسان أن يراجع نفسه ويعيد النظر في اختياراته " . (ص: 50) .

ومن زاوية أخرى يرى الباحث أن أسباب الاضطرابات النفسية تكمن في المخالفات التي يرتكبها الإنســـان " لأن الله ســـبحانه وتعالى وضع ضوابط وحدود لأفكار الإنسان وأقواله وأفعاله، ضمن منهج كامل ليس فيه نقص، وشامل لجميع أنشطة الإنسان في الحياة الدنيا، ومربوط أو متصل بالحساب والجزاء في الـــيوم الآخـــر – بعد الممات – فإذا انتقلنا إلى واقع الحياة والمشاهدات اليومية نرى أن الإنسان الذي يكـــرر ارتكاب المخالفة لابد أن تقع عليه تبعات تلك المخالفة. فمثلاً : الشخص الذي يخالف الإرشادات الصحية في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه والوقاية من الأمراض السارية والمعدية وغيرها، لابد أن يقع أو يصـــاب بالمرض. والشخص الذي يخالف لوائح وأنظمة المرور والقانون يقع تحت طائلة العقاب.وكذلك الموظـــف الذي يخالف لوائح وأنظمة المؤسسة أو العمل يتعرض للمحاسبة والجزاءات. وعلى نفس المنوال نجد أن الإنسان الذي يخالف القيم والأخلاق والتوجيهات الدينية ، لابد أن يقع تحت طائلة العقاب النفسي عـــلى الأقل، فتأنيب الضمير والشعور بالذنب، والقلق وعدم الشعور بالرضى والأمن النفسي...الخ كلها ناتجـــة عن إصرار الإنسان على المخالفة، وعدم التزامه بتوجيهات الإسلام في جميع مناشط الحياة " النجار ، 1999م ، ص 108) . ولـــذا قـــال الله تعـــالى:﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: 229).

وفي الحديث عن أبي ثعلبة الخُشَني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحَرَّمَ أشياءً فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها]. (أخرجه الدار قطني، في ابن رجب(د. ت)، ص 261).

ومن تلك المخالفات ما يأتي:

أولا : نسيان الإنسان لمهمته في الحياة، وغفلته عن اليوم الآخر:

أخبر المولى جل وعلا الملائكة أنه سيخلق بشراً من طين، وسيجعله خليفة في الأرض ليعمرها وفق منهج الله وتوجيهاته، وستكون نهاية الإنسان إلى الله ليحاسبه ويجازيه عن أعماله في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾ (هود: 61). وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: 14).

وقال تعالى :﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ*وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىَ*وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىَ*ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَآءَ الأَوْفَىَ*وَأَنَّ إِلَىَ رَبِّكَ الْمُنتَهَىَ﴾ (النجم : 38-42). وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّىَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة : 281).

فإذا قام الإنسان بتلك المهمة مُطيعاً ومُتَّبعاً لمنهج الله وتوجيهاته فتعد كل أنشطته عبادة لله، لأن الإتباع هو أحد معاني العبادة ، وبذلك يكون الإنسان قد حقق الغاية التي خلقه الله من أجلها،قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:56).وقال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162-163).

أما إذا نسى الإنسان أو تناسى مهمته التي كلفه الله بها، وخالف منهج الله في عمارة الأرض وأنكر الحساب والجزاء في الآخرة فسوف يشعر بأن حياته ليس لها معنى ولا هدف سام يسعى إلى تحقيقه، ومن ثم سَيَجِدُّ ويجتهد في حياته ضمن حدود مصلحته الدنيوية والآنية فقط، ولاهمه العاقبة أو الوسيلة التي سيستخدمها في ذلك، وحتماً سَيَضل ويشقى، وتكون حياته ضنكا في ضنك مهما تظاهر بغير ذلك، لأن الله تعالى وضع قاعدة لسكان الأرض هي قوله تعالى: ﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىَ*وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَىَ﴾ (طه:123-124) .

ثانيا : عدم الاستخدام الأمثل للقدرات التي منحها الله للإنسان ومخالفة توجيهات الدين:

زَوَّد الخالق سبحانه وتعالى الإنسان بقدرات تؤهله وتساعده في أداء مهمته في الحياة، وتمكنه من اكتشاف الأسرار والقوانين والعلاقات التي تربط بين المتغيرات، والتي يترتب عليها التحكم والاستفادة من مخلوقات الله المبثوثة في الكون، والتي سخرها سبحانه للإنسان، ودعَّم ذلك بالدين الذي يشتمل على معايير وضوابط للسلوك، فإذا أحسن استخدام هذه القدرات وفق موجهات الوحي فسوف ينعم بالسعادة في دنياه وآخرته . ومع وجود تلك القدرات وتوجيهات الوحي والعِبَر الكثيرة في التاريخ ، يسير الإنسان في الطريق الخطأ بكامل إرادته واختياره، مع إحساسه وعلمه بأن الكثير من أقواله وأفعاله غير سليمة

ومتنافية مع العقل والدين، فيبدو وكأنه مسلوب الإرادة، ومع استمرار المخالفات يصاب الإنسان بالغفلة التي تؤدي به إلى النار، نتيجة إهماله وعدم الاستخدام الأمثل لقدراته، وقد وصف الله تعالى الغافلين بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: 179).

وينتج عن تلك المخالفات: القلق والشعور بالذنب عندما يشعر الإنسان بأن نفسه تلومه، وان سلوكه مخالف لما يعتقده، ومخالف أيضاً لتوجيهات الدين وتعاليمه، فتكون الاضطرابات النفسية هي النتيجة الطبيعية لذلك السلوك غير السوي.

ثالثا : الإفراط أو التفريط في تلبية الاحتياجات الجسمية والنفسية:

من نتائج وقوع الإنسان في المخالفة الثانية –عدم الإفادة من قدراته ومخالفة توجيهات الدين – وقوعه في المخالفة الثالثة، وهي أن الله تعالى خلق الإنسان بطبيعة مزدوجة (جسم وروح) في كيان واحد، ولكل جزء من هذا التكوين احتياجات يجب على الإنسان العمل على تلبيتها، وهي عبارة عن دوافع فطرية تدفع الإنسان إلى القيام بسلوك مُعيَّن، وهي نوعان؛ الأولى دوافع فسيولوجية تتبع الجانب الجسدي للإنسان مثل : الجوع،العطش، الجنس، الإخراج، الراحة والنوم، تجنب الحرارة أو البرودة...الخ. والنوع الثاني، دوافع نفسية تتبع الجانب الروحي أو النفسي في الإنسان مثل: التدين، حب الاستشهاد في سبيل الله، حب الاستطلاع، حب التملك، حب الانتماء، حب التقدير، حب الجاه،...الخ. وهذه الدوافع تبقى مع الإنسان طيلة حياته، مع التفاوت في القوة، حسب المرحلة العمرية التي يمر بها الإنسان، وحسب الحالة الإيمانية للفرد. ولكي تستقيم حياة الإنسان، ويسعد في دنياه وآخرته، لابد له من تلبية تلك الاحتياجات –الفسيولوجية والنفسية– بتوازن واتزان، ودون إفراط أو تفريط، مع مراعاة الضوابط الشرعية أثناء تلبية تلك الاحتياجات من حيث الكم والكيف، قال تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ اللّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ...﴾ (القصص:77). ولكن مع الأسف يقع الكثير من الناس في المخالفات، إما في الإفراط أو التفريط أثناء تلبيتهم للاحتياجات الجسدية أو النفسية ولا يتقيدون بالضوابط الشرعية سواءً من حيث الكم أم الكيف،ويكونون بذلك عبيداً لشهواتهم وأهوائهم،ولا يستمعون إلى صوت العقل وتوجيهات الدين،عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:[تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضى وإن لم يعط لن يرضى]

(صحيح البخاري ، رقم الحديث 6435).

والنتيجة الطبيعية للإفراط أو التفريط في تلبية الاحتياجات الجسدية والنفسية هو الشقاء والاضطراب وعدم الإحساس بالسعادة والأمن. والوقوع في الأمراض العضوية المختلفة، وعندها تفسد حياة من ارتكب هذه المخالفة .

رابعا : عدم تجنب الإنسان للبيئة الفاسدة:

الإنسان كائن اجتماعي، يحتاج إلى الآخرين ولا يستطيع العيش بمفرده، وخلال تلك المعايشة يتأثر ويؤثر في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها،ومن ثم فان للبيئة الاجتماعية تأثيراً مؤكداً على سلوك الإنسان إيجابيا أم سلبيا. فمن شرائح المجتمع التي لها تأثير كبير على سلوك الإنسان جلساء الإنسان وأصدقائه، ولذا بين رسول الله ﷺ أهمية حسن اختيار الجلساء والأصدقاء ، لأن لهم تأثيرا على سلوك الفرد وفكره، فعن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :[إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة] (صحيح مسلم، رقم الحديث 2628).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [لا تصاحب إلا مؤمناً،ولا يأكل طعامك إلا تقي] (سنن الترمذي، رقم الحديث 2395).

أما المجتمع وما به من عادات اجتماعية ونظم سياسية وتربوية واقتصادية وإعلامية...الخ فله تأثير واضح على النمط العام لسلوك الأفراد الذين يعيشون فيه(مجتمع إسلامي، مجتمع يهودي، مجتمع شيوعي، مجتمع رأسمالي، مجتمع لاديني، مجتمع تسوده الديمقراطية أو الديكتاتورية... الخ) فما على الإنسان سوى الحرص على سلامة المجتمع من الانحراف عن طريق النصيحة واستشعار أو تَحُّمل المسؤولية الفردية والجماعية في المجتمع الذي يعيش فيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان] (صحيح مسلم، رقم الحديث 1829)، فالمسؤولية جماعية ولا أحد معفي منها، كل حسب موقعه ومسئوليته، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رَعِيَّته...](صحيح مسلم، رقم الحديث 1829). لأن التخلي عن المسؤولية الجماعية يوقع الضرر والهلاك بالأفراد والمجتمع كله وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً على ذلك ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم أستهموا على سفينة،فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها،فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً](صحيح البخاري، رقم الحديث 2493). فإذا حاول الإنسان القيام بمسؤولياته تجاه مجتمعه ومُنِعَ من ذلك ولم يستطع، بل وتحقق لديه وقوع الضرر الفادح بمن حاول إصلاح المجتمع ، عندئذ وجب عليه الهجرة إلى مجتمع آخر تسوده القيم والأخلاق الفاضلة،ولذا جاءت الإشارة في حديث رسول الله ﷺ عن الرجل الذي قتل مائة نفس ويريد أن يتوب فقيل له [...انطلق إلى أرض كذا

وكـذا، فـإن بهـا أناسـا يعـبدون الله فأعـبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ...] (صحيح مسلم، رقم الحديث 2766).

ولكـن مع كل هذه التوجيهات والإرشادات يقع كثير من الناس في المخالفات، ضاربين بتعاليم الإسـلام عـرض الحائط. فإذا جئنا لاختيار الجلساء والأصدقاء فحدث ولا حرج عن معاندة البعض لمن ينصـحونهم ويبصرونهم بمن حولهم من الأصدقاء، فيسيرون في الاتجاه المعاكس ويعدون أن تقديم النصيحة لهم في هذا الجانب هو تدخل في شؤونهم الخاصة وانتقاص من أهليتهم، فيواصلون السير مع أصدقاء السوء فـيظلون عـن الطريق السوي، فتظهر الانحرافات في سلوكهم وهم يعلمون أنهم على خطأ، ولكن الكبر والعـناد يمـنعانهم مـن الرجوع إلى الحق والصواب، فتضطرب نفوسهم، ويفتقدون الأمن النفسي، وقد يصابون بالاكتئاب العصابي وهذه هي النتيجة الطبيعية لمن عاند وكابر ولم يحسن اختيار الصحبة الصالحة .

أمـا بالنسـبة إلى المجـتمع الفاسد فتجد كثيرا من الناس وقعوا في المحظور، فتبلّدت أحاسيسهم وأصيبوا بالسلبية في سلوكهم وأصبحوا إمعات وجبناء يخشون الناس، فيسيرون مع التيار أينما سار بهم مع أن رسول الله حذر من ذلك ، فعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [لا تكونوا إمَّعة تقولوا إن أحسـن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وّطِّنُوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تَظْلِمُوا] (سنن الترمذي، رقم الحديث 2007). وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال : [لايحقّر أحدكم نفسه] قالوا: يا رسول الله كيف يحقّر أحدنا نفسه؟ قال: [يرى أمراً لله عليه فـيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول خشية الناس فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى] .(سنن ابن ماجة، رقم الحديث 4008). ولذلك تجد هـؤلاء الناس يتجنبون المسؤولية الجماعية، ويقنعون أنفسهم أو يتظاهروا بأنهم لا يسمعون ولا يرون ومن ثم لا يتكلمون عما يجري في مجتمعهم من مخالفات وانحرافات أخلاقية وقانونية ودينية...الخ، بحجة الابتعاد عـن الشر، وعما يمكن أن يصيبهم من جراء مواجهة أو معارضة الأشرار والمخالفين، أو بحجة أن ما يجري لا يخصـهم، أو أنهـم لا يملكون السلطة أو القوة التنفيذية لمنع وردع المخالفين، وهذه كلها حجج واهية وتبريرية فقط . وإذا استمروا في هذا المسلك فسيكون مصير المجتمع بأكمله الهلاك وهي سنة من سنن الله في خلقه وفي الأمم السابقة، قال تعالى:﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِـيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ*وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: 116-117). أما إذا كانوا صادقين في دعواهم فلماذا لم يغادروا أو يهاجـروا إلى مجـتمع آخر تسوده العدالة والأمن النفسي والقيم والأخلاق الفاضلة، من قبل أن يأتيهم المـوت ويقفـون أمام الله وتُدْحَض حُجَجهم ويلاقون النهاية أو المصير السيئ كما جاء في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِيَ أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ

اللّـــه وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـــئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء: 97).لكنه الخور وضعف الإرادة والســـلوك السلبي ، ومن ثم الانحراف عن السواء في النمط العام للسلوك، والذي بدوره يؤدي إلى القلق والاضطراب وزيادة المحن والحياة الضنكى.

خامسا : غفلة الإنسان عن أن الشيطان عدوٌ له فانساق وراء وسوسته وتزيينه:

عـــندما خلـــق الله آدم عليه السلام أمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا إلا إبليس (الشيطان) تكبَّر ولم يسجد ، فطرده الله من الجنة وجعله من الصاغرين، فطلب إبليس من الله أن يبقيه إلى يوم القيامة فلـــبى الله لـــه طلبه ، ومنذ ذلك الحين بدأت عداوة الشيطان لآدم وذريته، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، وتعهـــد إبلـــيس أمـــام الله انـــه سيغوي آدم وذريته أجمعين إلا قليلاً منهم، وسوف يستخدم كل وسيلة، وســـيحيط بهـــم من كل جانب، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوَاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ *قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّـــارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ*قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ*قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ*قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ*ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: 11-17).

وبعـــد هـــذا الموقـــف أكّد وبيَّن المولى جلّ وعلا في كتابه الكريم أن الشيطان عدو مبين للناس فليحذروه ويتخذوه عدواً، قال تعالى:﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: 6).

وبعـــد هـــذه العداوة وإصرار الشيطان عليها والعمل المستمر بكل الوسائل لإضلال الإنسان وإغوائه، هل اســـتعد الإنســـان لهـــذه العـــداوة والمعركة بينه وبين الشيطان؟، الجواب مع الأسف، إن غالبية البشر لم يستعدوا، ولذلك فشلوا وانهزموا في معركتهم.مع أن الشيطان لم يجبرهم على أية مخالفة ارتكبوها ألا أنهم اتـــبعوه بـــإرادتهم ، والشيطان نفسه بيَّن هذه الحقيقة يوم القيامة بعد أن ذهب كل إنسان إلى مصيره، قال تعـــالى: ﴿وَقَـــالَ الشَّـــيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَـــيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوَاْ أَنفُسَكُمْ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: 22).

وهكـــذا فـــالعذاب في جهـــنم هـــو النتـــيجة النهائية لمن أستسلم للشيطان، إما في الدنيا فيكون الاضـــطراب والخـــوف وتأنيب الضمير هو النتيجة الطبيعية لارتكاب المخالفات والمعاصي التي وسوس بها الشيطان وزينها للإنسان.

سادسا : الغفلة عن أن الرزق والعمر كفله الله وحدده للإنسان وهو في بطن أمه :

يعد الرزق والأجل من أكبر المسائل التي تهم الإنسان وتحدد سلوكه فالحصول على الرزق والاستكثار منه،وحب البقاء والخوف من الموت هي غرائز فطرية ينشغل بها الإنسان كثيراً،ويضعف أمامها غالباً. ومن عظمة الإسلام أن ا لله سبحانه وتعالى أخبر عباده أنه متكفل بأرزاقهم، وان أعمارهم محددة من قبل أن يولدوا وهم في بطون أمهاتهم، فلا ينشغلون بذلك فيتعطلوا عن أداء مهمتهم في الحياة، فقد جاء في الحديث عن أبن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: [إن أحدكم يُجْمَعُ في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يَبْعَثُ الله إليه مَلَكاً بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم يُنْفَخُ فيه الرو ح...] صحيح البخاري، رقم الحديث **3332**).

هذا إجمالاً، أما إذا تناولنا الرزق بمفرده، وكذلك الأجل، فالآيات القرآنية التي تدل على ذلك كثيرة؛فبالنسبة للرزق، قال تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ... ﴾ (الروم: **40**). وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا ...﴾ (هود: **6**).

أما بالنسبة للعمر أو الأجل فقد نبَّه المولى جل وعلى أن الإنسان لن يموت قبل انتهاء عمره الذي حدده الله له، وكذلك لن يبقى أو يعيش إذا انتهى أجله المحدد، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ...﴾ (آل عمران: **145**).

وقال تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: **34**).

ومع كل هذه الحقائق عن الرزق والأجل، نجد الكثير من البشر مخالفين وغير مستفيدين من كفالة الله للرزق وتحديده للعمر.

فبالنسبة للرزق تجد الكثير من البشر يكدون ويلهثون وراء الرزق مستخدمين لذلك كل وسيلة –مشروعة وغير مشروعة– ويقعون في الأخطاء الاعتقادية والقولية والعملية، والنصوص الشرعية الآتية تؤكد ذلك ،فيوجد فئة من الناس لا تُفَرِّق أو لا تهتم في أثناء طلبها للرزق هل هو حلال أو حرام، ولذا جاء في الحديث النبوي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [أيها الناس اتقوا الله وأجملوا[3] في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حَلَّ ودعوا ما حرم](سنن ابن ماجة، رقم الحديث **2144**).

أما عن المخالفات المتعلقة بالأجل،فتجد فئة من الناس تجمع بين الخوفين، الخوف من انقطاع الرزق، والخوف من الموت وانتهاء العمر، فيعيشون في المجتمع أذلاء خائفين، لا ينكرون منكراً ولا يحركون ساكناً، وليتهم أنصتوا لحديث رسول الله ﷺ وعملوا به لكي يعيشوا كراماً أعزاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يُقَرِّبُ من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يُذكِّر بعظيم](مسند ابن حنبل، **50/3**).

ولكنها النتيجة المحتومة، وهي الذل والهوان والخوف والقلق لمن لم يتق الله ويلتزم بمنهجه وتوجيهاته.

سابعا : نسيان الإنسان أنه في ابتلاء دائم في السراء والضراء وأن طابع الحياة هو المشقة والتعب:

عندما يتفكر المرء في الطبيعة الإنسانية المتمثلة في القدرات المتنوعة التي منحها الله للإنسان وتسخير كل ما في السماوات والأرض له ، وكذلك التكوين المزدوج والمُوَحَّد للإنسان- جسد وروح- وما يتبعهما من دوافع فسيولوجية ونفسية تدفع الإنسان إلى العمل على إشباعها، وهذا الإشباع قد يتعارض في بعض الأحيان مع العقل والعرف والدين، سواء من حيث الكم أم الكيف. ويدير الإنسان هذا التفاعل بين القدرات والدوافع والقيم والدين والمجتمع والمسخرات من مخلوقات الله، فمنهم من ينجح وكثير من البشر يفشل!! لماذا؟، إنها الفتنة، والابتلاء والاختبار.

فالحكمة من خلق الله للإنسان بهذه الصفات هي " للابتلاء". قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (الإنسان: 2).وكذلك المتغيرات والابتلاءات التي تحدث للإنسان في الحياة هي اختبار وابتلاء من الله للإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الكهف: 7). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: 165).

والابتلاء قد يكون في السراء وقد يكون في الضراء، قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:35). الحكمة من الابتلاء هي من أجل أن يظهر ويتميز المؤمن عن المنافق، ويُعْرَف الصابر والمجاهد، والتقي، والشاكر عن غيره من الناس الذين تخور قواهم ويضعف إيمانهم عند الشدائد،والمحن والابتلاءات . والابتلاء بالضراء هو الذي يدركه عامة الناس، ولذا كَثُر التذكير به،قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ*أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 155-157) .

والفتن التي يتعرض لها الإنسان تأتي بصور متعددة، فمنها "أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة المعهودة في الذهن حين تُذْكَر الفتنه، ولكنها ليست أعنف صور الفتنة. فهناك فتن كثيرة في صور شتى، ربما كانت أَمَرُّ وأدهى.

وهناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعاً، وقد يهتفون به ليُسالِم أو ليَستَسلِم، وينادونه باسم الحب والقرابة، واتقاء الله في الرحم التي يُعَرِّضها للأذى أو الهلاك... وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين،تقتف لهم الدنيا، وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفو

لهـــم الحـــياة، وهو مُهْمَلٌ مُنْكَر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً.

وهـــناك فتنة الغُرْبَة في البيئة والأستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حولـــه غارقاً في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد. وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام، فتنة أن يجد المؤمن أُمَماً ودُوَلاً غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان ويجدها غنية قوية وهي مُشاقَةَ لله.

وهناك الفتنة الكبرى أكبر من ذلك كله وأعنف. فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، وثُقْلة الـــلحم والدم، والراغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان. وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمـــان والاســـتواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابسات الحياة، وفي مـــنطق البيـــئة، وفي تصورات أهل الزمان. فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى، وكـــان الابـــتلاء أشد وأعنف، ولم يثبت إلا من عصم الله. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض، وأمانة الله في ضمير الإنسان" (قطـــب، 1982م، ج5، ص ص 2720-2721). فـــرحلة الحياة ليست سهلة وليست مفروشة بالورود، لأن الـــله تعـــالى بين أن الإنسان منذ بداية تكوينه إلى حين وفاته في مكابدة ومشاقة،وجهد وكد، وكفاح وكدح،وأقسم على ذلك بقوله تعالى:﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَـــذَا الْبَلَدِ*وَأَنتَ حِلّ بِهَـــذَا الْبَلَدِ*وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ*لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(البلد: 1-4). وقال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىَ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾ (الانشقاق:6) .

"فالخلـــية الأولى لا تســـتقر في الـــرحم حتى تبدأ في الكبد والكدح والنَّصَب لتوفر لنفسها الظروف الملائمـــة للحـــياة والغذاء بأذن ربها...وما يكاد الجنين يرى النور حتى يكون قد ضُغِطَ و دُفِعَ حتى كاد يختـــنق في مخرجه من الرحم، ومنذ هذه اللحظة يبدأ الجهد الأشق والكبد الأمر، يبدأ الجنين يتنفس هذا الهـــواء الـــذي لا عهد له به، ويفتح فمه ورئتيه لأول مرة ليشهق ويزفر في صراخ يشي بمشقة البداية! وتـــبدأ دورته الهضمية ودورته الدموية في العمل على غير عادة! ويعاني في إخراج الفضلات حتى يُرَوِّض أمعاءه على هذا العمل الجديد! وكل خطوة بعد ذلك كبد، وكل حركة بعد ذلك كبد. والذي يلاحظ الولـــيد عـــندما يهـــم بالحبو وعندما يهم بالمشي يدرك كم يبذل من الجهد العنيف للقيام بهذه الحركة الساذجة.

وعـــند بروز الأسنان كبد،وعند انتصاب القامة كبد، وعند الخطوة الثابتة كبد، وعند التعلم كبد، وعند الـــتفكير كبد وفي كل تجربة جديدة كبد. ثم تفترق الطرق، وتتنوع المشاق، هذا يكدح بعضلاته، وهذا يكـــدح بفكـــره، وهذا يكدح بروحه، وهذا يكدح للقمة العيش وخرقة الكساء، وهذا يكدح ليجعل

الألـــف ألفـــين وعشرة آلاف... وهذا يكدح لِمُلك أو جاه، وهذا يكدح في سبيل الله، وهذا يكدح لشـــهوة ونـــزوة، وهـــذا يكدح لعقيدة ودعوة، وهذا يكدح إلى النار، وهذا يكدح إلى الجنة...والكل يَحمِـــل حِملَه ويصعد الطريق كادحاً إلى ربه فيلقاه! وهناك يكون الكبد الأكبر للأشقياء، وتكون الراحة الكـــبرى للسعداء. إنه الكبد طبيعة الحياة الدنيا،تختلف أشكاله وأسبابه، ولكنه الكبد في النهاية، فأخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكبد الأشقى والأمَرّ في الأخرى، وأفلح الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهي عنه كبد الحياة وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال الله" (قطـــب،1982م،ج6،ص ص 3909-3910). فـــإذا كانـــت هذه هي حقيقة الدنيا فلماذا يتأفف الإنسان ويضجر عند الابتلاء؟؟. فهنيئاً لمن أبتلى بالسراء فشكر، ولمن أبتلى بالضراء فصبر، وقد جاء في الحديث النبوي عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [عَجَباً لأمر المؤمن إن أَمْرَهُ كُلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له] (صـــحيح مسلم، رقم الحديث 299). ومع هذه الحقائق وهذا التوضيح عن الابتلاء والفتن في السراء والضـــراء التي يتعرض لها الإنسان في حياته، تجد الكثير من البشر يفشلون في الابتلاء والاختبار ويقعون في المخالفـــات العديدة. فالذي لا يعي حقيقة الابتلاء، ويغفل عنها أو يتناساها فسوف يفشل في التعامل مـــع الفـــتن والابتلاءات، ومن ثم يقع في المخالفات التي تسبب له التعاسة والحزن والهم والغم في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ثامنا : عـدم أو ضعف الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره:

هـــذه المخالفة مرتبطة بالمخالفة السابقة –الابتلاء بالسراء والضراء– وهي تدور حول قضية الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه، فالخالق جل وعلا يُذكّر ويُنبّه الى أن كل أحوال الإنسان وتقلباته، والأحداث الـــتي يواجههـــا –حلوها ومرها– وكل ما يحدث في الكون –صَغُر أم كَبُر –معلوم عند الله ومراقب، وقد كُتبـــت هذه الأحداث في اللوح المحفوظ قبل حدوثها، وقبل أن يُولَد الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَـــأْنٍ وَمَـــا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: 61).

فضـــلا عن هذا التنبيه والتأكيد، فالقضاء والقدر خيره وشره، ومن غير الإيمان بهذا الركن لن يقبل الله من الإنسان أي عمل خَيِّرْ، ومصيره النار إذا مات، وهو غير مؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره، ولذا جاء في الحديث النبوي في قصة جبريل عليه السلام عندما جاء يسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحســـان... الخ، فأجابه رسول الله ﷺ عندما سأله عن الإيمان بقوله: [... أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره...](صحيح مسلم، رقم الحديث 8).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه] (سنن الترمذي، رقم الحديث 2144).

وليعلم الإنسان أن الكوارث التي تحدث في الأرض أو المصائب التي يتعرض لها الأفراد والمجتمعات، هي بإذن الله تعالى، وقد قدَّرها في الكتاب قبل حدوثها، قال تعالى:﴿مَآ أَصَابَ من مَصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: 11). وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ من مَّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِيَ أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ*لِّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَىَ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ آتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: 22-23). ولكن مع ضرورة الإيمان بالقدر خيره وشره، يجب أن نعلم علم اليقين أن للنجاح أسباب يجب الأخذ بها وكذلك للفشل أسباب يجب اجتنابها، فإذا أهمل الإنسان العمل بالأسباب فإنه يرمي بنفسه الى التهلكة، وقد نهانا الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿...وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾ (البقرة: 195). فالمرض مثلاً: نؤمن بأنه قدر من الله تعالى، ولكن يجب على المريض أن يعمل بالأسباب التي تؤدي الى الشفاء، لأن تلك الأسباب هي من قدر الله أيضاً كما قال رسول الله ﷺ، فعن أبي خزامة عن أبيه رضي الله عنهما قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرأيت رُقىً نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتُقاةً نَتَّقيها، هل تَرِدُّ من قدر الله شيئاً؟، قال : [هي من قدر الله] (سنن الترمذي، رقم الحديث 2065). وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [الطاعون.. عذاب.. أرسل على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه.] (صحيح مسلم، رقم الحديث 2218).

هذا بالنسبة للمرض والأوبئة وأسباب العلاج والوقاية منها، لكن المسألة لا تقف عند هذا الحد، وإنما هي قاعدة عامة تُطَبَّق في جميع مناشط حياة الإنسان، حيث يجب على المؤمن أن يأخذ بأسباب القوة والتقدم والارتقاء،ولا يعجز أو يتكاسل أو يعتمد على الآخرين...الخ. لأن رسول الله ﷺ قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : [المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرص على ما ينفعك،وأستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان](صحيح مسلم، رقم الحديث 2664). وعلى الإنسان المؤمن –بعد الأخذ بالأسباب– أن يردد قول الله تعالى:﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة: 51). فإذ آمن الإنسان بالقدر خيره وشره، فسيكون لهذا الإيمان أثر إيجابي في نفسيته وحياته، وسيتصف بصفات مرغوبة،كالعزة والشجاعة والتحرر من عبودية العباد... الخ. "فالرضا بالقدر والصبر على البلاء، والطمأنينة الى حكم الله عز وجل، هي أهم القواعد التي يقام عليها السكن النفسي، وهي من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله،فلا التفات للوراء، ولا محطات للتحسر والندم، ولا لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل. ففي هذه العقيدة هدوء القلب وراحة

البدن والنفس والأعصاب، ومفارقة الهم والحزن، فلا تمزق نفسي، ولا توتر عصبي، ولا شذوذ، ولا إنفصام، وإنما رضا وسكينة وسعادة وراحة وطمأنينة، وبرد اليقين، وقرة العين، وهناء الضمير، وانشراح الصدر والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله، وعلمه وحكمته، فهو الملاذ والمعاذ من الوسواس والهواجس. " (ياسين، 1978م،ص 111).

ولكن بعد بيان أهمية الإيمان بالقدر، وبيان فوائده وآثاره الإيجابية، نجد الكثير من البشر يقعون في المحظور والمخالفة، فيحرمون أنفسهم ثمار عقيدة القدر وآثارها الإيجابية، فبعضهم يفهم القضاء والقدر على أنه تواكل، وتعطيل للطاقات والقدرات، وعدم العمل بالأسباب، فيصابون من جراء هذا الفهم بالضرر الكبير في كل جوانب شخصياتهم وحياتهم. وبعضهم يصاب بالضرر النفسي والجسمي والمعيشي نتيجة المبالغة في الفرح بما أوتوا، أو المبالغة باللوم والحزن والتحسر لما فقدوا، أو المبالغة في الحذر والحيطة... الخ وكلها تؤدي الى التوتر والوسوسة والاضطرابات النفسية المختلفة، أعاذنا الله جميعاً منها.

الوقاية من الاضطرابات النفسية:

لكي يقي الإنسان نفسه من الوقوع في الاضطرابات النفسية، فما عليه سوى التجنب والابتعاد عن المخالفات والأسباب – السابقة– التي تؤدي الى الاضطرابات النفسية، عملاً بالحكمة التي تقول: الوقاية خير من العلاج، أو درهم وقاية خير من قنطار علاج.

فلا يليق بالإنسان الذي جعل الله له سمعاً وبصراً وعقلاً... الخ أن يلقي بنفسه إلى التهلكة وهو قادر على تجنب ذلك.

الهوامش :

([1]): (الكير): جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد للنفخ في النار لإشعالها.
(2): (يحذيك) : أي يعطيك.
(3) : (أجملوا) : تأنوا وأعتدلوا وتحرّوا .

المراجع :

(1) : القرآن الكريم .
(2) : ابن حنبل،احمد.(1981م).مسند احمد بن حنبل.ضمن موسوعة الكتب الستة،استنبول-تركيا:دار الدعوة.
(3) : ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين. (د.ت). جامع العلوم والحكم. بيروت: دار المعرفة.
(4) : ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد. (1981م). سنن ابن ماجة. ضمن موسوعة الكتب الستة، استنبول- تركيا: دار الدعوة.
(5) : أبو داود، سليمان بن الأشعث. (1981م) سنن أبو داود. ضمن موسوعة الكتب الستة،استنبول-تركيا: دار الدعوة.
(6) : البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل. (1981م). صحيح البخاري. ضمن موسوعة الكتب الستة، استنبول-تركيا: دار الدعوة ، {وأرقام الأحاديث أخذت من فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني}.
(7) : الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (1981م). سنن الترمذي. ضمن موسوعة الكتب الستة، استنبول- تركيا: دار الدعوة.

(8) :زيدان، علي حسن. (1993م) اختبار فاعلية نموذج العمل مع حالات المنحرفين من منظور إسلامي، تجربة حقلية على حالة ميدانية. أبحاث المؤتمر الثاني للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية-المحور الثالث-ج1، القاهرة: جامعة الأزهر.
(9) : الشريف، عدنان.(1992م). من علم النفس القرآني. بيروت: دار العلم للملايين.
(10) : الشناوي، محمد محروس.(1993م). الإرشاد النفسي من منظور إسلامي، أبحاث ندوة علم النفس، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
(11) : طه، فرج عبد القادر و محمود السيد وقنديل، شاكر عطية و محمد حسين عبد القادر و عبد الفتاح، مصطفى كامل.(د.ت). معجم علم النفس والتحليل النفسي ، بيروت: دار النهضة العربية.
(12) : قطب، سيد.(1982م). في ظلال القرآن.(ط10). بيروت: دار الشروق.
(13) : مرسي، كمال إبراهيم.(1988م). المدخل إلى علم الصحة النفسية. الكويت: دار القلم.
(14) : مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج.(1981م).صحيح مسلم. ضمن موسوعة الكتب الستة، استنبول-تركيا: دار الدعوة.
(15) : النجار ، مسعد احمد .(1999م) . الإرشاد النفسي في الإسلام . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزيرة ، السودان .
(16) : ياسين، عطوف محمود.(1988م). أسس الطب النفسي الحديث. بيروت: منشورات بحسون الثقافية.
(17) : 17. ياسين، محمد نعيم.(1978م). الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه. عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

اتجاهات طلبة جامعة ذمار نحو الديمقراطية

د. أحمد سيف حيدر *

المقدمة ومشكلة البحث :

أن هذا العصر هو عصر التطور والتقدم والتغير في مختلف مجالات الحياة والاتجاهات العالمية التي تفرض التوجه الديمقراطي المباشر والحر والمبرمج من خلال الانتخابات تحتم علينا التفكير بالديمقراطية وضرورتها وان نعمل على ممارستها ونشرها من غير تحفظ او تردد بين طبقات وفئات الشعب جميعاً ، والمتتبع لقانون ونظام الحياة في هذا الكوكب يلمس ويشاهد ان كل شيء في حالة تغير وتبديل وتجدد وتطوير ولولا هذا لأصبح كل شيء ساكناً وجامداً وقد ضرب الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مثلاً في قصة أصحاب الكهف عندما قبضهم الله رحمة بهم بعد سباتهم الطويل وذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش غير عصره بسبب التغييرات والتبديلات التي هي سنة من سنن الكون والحياة وفي سورة أخرى يقول الله سبحانه وتعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) الشورى:38 ، والشعوب المتقدمة عمدت على دعم الاتجاهات الايجابية وتنميتها نحو الديمقراطية باعتبارها نظاما اجتماعيا يحقق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الشعب جميعاً والشعب اليمني اعتبر الديمقراطية خيارا لا جدال فيه ومارس ذلك من خلال الممارسات الديمقراطية الفعلية منها الاستفتاء على الدستور في العام 91م وفي الانتخابات البرلمانية في العام 94/93م – والانتخابات الرئاسية في العام 1999م .

* أستاذ مساعد / قسم العلوم التربوية والنفسية / كلية التربية / جامعة ذمار .

ومؤسسات التعليم إذا لم تعمل على تطوير الإنسان وإنماء قدراته الفكرية وتجعله حرا في تفكيره وناقدا وباحثا عن الحقيقة ومتواصلا مع قضايا العلم والمجتمع فكيف له ان يكون حر التفكير والإرادة والأسلوب إذا تم قهره وكبت رأيه في مقعد الدراسة ومنعت عنه المشاركة والتفاعل وإبداء الرأي وحرية التعبير ، كما لا يمكن له أن يكون مواطنا صالحا وفاعلا إذا لم تفسح له الخبرة التعليمية للتعبير عن نفسه والمشاركة في تحمل المسؤولية الاجتماعية إذ لا يمكن ان يكون حساساً لهذه المسئولية اذا لم يعود وتفسح له المجال لتحملها خلال فترة تعلمه ويمكن توضيح مشكلة البحث بالنقاط الآتية :

1. أن العملية التعليمية ليست مجموعة معلومات تحفظ وتردد بل لابد ان يكون لدى الطلبة القدرة على المشاركة والإسهام في القضايا الاجتماعية المختلفة والجامعة عندما تخرج أفراداً ذوي شخصية فريدة وحرة ومستقلة وفاعلة ومتفاعلة مع البيئة والمجتمع حينذاك تكون العملية التعليمية الديمقراطية فعلا قد حققت أهدافها .
2. الديمقراطية تتطلب توافر متطلباتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فعلي الصعيد الثقافي لا بد من توافر إطاراً ثقافياً مناسباً يتمثل في عدة قيم من أبرزها العقلانية وإتاحة الحرية الفردية واعتبارها قيمة أساسية في المجتمع وضرورة توفير المناخ المناسب لحرية الفكر والتعبير والبحث والتفكير دون أية قيود ، وعلى الصعيد الاجتماعي والاقتصادي فإنه يغلب الاعتقاد بوجود الهوة الاجتماعية الواسعة التي تؤدي إلى تفشي الفقر والبطالة يكون حائلا دون بناء الديمقراطية وذلك لعدة مسوغات منها – التهميش لأعداد كبيرة من المواطنين نتيجة انشغالهم بهموم العيش والحياة اليومية مما يؤدي إلى عدم الاهتمام بالديمقراطية – وكذلك الجهل وتزايد عدوانية بعض القيادات نتيجة شعورها بالخطر على مصالحها ومن ثم إصرارها على الاحتفاظ بالقرارات الفردية والرجوع إليها في أبسط الأمور .
3. شيوع ضعف الإحساس بالانتماء والرضا عن النظام السياسي والمشاركة الحقيقية فيه .
4. ضعف الحركة الاجتماعية المناضلة من أجل الديمقراطية وبعدها عن الجماهير والتي من مهامها رفع وعي الجماهير وشحذ هممهم وتعبئة الطاقات للعمل المنتج الذي يحقق رفعة الوطن وتنميته . (المجيد ، 1990،9)
5. غياب التقاليد الديمقراطية وتبادل الأدوار وإتاحة الحريات للمشاركة وإدخال دماء جديدة إذ تعاني أغلب الأحزاب والمنظمات الجماهيرية من عملية السيطرة الشخصية والأبدية عليها من قبل شخص أو مجموعة متنفذة لا تسمح ولا تتيح الفرصة لتبادل الأدوار والتجديد .
6. أيضا غياب التخطيط ورسم الأهداف المحددة التي تتناسب مع نشاطات هذه المنظمات جعلها تتجه إلى نشاطات وحقول واهتمامات خارجة عن اختصاصاتها ومهامها الحقيقية .

7.أيضـــا ضـــعف التنظيم والإمكانيات والارتهان لمن يقدم لها الدعم والإمكانيات الأمر الذي أضعف دور هذه المؤســسات وتفاعلها مع الجماهير .

8.أن المشـــاركة الجماهيريـــة في الفعالـــيات الديمقراطية مشاركة موسمية دون أن ترتقي إلى طابع الممارسة المســـتمرة والفاعلة من خلال الاهتمام بالجوانب المختلفة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية إذ أن الديمقراطـــية وممارســـتها لا تقتصر على المشاركة في عملية الانتخابات بل أنها تمتد إلى كل مناحي الحـــياة المخـــتلفة . فضـــلاً عـــن ضعف وغياب الديمقراطية في المنظمات والأحزاب يقلل من كفاءتها وقدرتها، ويجردها من أهم مصادر قوتها وهو أن تكون منظمات شعبية بالفعل وهذا ما لا يحفز الجماهير للانظمام إليها .

9.إن الديمقراطية في مجتمعنا اليمني لا زالت تواجه بعض الصعوبات مما يحتم معرفة اتجاهات مختلف الشرائح الاجتماعـــية ومـــن أهمها طلبة الجامعة لغرض تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو الديمقراطية لأنها تعد أحد أســـاليب إعداد الفرد مجتمعياً وليتمكن من الاسهام في عملية التنمية الاجتماعية ومن مواكبة الحضارة والتقدم العلمي .

10.أن العـــالم الـــيوم يركـــز جل اهتمامه نحو الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات المختلفة والمشاركة السياســـية وتفعـــيل دور الإنســـان في الديمقراطية والتنمية الشاملة وإن إغفال هذه القضايا العصرية والملحة يعد تعطيل لعجلة التقدم والتنمية .

11.هـــناك ضعف في الوعي الديمقراطية ليس في أوساط القرويين والأميين فحسب بل حتى المثقفين إذ غالباً مـــا تشجع أفكار مثل عدم نضوج المجتمع في التعامل مع الاستحقاقات الديمقراطية ، وهناك خلط بين مفهومـــي الحرية والفوضى ، كما نجد أفراداً عديدين لم يبلغ بهم الوعي للتفريق بين النظام الديمقراطي والحكومـــة المنتجة ديمقراطياً، وغالباً ما ينظر إلى أخطاء مثل هذه الحكومات باعتبارها أخطاء في النظام الديمقراطي .

12.تعـــد فئات الشباب وبخاصة الذين نالوا تعليماً جامعياً سواء تخرجوا من الجامعات أو ما زالوا يدرسون بها هم ركيزة المجتمع والأساس في مسعاه لاكتساب الديمقراطية وتعزيزها فالديمقراطية لم تعد مجرد نظام بديل لاختيار الحكم عبر آلية انتخابات قد يديرها حزب واحد وتشارك فيها عدة أحزاب تحت إشراف هـــذا الحزب الواحد . والديمقراطية بنية شاملة ومتكاملة تضم عدة ممارسات لا يمكن الفصل بينها أو الاســـتغناء عن بعضها ومنها التبادل السلمي للسلطة والحقوق المدنية ، والمشاركة السياسية والحريات العامة وعلى رأسها حريات التنظيم والصحافة والإعلام والرأي كما تشمل قيام المجتمع المدني والتعددية السياســـية وضـــبط العمل السياسي والاجتماعي بالمواثيق والدستور وما يتولد عنه من قوانين وأهم ما يميزها تفعيل الحقوق والواجبات والحد من تقول السلطات عن الحقوق المدنية المشروعة ، والديمقراطية

بهـــذا الفهم هي نقيض للاستبداد لأنها تعني الالتزام والمرجعية لحكم القانون وفي ظل الديمقراطية تتوفر عمليـــة المشاركة في صنع القرار السياسي وبلورته ولذلك تبدو لنا الممارسة الديمقراطية ممارسة شديدة الارتـــباط بـــالوعي الذي نحتاج لاكتسابه عبر أدوات التعليم والتثقيف ومن هنا نتبع مشكلة اكتساب الشـــباب وبالذات طلبة الجامعة هذا الوعي الديمقراطي ليتمكنوا من حمل مشاعل المجتمع ، فإذا لم يتم تكـــريس الوعـــي الديمقـــراطي والإيمـــان باهميته لدى الفئات المتعلمة وفي أروقة الجامعات على وجه الخصـــوص فـــإن مستقبل الديمقراطية يبدو غامضاً ، والأداة هي أن يتنامى الوعي المعادي للديمقراطية خـــارج الجامعات لدى الفئات التقليدية البيروقراطية التي تعمل على سيادة الثقافة المعادية للديمقراطية بوعـــي أو بغير وعي ومن ثم تنشر هذه الثقافة لتشرئب بها عقول الشباب في الجامعات ووسط الخريجين . إن هذا البحث يؤكد على الحقيقة القائلة بأن العلاقة بين الجامعات والديمقراطية هي جدلية فبقدر ما يـــرفد الشـــباب من المتعلمين منظمات المجتمع المدني والأحزاب والتنظيمات والجمعيات كمؤسسات ديمقراطـــية يعملـــون على قيادتها وتطويرها وزيادة تأثيرها وفاعليتها بقدر ما تستطيع الجامعات في ظل الديمقراطية أن تقوم بأداء رسالتها وتحقيق أهدافها على أكمل وجه.

13. الضـــعف والقصور وتغيب دور المرأة في المشاركة الديمقراطية حيث أوضح التقرير الوطني الصادر عن اللجـــنة الوطنـــية للمرأة ديسمبر سنة 1999م أن مشاركة المرأة حددت بإعلان حزب المؤتمر الشعبي العـــام (37) امـــرأة، وحزب الإصلاح (20) امرأة، وحزب البعث (78) امرأة، والتنظيم الوحدوي الناصـــري(48) امـــرأة، كما أشار بأن نسبة النساء في الهيئات القيادية للجان النقابية بلغت 15% . (الأحصب ، 10) .

14. هناك أيضاً ضعف وقصور وغياب للأنشطة والممارسات الديمقراطية في مؤسسات المجتمع بدءاً بالأسرة والمدرســـة وجماعـــة الاصـــدقاء والـــنادي والنقابات والجمعيات والأحزاب السياسية حيث أن هذه المؤســـســـات هـــي المحرك والموجهة والداعم للحركة الديمقراطية في المجتمع ، فإذا غابت عنها وضعفت القـــوة الاجتماعية الديمقراطية في عملية التثقيف والتنوير يسهل الخداع والتضليل والتزوير فضلاً عن عامل الضغط الاقتصادي والاجتماعي الذي يجعل المواطن غير قادر على المشاركة الفعلية والحرة .

15. أيضـــاً مـــن مشـــكلات الديمقراطـــية – الدولة – والحكومة وما علاقة كلاً منها بالأخرى من ناحية وبالشـــعب من ناحية اخرى وأن من أهم المشكلات المتعلقة بالشعب مشكلة التخلف والأمية فمثلاً في فرنسا التي أنجبت أساتذة المدرسة الديمقراطية فلسفة ونظاماً منذ أن دخل أسلوب الاستفتاء الشعبي في دســـتورها في العام 1958م فإن أساتذة النظم السياسية وعلماء القانون لا يكفون عن التحذير من أن فقـــدان النضج السياسي الذي يميز بعض الشعوب والتخلف والأمية حيث أنهما يحيلان الديمقراطية إلى أداة خطيرة في يد القادة ، لأن الشعب الفرنسي كما يقولون ما يزال يبحث عمن يقوده لينقاد له.

وكذلك في إنجلترا التي تمارس النموذج البرلماني حيث يقول فيلسوفها الكبير (هارولد لاسكي) بالرغم من توافر حق التصويت العام فإن نظام الحزبين في ديمقراطيات سياسية مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كانا في كثير من الأحيان يتعاونا على تعمد استخدام السلطة ضد الشعوب .

فـإذا كان الأمر على هذه الشاكلة فى الدول الديمقراطية فأن المشكلات التى يثيرها التخلف والجهل والأمية في الدول النامية للديمقراطية تعتبر أشد وأخطر ، والمشكلة تتمثل في أن تعي الشعوب حقوقها ثم بعد الوعي الممارسة الديمقراطية . (الدولة ، 1991 ، 16) .

16.إن دراسة اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية يعد كأحد مكونات بناء شخصياتهم للحياة المجتمعية ، فضـلاً عـن الوقـوف مبدئـياً على وعي الطلبة بأهمية الديمقراطية من عدمه ، لأن أهمية الديمقراطية وضـرورة تنميـتها ودعمها وتطويرها تحتم علينا القيام بالبحث والدراسة لنتمكن من استشراق أسس تنميتها وتثبيتها في نفوس وعقول وممارسات صناع المستقبل .

أهمية البحث والحاجة إليه :

إن طلـبة الجامعـات هـم أمل الأمة في تحقيق أهدافها كونهم مركز الطاقة المنتجة والقادر على إحـداث التغيرات في مجالات الحياة المختلفة ، والجامعات تحوي بين أهدافها بناء شخصية الطالب الجامعي وتنمـية مواهـبه واتجاهاته الإيجابية نحو حب الوطن والنظم واحترام القانون والإيمان بالمساواة في الحقوق والواجـبات والمواطنة الصالحة إذ أن هذه الاتجاهات تساعد الطالب على التكيف الشخصي والاجتماعي وعـلى الإيمان بقيم ومبادئ وخيارات المجتمع الذي يعيش فيه ، وبما أن أي تغير يراد تحقيقه في المجتمع كما يـرى عـلماء عـلم النفس الاجتماعي يتطلب دراسة الاتجاهات السائدة في أوساط الشرائح الاجتماعية ومعـرفة مدى تطورها لمواكبة التغير المطلوب ، (الكبيسي ، 1987 ، 135) فإن الديمقراطية في المجتمع اليمني قد قطعت أشواطا مهمة في الأوساط الاجتماعية ، إلا أنها ما تزال تواجه بعض الصعوبات مما يتحتم معـرفة اتجاهات مختلف الشرائح الاجتماعية نحوها واتجاهات طلبة الجامعة من الأسس المهمة التي تسهم في تكويـن شخصـياتهم وتكوين القدرات المختلفة لمواجهة المستقبل ، فقد أشار (Hurlock) إلى أن نمط الشخصـية وتحديد اتجاهاتها نحو القضايا الاجتماعية والحياة العامة تتحدد بشكل كبير نتيجة لنوع علاقات الأسرة بالأبناء وعلاقة المؤسسات التربوية والثقافية والاجتماعية وما تقدمه لهم من برامج ونشاطات ، كما تشـكل الاتجاهـات النفسية العمود الفقري في دراسات علم النفس وعلم النفس الاجتماعي والتربوي ، (الكبيسي ، 1987 ، 181) وأن معرفة اتجاهات الشباب وبالذات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية يعد من العوامـل المهمـة في زيـادة توافقهم النفسي والاجتماعي لأن الشباب يزداد أهتمامهم بأنفسهم وبقضايا مجـتمعهم خـلال هذه المرحلة وتتشكل علاقاتهم الاجتماعية وتنحصر من خلال التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد في المؤسسات التربوية والتعليمية وكذلك من الأفراد المحيطين بهم ،(Anderson ،971،37)

وأن أغلـب عـلماء الـنفس و علم النفس الاجتماعي يشخصون الاتجاه بأنه عبارة عن تنظيمات نفسية يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع المواقف البيئية والاجتماعية المختلفة للموضوعات والأشياء والأفراد ، كمـا أن الاتجـاه يعمـل كدافع يكمن وراء سلوك وردود الأفعال المختلفة لتلك المواقف في المستقبل أما بالقـبول وأمـا بالرفض وأن سلوك واستجابات الفرد في هذه المواقف المختلفة تعد مرحلة نهائية تعبر عن وجود اتجاهات معينة لديه نحو هذه المواقف حيث يتم التعرف على نوعية هذه الاتجاهات وقوتها من خلال هذه الاستجابات ، (الشخص ،1986 ، 67) ،والاتجاهات الايجابية تنمي لدى الفرد الرغبة لترجمتها إلى ممارسات فعليه مما يؤدي بالتالي إلى رفع المستوى الثقافي والاجتماعي والرغبة في الاستجابة نحو هذا الاتجاه (ماريني ، 1999 ، 231) .

وبما أن الاتجاه يمكن تشكيله وتعديله من خلال المكون المعرفي عن طريق تعرض الفرد إلى مجموعة مـن المعارف والخبرات ذات العلاقة بالاتجاه، لذا فالجامعات تتحمل المسئولية في تطوير الاتجاهات الفكرية الإيجابـية وتعميق المواطنة الصالحة في نفوس الطلبة وفي بناء شخصياتهم القادرة على التكيف مع التطورات المتسـارعة الـتي أصـبحت مـن مستلزمات وتحديات هذا العصر ، (شمسان ، والهيتي ، 1999 75) والديمقراطـية تمـثل جانباً مهماً من جوانب مكونات شخصية الطلبة الجامعيين إذ أنها تمكنهم من الإسهام بفاعلـية في القضايا الاجتماعية الديمقراطية التي تمس المجتمع كما أن السلوك والممارسة الديمقراطية تمكنهم أيضـا مـن إحداث التغيرات الإيجابية والمقصودة في الأوساط الاجتماعية حيث أن المسار الديمقراطي يحتم عـلى أفراد الشعب أن يكونوا متعلمين فإذا لم يكن الفرد متعلما وعلى دراية بحقوقه وواجباته وعلى علم واطـلاع بمستقبل بلاده وأمته فإن خطره يكون عظيماً جدا على الشعب والوطن ، كما أن الأفراد الأميين والجهلـة ينسـاقون وراء الدعايـة التي تعمل على تحطيم النظام الديمقراطي ، وبما أنه من ضمن أهداف الديمقراطـية الحرية والتحرر من الجهل والأمية وأن جميع دعاة الديمقراطية يدعون إلى التعليم وتعميمه وهم في كفاح دائم مع الجهل ، لإيمانهم بأن أرقى الحكومات الديمقراطية في العالم هي من أرقى الأنظمة التعليمية ، (موسـى ، 1986 ، 13) والمجتمعات العصرية والمتحضرة والمتقدمة تؤمن إيماناً كاملاً بأهمية الديمقراطية وضـرورة مشـاركة جمـيع الشـرائح الاجتماعية في تحمل المسئولية تجاه عملية التقدم والتنمية الشاملة والمسـتدامة ، وبما أن أحد عناصر التنمية هو الإنسان ولا يمكن له المشاركة الفاعلة في التنمية والتقدم ما لم تـتح له عملية المشاركة الديمقراطية بكل أبعادها، وبناء على ما تقدم يمكن أن نشير أيضا إلى بعض النقاط التي توضح أهمية البحث والحاجة إليه والتي تتمثل بالآتي :

1.أن الديمقراطـية تشكل أهم عنصر من عناصر رأس المال الاجتماعي الذي بدوره يفوق في الأهمية عنصر رأس المـال الانـتاجي حيـث أن الديمقراطـية تعمل على تعدد الخيارات التي تحقق التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، (الاحصب ، 2000 ، 6) .

2.أن المجتمع العربي الذي قمع خلال سنوات طويلة من حكم الأسرة التيريركية ما يزال يحتفظ بذاكرة جيدة حيال الأنظمة السلطانية والملكية والأنكلشارية فقد تدرب هذا المجتمع لا على البحث على الديمقراطية أنما تعود على تجنب سطوة الحاكم وبطشه ولهذا يبدو لنا الوعي الديمقراطي وكأنه حبيس لذاكرة تاريخية متعمقة.

3.ما تزال القوى التقليدية التي تستأثر بالأرض والثروة والمنصب عبر آليات الإرث والتركة فضلاً عن قطاعات كبيرة كالقبائل أو سكان الأطراف تعمل من أجل إعاقة التغير نحو الديمقراطية باعتبارها نظام لا يمكن أن يضمن لهذه القوى مصالحها .

4.أنه في ظل الانفراجات الديمقراطية النسبية لم تحدث تغيرات هيكلية أو بنيوية تنعكس إيجابا على حياة الناس سواء على المستوى المعيشي أم الأمني مما يشكك قطاعات كبيرة من الناس في جدوى الإصلاحات الديمقراطية بل تزداد الشكوك في حالة التضخم وانتشار الفساد وتزعزع الأمن وانعدام بعض الأساسيات .

5.مناخ المهاترات والخصومات والصراع الذي يأخذ أبعادا شخصية وضيقة بين الأحزاب والجماعات السياسية مما يعطي الديمقراطية مظهرا بأنها عبارة عن مناخ للفرقة والشتات والاختلاف وفي مثل هذه الحالة فإنه لا يمكن إلقاء اللوم على الديمقراطية ذاتها إنما على الآعيين الذين يستفيدون من مناخها لتصفية الحسابات والخصومات بل أن مثل هذه الأساليب هي بحد ذاتها ممارسات غير ديمقراطية .

6.أن الكلام عن كون الجامعات مؤسسات مستقلة لها شخصيتها الاعتبارية وتتمتع بحرية البحث العلمي لا معنى له بدون ديمقراطية شاملة في المجتمع ويستطيع الطلاب في الجامعات التمتع بحق التفكير الحر والنقد والبحث العلمي والحوار .

7.لقد أثبتت التجارب التي عاشتها أنظمة التعليم الجامعي من الأنظمة الشمولية أن هذا التعليم ظل قاعد عن دوره في الوفاء باحتياجات المجتمع وكانت مخرجاته ضعيفة المستوى في المعرفة والتطبيق والمشاركة الاجتماعية حيث كانت تلك الأنظمة ترسم خط ايدلوجي لا يسمح بالخروج عنه فهي تعمل على إنتاج شخصيات نمطية عاجزة عن التفكير والمساهمة والنقد . ومن هنا فإننا لا نستطيع ان نتصور تعليما جامعيا يسهم في تنمية المجتمع وإحداث الثورة العلمية والتقنية إذا لم يقم على تقاليد ديمقراطية ليس في داخل المؤسسة فحسب أنما في النظام الاجتماعي كله الذي يضمه .

8.أن دراسة الاتجاهات تمكن المهتمين والمختصين من العمل على تقوية وتعزيز الاتجاهات الإيجابية التي تساعد على تحقيق الأهداف المنشودة وإضعاف أو تعديل الاتجاهات السلبية التي تعوق وتضعف تحقيق تلك الأهداف.

9.إن الاتجاهات تؤثر تاثيرا كبيرا في توجيه سلوك الطلبة فإذا كان الاتجاه الديمقراطي موجبا فإنه يقبل على المشاركة الفاعلة في الفعاليات الديمقراطية المختلفة ويسهل عليه نشرها وممارستها كما يصبح سلوكه أكثر ديمقراطية ، أما إذا كان الاتجاه سالبا فإنه عكس ذلك .

10.أن معـــرفة اتجـــاه الطلبة الجامعيين نحو الديمقراطية تعد ضرورة وواجبا وطنيا تقتضيه ضرورة ظروف المـــرحلة والعصـــر الجديـــد والاتجاهـــات السياســـية والاجتماعية المعبرة عن رغبة قوية في التوجيهات الديمقراطية .

11.الاهـــتمام العـــالمي والمحـــلي بقضـــية الديمقراطية وأهميتها في تطور المجتمعات وضرورة تربية الشباب وتدريـــبهم علـــيها حيث تعهد أكثر من (150) زعيم وقائد في قمة الألفية الثالثة الذي أنعقد في مقر الأمـــم المـــتحدة في أمـــريكا في 6-8/**2000**م على تشجيع وتدعيم الممارسات الديمقراطية وحقوق الإنسان في بلدانهم .

12.أن دراســـة الاتجـــاه وبـــالذات لهـــذه الشريحة من الشباب تعد من أهم الدراسات حيث ان الشباب وبالذات طلبة الجامعة هم من أهم الشرائح المساهمة في قضايا التنمية الشاملة .

- وانطلاقـــا ممـــا تقـــدم تـــأتي هذه الدراسة كمحاولة علمية لتكشف عن اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطـــية لغـــرض تعزيز الاتجاهات وتنميتها وتدعيمها نحو الأفضل وتواصلا مع قيم وتراث أمتنا الإســـلامية والعربـــية ومتوافقة مع القيم والاتجاهات العصرية التي تؤكد الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان المختلفة ودولة النظام والقانون .

أهـداف البحـث :

1- بناء أداة (استبيان) لقياس اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية .

2- قياس اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية .

3- مقارنة اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية على وفق متغيري .

أ-الجنس (ذكور – إناث)

ب-التخصص (كليات علمية – وكليات إنسانية)

حدود البحث :

يتحدد البحث بـــ :

1- طلبة جامعة ذمار في كلياتها العلمية والإنسانية .

2- كلا الجنسين ذكور وإناث .

3- في مختلف المراحل الدراسية .

4 -العام الدراسي 2000-2001م

تعريف المصطلحات :

ترد في البحث بعض المصطلحات منها الآتي :-

1- الاتجاه :

عـــرف كامبل (Campell) الاتجاه بأنه اتساق الاستجابة نحو الموضوعات الاجتماعية والقضايا المختلفة (Kimg,1972,19) وعرفه كاتس (Katz) بأنه استعداد الفرد لتقويم بعض الموضوعات او

جانب معين من عالمه عن طريق المعارضة او التأييد (Dawes,1972,16) ، وعرفه كيلفورد (Guilford) بأنه استعداد خاص عام يكتسبه الافراد بدرجات متفاوتة ليستجيبوا للمواقف التي تعترضهم بأساليب معينة قد تكون مؤيدة او معارضة لها (uilford,1954,407) ، وعرفه ربيع 1998 بأنه استعداد مكتسب ثابت نسبيا يحدد استجابات الفرد حيال الأشخاص او المبادئ او الأفكار او الموضوعات والمواقف المعينة من حيث رفضه او قبوله ودرجة هذا القبول او الرفض، (ربيع ، 1998،181) .

ويعرف الباحث الاتجاه انه استجابة متعلمة ثابتة نسبيا لقبول او رفض الديمقراطية وممارستها ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالب او الطالبة الجامعية من خلال الإجابة على فقرات الأداة المستخدمة .

2 ـ تعريف الديمقراطية :

تعرف الديمقراطية بأنها كلمة إغريقية مكونة من كلمتين هما Demos وتعني الشعب و kratos وتعني الحكم بمعنى انها حكم الشعب نفسه بنفسه ، (الدولة ،1991،29) .

ويحكم الشعب نفسه بنفسه عن طريق التمثيل النيابي في مجلس النواب حيث ان المجلس يمثل فئات الشعب بأكملها .

وعرفها الشميري 2000م بانها قيمة إنسانية رفيعة شانها شان القيم الإنسانية الحية التي لا يمكن لاي شعب من الشعوب احتكارها كما يمكن لكل الشعوب الاستفادة منها مع مراعاة الخصوصية المحلية .(الشميري، 2000 ، 53) ، والديمقراطية أداة يتم من خلالها الوصول الى العدالة والمساواة والرقي الاجتماعي والثقافي والحضاري والسياسي ومن خلالها يشعر الشعب بالرخاء وينعم بالحرية ويشارك في السلطة ، وتعاريف الديمقراطية عديدة وتتباين وفقاً لتباين منطلقات المعرفين لها بحسب نظرتهم المنهجية واختلاف الزوايا والاهتمامات ، غير أن هناك شبه إجماع على خمسة مبادئ أساسية تمثل الركائز الجوهرية لمفهوم الديمقراطية وهي : الإلتزام بالدستور الذي يشكل المرجعية لجميع أفراد الشعب ، وحرية الرأي والتعبير ، والتعددية الحزبية ، وحق المشاركة السياسية ، والتمثيل النيابي ، والتداول السلمي للسلطة .

الأدبيات والدراسات السابقة :

أولاً : الأدبيات :

شهدت الأمة العربية في عدة أقطار تحولات أقتضت قيام مؤسسات نيابية نشأت في البداية كبرلمانات أو مجالس يتم اختيار أعضائها بالتعيين من قبل الحاكم وقد حاولت السلطات إعطاءها مظهرا ديمقراطيا بتنويع التمثيل فيها ليشمل المؤسسات الرسمية كالجامعات والإعلام وقطاعات الخدمات كالصحة والطرق فضلاً عن التمثيل الاجتماعي المرأة، القبائل، المناطق ..الخ . وقد ينظر البعض من الناحية السياسية إلى أن هذه التطورات هي محاولات زائفة للإلتفاف حول الديمقراطية كمطلب اجتماعي إلا أن هذه النظرة هي نظرة تشاؤمية فمن المنظور التاريخي لا بد من القول إن الأنظمة الشمولية العربية ارتكبت بسبب ممارستها الديكتاتورية والقمعية أخطاء فادحة باعدت بينها وبين الجماهير من ناحية وبينها وبين العالم

الليبرالي خاصة الدول الصناعية والمنظمات الدولية من ناحية أخرى ، وبما أن الحاكم يريد فك الاختناقات الواقعة على نظامه والتصالح مع الجماهير والاندماج في نظام عالمي فإنه يضطر إلى إحداث إنفراجات تؤدي إلى مظاهـر ديمقراطـية بدائـية ، انتخابات ، صحافة وإعلام مستقلة ، مؤسسات نيابية ، أحزاب وبعض الحقـوق المدنية ، مما يعطي مظهرا زائفاً للديمقراطية خاصة إذا كانت سلطة الحاكم وإشراقه على مستوى مـن القـوة ، ولكـن هـذه الإشكالات بالرغم من زيفها فإنها تسمح بالتطور نحو الديمقراطية إذا ما تم اسـتثمارها بشـكل واع مـن قبل مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الجماهيرية والأحزاب المسموح لها بممارسـة النشـاط ، وقد لاحظنا في بعض الدول العربية أن المؤسسات النيابية ذات الأعضاء المعينين قد تحولـت في مرحلة لاحقة إلى عضوية منتخبة تحت حزب واحد (الحزب الحاكم) ثم شاركت فيها أحزاب أخرى في مرحلة لاحقة وأثناء ذلك أصبحت الصحف المستقلة وحتى الرسمية تمارس نقد السلطات الحاكمة ولـو بشكل خجول ومحدد أو غالبا مالا يسمح لها بالمساس بقيادة الدولة ، إننا نظر إلى التطور الديمقراطي في الوطن العربي بوصفه صيرورة تاريخية شاركت مجموعة من العوامل في إحداث بعض إرهاصاته، ومن بين ذلـك تشـير إلى عمليات التنمية بقطاعات التعليم ، والإعلام ، والعلاقات الخارجية وتزايد الوعي بأهمية الديمقراطـية والنشـاط الـدولي المحمـوم لمنظمات حقوق الإنسان وبروز النماذج المستقرة في الأنظمة الديمقراطـية على المستويات الاقتصادية والاجتماعية بالمقارنة مع الإشكالات الأمنية والإنمائية التي أصابت الأنظمـة الشمولية وهكذا فإن الديمقراطية أو الاتجاه نحوها لا تصبح حلم الجماهير التائقة للحرية فحسب بـل هـي ترغم الأنظمة الشمولية على تحقيق الانفراجات لتتماهى مع المطالب الداخلية والخارجية ، وإن وجـود الديمقراطـية وممارسـتها الفعلية في المجتمعات وأن كانت غير متكاملة فإن التحرك التدريجي وربما السريع نحو توفير آلية الديمقراطية الحقيقية الذي يتيح التعددية المفتوحة والحريات العامة سيسهم بالضرورة في استنهاض الجماهير للمشاركة الفعلية ومن ثم يتوفر أساس موضوع للتقدم صوب الديمقراطية الكاملة .

أشكال الديمقراطية :

تعـددت النماذج الديمقراطية في العالم منها الديمقراطية الرأسمالية ، والاشتراكية ، والغربية إلا أن الـنموذج الغـربي يحظـى بقبول واسع في الدول النامية ، إذ أن اتجاهات الخطاب السياسي لمعظم قوى المعارضـة يسـعى إجمالا إلى ترتيبات ديمقراطية على النمط الغربي لكونه يقوم في جوهره على الدعوة إلى الـتعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة والحريات العامة كما أن قوى المعارضة في الوطن العربي لا تخرج عن هذا الإطار ، (المجيد ، 1990،81) .

وبالنسبة للجمهورية اليمنية :

مـنذ تحقـيق الوحدة اليمنية المباركة في 22مايو سنة 1990م شهدت اليمن تحولات في العمل السياسـي والديمقـراطي ، ونص الدستور على حرية إنشاء الأحزاب والمنظمات المدنية المختلفة ، وسمح بتشـكيل الأحـزاب السياسية والمنظمات والجمعيات والنقابات المختلفة وصدر القانون رقم (66) لسنة

1991م الـذي سمي بقانون الأحزاب والمنظمات السياسية ، وخلال الفترة من العام 1990م حتى العام 2000م ظهـر العديـد من الأحزاب والمنظمات المدنية المختلفة التي بلغ عددها إلى (250)حزباً ومنظمة مدنـية كمـا يشـير التقرير الصادر من مركز الدراسات الاستراتيجية اليمن 1998م ووجدت القوانين واللوائـح المـنظمة لهـذه المنظمات والخاصة بممارسة هذه الحقوق ، وقد شهدت الساحة اليمنية في العام 1991 م عمليـة الاستفتاء على الدستور وفي 27إبريل سنة 1993م جرت أول انتخابات برلمانية على مسـتوى الوطـن وكذلـك تلتها الانتخابات النيابية التي جرت في 27إبريل سنة 1997م والانتخابات الرئاسـية في العام 1999م وقد خاضت اليمن الانتخابات في عشرين من فبراير 2001م لتعديلات بعض مواد الدستور وانتخابات المجالس المحلية التي تعد جوهر الديمقراطية الحقيقية وصلبها في اليمن.

الديمقراطية ودورها في تطوير المجتمعات :

تـنظر الشعوب المتقدمة إلى علاقة الديمقراطية بالمجتمع بأنها علاقة أساسية وحميمة ومترابطة ومن خـلال هذه العلاقة وتيسير فرص المشاركة الديمقراطية لكل أبناء المجتمع فى مختلف المجالات وإتاحة الفرصة والحـرية لكـل الناس حرية الانتماء للأحزاب والمنظمات السياسية والمشاركة في الانتخابات على كافة مسـتويات السلطة والمشاركة في صنع القرار والحفاظ على حقوق الإنسان وكرامته وصونهما من الأعتداء فـإن ذلك سوف يعمل على التقدم والتطور والرقي والنمو لهذا المجتمع الذى يعمل على تطبيق الديمقراطية بشكل صحيح وسليم ففي ظل الحرية الديمقراطية ترتفع كفاءة المواطنين وتزداد انتاجاتهم فى كل المجالات كمـا يكـون المواطـنون أكـثر استعداداً للإنتاج والعمل والتضحية والمشاركة . وقد أظهرت التجارب الديمقراطية في الدول التى تتمتع بإطار أجتماعي وسياسي يتسم بقدر معقول من الديمقراطية مستوى مرتفع مـن التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية وتعد الدول الأكثر ديمقراطية هى الأكثر تنمية وتقدم في مختلف مجالات الحياة . (الأحصب ، 2000 ، 5).

أن غاية الديمقراطية هى أن تضع جميع قوى المجتمع في خدمة الإنسان معتمداً في ذلك على العدالة والمسـاواة والحرية التى يصبح من خلالها الإنسان عارفاً بهويته محققاً لذاته ضامنا لحقوقه. (العانى ، 2000 ، 237)

دور مؤسسات التعليم في العملية الديمقراطية :

والحديـث عـن الديمقراطـية في مؤسسات التعليم العالي اصبح حديثاً وجدانياً ومطلباً حضارياً يـنعكس على قيمة الإنسان وشخصيته وحقوقه وواجباته وحرياته ومسؤولياته تجاه نفسه وتجاه الآخرين ، فالديمقراطـية أسلوب حياة تتيح للفرد الفرص اللازمة لتحقيق ذاته بما يمتلك من إمكانيات إلى أقصى حد ممكـن والإسـهام المسـتمر لتنمية المجتمع ، والفرد الديمقراطي هو وليد المجتمع الديمقراطي الذى يتشرب ويتعود على القيم الاجتماعية الديمقراطية للمجتمع وتعد الديمقراطية في المجال التربوي إتاحة الفرص للطلبة لحسن استغلال ما يملكون من مواهب وقدرات واستعدادات وطموح وميول واتجاهات والعمل على تنمية

المواهب العقلية والنفسية والوجدانية والجسمية والحركية والممارسة الديمقراطية داخل الجامعة تمكن الطلبة من صقل وبناء شخصياتهم وتطور وعيهم الفكري ، والديمقراطية تؤدي إلى استخدام جميع الطرق والوسائل والأساليب التي تنمي لدى الطلبة التوجيه الذاتي والمسؤولية الذاتية ودور الجامعات يتمثل في مساعدة الطلبة على التمتع بالحرية والاستقلال الفكري في إطار الأنظمة والقوانين الجامعية وتمارس الديمقراطية من خلال تفجير الطاقات الإبداعية لدى الطلبة للبحث والاستقصاء للمعرفة بصيغ وأساليب جديدة وبدائل متنوعة .

- والمشاركة الديمقراطية في النظام الجامعي تقاس في مدى حرصه على توافر كافة الفرص اللازمة للنهوض بالطلبة للقيام بأدوارهم والمشاركة في صنع القرارات المتعلقة بهم . مما يؤدي إلى تعميق انتمائهم للجامعة وتحمل مسئولياتهم تجاهها ، وتقضي على المظاهر السلبية والاتكالية واستخدام التعليم عن طريق الحوار وطرح الآراء المختلفة والمناقشات التي تركز على الإدراك كعملية عقلية أكثر مما تركز على نقل المعلومات أيماناً بقدرة الإنسان على التفكير واستخدام الطريقة العملية في البحث وإثبات صحة أفكاره في حدود ما يمكن أثباته كما يمكن أن يمارس الطلبة الديمقراطية داخل الجامعة عن طريق حرية التعبير عن آرائهم واحترام مطالبهم المختلفة ومناقشتهم وإبداء آرائهم في ضوء ما توفره لهم الجامعة من تكافؤ الفرص التعليمية وتطبيق العدالة الأكاديمية وما يتوافر من علاقات إنسانية.(العاني ، 2000، 240).
- كذلك من خلال ما تقدمه الجامعة من نشاطات وفعاليات طلابية وثقافية أيماناً من الجامعة باحترام الطلبة كأفراد ذوي قيمة عليا في الجامعة حيث تعد المرحلة الجامعية للشباب من المراحل المهمة التي تسهم في بناء توجيهاتهم نحو قضايا أمتهم وأصالتها وتمكنهم من التعامل مع التطورات والتغيرات العلمية والاجتماعية والحضارية بكفاءة واقتدار ، كما لا بد على الجامعات من تعميق المفاهم الديمقراطية في نفوس الطلبة وتشجيعهم على المشاركة في المؤسسات الاجتماعية المختلفة وتوفير النشاطات والبرامج التي تعمق هذه المفاهيم ، ومن هنا تنطلق دعوتنا أيضاً إلى الاهتمام بالجامعات وإدارتها ومناهجها ونشاطاتها المختلفة التي تعمل على تكريس الممارسات الديمقراطية ، فالديمقراطية الجامعية يجب أن تسبق الديمقراطية الاجتماعية وتمهد لها لأن الجامعات هي أداة تعليم وتطوير وتغير وليس مهمتها المحافظة على الثقافة القائمة بخاصة من جوانبها السلبية بل يجب عليها أن تلعب دورها في تعزيز التطوير نحو الديمقراطية .

وتلعب الجامعات الديمقراطية دوراً فاعلاً في تعميق الاتجاهات الديمقراطية لدى الطلبة وأن الاتجاهات الديمقراطية الذي يحملها الطلبة لها دور كبير في أوجه حياتهم المختلفة كما أنها تؤثر في سلوكهم اليومي ويظهر هذا التأثير من خلال النشاط والسلوك الذي يمارسونه ومن خلال تحديد العلاقة الاجتماعية

مـــع الأفراد الآخرين ، إذ أن الفرد الذي ينتمي إلى جماعة معينة ويحمل اتجاهات مطابقة لمعايير هذه الجماعة يكـــون محبوبا لدى أفراد هذه الجماعة وبذلك يحصل على اشباع لحاجة التقدير والحب والاحترام وبذلك يمـــيل إلى تـــبني آراء تماثل أراءهم وأنه يقدر فهمنا لاتجاهات الفرد يمكن فهمنا لحقيقة شخصية وأن التعليم الذي يؤدي إلى إكساب وتكوين اتجاهات إيجابية صالحة للطلبة يكون أكثر جدوى وفائدة من التعليم الذي يؤدى فقط إلى إكساب المعرفة (Aderson 1971 /318)

والاتجاه يتكون ويكتسب بعدة طرق منها الآتي :

- عن طريق الأنماط السلوكية والمعرفية التي يتم اكتسابها بالتعليم .
- عن طريق التلقين تنتقل الخبرة بصورة غير مباشرة إلى الفرد وتكون الاتجاه .
- عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .
- عن طريق الآباء والمعلمين والأخوة والأقران ينتقل الاتجاه بواسطة الملاحظة للسلوك وتقليده .
- عن طريق المعلم الذي يلعب دور النموذج في تشكيل بعض الاتجاهات المعنية لدى الطلبة .
- عن طريق عضوية الفرد في جماعة حيث تلعب الجماعة دوراً في تكوين اتجاهاته بما يتناسب مع اتجاهاتها
- عن طريق تعرض الأفراد إلى خبرات مباشرة نحو موضوع الاتجاه .
- عن طريق الاتصال المباشر بموضوع الاتجاه يؤدي بالفرد إلى اكتساب الاتجاه نحوه(م ، س ، ص148)
- عن طريق النشاطات والفعاليات المختلفة التي يمارسها الفرد .

ثانيا :دراسة سابقة

تاريخ قياس الاتجاهات :

- يمكـــن قـــياس الاتجاه بعدة وسائل منها الملاحظة المباشرة لسلوك وتصرفات الأفراد ومقاييس التقدير الـــذاتي وهـــي من أكثر الوسائل انتشاراً وهي عبارة عن مجموعة من العبارات تتصل بموضوع الاتجاه ومن مقاييس الاتجاه الآتي:
- مقـــياس (يوجاردوس) ويسمى مقياس المسافة الاجتماعية وهو من أقدم المقاييس وجد في العشرينات وهدفـــه قياس درجة تقبل الأمريكيين أو نبذهم للجنسيات أو القوميات الأخرى التي توجد في المجتمع الأمـــريكي وأعطـــى درجـــة للتقبل ودرجة للرفض وأعطى العبارات التي بين الطرفين تمثل درجات متوسطة بين التقبل الاجتماعي والرفض الاجتماعي .
- مقياس (ترسنون) يشمل هذا المقياس عدداً من العبارات نحو الاتجاه لموضوع معين من أقصى الإيجابية إلى أقصـــى السلبية ، وهذه العبارات تغطي المسافة بين الموافقة الشديدة وبين الرفض الشديد وتدون كل عبارة على بطاقة منفصلة ، ويطلب من المفحوص الإجابة على العبارة بعلامة صح أو خطأ .

- مقـــياس (لـــيكرت) ، أعد هذا المقياس في الثلاثينات ويتكون من مجموعة من العبارات بعضها سالب وبعضها موجب ويطلب من المفحوص أن يحدد موقفه من هذه العبارات على مقياس متدرج من خمس نقاط وهي موافق جدا 5 درجات، موافق 4 درجات ، محايد 3 درجات ، أرفض 2 درجتان ، أرفض جدا درجة واحدة .
- مقـــياس الاتجاهـــات الفاشـــية ، من إعداد ستاجنر عام 1936م وتهدف إلى تحديد سمات الشخصية التسلطية
- مقياس الاتجاهات الفاشية العامة أعد عام 1941هـ وهو تطوير للمقياس السابق حيث تتوسع فكرة الفاشـــية لتشمل المواقف الاجتماعية فضلاً عن المواقف السياسية ويتضمن 22 عبارة يجيب المفحوص عليها وفق مقياس متدرج من خمس نقاط من 1-5 درجات .
- مقـــياس معاداة السامية ، ويقصد به الشعور بالكراهية والنفور من اليهود كجماعة عرقية وقد أعده (ليفـــنس) ويـــتكون من 52 عبارة على مقياس متدرج من ست نقاط ، وتدل الدرجة المنخفضة على تدني موقف العداء للسامية والدرجة المرتفعة على زيادة العداء للسامية .
- مقـــياس الـــتمركز العـــرقي ، من إعداد (أدورنو) سنة 1950م والتمركز العرقي هو الشعور بتميز الجماعـــة العرقية التي ينتمي إليها الفرد عن الجماعات العرقية الأخرى ويتناول المقياس الاتجاهات نحو الجماعـــات العرقـــية الموجودة من المجتمع ويجيب عليه المفحوص وفق مقياس متدرج مكون من سبع نقاط والمقياس يتكون من 20عبارة .
- مقياس التعصب العرقي ، من إعداد أدورانو أيضا ، وقد اشتهر باسم مقياس التسلط .
- مقـــياس الجمـــود الفكري ، من إعداد روكيش ، ويهدف إلى تحديد درجة الدجما طبقية أو الانغلاق العقـــلي والجمود الفكري ويتكون من 40 عبارة ويطلب من المفحوص أن يجيب على العبارات على مقياس متدرج من سبع نقاط .
- مقـــياس (اوجنجـــتون 1966) والـــذي يتكون من 16 عبارة صممت لقياس الاتجاه نحو النشاط الرياضي وقد أشار الباحث أنه لم يدخل في عبارات المقياس استجابات حيادية
- مقـــياس الاتجـــاه نحـــو الســـلطة من إعداد (راي) 1971م ويقيس الاتجاهات التسليطية في مختلف المؤســـســـات ويـــتكون من 28 عبارة ،(ربيع 1998م ، 191) وهناك مقاييس عربية لقياس الاتجاه منها.
- دراســـة الصوفي 1998م : الذي هدفت إلى قياس اتجاهات طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء نحو مواد عـــلم الـــنفس والمقياس أعد لقياس الاتجاه العالي والمنخفض واستخدم عينة مكونة من (260) طالباً

وطالبة وبعد تحليل البيانات إحصائيا اتضح بأنه لا توجد فروق إحصائية وفقاً لمتغير الجنس والتخصص كما وجد بان اتجاه الطلبة نحو مواد علم النفس كان إيجابياً (الصوفي 1998 ، 11) .

- دراسة فارع 1998م هدفت إلى معرفة اتجاهات طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء نحو تعليم المرأة في المجتمع اليمني ، تألفت العينة من (228) طالباً وطالبة استخدمت الباحثة التحليل الوصفي من خلال تصميم استمارة لقياس الاتجاهات وبعد تحليل البيانات أظهرت النتائج وجود اتجاه إيجابي نحو الحقوق التعليمية للمرأة بحسب متغير الجنس في حين كانت الفروق بين المتزوجين من الجنسين غير ذات دلالة إحصائية كذلك توجد فروق بالنسبة للمستويات التعليمية وأيضاً لا توجد فروق بحسب التوزيع الجغرافي وهناك فرق دال بالنسبة للمستوى التعليمي للمرأة حيث وصلت إلى أعلى المستويات من التعليم (فارع ، 1998 ، 50)
- دراسة ماردیني 1999م الذي هدفت إلى معرفة اتجاهات طلبة جامعة اليرموك – الأردن نحو النشاطات الترويحية وأوقات الفراغ ولتحقيق الهدف صمم الباحث استبانة مكونة من جزأين يتضمن الأول معلومات ديمقرافية وبيانات شخصية ويتضمن الثاني فقرات الاتجاهين نحو الترويح ، وتم توزيع الاستبيان على (200) طالب من كلية التربية بجامعة اليرموك وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً أشارت النتائج إلى إيجابية الاتجاهات السائدة لدى الطلاب نحو الترويح كما اشارت النتائج إلى وجود فرق ذي دلالة في الاتجاهات تبعاً لمتغيرات المستوى التعليمي للوالدين . (ماردیني ، 1999، 229)
- دراسة العاني 2000م :- هدفت الدراسة إلى الكشف عن درجة الممارسة الديمقراطية في جامعة اليرموك من وجهة نظر طلبة كلية التربية . وقد استخدم الباحث الاستبانة كأداة للبحث والذي تكونت من (88) فقرة لتشمل مجالات ستة وقد بلغت عينة الدراسة (480) طالباً وطالبة وقد أظهرت نتائج الدراسة أن جميع مجالات الدراسة حصلت متوسطات حسابية بتقدير (متوسط) كما اظهرت النتائج أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية في استجابات الطلبة في بعض المجالات ولصالح الطالبات (العاني ، 2000، 235)

الإجراءات المتبعة بهذا البحث :أولاً : أداة البحث

بهدف إعداد أداة لقياس اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية قام الباحث بالخطوات الآتية :

- جمع فقرات الأداة : قام الباحث بجمع (80) فقرة حيث تم الحصول عليها من خلال إعداد استبيان استطلاعي وزع على عينة من مجتمع البحث بلغت(60) طالباً وطالبة جامعية وكذلك من خلال الاعتماد على الأدبيات والدراسات والبحوث والمقاييس العلمية التي تم الإشارة لها في الدراسات السابقة ، وقد تم تحديد ستة مجالات وتحديد المواقف (الفقرات) المتعلقة بكل مجال التي من خلالها يمكن قياس اتجاهات الطلبة نحو الديمقراطية وتتمثل هذه المجالات الآتي :

- مجال مفهوم الديمقراطية
- مجال مدى الإدراك للديمقراطية .
- مجال أهمية الديمقراطية
- مجال الممارسات الديمقراطية
- مجال مستقبل الديمقراطية
- مجال دور الجامعات في الديمقراطية
- كمـــا تمت صياغة فقرات الأداة بالتساوي بين المجالات ونصفها إيجابي والنصف الآخر سلبي وتتضمن كـــل فقرة اختبار درجة من درجات البدائل الخمسة حسب سلم لبكرت وهي (موافق بشدة ، موافق ، لا رأى لي ، لا أوافـــق ، لا أوافـــق مطلقـــا) وأعطيـــت الدراجـــات الآتية للبدائل على الترتيب (5 ،4،3،2،1) للفقرات الإيجابية والعكس بالنسبة للفقرات السلبية .

2ـ صدق الأداة :

- تم عـــرض فقـــرات الأداة وتعلـــيماتها وبدائـــلها على مجموعة من المحكمين* الذين أبدوا موافقتهم على الفقرات وتم استبعاد الفقرات التي لم يوافق عليها الخبراء وبذلك تحقق الصدق الظاهري لها .

3ـ وضوح فقرات الأداة وبدائلها وتعليماتها :

- قـــام الباحـــث بعرض الأداة على عينة من مجتمع البحث بلغت (36) طالباً وطالبة وجميعهم أكدوا وضـــوحها وملاءمـــتها وسلامتها حيث أنه لم يستفسر عنها إلا القليل خلال إجابتهم عليها وبالنسبة للوقت الذي استغرقته في الإجابة عليها فقد كان بمعدل (29) دقيقة .

4ـ القوة التمييزية للفقرات :

بعـــد أن تم تطبـــيق الأداة على عينة من طلبة الجامعة بلغت (300) طالب وطالبة جامعية ، قام الباحـــث بإستخراج القوة التميزية للفقرات باستخدام أسلوب العينتين المتطرفتين حيث تم اختيار 27% مـــن الاســـتبيانات الحاصلة على الدرجات العليا وكذلك 27%من الاستبيانات الحاصلة على الدرجات الدنـــيا وتم مقارنـــة متوسطات درجات 27% العليا بمتوسطات درجات 27% الدنيا واتضح أن جميع الفقـــرات كانـــت مميزة حيث تراوحت القيمة التائية للفقرات ما بين (2،7،8،25) عند مستوى الدلالة (0.001 ، 0.01 ، 0.05) .

---

* أ.د نوري عباس
* د. محمد المعافا
* أ. محمد مصطفى
* أ . أحمد عبيد
* أ . مجوك كلي

5ـ ثبات الأداة :

- قـام الباحـث بتطبيق الأداة على عينة مؤلفة من (60) طالباً وطالبة تم اختيارهم من ست كليات بالجامعة ، كما قام الباحث بإعادة التطبيق للأداة على نفس العينة المذكورة بعد فارق زمني قدره 23 يوماً من التطبيق الأول وحسب معامل الثبات حيث بلغ (0.79) وتعد هذه نسبة مقبولة في البحوث الإنسانية ، (Nunnaly ، 1978 ، 280) .

ثانياً : عينة البحث التطبيقية :

تألفـت عينة هذا البحث من (300)طالب وطالبة جامعية تم اختيارهم بطريقة عشوائية من ست كلـيات في جامعة ذمار وهي ، التربية ، والآداب واللغات ، والهندسة ، والعلوم التطبيقية ، والطبية وهم موزعون بالتساوي على وفق متغيري الجنس والتخصص وجدول (1) الآتي يوضح ذلك

جـدول (1) عينة البحث التطبيقية موزعة على وفق متغيري التخصص والجنس

م	الكلية	الجنس			ملاحظات
		ذكـور	إنـاث		
1	التـربيـة	25	25	50	العدد يشمل الكليتين
2	الآداب واللغات	25	25	50	
3	اللغات	25	25	50	
4	الهندسة ، والحاسبات	25	25	50	العدد شمل الهندسة والحاسبات
5	العلوم التطبيقية	25	25	50	العـدد شمل العلوم ، طب ألاسنان والطب البشري
6	العلوم الطبية	25	25	50	
		150	150	150	

ثالثاً : الوسائل الإحصائية :

لمعالجة بيانات هذا البحث استخدم الباحث الوسائل الإحصائية الآتية :

1- الاختـيار الـنائي لعيـنة واحـدة (فقـد اسـتخدم لقياس اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية (Runyon, 1980 P 140 , P 240)

2- الاختـيار الـنائي لعينتين مستقلتين استخدمتا لاستخراج القوة التميزية للفقرات وللمقارنة اتجاهات طلـبة الجامعـة نحو الديمقراطية على وفق متغيري الجنس والتخصص (Runyon 1980/ 240)

3- معـامل ارتـباط بيرسـون اسـتخدم في اسـتخراج ثـبات الأداة بطـريقة إعـادة التطبـيق (Nunuallgj.c.1978 P 280)

عرض النتائج ومناقشتها:

بعد عملية تحليل البيانات إحصائيا توصل البحث إلى النتائج الآتية :

أولا : بنا أداة لقياس اتجاهات طلبه الجامعة نحو الديمقراطية

لقد تم تحقيق هذا الهدف من خلال الإجراءات التي تم الإشارة إليها آنفاً .

ثانياً : قياس اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية .

بلغ الوسط الحسابي لعينة الطلبة على المقياس (187) والانحراف المعياري (31,7)في حين كان الوسـط الفرضي (180) ولمعرفة دلالة الفرق بين الوسط الحسابي لإفراد العينة والوسط الفرضي للمقياس اسـتخدم الاختبار التائي لعينة واحدة وبلغت القيمة التائية المحسوبة (3,9) وهى اكبر من القيمة الجدولية (1,96) عند مستوى الدلالة (0,05) مما يشير إلى إيجابيات الاتجاهات الديمقراطية لدى طلبة الجامعة .

والجدول الأتي يوضح ذلك

جدول (2)

العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	مستوي الدلالة
طلبة الجامعة	300	187	31,7	180	3,9	0,05

ويمكـن تفسير هذه النتيجة إلى ارتفاع الوعي الاجتماعي لدى طلبة الجامعة بالعملية الديمقراطية نتيجة لاهتمام المؤسسات الاجتماعية والتعليمية ووسائل الإعلام في عملية التوعية بالديمقراطية وكذلك الـتفاعل الاجـتماعي مـع الفعاليات الديمقراطية المختلفة التي تمارس والتوجهات الديمقراطية للدولة التي أتاحهـا الدسـتور وكفلـتها القوانين ، والديمقراطية يمكن أن تنمى من خلال تشكيل الجان والجمعيات والاتحادات المختلفة للطلبة داخل الجامعة والتي ترشح أعضاءها بواسطة الانتخابات الديمقراطية الحرة كما يمكـن أن تـنمى من خلال المناهج الدراسة ومن خلال طرق التدريس الحديثة والمتطورة التي تعتمد على المناقشـة والحوار وإبداء الآراء فضلا عن طبيعة المجتمع اليمني الذي يميل إلى الحكم الديمقراطي والشورى منذ نشأة الدولة على ارض اليمن عبر العصور والحضارات القديمة وكذلك الانفتاح الحالي لسياسة الدولة الاقتصـادي عـلى كـل المسـتويات وتشجيعها لإنشاء الأحزاب والمنظمات الجماهيرية المختلفة وحرية الصحافة والإعلام ساعد على نمو التوجهات الديمقراطية لدى طلبة الجامعة .

ثالثاً : مقارنة اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية على وفق متغير الجنس :

كـان الوسـط الحسـابي لعينة الطلاب الذكور (187,7) والانحراف المعياري (22,6) وكان الوسـط الحسـابي لعينة الطالبات (186.4) والانحراف المعياري (22.6) وبعد استخدام الاختبار التائي لعينـتين مسـتقلتين وجـد أن القيمة التائية المحسوبة (52،) وهي غير ذات دلالة إحصائية عند مستوى

(0,05)مما يشير إلى أن الطلاب الذكور لا يختلفون عن الطالبات الإناث في اتجاهاتهم نحو الديمقراطية وجدول (2) الآتي يوضح ذلك ، جدول (3)

مقارنة اتجاهات الطلبة الذكور والإناث نحو الديمقراطية

ت	العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	0,05
1	ذكور	150	187,7	22,9	0.52	غير ذات دلالة
2	إناث	150	186,4	22,6		

رابعاً : مقارنة اتجاهات طلبة الجامعة نحو الديمقراطية على وفق متغير التخصص :

بلغ الوسط الحسابي لعينة طلبة الكليات العلمية (188) والانحراف المعياري (22,8) بينما بلغ الوسط الحسابي لعينة طلبة الكليات الإنسانية (186) والانحراف المعياري (22,6) وبعد استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وجد بان القيمة التائية المحسوبة (84،) وهي غير ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,05) وهذا يشير أيضا إلى أن طلبة الكليات العلمية لا يختلفون عن طلبة الكليات الإنسانية في جامعة ذمار في اتجاهاتهم نحو الديمقراطية .

والجدول الآتي يوضح ذلك :

جدول (4)

المقارنة بين طلبة الكليات العلمية وطلبة الكليات الإنسانية في الاتجاه نحو الديمقراطية

ت	نوع العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	مستوى الدلالة
1	طلبة الكليات العلمية	150	188	22,8	84،	غير ذات الدلالة
2	طلبة الكليات الإنسانية	150	186	22,6		

ويمكن تفسير النتيجتين السابقتين بأنه لا يوجد فرق بين الطلبة الذكور والطالبات الإناث وكذا لا يوجد فرق بين طلبة الكليات العلمية وطلبة الكليات الإنسانية ذي دلالة إحصائية من خلال تساوي الجميع في درجة اتجاهاتهم نحو الديمقراطية وهذه النتيجة توضح أن الفرص المتاحة من النشاطات والفعاليات المختلفة التي تعمل على تنمية الديمقراطية تكاد تكون متساوية في مختلف الكليات داخل الجامعة .

والعملية الديمقراطية تعد عملية تراكمية ودور الجامعة يتمثل في إتاحة المناخ النفسي والاجتماعي الذي يسمح بحرية الرأي وتوجيه الطلبة إلى البحث وتقصي المعرفة وتوفير الامكانيات والتسهيلات اللازمة لإقامة مختلف الفعاليات والنشاطات الطلابية ويكاد يكون المجتمع اليمني من المجتمعات المتجانسة حيث لا توجد فوارق طبقية بين مختلف فئاته فضلاً عن التجمعات واللقاءات الديمقراطية التي تحتوي مختلف الطبقات الاجتماعية في المجتمع واستكمالا للجوانب العلمية ذات العلاقة بهذا البحث نتقدم ببعض التوصيات والمقترحات .

التوصيات :

1- ينبغي أن تتيح الجامعة الفرصة للطلبة للتعبير عن آرائهم من خلال توفير الوسائل المختلفة مثل صحيفة الحائط والمجلات والدوريات العلمية والثقافية والمشاركة في الندوات واللقاءات الاجتماعية والثقافية

2- ينبغي على الجامعات أن تعمل على تنمية وتعميق الاتجاهات الإيجابية للطلبة نحو حرية التعبير والتعاون والتكافل واحترام الآخرين والحوار البناء وتقبل النقد والرأي والرأي الآخر والنقد الذاتي .

3- ينبغي تضمين المناهج الدراسية الفوائد الديمقراطية وأهميتها للمجتمع .

4- ينبغي أن تشارك مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات السياسية بالقيام بأدوارها المختلفة لتعميق مفهوم الديمقراطية في أوساط الشباب .

5- قيام النشاطات المختلفة داخل الجامعة التي تعمل على تعميق الديمقراطية في نفوس الطلبة وتشجعهم على ممارستها .

6- ينبغي أن تقدم الجامعة الجوائز والحوافز المختلفة للمبدعين والمهتمين والنشطين في المجالات الديمقراطية .

المقترحات :

1- إجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول الديمقراطية وتقديم البرامج والفعاليات التي تعمل على تنميتها وتعميقها في أوساط الطلبة .

2- إجراء دراسات مماثلة في جامعات ومناطق أخرى ومقارنة نتائجها مع نتائج هذا البحث .

الخلاصة :

إن هذا العصر هو عصر العولمة والتطور والتقدم في مختلف مجالات الحياة والاتجاهات العالمية التي تفرض التوجه الديمقراطي المباشر الحر والمبرمج من خلال الانتخابات الحرة التي تحتم علينا التفكير بالديمقراطية وأن نعمل على ممارستها ونشرها من غير تحفظ أو تردد ومؤسسات التعليم لا بد أن تعمل

عـــلى تطور الإنسان وإنماء قدراته الفكرية وتجعله حرا وناقدا وباحثا عن الحقيقة ومتواصلا مع قضايا العلم والمجتمع وأن تمكنه الخبرة التعليمية للتعبير عن نفسه والمشاركة في تحمل المسئولية الشخصية والاجتماعية .

والبحـــث الحالي يهدف إلى التعرف على اتجاهات طلبة جامعة ذمار نحو الديمقراطية ولتحقيق هذا الهـــدف تم تصميم استبيان (أداة) مكونة من (60) فقرة لقياس اتجاهات الطلبة نحو الديمقراطية وتم توزيع الأداة على (300) طالب وطالبة من طلبة جامعة ذمار من مختلف كليات الجامعة وفي مختلف التخصصات العلمية والإنسانية حيث تم اختبارهم بطريقة عشوائية وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً أشارت النتائج إلى إيجابية الاتجاهات السائدة لدى الطلبة نحو الديمقراطية .

كمـــا أشارات نتائج المقارنة على مستوى الجنس والتخصص إلى عدم وجود فارق في الاتجاهات نحو الديمقراطية .

المصـــادر

(1) : الأحصـــب ، أحمد علي ، (2000) ، منظمات المجتمع المدني وتفعيل المشاركة السياسية للمرأة ، ورقة عمل مقدمة للندوة الخاصة بمشاركة المرأة في الانتخابات ذمار – 18-19 سبتمبر .

(2) : الدولـــة ، عصمت سيف ، (1991) ، النظام النيابي ومشكلة الديمقراطية القاهرة ، دار الموقف العربي للصحافة والنشر والتوزيع .

(3) : ربيع ، محمد شحاته ، (1998) ، قياس الشخصية ، جمهورية مصر العربية دار المعرفة الجامعية ، ط2

(4) : شمســـان ، الهينـــي ، احمد ، خلف ، (1999) ، الاتجاهات نحو التعليم المهني والتقني في اليمن مجلة البحوث والدراسات التربوية ، صنعاء ، مركز البحوث ، العدد الرابع عشر ، السنة السادسة .

(5) : الشـــخص ، عبدالعزيز ، (1986) ، اتجاهات بعض العاملين في التعليم نحو المعوقين ، مجلة دراسات تربوية ، القاهرة ، المجلد الأول ، الجزء الرابع .

(6) : الشـــميري ، ســـمير ، (2000) ، الشـــورى والديمقراطية – المعنى – الدلالة ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد الثالث ، العدد السادس ، عدن ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر .

(7) : الصـــوفي ، محمـــد عبدالله ، (1998) ، اتجاهات طلبة كلية التربية – صنعاء – نحو مواد علم النفس ، مجلـــة البحوث والدراسات التربوية ، مركز البحوث والتطوير التربوي ، صنعاء ، العدد الثالث عشر ، السنة الخامسة .

(8) : العاني ، وجيهه ثابت ، (2000) ، درجة الممارسة الديمقراطية في جامعة اليرموك من وجهة نظر طلبة كلية التربية ، مجلة كلية التربية ، جامعة اسيوط ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول .

(9) : فارع ، وهيبة غالب ، (1998) ، اتجاهات طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء نحو تعليم المرأة في المجتمع اليمني ، مجلة البحوث والدراسات التربوية ، صنعاء ، مركز البحوث ، العدد 13 ، السنة الخامسة .

(10) : الكبيســـي ، وهيـــب مجـــيد ، (1987) ، طـــرق البحـــث فـــي العلـــوم الســـلوكية ، بغـــداد ، مطبعة التعليم العالي ، ط 2 .

(11) : الكبيســـي ، وهيب مجيد ، (1987) ، بناء مقياس لاتجاهات الطالبات الجامعيات نحو مهنة التمريض ، طرق البحث في العلوم السلوكية ، بغداد ، مطبوعات جامعة بغداد .

(12) : ماردينـــي ، وليد ، (1999) ، اتجاهات طلبة جامعة اليرموك نحو الأنشطة الترويحية وأوقات الفراغ ، مجلة جامعة دمشق ، للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية ، دمشق .

(13) : موســـى ، ســـلامة ، (1986) ، الديمقراطية والتعليم ، مجلة دراسات تربوية ، القاهرة ميدان التحرير ، المجلد الأول ، الجزء الرابع .

(14) : المجيد ، وحيد عبده ، (1990) ، الديمقراطية في الوطن العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (138) مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان .
(15) : Anderson, N. (1971) "Attects of institutionalization in self Estteem" journal of Gerontology, vol.(26), No. (2).
(16) : Dawes,R.M.,(1972). "Fundamentals of attiude. Measurement", New York Wiley.
(17) : Guilford,J.P. (1954), "Psychometric methods, New York, Me Graw-Hill.
(18) : King, B.T. (1972) and Me Ginniesis. "Attiudes conflict and social change" New York, Academic press.
(19) : Nannally. J.C. (1978), "Psychometric theory", New York, Me Graw Hill, P. 280.
(20) : Ronyon, R.P. & Haber. A. (1980), "Fundamentals of behavioral statistically", Fornisaddision , Wesly. P. 240.

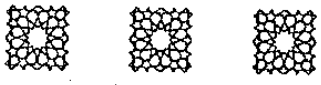

تطوير كتب الدراسات الاجتماعية في مرحلة التعليم الأساسي في ضوء أهداف التربية البيئية

د. محمد يحيى المعافا *

مقدمة

لقد بات واضحاً ومن الأمور المطلوبة لكل من يتطلع إلى التطوير أن ينظر إلى من قد سبقه على طريق التقدم والتطوير ، ولكن المطلوب أيضاً أن تكون النظرة أساسها الاقتناع بأن ما يحدث خارج بلادنا ليس صالحاً دائماً لتطبيقه أو تنفيذه داخل هذه الحدود ، ولما كانت عملية التطوير تستند لحصيلة العلم والبحوث العلمية وما تقدمه من اتجاهات جديدة ،ولا تشذ المناهج الدراسية عن هذه القاعدة فهى تستجيب فى كل مكان لحصيلة البحوث العلمية ، لذلك فإن الدول المتقدمة تعنى بهذا الأمر سعياً وراء المزيد من التقدم ، ومن ثم فإن حاجة المجتمعات النامية إلى هذا الأمر يعد أمراً مهماً ولا مجال للتغاضى عنه أو تجاهله .

ولمواجهة المستحدثات التربوية والنمو المتسارع للمعرفة ، والتجديد المستمر في جميع نواحي الحياة ، لا بد للمنهج أن يكون في مقدمة المجالات التي ينبغي ان تتناولها عملية التطوير والتجديد ، وذلك من أجل ان يكون باستمرار صورة واضحة تعكس حالة المجتمع وثقافته وحاجاته وتطلعاته المستقبلية .

ولما كان رجال التربية يضاعفون جهودهم واهتماماتهم بتطوير المناهج الدراسية حتى تستطيع ان تقوم بدورها على أكمل وجه ، وذلك بإعادة تنظيم مناهجها بأسلوب جديد متكامل ، حيث أن الأسلوب

* أستاذ مساعد / قسم العلوم التربوية والبيئية /كلية التربية / جامعة ذمار .

التكامـــلي فى بـــناء مقررات الدراسات الاجتماعية يلائم طبيعة هذه المادة ومنطقها ، وبذلك يمكننا تحقيق أهداف التربية البيئية فى ظل التوجيهات السابقة .

ونظراً لاتجاهات التطوير فى مجال المناهج الدراسية بصفة عامة والدراسات الاجتماعية بوجه خاص ، نجـــد ان هناك العديد من المفاهيم والاتجاهات التى تفرض نفسها على الساحة التربوية وعلى حركة الفكر الـــتربوي وتطبـــيقاته وممارستها، ومن هذه المفاهيم والاتجاهات التربية البيئية ، وكان من الطبيعي أن ينتقل هذا الاهتمام إلى السياسات التربوية لعديد من دول العالم التى أدركت أهمية وضرورة إدخال التربية البيئية فى مختلف مناهج التعليم .

وقـــد أكـــد مؤتمر البيئة العالمي المنعقد فى مدينة استوكهولم عام 1972م ، فى توصياته على ضرورة التربـــية البيئية وأهمية إدخالها مختلف مراحل التعليم ، كما أكد كل من مؤتمر بلغراد عام 1975م ، ومؤتمر تبليسي عام 1977م أهمية أهداف التربية البيئية .

وعلى المستوى العربي ، كان لنشاط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دور رائد فى هذا المجال ، فعقـــدت العديد من المؤتمرات والندوات أبرزها مؤتمر القاهرة عام 1972م ، ومؤتمر بغداد عام 1974م ، ونـــدوة الكويـــت وخليج عدن بالقاهرة عام 1976م ، حيث أكدت في توصياتها ضرورة إدخال مفاهيم التربية البيئية فى مناهج التعليم المختلفة بهدف تطويرها .

مشكلة البحث وأهميته :

أكـــدت العديـــد من الدراسات والبحوث في مجال المناهج الدراسية بصفة عامة في مراحل التعليم المخـــتلفة في كـــثير مـــن البلدان العربية ، والتي أشارت إلى أن المناهج الراهنة ما تزال تؤكد في فلسفتها وطـــريقة تدريســـها المادة العلمية والحقائق المجردة ، وكانت بمثابة مؤشرات أظهرت سلبية وضعف كفاءة المـــناهج الحالـــية ، هذا على الرغم من أن بعض البلدان العربية بدأت في الآونة الأخيرة تطوير مناهجها بالشـــكل الـــذي يجعل هذه المناهج مرتبطة عضويا بالبيئة والمجتمع والحياة المعاصرة ، ولكن مازالت فكرة الـــتكامل بعـــيدة عن التطبيق والتنفيذ على الرغم من كثرة الحديث عن أهميتها والاتجاه نحو ربط التعليم بالبيئة (8-17) .

ونظـــراً لاطلاع الباحث على عدد من المؤتمرات والندوات والبحوث التي اهتمت بتطوير المناهج الدراســـية والدراســـات الاجتماعية بوجه خاص ، التي أسفرت نتائجها عن العديد من التوصيات أكدت أهمية التربية البيئية وضرورة إدخالها مناهج التعليم المختلفة بهدف تطويرها مثل دراسة (الدمرداش1977) ، ودراسة (حزين ، 1983) ، ودراسة (شلبي 1984) ، ودراسة (بشراح 1984) .

ويعـــتقد الباحث أن كتب الدراسات الاجتماعية بمرحلة التعليم الأساسي في اليمن بوصفها الحالي لا تهـــتم بقضايا البيئة اليمنية ومشكلاتها ، ولا تكسب التلاميذ احترام البيئة والمحافظة عليها ، وهذا ما أكدته بعـــض الـــتقارير السنوية التي تصدر عن جهاز التوجيه والتفتيش بوزارة التربية والتعليم (صنعاء) ، حيث تشير تلك التقارير أن المناهج الحالية تؤكد تجزئة المعرفة إلى مواد دراسية منفصلة عن بعضها ، فالدراسات

الاجتماعـــية مازالت تدرس على اساس (جغرافيا – تاريخ – تربية وطنية) دون رابط بينها أو تكامل ، ولا تهـــتم بشـــكل ملحوظ بقضايا البيئة اليمنية ، وتكتفي بتزويد التلاميذ بالمعلومات المجردة فقط وتركز على الحفـــظ والاســـتظهار (23-9) ، (16-11) ، وقد أكدت الندوة التربوية التي عقدت في جامعة صنعاء (1988) ، والـــتي اسفرت توصياتها عن أن المناهج الحالية بحاجة إلى إعادة النظر لإجراء مزيدٍ من التطوير وضرورة ربطها بالبيئة التي يعش فيها التلاميذ من خلال تزويدها بأمثله من واقع البيئة اليمنية (16-11).

ومـــن هـــنا يـــرى الباحث ضرورة مواصلة تطوير أهداف ومحتوى كتب الدراسات الاجتماعية كلما طرأ تطويـــر في مضامين الدراسات الاجتماعية وما يحدث في البيئة من أحداث وتطورات بغية إدخال مفاهيم ومضـــامين التربـــية البيئـــية المعاصرة إلى كتب الدراسات الاجتماعية استجابة لما ينادي به خبراء التربية والمـــناهج الدراسية ، ولما يشهده العالم من تطورات ومشكلات بيئية وارتباط ذلك بالتطورات الاقتصادية والاجتماعـــية وبالـــتالي لما تمتاز به الدراسات الاجتماعية من أهداف ومعرفة متكاملة لا غنى عنها في كل المجالات التي تسهم في عملية تنمية المجتمع وتحسين نوعية البيئة .

وبذلـــك تتمكن مادة الدراسات الاجتماعية في مرحلة التعليم الأساسي من تحقيق أهدافها المرتبطة بالبيـــئة بصـــورة مـــتكاملة من حيث ربط الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسكانية بالبيئة التي يعيش فيها التلاميذ ، نظراً لأهمية هذه المرحلة لما لها من تأثير كبير ومهم في إعداد الناشئة وتحسين نوعية حياتهم وحياة أسرهم ومجتمعاتهم بما يكفل مساهمتهم الفاعلة في الحفاظ على موارد بيئتهم وتحقيق أهداف التربية البيئية .

ومـــن هذا المنطلق أصبحت الحاجة ضرورية لمثل هذا البحث الذي تتحدد مشكلته في التساؤلات الآتية .

1- مـــا أهـــداف التربية البيئية التي يجب تضمينها كتب الدراسات الاجتماعية والتي تتناسب مع تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في اليمن ؟

2- ما مدى توافر هذه الأهداف في كتب الدراسات الاجتماعية الحالية بمرحلة التعليم الأساسي ؟

3- ما التصور المقترح لتطوير كتب الدراسات الاجتماعية في ضوء قائمة الأهداف؟

أهميـــة البحـــث :

تتضح أهمية البحث الحالي في الآتي :

1. يعـــد هذا البحث استجابة لعدد من توصيات الدراسات والندوات والمؤتمرات التي عقدت حول البيئة عـــلى المســـتوى المحلي والدولي والتي تنادي بضرورة إدخال التربية البيئية في مراحل التعليم المختلفة لأهمية دورها إلى جانب التشريعات والقوانين في الحفاظ على البيئة .
2. تحقـــيق الاتجاه التكاملي بين فروع الدراسات الاجتماعية والتربية البيئية وفي نفس الوقت يحقق أهدافها المعرفية والوجدانية والسلوكية .

3. قد يفيد هذا البحث في أبراز الترابط والتكامل بين فروع الدراسات الاجتماعية والتربية البيئية ، الأمر الـذي يساعد المعلم على توفير الكثير من الجهد والوقت الذي قد يضيع جزء كبير منه عند تدريسها بطريقة منفصلة وبعيدة عن حياة التلاميذ وبيئتهم التي يعيشون فيها ، وبذلك لا تفتقر مادة الدراسات الاجتماعـية على الحفظ والاستظهار ، بل تصبح وسيلة لتحقيق غاية تربوية ، وهي الإسهام إلى جانب بقية المواد الدراسية في تنمية شخصية التلميذ في الجوانب المعرفية والوجدانية والسلوكية .
4. قـد يكسـب التلاميذ النظرة التكاملية للحياة والبيئة التي يعيشون فيها والوقوف على مجمل التغيرات السريعة المحلية والعالمية .
5. قـد يسـاعد هذا البحث المربين ومخططي المناهج في وزارة التربية والتعليم بالاهتمام بتضمين مفاهيم التربية البيئية في مناهج التعليم المختلفة بهدف تطويرها .

حـدود البحث :

يقتصر هذا البحث على الآتي :

1. وضع قائمة بأهداف التربية البيئية في مجال الدراسات الاجتماعية لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسي.
2. تحليل محتوى كتب الدراسات الاجتماعية (جغرافيا – تاريخ– تربية وطنية) في ضوء قائمة الأهداف.
3. معـرفة واقع كتب الدراسات الاجتماعية التي تدرس حاليا للعام الدراسي99/98م من خلال الوقوف على مدى مسايرتها لأهداف التربية البيئية وتطويرها.
4. تقديم تصور مقترح لتطوير كتب الدراسات الاجتماعية في ضوء قائمة أهداف التربية البيئية .

مصطلحـات البحـث :

1ـ التصور المقترح :

يقصـد بـه الباحث جهد تعليمي موجه أو مقصود لتطوير كتب الدراسات الاجتماعية في ضوء أهـداف التربـية البيئية لمرحلة التعليم الأساسي ، وقد تضمن ست وحدات رئيسية يتفرع عن كل وحدة عدد من الوحدات الفرعية (وحدات تعلم صغيرة) ينبغي توزيعها على صفوف المرحلة ، كما اشتملت كل وحـدة رئيسـية على المفاهيم والحقائق والمعلومات البيئية ، وفي مرحلة التنفيذ ينبغي الاهتمام بالنشاطات التربوية واساليب التقويم الموضوعية بما يساعد على تحقيق أهداف التربية البيئية .

2ـ كتب الدراسات الاجتماعية :

يقصـد بها المقررات الدراسية التي تدرس حاليا بمرحلة التعليم الأساسي وهي (جغرافيا – تاريخ – تربية وطنية)

3ـ مرحلة التعليم الأساسي :

يقصد بها مرحلة تعليمية تشمل الحلقة الأولى والثانية من مرحلة التعليم الأساسي في اليمن ومدتها (9سنوات) من السنة الأولى حتى التاسعة وهي المرحلة التي تلي مرحلة الحضانة أو التمهيدي .

4ـ أهداف التربية البيئية :ـ

في ضـــوء الاهتمامات التربوية ، ينادي التربويون وخبراء المناهج إلى ضرورة تطوير مناهج التعليم مـــن خـــلال الســـعي نحو تحقيق أهداف التربية البيئية التي يقصد بها تكوين أفراد مراعين بيئتهم ومهتمين بمشكلاتها ولديهم المعرفة والاتجاهات والمهارات حتى يكون لهم دور إيجابي نحو حل بعض المشكلات البيئية الراهنة ومنع حدوث مشكلات أخرى جديدة .

يقصـــد بالتربـــية البيئـــية في هـــذا البحث على أنها عملية تكوين المفاهيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الفيزيقي ، وتوضح حتمـــية المحافظـــة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته (18-12)

وفي ضوء فلسفة التربية في اليمن وأهدافها وخصوصية البيئة اليمنية ، فقد تم تضمين البعد البيئي في كتـــب الدراســـات الاجتماعية وفقا لقائمة أهداف التربية البيئية التي تم تحديدها لمرحلة التعليم الأساسي والتي اشتملت على أهداف (معرفية – وجدانية – مهاراتية) بهدف تطويرها .

الإطـــار النظـــري والـــدراســـات الســـابقـــة :

التربية البيئية وأهدافها :

اتخـــذ مفهـــوم التربية البيئية عدة صور تختلف باختلاف القضايا والمشكلات البيئية التي تختلف تبعاً لاختلاف المجتمعات ، وتعددت التعريفات التي تمخضت عنها المؤتمرات والندوات والبحوث والدراسات . ولعـــل أهم التعريفات الكثيرة تعريف ميثاق بلغراد (1975) ، بأنها ذلك النمط من التربية التي تهدف إلى تكويـــن جـــيل واع ومهتم بالبيئة ومشكلاتها المرتبطة بها ، ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام ما يتيح له أن يمارس فردياً وجماعياً حل المشكلات القائمة وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور (28-13) .

ويعـــرفها مؤتمـــر تبليس (1977) ، بأنها عملية إعادة توجيه وربط لمختلف فروع المعرفة والخبرات الـــتربوية بمـــا ييسر الإدراك المتكامل للمشكلات ويتيح القيام بأعمال عقلانية للمشاركة في مسئولية حل المشكلات والارتقاء بنوعية البيئة (27-69) .

ويعـــرفها (اســـتاب) بأنهـــا " عملية تهدف إلى توعية سكان العالم بالبيئة الكلية، وتقويم اهتمامهم بها وبالمشـــكلات المتصلة بها وتزويدهم بالمعلومات البيئية والاتجاهات السليمة والحيلولة دون ظهور مشكلات جديدة(19-103) .

وعلى المستوى العربي ، يعد تعريف (سليم) ، أقرب التعريفات لواقع البيئة العربية وما يتعلق بها من مشـــكلات ويـــنص هـــذا الـــتعريف على أن التربية البيئية هي عملية تكوين المفاهيم والاتجاهات والقيم

والمهـــارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي البيوفيزيقي ، وتوضيح حتميته المحافظة على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته (18-6) .

أهداف التربية البيئية :

يلخـــص ميثـاق بـلغـراد عـام (1975) أهـداف التربيـة البيئيـة فـي :

1- **الـوعي**: مســاعدة الأفــراد والجماعــات عــلى اكتســاب الوعي البيئي نحو البيئة بجميع جوانبها ومشكلاتها.

2- **المعارف** : مساعدة الأفراد والفئات الاجتماعية على اكتساب الفهم بالبيئة والمشكلات المرتبطة بها .

3- **الاتجاهات والقيم** : مســاعدة الأفــراد والفئات الاجتماعية على اكتساب القيم الاجتماعية وتنمية المشاعر الحية ، والشعور القوي بالانتماء للبيئة ، والرغبة في المشاركة في حمايتها وتحسينها .

4- **المهارات** : مساعدة الأفراد والفئات الاجتماعية على تنمية المهارات الصحيحة بحل مشاكل البيئة .

5- **المشـاركة** : مســاعدة الأفراد والفئات الاجتماعية على تنمية إحساسهم بالمسئولية وعاطفة المبادرة فيما يتعلق بحل مشاكل البيئة (28-24).

يلاحـــظ على الأهداف آنفة الذكر أنها تتسم بالشمولية ويمكن الاعتماد عليها كمصادر نشتق منها أهداف برامج التربية البيئية والمراحل التعليمية .

أهداف التربية البيئية في مرحلة التعليم الأساسي :

تهـــدف التربية البيئية في مرحلة التعليم الأساسي إلى تربية تلاميذ قادرين على التفاعل مع بيئتهم بـــنجاح ، لذلك ينبغي أن تتدرج أهداف التربية البيئية في هذه المرحلة ، بحيث تهدف مرحلة الحلقة الأولى من التعليم الأساسي تنمية قدرة التلميذ على اكتشاف الأشياء ، والمواد التي تحيط ببيئته القريبة ، وأكسابه خبرات ملموسة بشكل عام ، أي أن الدراسة تكون أكثر عمقاً خلال صفوف المرحلة الأولى ، بحيث تكون الحلقـــة الثانية (من وحدات التعليم الأساسي) امتداداً طبيعياً لما تتضمنه مادة الدراسات الاجتماعية على اعتـــبار ان قـــدرات التلاميذ تنمو بصورة متدرجة نحو التفكير المجرد ، فالتلميذ يستطيع أن يفكر تفكيراً منطقـــياً فى المشـــكلات التي تصادفه عندما تكون جميع مكونات المشكلة ماثلة في فكره لهذا تهدف مرحلة الحلقة الثانية من التعليم الأساسي إلى الأهداف الآتية :

1. تعمـــيق المفاهـــيم التي سبق تعلمها في المرحلة الأولى ، وإضافة مفاهيم جديدة تتناول المتغيرات البيئية والعوامل الطبيعية والحيوية ذات الأثر فيها .
2. دراسة العلاقات المتشابكة في البيئة المحلية ، والبيئة الإقليمية .

3. العمل على صيانة البيئة وحسن استغلالها والانطلاق إلى العالم كبيئة متكاملة وذلك لإعداد المواطن المسلح بالوعي البيئي (21-264) .

ضرورة التربية البيئية في مناهج الدراسات الاجتماعية :

الدراسات الاجتماعية كما يفهم من اسمها ، هي تلك المواد التي تدرس الإنسان من حيث علاقات أفراده وجماعاته بعضهم ببعض ، ومن حيث العلاقات التي بين الإنسان وبيئته التي يعيش فيها ، كما تدرس المشكلات التي نشأت وتنشأ عن هذه العلاقات ، أي أنها تركز اهتمامها على علاقات الإنسان وميادين سلوكه ، أكثر من اهتمامها بإعطاء قسط معين من المعرفة ، وهي تختلف في مستويات دراستها باختلاف مراحل التعليم (14-23) .

وهناك من يطلق عليها المواد الاجتماعية ، ويعرفها " بأنها جزء من المنهج الدراسي الذي يتكون من التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية وكلها مواد بحكم طبيعتها تعالج المجتمع وآماله وتطلعاته وماضيه ومستقبله ، وهي تعنى بدراسة العلاقات الإنسانية من ناحية وعلاقة الإنسان ببيئته من ناحية أخرى والمشكلات والمواقف التي تبدو كرد فعل لتلك العلاقات .

ولما كانت الدراسات الاجتماعية مواد دراسية في مراحل التعليم ، هي مواد متطورة بتطور المجتمعات والبحوث والدراسات العلمية ، وهي من أكثر مواد التعليم العام حساسية لما يجرى في المجتمع والبيئة من أحداث وما يعتريه من مشكلات ، لذلك فإن المتخصصين بهذه المواد وتدريسها يسبعون دائما وراء كل جديد يمكن أن يزيد من فعاليتها ويحقق أهدافها ، كما أن تدريسها ينبغي أن يرتبط بالمشكلات التي يتعرض لها المجتمع والبيئة في حاضره ومستقبله ، ومن هذا المنطلق ينبغي أن تتضمن كتب الدراسات الاجتماعية هذه المشكلات في محتواها وأن تنص عليها أهدافها وذلك لتربية المواطن الواعي ببيئته ومجتمعه والذي يعد هدفاً رئيسياً من أهداف الدراسات الاجتماعية ، لذلك ينبغي أن تكون البيئة وسيلة ومجالاً وميداناً لتدريس الدراسات الاجتماعية فتدريسها لا يمكن أن يتحقق بصورة فعالة ما لم يبتعد عن تجزئة المعرفة ، ويستند إلى مبدأ وحدة المعرفة فالتكامل في المعرفة هو مطلب تربوي وإنساني (3-133) .

وضمن هذا الإطار تبرز أهمية تطوير الدراسات الاجتماعية من خلال ضرورة إدخال التربية البيئية في مراحل التعليم ، وقد تجسد هذا الاهتمام بصورة عملية في بعض الدول العربية ، وكان لنشاط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ نشأتها الأولى الدور الرائد في الاهتمام بمجال التربية البيئية على الصعيدين العربي والدولي ، فعقدت العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات في هذا المجال ، بهدف تعاون عربي من جهة ومن جهة أخرى خططت بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للشئون البيئية (UNEP) لعدة مشروعات في مجال توثيق الروابط بين التعليم والاعتبارات البيئية ولم يقف نشاط المنظمة عند حد الندوات والمؤتمرات بل امتد إلى مسألة حيوية تكوين جيل عربي حساس لقضايا البيئة المادية والاجتماعية

مـــن خـــلال التأكيد على ضرورة ادخال التربية البيئية في مناهج التعليم المختلفة بهدف الحفاظ على البيئة وصيانتها (8-109) .

الدراسات السابقة :

يتناول الباحث فيما يلي ما تيسر الإطلاع عليه من الدراسات السابقة التي ترتبط بالبحث الحالي ، منها على سبيل المثال لا الحصر .

1. دراسة الدمرداش (1977) ، حول التربية البيئية ودور مناهج العلوم في المرحلتين الابتدائية والإعدادية في تحقيقها ، ولتحقيق ذلك قام بتقويم مناهج العلوم في ضوء التربية البيئية وأهدافها ، وقد توصلت الدراسة إلى أن مناهج العلوم لا تحقق أهداف التربية البيئية ولا تهتم بقضايا البيئة ومشكلاتها بالشكل المطلوب ، وعليه قام بوضع تصور نظري لمجموعة من الأسس التي ينبغي أن توضع في الاعتبار عند تطوير هذه المناهج حتى يمكن تحقيق أهداف التربية البيئية من خلال مناهج العلوم .
2. دراسة بارنس (1979) ، هدفت إلى معرفة مدى احتواء كتب الدراسات الاجتماعية على المفاهيم والتعميمات البيئية في صفوف المرحلة الابتدائية ، وتوصلت الدراسة إلى أن الكتب تحتوى على تعميمات ومناهج بيئية ولكن بنسب متفاوته ، وأن الكتب لا تركز على المشكلة السكانية وخطورتها على نضوب الموارد الطبيعية .
3. دراسة شلبي (1981) هدفت إلى وضع برنامج لتنمية مفاهيم التربية البيئية في مناهج المواد الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الاعدادية ، وقد أوضحت الدراسة عن اكتساب المجموعة التجريبية للمفاهيم والاتجاهات البيئية .
4. دراسة حزين (1983) ، هدفت إلى تطوير مناهج المواد الاجتماعية في المرحلة الإعدادية في إطار التعليم الأساسي ومتطلباته ، ولتحقيق ذلك قام ببناء معيار لتقويم مناهج المواد الاجتماعية ، وقد توصلت الدراسة إلى وضع إطار لمناهج المواد الاجتماعية في ضوء المعيار ، بما يحقق أهداف الدراسة .
5. دراسة الشراح (1984) هدفت إلى وضع برنامج للتربية البيئية في مجال العلوم لطلاب المرحلة المتوسطة بالكويت، وقد توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً في اكتساب المفاهيم والاتجاهات البيئية بين البنين والبنات .
6. دراسة حاجي (1986) ، هدفت إلى بناء منهج متكامل في المواد الاجتماعية بالمرحلة الإعدادية ، وتوصلت الدراسة إلى تحقيق أهدافها من خلال تصميم وحدة تدريسية متكاملة ثم تجريبها ميدانياً للتأكد من فعاليتها في تحقيق أهدافها .

7. دراسة السكران (1987) ، هدفت إلى تطوير منهج المواد الاجتماعية في المرحلة الإعدادية في الأردن ، وتوصلت الدراسة إلى وضع تصور مقترح لمنهج المواد الاجتماعية وتعميم وحدة من وحداته وتجربتها ميدانياً ، وقد تم التأكد من فعاليتها في تحقق أهدافها .
8. دراسة المعافا (1998) ، هدفت إلي بناء برنامج لتنمية مفاهيم التربية البيئة في مجال الدراسات الاجتماعية لطلاب المرحلة الابتدائية وأثره على تنمية الوعي البيئي ، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً في اكتساب المفاهيم والوعي البيئي لصالح المجموعة التجريبية .

يتضح من عرض الدراسات السابقة ما يأتي :

1. معظم الدراسات أكدت ضرورة إدخال التربية البيئية في المناهج الدراسية بصفة عامة و الدراسات الاجتماعية بصفة خاصة بما يحقق أهداف التربية البيئية .
2. اهتمت بعض الدراسات بعملية تحليل محتوى المناهج باعتبارها الخطوة الأولى في عملية التطوير .
3. اهتمت بعض الدراسات بفكرة التكامل في بناء مقررات الدراسات الاجتماعية وفقاً للاتجاهات التربوية الحديثة وبما يحقق الأهداف بصورة متكاملة .
4. أكدت نتائج معظم الدراسات ضرورة إعداد البرامج البيئية في مختلف مراحل التعليم ، وتجريبها مبدئياً لمعرفة فعاليتها في تحقيق أهداف التربية البيئية بصورة متكاملة .

إجراءات البحث :

لتحقيق أهداف هذا البحث ، اتبع الباحث الإجراءات الآتية :

أولاً : خطوات تحديد أهداف التربية البيئية في مجال الدراسات الاجتماعية

قام الباحث بتحديد أهداف التربية البيئية واعتبارها معايير للحكم على واقع كتب (الجغرافيا – التاريخ – التربية الوطنية) التي تدرس حالياً في اليمن في مرحلة التعليم الأساسي ، وفيما يلي الخطوات التي اتبعت في عملية تحديد الأهداف .

في ضوء الدراسات والبحوث السابقة والمراجع العلمية التي اهتمت بمجال التربية البيئية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها من النشاطات التي اهتمت بموضوع الأهداف باعتبارها الخطوة الأولى في تحديد ملامح أي منهج تعليمي ، ونظراً لأهمية موضوع الأهداف فقد تمت مراعاة كافة الخطوات العلمية ، في تحديدها ،وذلك على النحو الآتي :

1. أن تكون مستمدة من الأهداف العامة للتربية وأهداف المرحلة ومستوى التلاميذ وظروف البيئة اليمنية.
2. صياغتها بصورة سلوكية وتقسيمها إلى ثلاث مجالات رئيسية هي المجال المعرفي (المعلومات) ، المجال الوجداني (الاتجاهات) ، المجال النفسحركي (المهارات) .

3. روعي في المجال المعرفي أن تكون شاملة بقضايا البيئة ومجال الدراسات الاجتماعية وفي نفس الوقت تركز على قضايا البيئة ومشكلاتها في اليمن ، فعلى سبيل المثال ركزت الأهداف على بعض القضايا البيئية بصفة عامة مثل أبراز تطور علاقة الإنسان بالموارد البيئية وكيفية استغلالها عبر مراحل حياته والمشاكل المصاحبة لمرحلة التطور الصناعي والتكنولوجي مثل استنزاف الموارد الطبيعية – التلوث بمختلف أنواعه – مشكلة التصحر – تشوية مجال البيئة – الجهود المبذولة في حماية البيئة والحفاظ عليها. أما على المستوى المحلي فقد ركزت الأهداف على قضايا البيئة ومشكلاتها في اليمن وخصوصيتها عن غيرها من البيئات الأخرى فعلى سبيل المثال اهتمت بالوضع البيئي في اليمن من حيث الظروف الطبيعية كالموقع والمناخ والتربة والماء والزراعة والسكان وبعض المشكلات البيئية في اليمن مثل انجراف التربة وتصحرها ، تدهور الثروة النباتية والحيوانية ، تلوث الهواء والماء والتربة بالمبيدات الكيميائية ، التوسع في زراعة شجرة القات في اخصب الأراضي الزراعية ، والجهود المبذولة للحد من تلك المشكلات من أجل الحفاظ على البيئة اليمنية وحمايتها .
4. ركزت في المجال الوجداني على الجوانب السلوكية وتكوين الاتجاهات الموجبة لدى التلاميذ بما يكفل التعامل الرشيد مع موارد البيئة ، بدافع الاحترام والوعي بمكونات البيئة ، بما يعزز دورهم الإيجابي في الإسهام بالحفاظ على بيئتهم المحلية .
5. ركزت في المجال النفسحركي (المهاري) على تنمية القدرات العقلية والبدوية لدى التلاميذ عن طريق أكسابهم مهارة الملاحظة وجمع المعلومات ، والعمل التعاوني ، وكتابة الملخصات ، ومهارة رسم الخرائط.

وقد عرضت قائمة الأهداف في صورتها النهائية على مجموعة من المحكمين المتخصصين من استاذة المناهج والدراسات البيئية للاستعانة بارائهم حول اهميتها وملائمتها العلمية ومناسبتها لمستوى تلاميذ المرحلة ، وفي ضوء أرائهم ومقترحاتهم أجريت التعديلات اللازمة ، وقد اسفرت نتائج التحكيم والمعالجات الإحصائية التوصل إلى تحديد قائمة بالأهداف التي اشتملت على أهداف (معرفية – وجدانية – مهارية) .

ثانياً : تحليل كتب الدراسات الاجتماعية في ضوء قائمة الأهداف :

قام الباحث بتحليل كتب الدراسات الاجتماعية (جغرافيا – تاريخ – تربية وطنية) ، لمعرفة واقع الكتب ومدى توافر أهداف التربية البيئية ولإنجاز عملية التحليل قام الباحث بالرجوع إلى عدد من الدراسات السابقة ، للإفادة منها في تحديد الخطوات التي يمكن الاسترشاد بها خلال عملية التحليل ، ولتحقيق هذه الغاية ، فقد تمت مراعاة كافة الخطوات الواجب مراعاتها أثناء عملية التحليل .

ثبات التحليل :

تم حساب ثبات التحليل عن طريق إجراء الباحث التحليل بنفسه مرتين متتاليتين تفصل بينهما فترة زمنية مدتها أسبوعين ، ثم حسبت نسبة الاتفاق بين نتائج المرتين وذلك باستخدام معادلة (Cooper) ، حيث بلغت نسبة الاتفاق عالية مما يدل على ثبات التحليل (5-62) .

صدق التحليل :

تم عرض قائمة الأهداف على مجموعة من المحكمين وأساتذة المناهج وطرق التدريس للاستفادة من خبراتهم في عملية التحليل حيث طلب منهم القيام بالتحليل بعد أن قدم لهم كافة المعلومات والكتب وقائمة الأهداف وحدد لهم الهدف من التحليل ، ثم روجع تحليل منهم وطوبق بنتائج تحليل الباحث ، واستخدمت معادلة (OLE) ، لحساب صدق التحليل حيث بلغت 0.87 وهذه النسبة تشير إلى صدق التحليل (26-18) .

نتائج التحليل :

تبين من نتائج التحليل بعد حساب النسبة المئوية لكل مجال من مجالات الأهداف أن عدد الأهداف البيئية التي وردت في كتب الدراسات الاجتماعية بمرحلة التعليم الأساسي هي الآتي :

1ـ في مجال الأهداف المعرفية

أظهرت نتائج التحليل ان عدد الأهداف المعرفية التي وردت في كتاب الصف الرابع الابتدائي هي ستة أهداف من أصل (162) هدفاً معرفياً وضعت لهذا المجال ،وتقدر نسبتها 3.703 % وفي الصف الخامس بلغت ثمانية أهداف معرفية ،تقدر نسبتها 4.938 % وفي كتاب الصف السادس بلغت تسعة أهداف ، تقدر نسبتها5.555 % ، وفي كتاب الصف السابع بلغت أحد عشر هدفاً معرفياً،تقدر نسبتها 6.790 % وفي كتاب الصف الثامن بلغت تسعة أهداف ، تقدر نسبتها 5.555 % وفي كتاب الصف التاسع بلغت أربعة عشر هدفاً،تقدر نسبتها 8.641 % . وبذلك يصبح مجموع عدد الأهداف المعرفية التي وردت في كتب الدراسات الاجتماعية ويمكن قبولها كأهداف بيئية هي (57) هدفاً معرفياً، وتقدر نسبتها 34.756 % من مجموع الأهداف التي حددت لهذا المجال .

2ـ في مجال الأهداف الوجدانية

أظهرت نتائج التحليل ان عدد الأهداف الوجدانية التي وردت في كتاب الصف الرابع هي أربعة أهداف ،من أصل (45) هدفاً وجدانياً وضعت لهذا المجال ، وتقدر نسبتها8.889 % وفي الخامس بلغت أربعة أهداف تقدر نسبتها 8.889 % وفي السادس بلغت هدفين ، تقدر نسبتها 4.444 % وفي السابع بلغت هدفين وتقدر نسبتها4.444 % وفي الثامن بلغت ثلاثة أهداف، ويقدر نسبتها 6.667 % وفي

التاســع بلغت هدفين ، وتقدر نسبتها 4.444 % . وبذلك يصبح مجموع عدد الأهداف الوجدانية التي وردت في كتــب الدراســات الاجتماعية ويمكن قبولها اهدافاً بيئية هي (17)هدفاً وجدانياً وتقدر نسبتها 37.778 % من مجموع الأهداف التي حددت لهذا المجال .

3ـ في مجال الأهـداف النفسحركية (المهاريه)

أظهــرت نتائج التحليل ان عدد الأهداف المهارية التي وردت في كتب الصف الرابع هي هدفين مــن أصــل (30) هدفــاً مهارياً وضعت لهذا المجال ،وتقدر نسبتها 6.666 % وفي الخامس بلغت ثلاثة أهــداف تقدر نسبتها 9.677 % وفي السادس بلغت هدفين ، وتقدر نسبتها ،6.452 % وفي السابع بلغــت ثلاثة أهداف ،وتقدر نسبتها 9.677 % وفي الثامن بلغت هدفين تقدر نسبتها 6.452 % وفي الصــف التاســع بلغــت هدفــين تقــدر نسبتها 6.666 % . وبذلك يصبح مجموع عدد الأهداف النفســحركية.(المهاريــة) التي وردت في كتب الدراسات الاجتماعية ويمكن قبولها كأهداف بيئية هي (14) هدفاً مهاريا ، وتقدر نسبتها 4.666 % من مجموع الأهداف التي حددت لهذا المجال .

تــبين مــن نتائج التحليل ان كتب الدراسات الاجتماعية (جغرافيا– تاريخ – تربية وطنية) التي تدرس بمرحلة التعليم الأساسي تتضمن عدداً محدوداً من الأهداف البيئية ، وحتى هذه الأهداف جاءت في أثــناء الموضوعات المختلفة متناثرة ومجزأة بشكل لا رابط ولا اتصال فيما بينها وإنما تركز بقدر كبير على اســتظهار المعلومــات الــتي في محتويات الكتب المقررة ، وهذا بطبيعة الحال لا يحقق أهداف الدراسات الاجتماعــية بشكل متكامل ، ومازالت تؤكد كل تجزئة المعرفة إلى مواد دراسية منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، فالدراسات الاجتماعية تدرس على أساس (جغرافيا – تاريخ – تربية وطنية) دون رابط بينها أو تكــامل ، وهذا يتناقض مع فكرة التكامل وشمولية المعرفة ، ويرجع ذلك إلى وجود قصور واضح في تلك المناهج التي تكتفي بتزويد المتعلمين بالمعلومات والحقائق المنفصلة دون التركيز على النواحي الوظيفية لها ، ولا تهــتم بقضايا البيئة اليمنية ومشكلاتها بالشكل المطلوب ، كما أن معالجة المفاهيم البيئية والنشاطات في الكتب غير واضحة وغير مترابطة ، وأن معظم المفاهيم البيئية غير معرفــة.

كمــا أشارت نتائج التحليل إلى ضعف الترابط والتنظيم بين المفاهيم الرئيسية والفرعية سواء على المســتوى الأفقــي لكل صف أو على المستوى الرأسي بين صفوف المرحلة ، فضلاً عن غياب الكثير من المفاهــيم البيئــية الضرورية التي ترتبط بالمشكلات البيئية المعاصرة – سواء على المستوى المحلي أو العربي والعــالمي – التي يجب أن يدرسها التلاميذ بما يتناسب مع مستوى قدراتهم ومراحل نموهم في هذه المرحلة ، مــثل المــوارد الطبيعــية وأهميــتها وخطورة استنزافها والتلوث بمختلف أنواعه ، والتصحر وحماية البيئة والمحافظة عليها ، هذا الأمر لا يؤدي بالكتب المقررة بوضعها الحالي إلى تحقيق أهداف التربية البيئية بالشكل المطلــوب ، وتــتفق نتائج هذا البحث مع عدد من الدراسات السابقة مثل دراسة (الدمرداش 1977)

ودراسة (شبلي 1981) ودراسة (الشراح1984) ودراسة (بارنس1979) لذلك ينبغي إعادة النظر في كتب الدراسات الاجتماعية الحالية وتطويرها بحيث تؤكد كل أهمية التربية البيئية وتحقيق أهدافها ..

رابعاً : تصور مقترح لتطوير كتب الدراسات الاجتماعية

يهدف هذا التصور إلى إدخال مفاهيم التربية البيئية لتطوير كتب الدراسات الاجتماعية بمرحلة التعليم الأساسي في ضوء قائمة الأهداف ، للإفادة منه مساعدة التلاميذ على فهم قضايا البيئة ومشكلاتها من خلال اكسابهم المفاهيم والحقائق والمعارف والاتجاهات السليمة ، لكي يكون لهم دور في المشاركة الواعية نحو الحفاظ على بيئتهم ومجتمعهم وذلك على النحو الآتي :

أولاً : مكونات التصور المقترح :

يتكون من مجموعة من الوحدات الدراسية المتدرجة والمتابعة وعددها ست وحدات رئيسية ، يتفرع من كل وحدة عدد من الوحدات الفرعية ينبغي توزيعها على صفوف المرحلة ، وهذه الوحدات الفرعية ثم التخطيط لها لاستكمال جوانبها التفصيلية في أطار الوحدة الرئيسية في صورة وحدات تعليمية صغيرة (موديولات) يدور محتوى دروسها حول المفاهيم الفرعية المرتبطة بمفهوم الوحدة الرئيسية ، ويتم تنظيمها وفق أهداف محددة ، ونشاطات تعليمية مناسبة ، وأساليب تقويم موضوعية ، وينبغي في أثناء التدريس التطبيق على البيئة المحلية التي يعيش فيها التلاميذ من خلال الزيارات الميدانية ، وممارسة النشاطات المتنوعة التي ينبغي أن تعد لهذا الغرض في ضوء الأهداف التي اشتملت على أهداف (معرفية – وجدانية– مهارية).

ثانياً : الأهداف الإجرائية (معرفية – وجدانية – مهارية)

1ـ أهداف الوحدة الأولى : " البيئة الطبيعية "

الأهداف المعرفية :

1. يعرف البيئة الطبيعية .
2. يعدد مكونات البيئة الطبيعية .
3. يبين أثر البيئة في الإنسان .
4. يوضح أثر الإنسان في البيئة .
5. يعرف أهمية البيئة الطبيعية .
6. يحدد المقصود بالبيئة الفيزيقية .
7. يستنتج مكونات البيئة الفيزيقية .
8. يحدد المقصود بالبيئة البيولوجية .
9. يستنتج مكونات البيئة البيولوجية .
10. يميز بين البيئة الفيزيقية والبيولوجية .
11. يعرف أن البيئة الطبيعية متنوعة (زراعية – جبلية – ساحلية – صحراوية) .
12. يحدد المقصود بالبيئة المحلية .
13. يحدد المقصود بالبيئة الزراعية وخصائصها
14. يحدد المقصود بالبيئة الجبلية وخصائصها.
15. يحدد المقصود بالبيئة الصحراوية وخصائصها .
16. يحدد المقصود بالبيئة الساحلية وخصائصها .
17. يعرف أهمية تنوع موارد البيئة وتداخلها وتكاملها.
18. يستنتج أسباب تنوع البيئة الطبيعية .
19. يقارن بين موارد البيئة الزراعية والساحلية .
20. يقارن بين موارد البيئة الجبلية والصحراوية .
21. يعرف أن البيئة العربية جزء من البيئة الطبيعية .
22. يحدد المقصود بالبيئة العربية وخصائصها .
23. يستنتج أهمية تنوع وتكامل موارد البيئة العربية
24. يعرف أن اليمن جزء من البيئة العربية .
25. يحدد المقصود بالبيئة اليمنية وخصائصها .
26. يعدد موارد البيئة اليمنية .
27. يستنتج أسباب تنوع وتداخل وتكامل موارد البيئة اليمنية
28. يعرف بعض المشكلات التي تعاني منها البيئة الطبيعية مثل: 28.1ـ استنزاف موارد البيئة .
29. يستنتج أهمية المحافظة على البيئة الطبيعية .

الأهـــداف الـوجـدانيـة :

1. يقدر عظمة الخالق سبحانه وتعالى في خلق البيئة الطبيعية وتسخير مواردها للإنسان للانتفاع بها .
2. يقدر أهمية مكونات البيئة الطبيعية لكل من الإنسان والنبات والحيوان .
3. اكتساب اتجاه مرغوب نحو المحافظة على مكونات البيئة المحلية .
4. تنمية اهتمام التلاميذ بدراسة البيئة الطبيعية بمختلف أنواعها .
5. تقدير خطورة الآثار الضارة الناجمة من الاستغلال السيئ لمكونات البيئة الطبيعية .
6. يشارك مع زملائه في عمل مجلة حائطية تبرز أهمية البيئة الطبيعية وضرورة صيانتها .
7. يقدر الجهود المبذولة للمحافظة على البيئة الطبيعية .

الأهـــداف المهـاريـة :

1. يكتسب مهارة الملاحظة وجمع المعلومات عن مكونات بيئته المحلية .
2. يكتسب مهارة الاستنتاج والمشاركة والاطلاع وحب العمل الجماعي ، وكتابة الملخصات لما يدرسونه في البيئة المحلية .
3. تنمية مهارة القدرة على تحديد المشكلات البيئية من حيث أسبابها ووضع بعض المقترحات .
4. يرسم خريطة بيئته المحلية موضحاً عليها بعض الظاهرات الطبيعية .
5. كتابة ملخص بسيط عن أهمية مكونات بيئته المحلية .
6. يرسم خريطة الوطن العربي موضحاً عليها بعض الظاهرات الطبيعية .

2- أهداف الوحـدة الثانيـة " المـوارد الطبيعية"

الأهـــداف المعرفيـــة :

1. يعرف المقصود بالمورد الطبيعي .
2. يستنتج أهمية الموارد الطبيعية .
3. يعدد مراحل تطور علاقة الإنسان بموارد البيئة .
4. يصنف الموارد الطبيعية (دائمة – متجددة – غير متجددة) .
5. يصنف الموارد الطبيعة المتجددة وغير المتجددة .
6. يحدد المقصود بالمورد الطبيعي الدائم وأهميته .
7. يحدد المقصود بالمورد الطبيعي المتجدد وأهميته .
8. يحدد المقصود بالمورد الطبيعي غير المتجدد وأهميته .
9. يعدد مجالات استغلال الموارد الطبيعية (دائمة – متجددة – غير متجددة) .
10. يستنتج بعض مساوئ الاستغلال السيئ للموارد الطبيعية .
11. يعطي الأمثلة للمشكلات البيئية المرتبطة بالصناعة .
12. يعرف مفهوم صناعة .
13. يحدد مقومات الصناعة .
14. يعرف المعادن بأنواعها .
15. يستنتج أهمية البترول والمعادن بالبيئة للإنسان .
16. يبين أن الإسراف في استخدام الموارد المتجددة يؤدي إلى استنزافها .
17. يوضح أن الإسراف في استخدام الموارد غير المتجددة يؤدي إلى نفادها .
18. يستنتج أن الموارد المتجددة موارد لها القدرة على تجديد نفسها .
19. يستنتج أن الموارد غير المتجددة موارد مؤقتة وقابلة للنفاذ .
20. يعرف بعض المشكلات المترتبة على الاستغلال السيئ للموارد غير المتجددة .
21. يعرف بعض المشكلات التي تتعرض لها الموارد الطبيعية في اليمن وطرق علاجها مثل :
    - 1.21 استنزاف التربة الزراعية .
    - 2.21 إزالة وقطع الغابات .
    - 3.21 الإسراف من استخدام المياه والكهرباء .
    - 4.21 الهجرة الداخلية والخارجية .
    - 5.21 القمامة .
22. يعرف أسباب وخطورة تلك المشكلات على الإنسان والبيئة .
23. يعطي مثالاً على الأضرار الناجمة عن كل مشكلة .
24. يقترح بعض المقترحات والحلول المناسبة لكل مشكلة .
25. يعرف كل من مفهوم استنزاف – هجرة – قمامة – تلوث – مشكلة بيئية .
26. يستنتج أهمية المحافظة على الموارد البيئية في اليمن .

الأهـــداف الـوجـدانيـة :

1. يقدر عظمة الخالق سبحانه وتعالى في خلق موارد البيئة الطبيعية للإنسان للانتفاع بها .
2. يعي أهمية مكونات البيئة الطبيعية .
3. تنمية اهتمام التلاميذ بدراسة الموارد الطبيعية وأهميتها .
4. تنمية اهتمام التلاميذ بدراسة أنواع الموارد الطبيعية وأهميتها للإنسان .
5. تقدير خطورة الآثار الضارة الناجمة عن سوء استغلال الموارد الطبيعية .
6. يكتسب اتجاه مرغوب فيه نحو المحافظة على موارد بيئته المحلية وحتى استغلالها .
7. يشارك مع زملائه في عمل مجلة حائطية عن البيئة والمحافظة على موارد بيئته المحلية وصيانتها من خطورة المشكلات الناجمة عن الاستغلال السيئ لها .
8. يقدر الجهود المبذولة للمحافظة على موارد البيئة .

الأهـــداف المهاريـة :

1. يكتسب مهارة الملاحظة وجميع المعلومات عن الموارد الطبيعية في بيئته المحلية .
2. كتابة ملخص بسيط عن أهمية الموارد الطبيعية في بيئته المحلية .
3. يكتسب مهارة الاطلاع على بعض المراجع والكتب العلمية المبسطة والمرتبطة بموضوع الموارد الطبيعية
4. كتابة ملخص عن بعض المشكلات البيئية المرتبطة بالصناعة في البيئة المحلية .
5. كتابة ملخص عن سوء استغلال الإنسان للموارد الطبيعية غير المتجددة وخصوصاً البترول في بيئته المحلية والقومية .

3- أهـــداف الـوحـدة الثـالثـة " الطقـس والمنـاخ "

الأهـــداف المعرفيـــة :

1. يعرف مفهوم مناخ .
2. يعرف مفهوم طقس .
3. يميز بين الطقس والمناخ .
4. يعرف أهمية المناخ بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات .
5. يعدد عناصر المناخ .
6. يوضح تأثير الحرارة على الإنسان والحيوان والنبات
7. يستنتج المقصود بالحرارة .
8. يحدد المناطق الحرارية على الخريطة .
9. يفسر وقوع اليمن من المنطقة الحارة .
10. يستنتج المقصود بالضغط الجوي .
11. يحدد العوامل التي تؤثر في الضغط الجوي .
12. يستنتج المقصود بالرياح .
13. يذكر أنواع الرياح .
14. يقارن بين الرياح الدائمة والرياح الموسمية .
15. يحدد المقصود بالرطوبة والتكاثف .
16. يميز بين الرطوبة والتكاثف .
17. يعدد مظاهر التكاثف .
18. يستنتج المقصود بالمطر .
19. يذكر أنواع المطر .
20. يقارن بين المطر الإعصاري والمطر التضاريسي .
21. يفسر سقوط المطر في اليمن صيفاً .
22. يبين أثر الموقع الجغرافي في المناخ .
23. يعرف دوائر العرض وأهميتها .
24. يستنتج أثر التضاريس في المناخ .
25. يستنتج أثر المسطحات المائية في المناخ .
26. يحدد المقصود بالإقليم المناخي .
27. يعدد أنواع الأقاليم المناخية .
28. يميز بين المناخ المداري والصحراوي .
29. يميز بين المناخ الصحراوي والاستوائي .
30. يستنتج أسباب تنوع المناخ في البيئة العربية .
31. يستنتج أسباب تنوع المناخ في اليمن .

الأهـــداف الـوجـدانيـــة :

1- تنمية اهتمام التلاميذ بدراسة موضوع الطقس والمناخ
2- يعي أهمية عناصر المناخ بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات
3- يكتسب اتجاه مرغوب فيه نحو أهمية المحافظة على عناصر المناخ
4- يشارك مع زملائه في عمل مجلة حائطية توضح أهمية المناخ بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات .
5- يقدر الجهود المبذولة للمحافظة على عناصر المناخ من التلوث .

الأهـــداف المهاريـــة :

1. يكتسب مهارة الملاحظة وجمع المعلومات عن تنوع الطقس والمناخ في البيئة المحلية .
2. يرسم خريطة بيئته المحلية موضحاً عليها اتجاه الرياح وكيفية سقوط الأمطار صيفاً .
3. كتابة ملخص بسيط عن أهمية عناصر المناخ.
4. يكتسب مهارة الاطلاع على بعض المراجع والكتب العلمية المتعلقة بموضوع المناخ .
5- كتابة ملخص بسيط عن أسباب تنوع المناخ في بيئته المحلية.

4- أهداف الـوحـدة الرابعـة " الســكان "

الأهـــداف العرفيـــة :

18. يعرف مفهوم سكان .
19. يستنتج مفهوم الأسرة.
20. يعدد بعض العوامل المؤثرة في توزيع السكان.
21. يحدد المقصود بالنمو السكاني وأنواعه .
22. يستنتج المقصود بالزيادة الطبيعية .
23. يستنتج المقصود بالكثافة السكانية .
24. يحدد المقصود بالهجرة الداخلية والخارجية.
25. يقارن بين أسباب الهجرة الداخلية والخارجية .
26. يعدد أنواع النشاط الاقتصادي للسكان.
27. يعرف أهمية التقسيم الإداري للسكان .
28. يستنتج المقصود بالمحافظة .
29. يعدد بعض المناسبات الدينية والوطنية في محافظته .
30. يستنتج المقصود بالمدينة .
31. يبين العلاقة بين سكان المدينة والريف .
32. يستنتج المقصود بالقرية .

1. يوضح أهمية القرية ومكوناتها .
2. يعرف أن سكان اليمن جزء من سكان الوطن العربي الكبير .
3. يعرف أن الوحدة اليمنية حدث تاريخي وحضاري .
4. يقارن بين أوضاع اليمن السكانية والسياسية قبل الوحدة وبعدها .
5. يذكر مراحل تحقيق الوحدة اليمنية .
6. يعرف مفهوم ديمقراطية .
7. يعرف مفهوم تعددية حزبية .
8. يعدد محافظات الجمهورية اليمنية .
9. يعرف مساحة وعدد سكان جمهورية اليمن الموحد.
10. يعرف أن اليمن جزء من الوطن العربي طبيعياً وبشرياً
11. يستنتج أهمية موقع الوطن العربي .
12. يعرف مساحة وعدد سكان الوطن العربي .
13. يذكر بعض الحضارات العربية القديمة .
14. يعدد المقصود بالسياحة وأهميتها .
15. يعدد أنواع السياحة .
16. يقارن بين المشكلات السكانية والسياحية في اليمن وبعض البلدان العربية .
17. يقترح بعض الحلول المناسبة للحد من المشكلة السكانية في اليمن وبعض البلدان العربية .

الأهـــداف الوجـدانيـــة

1. تنمية اهتمام التلاميذ بدراسة موضوع السكان .
2. يعي خطورة الزيادة السكانية في بيئته المحلية والقومية .
3. تنمية اتجاه الولاء للبيئة المحلية والوطن بعامة والدفاع عن وحدته .
4. يعي خطورة الهجرة الداخلية والخارجية في البيئة المحلية .
5. يشارك مع زملائه في عمل مجلة حائطية توضح خطورة الزيادة السكانية .
6. يكتسب اتجاهاً مرغوبا فيه نحو المحافظة على الوحدة الوطنية والديمقراطية والتعددية الحزبية .
7. يقدر الجهود المبذولة للحد من الزيادة السكانية في بيئته المحلية والقومية .
8. يقدر عظمة الأجداد وجهودهم في بناء الحضارة اليمنية .
9. تنمية اتجاه التعاون والعمل الجماعي بشأن حماية البيئة .
10. يكتسب اتجاهاً إيجابياً بالاهتمام بالسياحة .

الأهـــداف المهاريـــة :

1. يكتسب مهارة الملاحظة وجمع المعلومات عن مفهوم السكان .
2. كتابة ملخص مبسط عن خطورة الزيادة السكانية.
3. يكتسب مهارة الاطلاع على بعض المراجع والكتب العلمية المرتبطة بموضوع السكان.
4. يرسم خريطة اليمن موزعاً عليها توزيع السكان حسب المحافظات .
5. كتابة ملخص مبسط عن أهمية الديمقراطية والتعددية الحزبية التي تجذر لانتماء الوطن والتنافس الواعي الذي يهدف النهوض بالوطن وتقدمه ..

5- أهداف الوحدة الخامسة " التلـوث البيـئي "

الأهـــداف العـرفيـة :

17. يعرف مفهوم التلوث .
18. يميز بين الملوثات الطبيعية وغير الطبيعية .
19. يستنتج المقصود بالملوثات .
20. يعدد أنواع التلوث .
21. يحدد بعض الصفات المميزة لكل نوع من أنواع التلوث .
22. يعرف مكونات الهواء الجوي وأهميته .
23. يحدد مصادر تلوث الهواء .
24. يعرف الآثار المترتبة على تلوث الهواء على كل من الإنسان والحيوان والنبات .
25. يقترح بعض الحلول المناسبة للحد من تلوث الهواء .
26. يعرف المقصود بتلوث الماء .
27. يستنتج أهمية الماء بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات .
28. يحدد مصادر تلوث المياه .
29. يعرف الآثار الناجمة عن تلوث الماء على كل من الإنسان والحيوان والنبات .
30. يقارن بين أسباب تلوث الهواء والماء .
31. يعدد بعض طرق تنقية الماء الملوث .

1. يختار أفضل الحلول للحد من تلوث الماء .
2. يستنتج أهمية الغذاء بالنسبة للإنسان .
3. يحدد مصادر تلوث الغذاء .
4. يقارن بين أسباب تلوث الغذاء والماء .
5. يعدد بعض وسائل حفظ الغذاء من التلوث .
6. يقترح بعض الحلول المناسبة للحد من تلوث الغذاء .
7. يستنتج المقصود بتلوث التربة .
8. يوضح أهمية التربة بالنسبة للإنسان .
9. يحدد مصادر تلوث التربة .
10. يعرف بعض الآثار المترتبة على تلوث التربة على كل من الإنسان والحيوان والنبات .
11. يقارن بين أسباب تلوث التربة والغذاء .
12. يختار أفضل الحلول للحد من تلوث التربة .
13. يعرف المقصود بالضوضاء .
14. يحدد مصادر الضوضاء .
15. يعرف بعض أخطار التلوث الضوضائي للإنسان .
16. يقترح بعض الحلول المناسبة للحد من التلوث الضوضائي .

الأهـــداف الـــوجدانيـــة :

1. تنمية اتجاه التلاميذ بدراسة مشكلة التلوث والإسهام في وضع بعض المقترحات للحد من خطورتها
2. يعي خطورة التلوث بمختلف أنواعه .
3. يدرك خطورة الأمراض الناجمة عن التلوث بمختلف أنواعه.
4. يكتسب اتجاهاً سلبياً نحو العناية بنظافة البيئة المحلية
5. يشارك مع زملائه في عمل مجلة حائطية تبين خطورة التلوث .
6. يكتسب اتجاهاً مرغوباً فيه نحو العناية بنظافة البيئة المحلية.
7. يقدر جهود الدولة والعلماء للإسهام في حل مشكلة التلوث .

الأهـــداف المهاريـــه :

1. يكتسب مهارة الملاحظة وجمع المعلومات عن التلوث في بيئته المحلية .
2. يكتسب مهارة تصنيف الملوثات .
3. كتابة ملخص مبسط عن الأمراض الناجمة عن التلوث بمختلف أنواعه .
4. يكتسب مهارة الاطلاع على بعض المراجع والكتب العلمية المبسطة التي لها علاقة بموضوع التلوث .
5. يكتسب مهارة المشاركة مع زملائه داخل الفصل في مناقشة خطورة التلوث .

6- الـوحـدة الســادسـة " حمـايـة البيئـــة "

الأهـــداف المعرفيـة :

1. يعرف أضرار المشكلات البيئية من حيث تدهور البيئة واختلال توازنها.
2. يوضح دور العلم في مكافحة المشكلات البيئية والحد من خطورتها .
3. يبين أهمية الحقوق والواجبات ودورها في تعديل السلوك .
4. يوضح أهمية الرحلات والزيارات الميدانية للتلاميذ ودورها في تنمية الوعي البيني وحماية البيئة المحلية .
5. يقترح بعض الحلول للحد من بعض المشكلات البيئة من أجل المحافظة على البيئة المحلية وحمايتها .
6. يذكر بعض التشريعات العالمية والعربية والمحلية المتعلقة بحماية البيئة .
7. يذكر بعض التشريعات الخاصة بحماية البيئة اليمنية .
8. يعرف المقصود بحماية البيئة .
9. يعرف أهمية البيئة لكل من الإنسان والحيوان والنبات .
10. يعرف أن الإنسان هو مشكلة البيئة.
11. يستنتج خطورة التلوث على البيئة.
12. يستنتج خطورة استنزاف المواد الطبيعية على البيئة .
13. يستنتج أهمية صيانة البيئة من أجل استمرار الحياة على الأرض.

الأهـــداف الوجـدانية

1. تنمية اهتمام التلاميذ بدراسة موضوع حماية البيئة
2. يعي أهمية حماية البيئة وضرورتها من أجل استمرار الحياة
3. تنمية اتجاه سلبي نحو بعض المشكلات البيئية من أجل حماية البيئة وصيانتها .
4. يقدر الجهود والتشريعات العالمية والعربية والمحلية المبذولة لحماية البيئة من التلوث واستنزاف المواد الطبيعية.
5. يقدر أهمية الحقوق والواجبات في تعديل السلوك لبيئي سليم
6. يشارك مع زملائه في عمل مجلة حائطية توضح أهمية المحافظة على البيئة .
7. يقدر دور العلم في حل المشكلات البيئية .
8. يقدر دور العلماء وجهودهم في المحافظة على البيئة .

الأهـــداف المهاريـة :

1. يكتسب مهارة الملاحظة وجمع المعلومات عن موضوع حماية البيئة .
2. يكتسب مهارة الاطلاع على بعض المراجع والكتب العلمية التي لها علاقة بحماية البيئة وصيانتها .
3. تنمية مهارة القدرة على تحديد المشكلات من حيث أسبابها ووضع بعض المقترحات لعلاجها .
4. كتابة ملخص مبسط عن بعض المشكلات البيئية في بيئته المحلية واقتراح بعض الحلول المناسبة للحد من خطورتها.

ثالثاً : المحتـوى (المفاهيم والحقـائـق)

1ـ محتوى الوحدة الأولى : البيئة الطبيعيـة :

يـــدور محتواها حول – مفهوم ،البيئة الطبيعية من حيث مفهومها – أهميتها – مكوناتها – تنوعها – مشكلاتها – واجبنا نحو المحافظة على مكوناتها على النحو التالي :

1. تحديد المقصود بالبيئة الطبيعية.
2. مكونات البيئة الطبيعية (شمس – هواء –ماء – تربة –نبات – حيوان) وأهميتها بالنسبة (للإنسان – النبات –الحيوان)
3. تصنيف البيئة الطبيعية (بيئة فيزيقية – بيئة بيولوجية)
4. اثر البيئة في الإنسان – أثر الإنسان في البيئة
5. المقصود بالبيئة الفيزيقية – مفهومها – أهميتها – مكوناتها – (شمس – هواء – ماء)
6. المقصود بالبيئة البيولوجية – مفهومها – أهميتها – مكوناتها – (تربة – نبات – حيوان)
7. البيئة الطبيعية متنوعة – بيئة محلية (زراعية – جبلية – ساحلية – صحراوية) .
   (مع ذكر أسباب هذا التنوع).
8. المقصود بالبيئة المحلية مفهومها– اهميتها– مكوناتها– خصائصها(طبيعية – بشرية).
9. موارد البيئة المحلية متنوعة (موارد زراعية – موارد ساحلية – موارد صحراوية)
   (مع ذكر أسباب هذا التنوع) .
10. البيئة العربية جزء من البيئة الطبيعية . مفهومها – أهميتها – مكوناتها – خصائصها (طبيعية – بشرية).
11. بعض مشكلات البيئة العربية المرتبطة بالموارد الطبيعية .
12. البيئة اليمنية جزء من البيئة العربية مفهومها – أهميتها – مكوناتها – خصائصها (طبيعية – بشرية) .
    أ–خصائص طبيعية (سطح – مناخ – تربة – ماء) .
    ب–خصائص بشرية (سكان – زراعة – صناعة – ثروة حيوانية) .
13. موارد البيئة اليمنية متنوعة (طبيعية – بشرية – سياحية) . (مع ذكر أسباب هذا التنوع)
14. بعض مشكلات البيئة الطبيعية مثل :
    أ – استنزاف المواد الطبيعية .
    ب– الزيادة السكانية .
    ج– التلوث
    د– التصحر

(مع التطبيق على البيئة المحلية).

15. واجبنا نحو المحافظة على البيئة الطبيعية (مع التطبيق على البيئة المحلية)

2 – محتوى الوحدة الثانية : الموارد الطبيعية

يـدور محـتواها حـول الموارد الطبيعية من حيث مفهومها – أهميتها – تصنيفها – والمشكلات المرتبطة بالموارد نتيجة استغلال الإنسان لها عبر مراحل تطور حياته . وذلك على النحو الآتي :

1. المقصود بالموارد الطبيعية وأهميتها .
2. مراحل تطور علاقة الإنسان بالموارد الطبيعية .
   أ– مراحل الجمع والالتقاط ب– مراحل الصيد والقنص
   ج– مراحل استئناس الحيوان د– مرحلة الاستقرار والزراعة
   هـ– مرحلة الصناعة
3. تصنيف الموارد الطبيعية (دائمة – متجددة – غير متجددة)
4. الموارد الطبيعية الدائمة – مفهومها – أهميتها – أنواعها – (شمس – هواء– ماء)
5. الموارد الطبيعية المتجدد مفهومها – أهميتها – أنواعها (تربة – نبات – حيوان)
6. استغلال الإنسان للموارد المتجددة .
7. الموارد الطبيعية غير المتجددة – مفهومها – أهميتها – أنواعها (بترول – فحم – غاز طبيعي – معادن).
8. استغلال الإنسان للموارد الطبيعية الغير المتجددة .
9. بعض المشكلات التي تتعرض لها الموارد الطبيعية مثل .
   أ– استنزاف الموارد الطبيعية .
   ب– تلوث كل من (الهواء الماء – التربة والغذاء)
10. بعض المشكلات التي تتعرض لها الموارد الطبيعية في اليمن وطرق علاجها .
    أ– استنزاف التربة الزراعية
    ب– إزالة و قطع الغابات
    ج– مشكلة المياه وتلوثها بالاسمدة والمبيدات الكيماوية .
    د– الهجرة الداخلية والخارجية.
    هـ– مشكلة القمامة والصرف الصحي .
    ز– تلوث الهواء.

و- التوسع في زراعة شجره القات

11. واجبنا نحو المحافظة على موارد البيئة وتنميتها. (دائمة – متجددة – غير متجددة) . (مع التطبيق على البيئة المحلية).

3ـ محتوى الوحدة الثالثة الطقس والمناخ

ويدور محتواها حول مفهومها – أهميتها – عناصرها – والعوامل المؤثرة في تنوع المناخ وأثره في كل من الإنسان والحيوان والنبات وذلك على النحو الآتي :

1. المقصود بالمناخ والطقس والفرق بينهما .
2. أهمية المناخ (الزراعة – الصناعة – سكن – الإنسان)
3. عناصر المناخ (حرارة – ضغط جوي – رياح – رطوبة – مطر)
4. أهمية الحرارة بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات
5. المناطق الحرارية (حارة – معتدلة – باردة) (مع ذكر أسباب هذا التنوع) .
6. المقصود بالضغط الجوي .
7. المقصود بالرياح – أنواعها (دائمة – موسمية – محلية)
8. المقصود بالرطوبة والطقس – مظاهر التكاثف (ضباب – سحاب – ندى – ثلج)
9. المقصود بالمطر – أنواعه – (إعصاري – تصاعدي – تضاريسي) .
10. اثر الوقع الجغرافي في المناخ (قربه او بعده من خط الاستواء)
11. دوائر العرض الرئيسة(خط الاستواء – مدار السرطان – مدار الجدي – الدائرة القطبية الشمالية والجنوبية)
12. اثر التضاريس في المناخ .
13. أثر المسطحات المائية في المناخ
14. الأقاليم المناخية (استوائي – مداري – صحراوي) (مع ذكر أسباب التنوع) .

4ـ محتوى الوحدة الرابعة : السكان

يدور محتواها حول مفهوم السكان ، والعوامل المؤثرة في توزيعه ، والمشكلات البيئية المترتبة على الزيادة السكانية . وذلك على النحو التالي :

1. تحديد المقصود بكل من سكان – أسرة – زيادة طبيعية – كثافة سكانية نمو السكان
2. العوامل المؤثرة في توزيع السكان (مناخ – تضاريس – تربة – ماء)
3. الهجرة الداخلية والخارجية – مفهومها أسبابها الآثار المترتبة عليها .
4. النشاط الاقتصادي للسكان (زراعة – صناعة – تجارة – خدمات).

5. التقسيم الإداري للسكان (محافظة – مدينة – ريف – قرية).
6. المحافظة – مكوناتها – أهم أعمال السكان .
7. المقصود بالمدينة والريف
8. العلاقة بين الريف والمدينة
9. القرية – مكوناتها – أهميتها – أهم أعمال سكان القرية
10. سكان اليمن جزء من سكان الوطن العربي الكبير
11. الوحدة اليمنية حدث تاريخي وحضاري
12. أوضاع اليمن السكانية والسياسية قبل الوحدة وبعدها
13. مراحل تحقيق الوحدة اليمنية وأهميتها .
14. المقصود بالديمقراطية والتعددية الحزبية
15. واجبنا نحو المحافظة على الوحدة اليمنية
16. جمهورية اليمن تتكون من سبعة عشر محافظة .
17. سكان اليمن حوالي (18) مليون نسمة (تعداد عام 2000م)
18. مساحة اليمن الموحد (555) ألف كيلو متر مربع .
19. اليمن جزء من الوطن العربي الإسلامي طبيعياً وبشرياً.
20. سكان الوطن العربي حوالي(يزيد على مائتين وخمسين مليون نسمة)
21. مساحة الوطن العربي حوالي (14 مليون كيلو متر مربع تقريباً
22. أهم الحضارات العربية قديماً وحديثاً.

أ– حضارة مصر الفرعونية . ب–حضارة اليمن القديمة

ج– حضارة الفينيقيين بالشام د– الحضارة الإسلامية

23. المقصود بالسياحة وأهميتها وأنواعها .
24. بعض المشكلات السكانية والسياحية في اليمن وبعض البلدان العربية .

أ– الزيادة السكانية ب– استنزاف الموارد الطبيعية

ج–مشكلات المياه د– التصحر

هـ– التلوث ز– تدهور بعض المناطق السياحية والأثرية

و–الاستعمار الصهيوني (احتلال فلسطين).

25. واجبنا نحو المحافظة على ثروات الوطن العربي وتكاملها .

5 ـ محتوى الوحدة الخامسة : التلوث البيئي :

يدور محتواها حول مفهوم التلوث ومصادره بمختلف أنواعه ، والآثار المترتبة على كل نوع من أنواع التلوث على كل من الإنسان والحيوان والتربة ، والجهود المبذولة للحد من أخطاء والتلوث من أجل الحفاظ على البيئة وذلك على النحو الآتي :

1. المقصود بالتلوث
2. تصنيف الملوثات (ملوثا ت طبيعية – ملوثات من صنع الإنسان).
3. المقصود بتلوث الهواء ومصادره (طبيعية – من صنع الإنسان)

أ– المصادر الطبيعية (الأتربة – البكتيريا) .

ب– مصادر من صنع الإنسان (دخان المصانع – وسائل النقل – المبيدات الحشرية).

4. الأخطار المترتبة على مكونات الهواء على الإنسان والحيوان والنبات .
5. بعض المقترحات والحلول للحد من تلوث الهواء مثل .

أ–وضع الضوابط والتشريعات للحد من التلوث .

ب– استبدال الوقود بأنواع لا تنتج التلوث مثل الغاز الطبيعي – الكهرباء

ج–الحد من انبعاث الدخان من المصانع القريبة من المدن.

6. المقصود بتلوث الماء ومصادره (المخلفات المترلية – الصناعة – المواد الكيميائية) .
7. الأخطار المترتبة على تلوث الماء على الإنسان والحيوان والنبات .
8. طرق تنقية الماء الملوث (الترشيح – الغلي – التقطير).
9. بعض الجهود المبذولة للحد من تلوث الماء مثل :

أ– بناء المنشئات الصناعية بعيداً عن المدن السكانية والمناطق الزراعية .

ب– التخطيط السليم لتصريف النفايات المترلية والصناعية .

10. المقصود بتلوث الغذاء ومصادره (الميكروبات والطفيليات – المواد الكيميائية)
11. وسائل حفظ الغذاء من التلوث (تبريد – تجفيف – التحليل – التمليح– التعليب)
12. بعض الجهود المبذولة للحد من تلوث الغذاء مثل

أ– التوعية البيئية بأهمية الغذاء للإنسان

ب–التوعية بخطورة الأمراض الناجمة عن تلوث الغذاء

13. المقصود بتلوث التربة ومصادره : مثل

أ– الاستخدام غير الرشيد للمبيدات الحشرية .

ب– الإفراط في استخدام الأسمدة الكيميائية

ج–مخلفات المجاري والقمامة ومخلفات الصناعة

14. الأخطار المترتبة عن تلوث التربة على الإنسان والحيوان والنبات

15. بعض الجهود المبذولة للحد من تلوث التربة مثل :

أ– التوعية بخطورة استخدام الأسمدة الكيميائية

ب– استخدام وسائل الري المنظمة للمحافظة على التربة .

16. – المقصود بالتلوث الضوضائي ومصادره مثل :

أ–وسائل النقل المختلفة ب – الطائرات ج– عمليات البناء

د– أجهزة الراديو والتلفزيون ومكبرات الصوت

17. أخطار التلوث الضوضائي على الإنسان : مثل

أ – تلف السمع ب– صعوبة التخاطب

ج– المضايقة د – اضطرابات التنفس وأمراض القلب.

18. بعض الجهود المبذولة للحد من التلوث الضوضائي مثل :

أ– التوعية بخطورة الضوضاء على الإنسان .

ب–التخطيط عند بناء المصانع والورش بعيداً عن المناطق السكنية .

6. محتوى الوحدة السادسة : حماية البيئة

يدور محتواها حول مفهوم حماية البيئة وصيانتها كضرورة ملحة لضمان استمرار الحياة على الأرض وأهم التشريعات البيئية الخاصة بمجال حماية البيئة وذلك على النحو الآتي :

1. المقصود بحماية البيئة وأهميته (التوضيح أن الإنسان هو مشكلة البيئة) ..

2. الاهتمام بدراسة مشكلات البيئة(مع التركيز على بعض المشكلات في البيئة المحلية من حيث :

أ– استنزاف الموارد الطبيعية (تربة زراعية – ثروة نباتية – غابات – ثروة حيوانية – ثروة معدنية – بترول – معادن) .

ب– التلوث بمختلف أنواعه (هواء – ماء – تربة – غذاء – ضوضاء) .

3. أضرار هذه المشكلات من حيث تدهور البيئة واختلال توازنها .

4. أهمية صيانة البيئة من أجل استمرار الحياة على الأرض .

5. أهم التشريعات والقوانين على المستوى العالمي والعربي والمحلي الخاصة بحماية البيئة من حيث :

أ – حماية المصادر المائية .

ب– حماية البيئة البحرية .

ج– حماية الهواء والماء والغذاء من التلوث .

6. حماية البيئة الزراعية والساحلية من الاستنزاف مثل :

أ- الحفاظ على الحياة البرية

ب- المحافظة على الغابات وتنميتها .

7. إبراز أهمية الحقوق والواجبات ودورها في تعديل السلوك .

8. إبراز دور العلم في مكافحة التلوث والقضاء عليه .

9. القيام بالزيارات الميدانية لمواقع المشكلات البيئية المحلية التي يعيش فيها التلاميذ والاهتمام بالآتي :

أ- تسجيل طبيعة كل مشكلة .

ب- الوقوف على أسباب كل مشكلة .

ج- اقتراح الحلول المناسبة من أجل المحافظة على البيئة .

رابعـــاً :- أفادة من التصور المقترح

تتطلـــب الحاجة عند الإفادة من هذا التصور ضرورة تحديد خطة واضحة حتى يمكن من ضوئها وضعه موضع التنفيذ ، حيث يتطلب الأمر عند بناء الوحدات الفرعية المرتبطة بالوحدات الرئيسية تنظيمها وفق أسلوب (الموديول) الذي يقصد به وحدة تعلم صغيرة ينبغي عند التخطيط لها مراعاة التنظيم والترابط الأفقي والرأسي للمفاهيم بصورة متدرجة ومتتابعة للصفوف الملحقة في ضوء أهداف محددة ، والحاجة إلى توفـــير كافـــة الإمكانات والوسائل والنشاطات التعليمية اللازمة بالإضافة إلى أساليب التقويم الموضوعية لقـــياس فعاليـــته في تحقيق أهداف التربية البيئية (والتطبيق على البيئة المحلية) من خلال كتب الدراسات الاجتماعية في مرحلة التعليم الأساسي .

تـــوصيـــات البحـــث :

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يوصي بما يأتي :

1. ضرورة إعادة النظر في المناهج الدراسية بحيث تتضمن مفاهيم التربية البيئية ليتم تطويرها .
2. مراعاة التكامل والترابط والاستمرارية عند التخطيط للأهداف المعرفية والوجدانية والمهارية في المناهج الدراسية في مختلف مراحل التعليم العام .
3. مراعاة خصائص نمو المتعلمين واحتياجاتهم أثناء تطوير المناهج الدراسية في مراحل التعليم العام
4. ضرورة الاهتمام بالزيارات والرحلات الميدانية لبيئة التلاميذ المحلية .
5. عقـــد دورات تدريبية مستمرة أثناء الخدمة تستهدف تدريب المعلمين على مستجدات طرق التدريس الحديثة .

6. إجـــراء العديـــد مـــن الدراسات التحليلية التي تستهدف تحديد المشكلات البيئية المتضمنة في المناهج الدراسية في مراحل الدراسات الاجتماعية في مراحل التعليم العام بهدف تطويرها .

المـــراجـــع العربيـــة والأجنبية

(1) : اللقاني ،أحمد حسين (1990)تدريس المواد الاجتماعية ، (القاهرة ،عالم كتب ،ج1) .

(2) : اللقانـــي ، أحمد حسين وآخرون (1995) المنهج ،الأسس، المكونات ،التنظيمات (القاهرة عالم كتب) .

(3) : اللقانـــي ، أحمد حسين (1987) طرق تدريس المواد الاجتماعية ، برنامج تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعي ، القاهرة الهلال للطباعة .

(4) : الفـــراء ، فـــاروق أحمـــد (1987) ، دور التقنـــيات التربوية في تطوير بعض عناصر المنهج المدرسي رسالة الخليج العربي العدد (23) السنة (2)، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

(5) : المفتي ، محمد أمين (1984) ، سلوك التدريس معالم تربوية (القاهرة ، نهضة مصر) .

(6) : الشرح ، يعقوب (1984) ، برنامج في التربية البيئية في مجال العلوم لطلاب المرحلة المتوسطة بالكويت (القاهرة ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، رسالة دكتوراه غير منشورة) .

(7) : الدمـــرداش ، صـــبري (1977)،التربـــية البيئـــية ودور مـــناهج العلوم في المرحلتين الابتدائية والإعداديـــة فـــي جمهوريـــة مصر العربية (القاهرة، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، رسالة دكتوراه غير منشورة) .

(8) : الشرح ، يعقوب (1986)، التربية البيئية (الكويت) ، (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي) .

(9) : الســـكران ، محمـــد أحمـــد (1987) ، تطوير منهج المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية في الأردن (القاهرة ، جامعة عين شمس ، كلية التربية رسالة دكتوراه غير منشورة).

(10) : المعافـــا ، محمـــد يحـــيى (1998) بـــرنامج لتنمـــية مفاهيم التربية البيئية في مجال الدراسات الاجتماعـــية وأثـــره على تنمية الوعي البيئي لطلاب المرحلة الابتدائية (القاهرة ، جامعة طنطا ،كلية التربية ، رسالة دكتوراه غير منشوره).

(11) :المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1976) مرجع في التعليم البيئي للتعليم العام ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(12) :المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1978) مرجع في العلوم البيئية للتعليم العالي والجامعي ،القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)

(13) :المـــنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1979) دليل استخدام المرجع البيئي في مراحل التعليم العام (القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)

(14) :جعفـــر سعادة ، يوسف (1985) ، الاتجاهات العالمية في إعداد معلم المواد الاجتماعية القاهرة ، سلسة معالم تربوية ، مؤسسة الخليج العربي .

(15) :حزيـــن ، محمد عبد المجيد (1983) تطوير مناهج المواد الاجتماعية في المرحلة الإعدادية في إطـــار التعلـــيم الأساسي ومتطلباته (القاهرة ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، رسالة دكتوراه غير منشورة

(16) :جامعة صنعاء ، كلية التربية (1988) ، تدني مستوى تحصيل الطلاب بالتعليم العام ، ورقة عمل مقدمة لندوة ، أولويات المشاكل التعليمية التي تقيمها نقابة الصحفيين اليمنيين ، صنعاء .

(17) :حاجـــي ، عـــبد الرضا (1986) بناء منهج متكامل في المواد الاجتماعية للصف الأول المتوسط بدولة البحرين (القاهرة ، جامعة عين شمس كلية التربية رسالة دكتوراه غير منشورة) .

(18) :ســـليم ، محمـــد صابر (1976) ، المفاهيم الرئيسية مرجع في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام (القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)

(19) : ستاب / وليم (ب) (1978) نموذج توجيهي في التربية البيئية ، مجلة مستقبل التربية (القاهرة ، مركز اليونسكو للمطبوعات) ، العدد (4) .

(20) :شـلبي ، أحمـد إبراهـيم (1981) وضـع برنامج للتنمية مفاهيم التربية البيئية في مناهج المواد الاجتماعية بالمرحلة الإعدادية (القاهرة ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، رسالة دكتوراه غير منشورة) .

(21) :شـلبي ، أحمـد إبراهـيم (1996) ، تدريـس الجغرافيا في مراحل التعليم العام ، (القاهرة الدار العربية للكتاب).

(22) :مطاوع ، إبراهيم (1995) ، التربية البيئية في الوطن العربي (القاهرة دار الفكر العربي) .

(23) :وزارة التربـية والتعليم (صنعاء) ، (1985) ، جهاز التوجيه والتنقيش ، النشرة التوجيهية العامة لمادة الاجتماعيات .

(24) :وزارة التربـية والتعلـيم (صنعاء) ،(1986) ، جهاز التوجيه والتنقيش ، آراء ومقترحات حول الخطة والمناهج والكتب المدرسية ..

(25) : Bernlece Seiferth & (1979) , Tomas Purcell , student teachers in three states Book , at their Problems and Perception A research Report university of Illinois .

(26) : O le . R . Holsti (1969) , Content analysis for the Social Sciences and humanities'', C N .Y , a ddition Wesley Publishing Go)

(27) : UNESCO, (1980) , " Environment education in the light of tablets Conference education on the move'', (Paris , UNESCO) .

(28) : UNESCO, (1976) , "Lacerate de Belgrade , Connect I ere Anne No . I janvier 1976 , Bulletin de L Education Relative L environment , Paris , UNESCO).

دور التربية الإسلامية في حماية البيئة "دراسة نظرية"

د. محمد أحمد الجلال *

المقدمـــة :

أصبحت البيئة ومشكلاتها ظاهرة عالمية ، ارتبط ظهورها بشكل أساسي نتيجة للتوسع في النشاط البشري بشتى صوره وأشكاله ، ونتج عن هذا التوسع استنزاف للموارد الطبيعية ، هذا الاستنزاف الذي كثيرا ما كان غير عقلاني ، مما أدى إلى تخريب البيئة في مناطق عديدة من العالم ، وأخذ هذا التدهور البيئي يتضح في مخاطر التلوث والتصحر وانقراض الكثير من أنـــواع النبـــات والحيوان[1]، إلى جانب وجود العديد من الأمراض الخطيرة والمستعصية التي أصابت بعض الكائنات الحية ، مما نتج عن ذلك الكثير من الخسائر الاقتصادية والاجتماعية .

والعلاقة بين الإنسان والبيئة مرت بعدة مراحل بعضها إيجابي يتفق مع التوازن الدقيق والنظام البديع المحكم الذي خلق الله عناصر البيئة ومكوناتها عليه، وبعضها سلبي جائر على عناصر البيئة ، وأول ما بدأت العلاقة بين الإنسان والبيئة كانت العلاقة القائمة تتسم بالانسجام والإيجابية ، معتمدة في ذلك على أساس أن الله سبحانه وتعالى سخر جميع مكونات البيئة لهذا الإنسان . واستخدام الإنسان لهذه المكونات وإدارتها دون العبث بها ، والإخلال بتوازنها أو الإسراف في استهلاك ثرواتها وكنوزها[2] .

ولم يستمر الحال على هذا الوضع ، بل جاءت مرحلة خطيرة على البيئة ، وصل مداها في نهاية القرن الماضي ، وربما تستمر على هذا الحال إلى نهاية هذا القرن ، وقد تمثلت هذه المرحلة في ضيق نظرة الإنسان لمستقبل عناصر البيئة وجهله بالكثير من القوانين والنواميس التي فطر الله عليها البيئة ومكوناتها ،

---

* استاذ مساعد / قسم العلوم التربوية والنفسية /كلية التربية /جامعة ذمار.

كما أن تصرفات الإنسان وأنانيته وحبه لذاته ورفاهيته دون الإحساس بمن حوله وما يحيط به من مكونات وعناصر بيئية كان لها دور سلبي واضح في تدهور البيئة وتدميرها [3] .

والبعض من الناس يعتقد أن عناصر البيئة مستمرة وغير منقطعة ، خاضعة له يفعل بها ما يشاء ، ويستخدمها دون ترشيد أو غاية ، إن كل التصرفات السيئة والسلبية نحو البيئة انعكس ذلك على عناصر البيئة أولا ، ثم على الإنسان وصحته وسلامته ثانيا ، وقد ساعد في ذلك انعدام وعي الإنسان ومعرفته بأن الله سبحانه قد استخلفه في الأرض ، وخصه وميزه بنعمة العقل ، ومن واجب الإنسان أن يستخدم هذا العقل فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والخير ، قال تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .." الإسراء آية 70 .

وقد ارتبطت خلافة الإنسان في الأرض بتسخير الله تعالى الأرض وما فيها من نبات وحيوان وبحار وأنهار ، وما في باطنها من ثروات ومعادن وتمهيدها لينتفع بها ، إلى جانب تسخير ما في السماء من شمس وقمر ونجوم ، كل ذلك سخر لهذا الإنسان قال تعالى : " ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ..." الحج آية 65 .

كما أكد المولى سبحانه أن كل ما في الأرض هو ملك لهذا الإنسان " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا " البقرة 29 .

وعلى الرغم من حاجتنا في المجتمعات العربية والإسلامية إلى معالجة لهذه المشكلات تنبع من واقعنا وقيمنا الأصلية التي تدعونا وتحثنا إلى المحافظة على البيئة ومصادرها المتعددة ومحاولة استخدام هذه المصادر الاستخدام الأمثل والسليم ، إلا أننا نجد أن أكثر الأنظمة والقوانين التي تحكم صلة الإنسان ببيئته في مجتمعاتنا ما زالت تستمد أصولها وقواعدها – من مصادر وأبحاث أجنبية – والباحث هنا ينبغي أن يعترف أن هذا التوجه ربما يكون في أغلبه صحيحا، لأن الدراسات والأبحاث في مجتمعاتنا عن البيئة ومشاكلها ما زال ضعيفا ومحدودا ، نتيجة لعوامل وأسباب كثيرة .

وينبغي الإشارة إلى أنه في الفترة الأخيرة بدأت بعض مظاهر الاهتمام بالبيئة ومشاكلها ومعالجة تلك المشاكل .

ولعل هذه الدراسة تسهم في إبراز القيم البيئية في الإسلام ، ومحاولة تنمية الجوانب الإيجابية وتعزيزها ، ومعالجة الجوانب السلبية الناتجة عن الاستخدام السيء للموارد الطبيعية من منظور قيمي نابع من عقيدتنا ، وهي محاولة أيضا للتأكيد على الإرتباط الوثيق بين التربية والبيئة ، لأن التربية تقدم معلومات بيئية متعددة ذات ارتباط وثيق بالمجتمع ، بل يمكن القول إن من أهم عناصر المعلومات التي تقدمها التربية ما يتعلق بقيمة إدراك الطلاب بالظواهر البيئية الموجودة حولهم ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد بدأت بعض

مظاهر الاهتمام به في مجتمعنا اليمني ، وقد ضمن في بعض المراحل الدراسية ، كما أدخل كمقرر اختياري في بعض الكليات ، كما قدم بعض المهتمين والدارسين بعض الأبحاث والرسائل العلمية في هذا المجال .

مشكلة الدراسة :

تعاني اليوم المجتمعات بشكل عام من مشاكل خطيرة ومتعددة نتيجة للاستخدام السيء لمصادر البيئة نتج عن ذلك الكثير من المشاكل الصحية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا شك أن هذه المشكلات تحتاج إلى حلول ، وبناء على ذلك فإنه من الضروري بذل جميع الجهود الفردية والجماعية ، وعلى كافة المستويات للحفاظ على البيئة ، وذلك عن طريق تعزيز وعي الناس وتنميته بأهمية المحافظة على البيئة ، وتأصيل المفاهيم والقيم البيئية في أذهان الجميع حتى يدركوا الدور المنوط بهم .

ولا شك أن التربية الإسلامية بما تتضمنه من قيم وأخلاقيات تستطيع أن تلعب دورا رئيساً وواضحاً في غرس المفاهيم الإيجابية ، ومعالجة المشكلات البيئية ، وتبصير الناس بضرورة حلها وعلاجها من منظور قيمي ، ومن هنا يمكن القول أن مشكلة الدراسة الحالية تكمن في محاولة الإجابة عن السؤال التالي:

ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به التربية الإسلامية لمعالجة الاختلالات البيئية التي نعيشها اليوم ؟

أسئلة الدراسة :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية :

1. ما موقف التربية الإسلامية من البيئة ؟
2. كيف يمكن أن تسهم القيم الإسلامية في معالجة الاختلالات البيئية ؟
3. ما العلاقة بين البيئة والتربية ؟
4. ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في معالجة المشاكل البيئية ؟
5. ما الدور الذي ينبغي أن يقوم به الفرد والمجتمع في المحافظة على البيئة ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي :

1. التعرف على موقف التربية الإسلامية من البيئة .
2. إبراز دور التربية الإسلامية في المحافظة على البيئة .
3. التعرف على مدى اهتمام مناهج التربية الإسلامية بالمفاهيم البيئية .
4. التعرف على العلاقة بين التربية والبيئة .
5. إبراز دور المؤسسات التربوية في المحافظة على البيئة .

6. إبراز دور الفرد والمجتمع في المحافظة على البيئة .
7. بيان أهمية التأصيل الإسلامي للممارسات التربوية في مجال التربية البيئية.
8. محاولة الكشف عن بعض القيم التي توجب حماية البيئة والمحافظة عليها، من التلوث والاستخدام السيء للموارد الطبيعية الموجودة في الكون .

مصطلحات الدراسة :

هناك بعض المفاهيم والمصطلحات ينبغي تعريفها :

1. البيئة : هي الوسط الطبيعي الذي تعيش فيه الكائنات الحية[4].
2. التربية البيئية : يقصد بها " ذلك السلوك الذي يجعل الإنسان يتصرف بحكمة ويتعامل بتعقل وتبصر مع البيئة التي يعيش فيها ، فيحسن استغلال ثرواتها ويصونها مما يتهددها من أخطار وما يواجهها من مشكلات ، ويكون قادرا على تنمية تلك الثروات وتطويرها ، بما يستهدف رفاهية الفرد والمجتمع "[5]
3. القيم البيئية الإسلامية : " مجموعة من الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان مع بيئته تمكنه من تحقيق وظيفته الخلافية في الأرض"[6]
4. التربية الإسلامية ويقصد بها : "إعداد الإنسان للقيام بحق الخلافة عن الله في الأرض ، عن طريق إيصاله إلى درجة كماله التي هيأه الله لها "[7]

التربية الإسلامية والبيئة :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وهيأ له أسباب الحياة في هذه الدنيا ، وسخر له سبل العيش ، وقدر له في الأرض ما يقيم حياته ويصونه ، وجاءت مقاصد الشريعة الإسلامية بكل صلاح ، ونهت عن كل فساد ، وأباحت كل طيب ، وحرمت كل خبيث .

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي:

1. عبادة الله عز وجل فقال : " وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " .
2. إقامة خلافة التوحيد على الأرض " إني جاعل في الأرض خليفة " .
3. عمارة هذا الكوكب وهو موضوع دراستنا هذه فقال : " هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها .." .

ولما كان الفساد في الأرض يتناقض مع عمارتها نهى الشرع عنه وحاربه فقال سبحانه: " إن الله لا يصلح عمل المفسدين " وقال : " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا

يحب الفساد .. " ومن أهم القواعد الشرعية عند علماء أصول الفقه أن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها [8] .

وإذا تأملنا في البيئة بمدلولها الشامل لوجدنا أنها قد حظيت بقدر عظيم من الاهتمام ، وقد وردت البيئة بما تحويه من معالم وما تحفل به من أسرار وما تضمنته من مخلوقات ، فالأرض وما عليها من أنهار وبحار وأشجار وجبال وحيوان ، وما في باطنها من ثروات وخيرات . والسماء وما يزينها من نجوم وشمس وقمر كل ذلك ورد في (199) آية من كتاب الله ، ويكفي هذا على مدى اهتمام الإسلام بالبيئة ومصادرها ومكوناتها وهنا يمكن أن يبرز التساؤل الآتي :

ما الأدلة من القرآن والسنة التي توجب الحفاظ على البيئة ؟ وهنا يمكن ذكر بعض الأدلة في هذا المعنى :

1. قال تعالى : " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين" الأعراف الآية 85.
2. وقال سبحانه : " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " الأعراف الآية 74 .
3. وقال عز وجل : " ولا تبغ الفساد في الأرض إنه لا يحب المفسدين " القصص الآية 77 .
4. وقال سبحانه محذراً ومبيناً صورة المفسدين : " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " البقرة آية 205 . والفساد هو كل ما يخرج الشيء عن ماهيته التي خلق عليها ومن أجلها ، أو يتلف مكوناتها ويحوله من مادة أو عنصر نافع إلى مادة ضارة أو لا فائدة منها ولا طائل تحتها .
5. كما دعا عليه الصلاة والسلام المجتمع بأسره أن يتعاون من أجل الأخذ بأيدي المفسدين وإصلاحهم فقال عليه السلام : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ." رواه البخاري ومسلم .
6. وقال صلى الله عليه وسلم : " لا ضرر ولا ضرار ." .
7. وقال عليه الصلاة والسلام : " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " رواه البخاري ومسلم .

ففي هذا الحديث دعوة إلى إبعاد الأذى عن الناس وقد جعل عليه السلام هذا الدفع جزء من الإيمان . فما بالنا بمن فعل أكثر من ذلك .

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام نهى عن الفساد بكل صوره وأشكاله سواء أكان هذا الفساد في المجال العقدي أم الأخلاقي أم البيئي ، وكل ما هو ضار على وجه هذا الكوكب وقد اهتم الإسلام بالمحافظة على جميع مكونات البيئة التي يمكن ذكرها بإيجاز فيما يأتي :[9].

1ـ المحافظة على إنسانية الإنسان وسلامته ، بوصفه محور البيئة :

حرص الإسلام على تكريم الإنسان وتفضيله على جميع المخلوقات ، كما بين ذلك القرآن في تأكيده أفضلية الإنسان على بقية المخلوقات فقال تعالى : " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " لذلك حرصت الشريعة على حمايته من الوقوع في مواطن الزلل أو أن تشوه صورته التي احسن المولى تقويمها وأبدع تكوينها في هذا الشكل العظيم البديع ولذلك حرم قتل الإنسان ، لأن القتل هو إزهاق الأرواح ونقض للحياة ، فهذه الجريمة هي عين الفساد في الأرض لأن ذلك بث للرعب وترويع للآمنين وتبشيع لصورة الإنسان التي أحسن الله خلقها ، ولذلك شدد المولى على حرمة القتل وعَدَّ ذلك من أكبر الكبائر بعد الشـــرك بالله قـــال تعالى : "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" الأنعام آيه 151.

بل إن المولى جعل جريمة الاعتداء والتسبب في قتل نفس واحدة بمثابة الإعتداء المتعمد على حق الإنسانية جميعا إذ قال تعالى : " من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا " المائدة آية 32 .

كما حرَّم الإسلام الاعتداء على الإنسان بأي شكل من الأشكال سواء كان ذلك بالضرب أم السب ، وأعطى له إنسانيته كاملة كما دعا الإسلام إلى المحافظة على صحة الإنسان وسلامته من كافة الأمراض ، وهذا بالطبع لن يحصل إلا على أساس من نقاء البيئة وصفائها وطهارتها وخلوها من الملوثات ، حتى يستطيع الإنسان أن يتمتع بالصحة الجسمية والعقلية والنفسية الجيدة ، ولا تكمن أهمية البيئة فقط في تعرض حياة الإنسان للأمراض والموت ، بل إن البيئة هي التي توفر له الهواء النقي ، والمياه الصالحة ، وتمده بأنواع الأطعمة المختلفة .

ولذا يؤكد الكثير من المهتمين أنه لم يعد واجب الإنسان أن يحافظ فقط على سلامة البيئة من التخريب والتدمير والاستنزاف ، وإنما بات من المؤكد أن عليه أن يعمد إلى تحسين البيئة وتجميلها وحسن استغلالها واستثمارها بصورة مناسبة [10] ، بحيث يستخرج منها– الإنسان– كل ما يعود عليه وعلى الأمة بالخير والنفع ، وهذا العمل يعدّ من المهام الرئيسية التي وكل بها الإنسان لكي يقوم بواجب الخلافة عن الله لتنفيذ مراده في الأرض وإجراء أحكامه فيها ، وهذا يعني أن الله لَمّا خلق الإنسان أهَّله بمؤهلات الخلافة التي تجعله يستعمر الأرض بالأعمال الصالحة باستغلال طاقاتها وخيراتها وأقواتها وترقيتها بالإبداع المادي في ظل منهج الله وفي حدوده .

2ـ المحافظة على تعمير الأرض وعدم الإفساد فيها :

مـــن الملاحظ أن الله سخر للإنسان وأوجد له على الأرض الكثير من الكائنات الحية وغير الحية ، واســـتخلفه في الأرض من أجل إصلاحها وتعميرها بما يتواءم مع ما شرعه الله " وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض " سورة فاطر الآية 39 .

وقال عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى " الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها " .

هنا نجد أن معنى استخلاف الإنسان على الأرض هو قيامه بإدارتها وإعمارها والإفادة من خيراتها بأمانة وحرص حتى تظل الأرض قادرة على العطاء ، لأن استغلالها بطريقة التخريب أو النهب لثرواتها يعني إهلاكها وفسادها، وعدم قدرتها على الاستمرار للأجيال التالية ، لأن الإسلام ينظر إلى البيئة على أنها حق للجميع ، فكل إنسان في هذا الكوكب واجب عليه أن يغار عليها ، من اعتداءات الآخرين ، ويقول سبحانه حول هذا المعني " وهو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " سورة هود الآية **61**. والاستعمار هنا المقصود به طلب التعمير والتنمية والاستثمار الأمثل لمكنونات الطبيعة واستخراج خيراتها ليعم الخير ، وتنتشر الرفاهية . يتضح لنا مما سبق أن المولى سبحانه سخر كل ما في الكون للإنسان حتى يستطيع أن يحيا حياة راقية آمنة ، ولذا سخر له الأرض وما فيها من نعم ظاهرة وباطنة وسخر له البحار والأنهار والرياح وكافة المخلوقات ، وإذا تأملنا في كل ما سخره المولى لهذا الإنسان ، فسنراه ما هو إلا مكونات البيئة التي يجب الحفاظ عليها لتظفر البشرية بحياة طيبة ، وبالمقابل نجد أن المولى لم يترك هذا الإنسان يعبث في البيئة كما يشاء بل وضع لذلك حدوداً وضوابط تتمثل بأن على الإنسان الانتفاع بها من دون إتلافها بوجه غير مشروع ، وبما أن الإنسان مستخلف في إدارة الأرض والإفادة منها فهو أمين عليها ، ويجب أن يتصرف فيها تصرف المؤتمن على أمانته فهو يتصرف في حدود الأمانة التي يتحملها[11].

3ـ المحافظة على سلامة المياه :

لا شك أن المياه عصب الحياة ، لكل المخلوقات الحية مصداقا لقوله تعالى: " وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون " سورة الأنبياء الآية **30** . ومن أجل المحافظة على الماء حذر ونهى عليه السلام من إلقاء المخلفات والقاذورات فيه لأنه أساس الحياة ومصدر كل شيء فجاءت أوامره عليه السلام ناهية ومحذرة أن يبول الإنسان في الماء الراكد فقال " لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه " كما حذر من التبول في الماء الجاري وأماكن الظل ، بوصفها أماكن لراحة الإنسان ، وكذا في الطريق العام فقال عليه السلام " اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء وفي الظل ، وفي طريق الناس " .

ومن هنا نجد حرص الإسلام على طهارة البيئة ونظافتها من كل المخلفات التي قد تسبب الأوبئة والأمراض .

ومما يلاحظ أيضا أن معظم الآيات التي ورد فيها ذكر للماء في القرآن يكون ذلك مرتبطا بالأرض ، وهي إما ميتة أو خاشعة أو هامدة فينزل الماء فتهتز وتربو وتُنبت من كل زوج بهيج . وإجمالا يعد الماء أساس الحياة ، ولذا فقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادتها ، وهي وحدة البناء في تركيب الكائن الحي نباتاً كان أم حيواناً . كما أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء فهو (الماء) إما وسط ، أو عامل مساعد أو

داخل في التفاعل ، أو ناتج عنه [12]. لذا يبقى التأكيد على أن من واجب الإنسان أن يحافظ على هذه النعمة ، وذلك من خلال ترشيد استهلاكه للماء سواء كان في منزله أم خارج منزله ، بل من واجبه أيضا دعوة الآخرين وإرشادهم إلى أن يسلكوا هذا السلوك نفسه المتمثل في المحافظة على الماء ومصادره حتى تستمر الحياة ، وتبقى البيئة نظيفة طاهرة .

4ـ المحافظة على الكائنات النباتية والحيوانية :

تحدث القرآن الكريم عن الحيوان بشكل واسع وحفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث التي تبين طريقة المحافظة على الحيوان والرفق به ، ذلك لأنها كما وصفها المولى " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.." سورة الأنعام الآية 36 .

وبلغت عناية القرآن واهتمامه بها أن سمى سوراً بأسماء بعض الحيوانات مثل سورة البقرة ، الأنعام ، النمل ، الفيل ، وغير ذلك، وقد حذرنا الرسول عليه السلام من القسوة على الحيوان فقال في الحديث المشهور " عذبت امرأة في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " رواه البخاري ومسلم .

فهنا نرى رحمة الإسلام ورفقه بالحيوان ، وهذه الممارسة سبقت كل الادعاءات الكاذبة التي تدعيها اليوم بعض المجتمعات ، وتقول أنها سنت تشريعات وقوانين للرفق بالحيوان ، في حين هي تساعد على ذبح الإنسان . إن النصوص التي تؤكد الرفق بالحيوان في التشريع الإسلامي كثيرة لا يمكن حصرها في هذه الدراسة المختصرة .

أما ما يتعلق بالثروة النباتية فإن القرآن والسنة قد بينا أهمية ذلك من خلال إبراز صفات وملامح تلك النباتات ، وعلاقة الإنسان والحيوان بها . كما نرى بعضها مادة خصبة في القرآن الكريم لضرب الأمثال وإحياء الموتى ، بل أمر الإنسان بالتفكر في أنواع النباتات ، وبيان أنه سبحانه وحده القادر على الإنبات ، وهو القادر على تحطيم تلك الزروع عقابا للمخالفين عن أمره قال تعالى : "أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلنه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون ." سورة الواقعة الآيات 63-67 .

وهناك الكثير من الآيات والنصوص التي لا يسع الوقت لذكرها[13] وما اهتمام الإسلام بالأحياء النباتية إلا لأنه يدرك ان لها دوراً كبيراً في المحافظة على تناسب مكونات الطبيعة والمحافظة على اتزانها واستمرار الحياة عليها ، وإذا كان البعض يدعي أنه حريص على الأحياء النباتية وزراعتها والاستزادة منها حتى تتم المحافظة على البيئة وجمالها ، فإن ديننا الإسلامي سبق هذه الدعوات التي جاءت متأخرة ففي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة " .

بل حرص الإسلام أشد الحرص على الزراعة وزيادة المساحة الخضراء حتى في أشد وأصعب الظروف والإنسان ينتظر الموت وفي هذا يقول عليه السلام " إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها في الأرض فليغرسها " رواه أحمد.

ومن هنا يمكن القول أن الإسلام حين حرص على المحافظة على جميع مصادر البيئة ومظاهرها . إنما كان يهدف في أحد أهدافه من ذلك إلى المحافظة على جمال الطبيعة وبقاء مناظرها الخلابة وصيانتها من عبث العابثين ، وطلب منا سبحانه أن نتدبر في هذا الجمال وما وراءه ، لنستشعر بذلك عظمة الخالق وقدرته على الإبداع ، ولذا دعانا إلى إمعان النظر في آياته الكونية إذ يقول "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد .رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج " سورة ق الآيات من 6-10 .

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكر والنظر في مباهج الكون وجماله ، بل إن الله عز وجل جميل يحب الجمال ، ويأمرنا أن نحرص عليه ونحافظ عليه من أيدي العابثين والمفسدين حتى تستمر الحياة بصورتها الجميلة والبديعة . كما وجه أحاسيسنا ومشاعرنا تجاه البيئة لننظر إليها نظرة شمول وعموم ، وليكتشف الإنسان دقة وتناسق أبعادها وأجزائها ، وما فيها من نعم وفيرة مزدحمة في الأرض ، من أنهار جارية وأشجار مثمرة ، وزروع نظرة ، وجبال شامخة وبحار واسعة ، قال تعالى : " قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " سورة يونس 101 .

وقوله : " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت " الغاشية 17-20 . وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى .

- كيف يمكن أن تسهم القيم الإسلامية في معالجة الاختلافات البيئية

تعد القيم الإسلامية قوة ضابطة وقادرة على ردع اتباعها ، عن العبث بأي مظهر من مظاهر الحياة المختلفة ، وذلك لأنها تجعل الإنسان المسلم يراقب الله عز وجل في السر والعلن، لأنه يدرك أن هناك قوة أعظم منه تراقبه وترصد عليه أفعاله الحسنة والسيئة ، وهذا يعني أن الضمير هو الذي يتحكم بجميع تصرفاته ، ولذا نلاحظ أن الإسلام حرم جميع أنواع الأذى على الغير ، فحرم قتل أي كائن من دون مسوغ أو حق شرعي ، وحرم الأعمال التخريبية (لا ضرر ولا ضرار) وأمر بالنظافة والتطهر ، وحرم تلويث المياه العامة ، وحرم استعمال السموم أو المبيدات الضارة ، كما منع استخدام الحيوانات في ما لا تطيق القيام به ، كما يمنع قطع الأشجار إلا في الحالات الضرورية [14] .

وهذه أمانة وكل بها الإنسان ، لأنه المخلوق القادر على التصرف في هذه القضايا إما سلبا أو إيجابا ، وذلك لأنه هو المخلوق الوحيد المزود بالعلم والإرادة والقدرة على التحليل والقياس والتعليل والقبول والرفض ، أما بقية المخلوقات فإن لها خصائص معينة ومحدودة في إطار معين . وحتى لا يستغل الإنسان هذا التفضيل والتكريم في الإساءة للبيئة وإلى التباهي والتفاخر بقدرته وعلمه وإدراكه في السيطرة على المخلوقات الأخرى بالأذى والعنف والإهلاك ، من أجل ذلك نظم الإسلام العلاقة بين الإنسان وعناصر البيئة ، ووضع لذلك نظاما قيميا يساعده في التعايش السلمي مع بيئته ، ويعمل على ضبط سلوكه ليوجهه نحو العمل المثمر الصالح النافع وليحقق عن طريقه هدف وجوده على الأرض ، وهذه القيم التي يلتزم بها المسلم هي قيم ربانية مصدرها الخالق الذي يعلم أسرار هذا الكون وما يصلحه وما يفسده وبناء على ذلك يمكن تعريف القيم البيئية الإسلامية بما يأتي: هي مجموعة من الأحكام المعيارية المنبثقة عن الأصول الإسلامية ، التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة ، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض ، ومن هنا يمكن تقسيم القيم البيئية في الإسلام إلى أربعة أقسام هي باختصار كالآتي :[15]

1) قيم المحافظة :

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكونات البيئة وتشمل ما يأتي :

- المحافظة على نقاوة الغلاف الجوي .
- المحافظة على نظافة الثروة المائية .
- المحافظة على رعاية الثروة النباتية .
- المحافظة على رعاية الثروة الحيوانية .
- المحافظة على استخدام الثروات المعدنية .
- المحافظة على نظافة الطرقات والأماكن العامة .
- المحافظة على نظافة بيوت الله .
- المحافظة على نظافة المساكن الخاصة .
- المحافظة على الصحة البدنية .
- المحافظة على الهدوء وتوفيره .

2) قيم الاستغلال :

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد لمكونات البيئة ، فلقد أباح الإسلام للمسلم التمتع بموارد الطبيعة من غير إسراف ولا تبذير ، لكيلا تنعكس الأضرار الجسمية عليه وعلى مجتمعه ، المترتبة على سوء تصرفه فالإسراف يؤدي إلى الترف ، والترف طريق الفساد كما أوضح ذلك القرآن الكريم في العديد من الآيـات [16]، والعقـل وحـده لا يكفي زاجرا عن الإسراف، لأن

الإنسان يخضع لعدة عوامل ، أحدها العقل ، فلا بد من ضابط آخر يوجه هذا العقل ويرشده إلى الصواب والخطأ ، وهذا الضابط بالنسبة للمسلم هو القيم الإسلامية النابعة من صميم دينه وعقيدته .

3) قيم التكيف والاعتقاد :

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيف مع بيئتهم ونحو تصحيح معتقداتهم السلبية تجاهها وتشمل الآتي :

- التكيف مع التغيرات الطبيعية [17].
- الابتعاد عن المعتقدات الخرافية [18].
- التكيف مع القيم الجمالية [19].

ومن هنا ندرك أن الإسلام بأحكامه التشريعية القويمة قد وضع القواعد والأسس المطلوبة للتعامل مع مختلف جوانب الحياة، والصالحة لكل زمان ومكان ومنها القاعدة الأساسية التي تنهى عن جميع الاستخدامات الضارة ، بما في ذلك الاستخدامات البيئية السيئة التي تعرض حياة البشر للخطر .

العلاقة بين التربية والبيئة :

وهنا يبرز التساؤل التالي : ما العلاقة بين التربية والبيئة ؟

وهنا يمكن القول أن هناك علاقة وثيقة بين التربية والبيئة وهذه العلاقة ليست جديدة بل هي قديمة جداً ، فالتربية تقدم معلومات بيئية متعددة ذات ارتباط وثيق بالمجتمع وكما يقول أحد الباحثين في هذا الصدد " ويمكن القول أن من أهم عناصر المعلومات التي تقدمها التربية ، ما يتعلق بتنمية إدراك الطلاب بالظواهر البيئية الموجودة حولهم ، فالتربية لم تقم أصلا إلا لتدريس وتعليم ما هو موجود في البيئة التي نعيش فيها وطرق الاستفادة من مدخراتها وكنوزها ، وكيفية تعامل الطالب مع البيئة التي يعيش فيها" [20].

ونظرا للتلازم الوثيق بين التربية والبيئة ، ظهرت الدعوة إلى الأخذ بالمدخل البيئي أو التربية البيئية التي تأخذ فيها البيئة وضعا جديداً بوصفها وسيلة وغاية ، فالبيئة تعد مصدراً مهماً لإثراء العملية التربوية . وفي الوقت نفسه ، فإن التربية تهدف إلى المحافظة على البيئة ورفع مستواها وتطويرها .

وقد توصل أحد الباحثين إلى تعريف شامل لمفهوم التربية البيئية فقال بأنها " عملية تقويم القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقة المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي الفيزيقي وتوضح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته " [21].

ومن خلال هذا التعريف ندرك أهمية التوعية بمشكلات البيئة ومحاولة التغلب عليها من خلال توعية أفراد المجتمع بمضار البيئة ومخاطرها وذلك عن طريق وسائط التربية المختلفة وبواسطة المقررات

الدراسية ، والندوات والمؤتمرات العلمية . وفي هذا السياق عقدت العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي رعتها منظمة اليونسكو بغرض تدعيم مفهوم التربية البيئية ، وجاء المؤتمر الثاني الذي عقدته المنظمة في مدينة (روشيلكون بسويسرا) ليحدد – بدقة أكبر – المفاهيم الخاصة بوقاية البيئة وحمايتها من التصرفات غير المسؤولة من بعض الأفراد بواسطة التربية البيئية . وقد كان موضوع المؤتمر يدور حول "التربية البيئية في المناهج الدراسية وكيفية إدخال المفاهيم البيئية في المواد الدراسية " [22] .

ومن هنا يمكن القول أنه لا بد للتربية البيئية من أهداف وغايات تسعى من خلالها إلى تطوير للمعرفة العلمية ، وتتلخص هذه الغايات كما يذكر ذلك أحد الباحثين [23] نقلا عن منظمة (اليونسكو 1989م) في النقاط الآتية :

- حث الطلبة على معرفة المشكلات البيئية وفهم أسبابها وسبل الوقاية منها .
- إيجاد الفهم حول العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته .
- إثارة الوعي والاهتمام بالبيئة ومشكلاتها الراهنة والماضية .
- إكتساب المواقف والقيم المناسبة والشعور بالمسؤولية إزاء صون البيئة .
- إظهار الاستخدام الفعال والاقتصادي للمصادر الطبيعية .
- تمكين الدارسين من اتخاذ قراراتهم الخاصة بأسلوب ملائم ومنطقي عند حل المشكلات البيئية .
- تمكين الدارسين من الإفادة من معارفهم بشأن البيئة في خلق وتحسين مستوى المعيشة على مستوى الفرد والمجتمع .

وفي ضوء ذلك يؤكد أحد الباحثين فيقول : (إنه لا ينبغي أن يكون اختيار المحتوى مجرد تجميع لمواد لا يربط بينها رابط وإنما يجب أن يتم انتقاء المحتوى وفق تفضيلات قيمية تؤدي إلى الاستيعاب الواعي للحقائق والمفاهيم والعلاقات المتصلة بالبيئة الطبيعية والجغرافية والسكانية والاجتماعية ، والثقافية محلياً وإقليمياً وعالمياً ، واستخدامها بفاعلية في الحياة العامة بهدف الوصول إلى حل المشكلات البيئية التي تهدد استقرار الحياة على الأرض " [24] .

وقبل الانتهاء من الحديث عن العلاقة بين التربية والبيئة ، ينبغي الإشارة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما في مناهج ومؤسسات التعليم في الجمهورية اليمنية.

لقد اهتمت الجمهورية اليمنية بالبيئة وشؤونها ومن أجل ذلك صدر قرار جمهوري سنة 1990م بإنشاء مجلس حماية البيئة – حاليا وزارة السياحة والبيئة تكون مهمته اقتراح السياسة العامة لحماية البيئة ووضع المعايير الكفيلة بحماية البيئة من التلوث ، وحماية الثروة الحيوانية والنباتية والأحياء البحرية من الاستزاف وحماية الأراضي من التصحر ، وإعداد مشروعات القوانين لحماية البيئة ومتابعة تنفيذها[25].

وفي هذا المجلس تم إنشاء إدارة مهمتها الاهتمام بالإعلام والتربية البيئية والتركيز على التربية البيئية في التعليم العام والتعليم الجامعي .

ومن هذا المنطلق حظي التعليم البيئي في اليمن باهتمام واضح من لدن الجهات الرسمية المختلفة ، إذ اتجهت وزارة التربية والتعليم وبالتعاون مع جهات محلية وعالمية، وفي هذا الصدد تم التنسيق بين مركز البحوث والتطوير التربوي ومجلس حماية البيئة ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسيف حيث تم إنجاز العديد من الوثائق في التربية البيئية والصحية أهمها وثيقة المناهج ، كما تم في هذا الجانب ظهور المشروع اليمني الألماني للتربية البيئية والصحية[26] ، كما تم إدخال مقرر خاص للتربية البيئية في معاهد المعلمين والمعلمات نظام السنتين بعد الثانوية العامة ، كما اعتمدت بعض الجامعات اليمنية مادة للتربية البيئية تدرس لطلاب تلك الجامعات[27] .

ولا شك أن هذه الجهود المبذولة جاءت نابعة من إحساس الجميع بأن اليمن كغيرها من الدول تعاني من العديد من المشكلات البيئية والصحية ولذا فهي تحاول إيجاد المخارج للتخفيف من هذه المشاكل ، ولعل أحد أبرز ذلك هو إقرار التربية البيئية والصحية في المناهج الدراسية حتى يكون الجيل على وعي كامل بمخاطر وأضرار البيئة إذا لم يتم استخدامها الاستخدام الأمثل .

وفي ختام هذا المبحث يمكن القول إن الاهتمام بالتربية البيئية يعود إلى كونها تهدف إلى "إعداد الإنسان للحياة من خلال المناهج والمقررات الدراسية لأن يكون عنصرا ناجحاً متفاعلا مع بيئته المحيطة ، كما أنها تعني تنمية المهارات التي تمكن المتعلمين من المساهمة في حل الأخطار التي قد تواجه البيئة مثل أخطار التلوث والتصحر والتدهور البيئي في المدرجات الجبلية وانزلاق التربة وتلوث البحار والشواطئ والأنهار"[28] .

أما السؤال الرابع الذي نصه :

ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في معالجة المشاكل البيئية ؟

فقد تمت الإجابة عليه من خلال الآتي :

التربية بمفهومها الواسع والشامل هي : العملية التي يشترك في أحداثها وتفاعلاتها معظم مؤسسات المجتمع التي تحمل على كاهلها مسؤولية بناء الفرد وتشكيله ، كما أنها هي العملية التي تبذل لإحداث تغيير مطلوب ومرغوب في سلوك الفرد وسلوك المجتمع ككل[29] .

ومن هنا نجد أن هناك مؤسسات تربوية متعددة يتلقى فيها الأفراد مختلف العلوم والمعارف والخبرات وفي هذا المبحث سوف يتم التعرف وباختصار على بعض هذه المؤسسات ، ومعرفة دورها في حماية البيئة :

1ـ المنزل :

هو البيئة الأولى التي ينشأ فيها الفرد ، وفيها يتعلم ويقتبس الكثير من العادات والقيم والمعتقدات .

وما من فترة في حياة الفرد لها أثرها الكبير والواضح في صياغة شخصيته مثل فترة الطفولة ، لأن الطفل في مراحله الأولى يكون أكثر قابلية للتشكيل بفعل مرونة جهازه العصبي في هذه الفترة وبفعل سرعته للتقليد ، والبيت صورة مصغرة للعالم الخارجي ، فإذا تعلم الفرد معنى القيم الإيجابية التي تجعله شخصا محباً للخير ومتعاوناً مع مجتمعه في ذلك، لا شك أنه إذا تربى على هذا السلوك سوف يكوّن حصيلة معرفية بيئية تؤهله لأن يكون نموذجا صالحا يحافظ على البيئة ومصادرها ويتعامل معها بإيجابية ، وهذا لا يمكن أن يتم دون توعية حقيقية من الوالدين وبقية أفراد المنزل في توجيه أبنائهم نحو العادات البيئية السليمة كالنظافة العامة والخاصة ، وغير ذلك من السلوكيات الحميدة .

2ـ المدرسة :

تعرف المدرسة في المفهوم الحديث بأنها " المؤسسة التي تقوم على نظام واع لتحقيق أهداف تربوية محددة ومقصودة "[30] .

وتعد المدرسة وسيلة مهمة في مجال تربية الأفراد ورفع مستوى الوعي لديهم ، كما أنها تسعى إلى تهذيب الأفراد وإصلاح ما قد يعجز عنه المنزل فالمدرسة وسط بين البيت والحياة . ومن المتوقع أن يتعلم الفرد في المدرسة معنى القيم البيئية وكيفية المحافظة على عناصرها ومكوناتها .

ومن أجل غرس الوعي البيئي في نفوس التلاميذ[31] فإنه من واجب المدرسة والمعلم أن يقوموا بالآتي :

- التمسك بالعقيدة ، وحسن السيرة والسلوك .
- الوعي بالقيم البيئية الإسلامية .
- الوعي بمفهوم البيئة وبالمشكلات البيئية الحديثة والمستقبلية .
- استخدام أساليب متنوعة في توجيه وإرشاد التلاميذ في الموضوعات البيئية المختلفة .
- الشعور الدائم بأن المعلم مصدر التقليد والاتباع من قبل المتعلمين .

ولا يمكن أن يتصف المعلم بهذه الصفات إلا إذا تم إعداده وتأهيله بطريقة مناسبة تؤهله لأن يقوم بهذا الجهد .

وينبغي أن نشير هنا إلى دور مادة التربية الإسلامية المقررة في المدارس في حماية البيئة والمحافظة عليها وتنمية القيم الإسلامية الواردة في هذا المجال وذلك من خلال ذكر الآيات القرآنية والأحاديث

النبوية[32] والأقوال المأثورة الواردة بهذا الخصوص ، حتى يتم ربط هذه المادة بواقع وحياة الطالب إلى جانب أن تأثيرها يكون أكثر من بقية المواد الأخرى ، إذا استطاع المعلم أن يحسن طريقة العرض .

3ـ المسجد :

يعد المسجد مؤسسة تربوية وغاية في الأهمية لبناء شخصية الفرد بناءً متكاملاً ومتوازناً وقد قام المسجد بهذه المهمة منذ بداية قيام الدعوة الإسلامية فكان مكاناً للعبادة والتعليم والتوجيه ، ولأهمية المسجد كان أول عمل قام به الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، هو قيامه ببناء المسجد النبوي ، وقد فرض المولى سبحانه على عباده أداء أهم عبادة في المسجد وهي، الصلاة التي ينبغي أن يؤديها المسلم في اليوم خمس مرات، ويمكن الإفادة من هذا المكان في توعية وتوجيه الناس بمخاطر وأضرار البيئة، وذلك من خلال الخطب والمحاضرات والدروس التي تلقى في المساجد، وهذا يقتضي أولا أن يدرك أئمة المساجد دورهم في توعية الناس ، وأن يكون لديهم الوعي الكامل والكافي بأضرار ومخاطر البيئة حتى ينقلوا ما لديهم إلى الآخرين .

4ـ وسائل الإعلام :

تعد وسائل الإعلام مؤسسات تربوية مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات لأنها تغطي قطاعات عريضة من الأفراد يصعب أن تغطيها برامج التعليم النظامي، كما أنها تشمل مواداً متنوعة من الثقافة والتوجيه والرعاية في مختلف مجالات الحياة، فضلا عن أنها تتميز بالاستمرار وتراكم التأثير ، إذ يبدأ اتصال الفرد بها منذ طفولته ويمتد إلى شيخوخته[33] .

ووسائل الإعلام تشمل الإذاعة ، التلفزيون ، الصحافة ، الكتاب ، المكتبات العامة .

ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام لها تأثيرها في الأفراد والمجتمعات بشكل كبير وواضح ، وأصبحت اليوم في متناول الجميع لذا ينبغي أن تقوم بدورها في توعية الناس بمخاطر وأضرار البيئة من خلال الآتي :

1. توعية أفراد المجتمع بضرورة التقيد بالقيم البيئية التي يدعو الإسلام إلى الالتزام بها.
2. بيان مخاطر البيئة وأضرارها على الفرد والمجتمع .
3. تخصيص برامج وندوات خاصة عن البيئة يشارك فيها عدد من المختصين .
4. على الصحافة بالذات أن تخصص صفحات خاصة وتعد الملصقات والشعارات من أجل إبراز القضايا البيئية ، وكيفية المحافظة عليها .
5. تشجيع الأفراد على المشاركة بالقول أو الفعل من أجل تقديم كل ما يخدم البيئة.
6. إعداد الأبحاث والدراسات الفردية والجماعية وتشجيعها لبيان الطرق المناسبة للمحافظة على البيئة من المخاطر التي قد تهددها .

5ـ الجمعيات الرسمية وغير الرسمية المختصة بحماية البيئة :

تعد الجمعيات المختصة بحماية البيئة سواء كانت حكومية أم أهلية من المؤسسات التربوية المهمة ، والتي بدأت تظهر في الفترة الأخيرة وبشكل واضح وهدفها الإسهام في المحافظة على البيئة من الأضرار التي قد تواجهها نتيجة للاستخدام السيء من قبل بعض الأفراد ، ولا شك أن تشكيل تلك الجمعيات يتفق مع مبادئ الإسلام وهو من باب قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون " سورة آل عمران آية 104 . وقوله تعالى : "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .. " سورة المائدة الآية 2 . وهذا يتفق أيضا مع قوله عليه الصلاة والسلام : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

ومن هنا ينبغي القول إن على هذه الجمعيات أن تقوم بدورها في توعية الناس بالطرق المناسبة للتعامل مع جميع مصادر البيئة ، وبيان الأضرار والمخاطر التي تعود على الجميع من الاستخدام السيء لأي مصدر من مصادر البيئة . ومن المتوقع أن يكون أداء هذه الجمعيات أفضل من أداء الجهات الأخرى، كونها قريبة من الناس وتعرف ما هي المشاكل الملحة وتعمل على معالجتها من خلال العرض السابق لوسائط التربية المختلفة يمكن القول أنه لا بد من التنسيق والتعاون بين جميع الجهات حتى يتم إعداد أفراد صالحين يتعاونون لما فيه خدمة أوطانهم ومجتمعاتهم ، وهذا يعني أن هذه الجهات لا بد أن تسعى إلى تنمية القيم البيئية التي دعا وحث عليها الإسلام .

ما الدور الذي ينبغي أن يقوم به الفرد والمجتمع من أجل المحافظة على البيئة ؟

سبق القول أن الإنسان أحد مظاهر البيئة الهامة والمؤثرة في هذا الكون ، وأن الخالق عز وجل قد اختصه بخصائص وصفات تميزه عن غيره من الكائنات، ولكن يا ترى ما الدور المنوط به للحفاظ على البيئة ، واستغلالها بطريقة مناسبة ؟ هذا السؤال سوف يتم الإجابة عليه فيما يلي :

إن المتتبع للنصوص الشرعية يتأكد له أنها تدعو وتحث على تحسين العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وأنه سبحانه قد تكفل بوضع منهج متكامل ينظم تلك العلاقة على أساس من الترابط والتجاوب والتعاون ، وبالتالي اعتمد في تطبيقها والالتزام بها على درجة إيمان الفرد فإذا كانت درجة إيمانه قوية أدى هذا إلى التزامه بالمحافظة على البيئة ومصادرها، ولذا لم يكن غريبا أن يشعر الإنسان حين يصحو ضميره أن البيئة إن هي إلا (الرحم) التي يتربى فيها ويترعرع، وهي (الحضانة) التي نرى من خلالها الحياة النقية ، وهي (الأم الحنون) التي تحتضن الجميع بلا تمييز بين غني وفقير أو صغير وكبير ، فالكل له حق الإفادة من البيئة ومصادرها[34] .

وللضمير أهمية بالغة في توجيه سلوك صاحبه نحو الخير والنفع العام . والعمل الصالح في كل مجالات الحياة ، وليس حيال البيئة وحدها .

وإجمالا يمكن القول إن الإنسان لكي يحافظ على البيئة فعليه عدة واجبات عليه أن يدركها ولعل أهمها ما يأتي :

1. أن يدرك الإنسان أنه هو المسؤول الأول عن البيئة ، وهو المستفيد منها ، وهو مصدر تلوثها أيضا . لذا فهو الهدف من إصلاح البيئة وجمالها وثرائها وغناها ، ولا مفر من ضرورة تنمية ضميره البيئي كي يشعر بالبيئة وبقيمتها وبأثرها فيه وفي غيره .
2. على الإنسان أن يحب بيئته ويحرص على سلامتها ونظافتها وطهارتها وخلوها من الملوثات والنفايات والأقذار والأوساخ . فالإنسان جزء من البيئة ، ومكون رئيسي من مكوناتها ، وهو مخلوق من عناصرها ، أي أن صفته من تراب قال تعالى : " والله خلقكم من تراب ثم من نطفة " سورة فاطر آية 11. "لذا فالكون ليس عدوا للحياة ، ولا عدوا للإنسان وليست الطبيعة خصما للإنسان يصارعها ويغالبها إنما هي خلق من خلق الله ، وهي صديق لا تختلف اتجاهاته عن اتجاه الحياة والإنسان."[35] .
3. على الفرد أن يدرك أن البيئة للجميع[36] وعليه أن يدرك أن موارد البيئة من أكبر نعم الله على بني البشر ، وأن الله قد أعطانا جميعا حق الانتفاع بها ، فلا يحق لجماعة أو دولة أو طائفة الاستئثار بها دون بقية الناس .
4. الإنسان وصي على البيئة لا مالك لها، إن الإنسان خليفة الله في أرضه ، ووصي البيئة وليس مالكا لها، فعليه أن يأخذ منها بقدر حاجته .
5. على الإنسان أن يؤدي حق هذه النعمة وذلك بشكرها والمحافظة عليها وبإعطاء حق الله للمحتاجين ، فشكر النعمة عامل هام من عوامل استدامتها.قال تعالى : " لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد " سورة إبراهيم الآية 7 .
6. أمانة الحفاظ على البيئة جزء من عقيدة المسلم : إن المحافظة على مصادر البيئة وعناصرها جزءاً لا يتجزأ من عقيدة المسلم قال عليه الصلاة والسلام: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " رواه البخاري ومسلم .

   وكذا حديث " لا ضرر ولا ضرار " .
7. على الإنسان أن يدرك أن العلاقة بينه وبين البيئة علاقة تسخير واستثمار ، ويقصد بهذه العلاقة تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية والاجتماعية تنفيذا لرسالته في الحياة .
8. على الإنسان أن يدرك أنه مزود بقدرات وإمكانات تمكنه من الإفادة القصوى من البيئة ومصادرها فقد خصه الله بالعقل والقدرة على العلم والتعلم " فالإنسان مخلوق ذو رسالة ، هي الاستخلاف ،

حيث استخلف الله الإنسان في الأرض ، وسخر له ما فيها وزوده بالمواهب التي تعينه على الخلافة وتيسر له طيبات الحياة كلها "[37] .

9. على الإنسان أن يدرك أن الحوادث التي تحدث في هذا الكون كما صورها القرآن الكريم ، تسير وفق نظام دقيق محكم في تفاعلها وتأثيرها المتبادل ، وهذا النظام المتقن البديع يجعل الأرض موطنا مناسبا للحياة .

10. على الإنسان المسلم أن يدرك أن الإسلام غني وحافل ببرامج الإصلاح البيئي . وأنه من واجبات الإنسان المسلم أيا كان موقعه أن يبحث عن الحلول العلمية لقضايانا ومشكلاتنا البيئية وأن عليه أن يلجأ إلى دينه وعقيدته ولا شك أنه سيجد المؤشرات الصحيحة والعلمية التي تعينه على المحافظة على البيئة والإفادة منها .

11. على الإنسان المسلم أن يدرك أنه لا مانع من أن يفيد من تجارب وأبحاث الآخرين، خاصة أننا ندرك أنهم سبقونا في هذا الميدان فلديهم الكثير من الخبرات والعلوم والمعارف في هذا المجال فعلينا أن نوظف ما لديهم طبقا لحاجتنا ومطالبنا.

12. على المسلم أن يدرك أن الإسلام لم يعالج كل القضايا البيئية بشكل صريح فهناك أمور عالجها بشكل مفصل وواضح وقد سبق ذكر النصوص التي تدل على ذلك ، وهناك أمور أخرى أعطى لها مؤشرات أو دلالات يمكن توظيفها والاستفادة منها في معالجة كل القضايا الجديدة والطارئة .

الخاتمـــــة

سبق القول أن العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة قديمة وأنها كانت قائمة على أساس المنفعة المتبادلة ، ولكن في الفترة الأخيرة حصل نوع من الاختلال وعدم التوازن بين الإنسان والبيئة ونتج عن ذلك الكثير من المشكلات والمخاطر التي أضرت بالحياة بشكل عام ، ومع أن الإنسان مكون من مكونات البيئة إلا أنه الأكثر تأثيرا فيها ، وتأثرا بتغيراتها .

وبناءً على ذلك فإن الأفراد والمجتمعات ووسائل الإعلام والتربية ينبغي عليهم أن يتحملوا رسالتهم ومهمتهم بكل أمانة وإخلاص، منطلقين في ذلك من مبادئ عقيدتهم ودينهم، فعلى الإنسان أن يدرك أنه قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض يعمرها ويستثمر خيراتها وينتفع بمواردها المتعددة ، ويقتضي ذلك شكر الله على هذه النعم والموارد والمحافظة عليها ، والتعامل معها بمسؤولية من أجل الصالح العام ، كما يقتضي ذلك حسن التعامل مع هذه الموارد بالوعي والتخطيط والتدبير، كما ينبغي الإشارة هنا إلى واجب الاعتدال والتوسط في الإنفاق ، وعدم الإسراف واستنزاف الموارد وهدرها فيما لا فائدة منه .

كما أن الإسلام يقيم منهجه في التعامل مع البيئة على أساس حماية مواردها والمحافظة على جمالها ونظافتها ، ويقصد بالموارد الطبيعية كل ما أوجده الله في البيئة المحيطة ليخدم حياة الإنسان سواء كان ذلك

في السماء كضوء الشمس ونور القمر والنجوم والسحب، أم كان مصدره الأرض كالبحار والجبال والنبات والحيوان والمعادن وغير ذلك فإن الإنسان مطلوب منه نحو هذه الموارد عدم الإساءة إليها أو إفسادها أو استخدامها بطريقة غير سليمة .

وفي ختام هذه الدراسة ينبغي تأكيد الأمور التالية :

- إن علاقة الإنسان بالبيئة ليست علاقة عداوة وصراع وتحدي ، وعنف وتدمير ، بل إن العلاقة القائمة بينهما كما تحددها الشريعة الإسلامية هي علاقة صداقة وانسجام وترابط وتعاون .
- إنه ينبغي على الإنسان المسلم الالتزام بالقيم الإيجابية التي تحثه على الحفاظ على البيئة .
- ينبغي عمل دراسات تحليلية تقارن بين غايات وأهداف التربية البيئية في المجتمعات غير المسلمة ، وبين غايات ومبادئ التربية البيئية في المجتمعات الإسلامية .
- التأكيد على أن الرقيب لدى المسلم في التعامل مع البيئة هو رقيب إيماني منبعث من عقيدة وإيمان الشخص ، فهو رقيب نفسه ، ولا يحتاج إلى سلطة تردعه أو تمنعه من الإساءة إلى البيئة .
- تكاد تنحصر القيم البيئية الإسلامية في أربعة أبعاد هي : قيم المحافظة ، وقيم الاستغلال ، وقيم التكيف والاعتقاد ، وقيم الجمال .
- هناك مشكلات بيئية مستحدثة ، ليس فيها نصوص صريحة في القرآن أو السنة ، وإنما يمكن استنباط طرق معالجتها من خلال قواعد ومبادئ الإسلام العامة ، التي تنص على النهي عن إلحاق الأذى والضرر بشكل عام .
- ينبغي على الأفراد والمؤسسات الحكومية أن يعملوا على عمل الدراسات والأبحاث الميدانية التي تكشف عن القيم البيئية السلبية في سلوك الأفراد والجماعات ، ومن ثم العمل على معالجتها والحد منها.
- ينبغي على المؤسسات التربوية والمنزل والجمعيات الرسمية وغير الرسمية التي تعنى بشؤون البيئة أن يعمل هؤلاء جميعا من أجل توعية الأفراد والمجتمع بأهمية حماية البيئة وطرق المحافظة عليها .
- ضرورة تضمين المناهج الدراسية والمقررات في جميع المراحل الدراسية مفاهيم ومضامين بيئية ، حتى يدرك الطلبة أهمية ذلك في حياتهم وحياة مجتمعاتهم .
- تشجيع الأفراد على إنشاء الجمعيات التي تدعو وتحافظ على البيئة ، وعلى الحكومة والمؤسسات بشكل عام دعم مثل هذه الجمعيات وتشجيع الناس في الانضمام إليها .
- ينبغي على خطباء المساجد والمرشدين فيها أن يعملوا على تخصيص ندوات وحلقات نقاش حول الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها .
- ينبغي على الأفراد جميعا أن يدركوا أن البيئة ملك للجميع وليس لفئة دون أخرى .

- ينبغي أن يدرك الأفراد أن مسؤولية حماية البيئة هي أمانة في أعناقهم وعليهم أن يدركوا حجم هذه الأمانة ويعملوا على رعايتها والمحافظة عليها .
- ينبغي للمسلمين أن يدركوا أنهم في حياتهم للبيئة من العابثين والمفسدين إنما يقوموا بواجب ديني هو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك من أجل سلامة الجميع .
- على الفرد المسلم أن يدرك أنه خليفة الله في الأرض وأنه سبحانه أعطاه الوسائل التي تتيح له فرصة الإفادة من عناصر هذا الكون دون إفساد أو عبث ، فعليه أن يقوم بواجب الخلافة خير قيام ، ويتحمل المسؤولية بكل اقتدار.

الهوامش

(1) : نبيل عبد اللطيف عبادي ، الإنسان والبيئة الطبيعية في اليمن ، سلسلة كتاب الجيب ، صنعاء ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط1 ، 1993م .
(2) : اسماعيل محمد المدني ، خالد أحمد بو قحوص المشكلات البيئية في الكتب الدراسية في المرحلة الإعدادية بدولة البحرين ، رسالة الخليج العربي ، العدد 48 ، الرياض ، 1993 .
(3) : المرجع السابق ص 99 .
(4) : محمد ابراهيم الصانع ، البيئة في المناهج والمقررات الدراسية ، مركز عبادي صنعاء ، 2000م ، ط2 .
(5) : صبري الدمرداش ، التربية البيئية النموذج والتحقيق والتقويم ، القاهرة ، دار المعارف ، 1988م ، ط1 ، ص68 .
(6) : عزيزة محمود رمال ، القيم البيئية في الإسلام ودور التربية الإسلامية في تنميتها ، رسالة ماجستير ، غير منشورة جامعة الملك عبد العزيز ، المدينة المنورة 1411هـ - 1991م .
(7) : علي احمد مدكور ، منهج تدريس العلوم الشرعية ، الرياض ، دار الشواف 1991م ، ط1 ، ص55 .
(8) : محمد أبو زيد ، نظرة قرآنية في تلوث البيئة ، صحيفة البيئة ، جامعة تعز ، عدد يناير 2000م .
(9) : أحمد اسماعيل عبد الكريم ، البيئة من منظور اسلامي ، مجلة منار الإسلام ، تصدرها وزارة العدل والشؤن الإسلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة ، العدد 7 ، 1997م .
(10) : عبد الرحمن محمد العيسوي ، تنمية الضمير البيئي ، مجلة التربية قطر ، العدد 129 ، يونيو 1999م .
(11) : رفعت عبد الوهاب المرصفي ، البيئة ومكوناتها وضرورة الحفاظ عليها ، مجلة منار الإسلام ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية ، دولة الإمارات ، العدد 2 السنة 24 ، 1419/ 1998م يونيو.
(12) : عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني ، القاهرة ، ط1 ، 1414هـ ، 1994م ، ص116.
(13) : أنظر على سبيل المثال سورة البقرة ، الآية 261، وسورة الأنعام الآية 95 ، وكذا الآية 99 والآية 141 ، وغير ذلك .
(14) : السيد علي الأمين وآخرون ، البيئة ومشكلاتها الراهنة ، المنهاج ، لبنان ، العدد 13 ، 1999م.
(15) : عزيزة محمود رمال ، القيم البيئية في الإسلام مرجع سابق ، ص105 .
(16) : أنظر على سبيل المثال سورة القصص ، الآية 58 ، وسورة الإسراء الآية 16، والآية 27 ، سورة الواقعة الآية 41-46، هذا إلى جانب الكثير من الاحاديث النبوية التي دارت حول هذا الموضوع .
(17) : هناك بعض الآيات تشير إلى الرياح والأمطار وكيفية الاستفادة منها .
(18) : على سبيل المثال أنظر سورة طه آية 69 ، سورة النجم آية 19-20 .
(19) : على سبيل المثال أنظر سورة الملك الآية 3-4 ، وسورة ق آية 6 ، سورة فاطر آية 27 .
(20) : علي محمد التويجري ، التربية البيئية وحاجتنا إليها في دول الخليج العربي، رسالة الخليج العربي ، الرياض ، العدد 42 ، 1999م .
(21) : يعقوب أحمد الشراح ، التربية البيئية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ط1 ، 1986

(22) : علي محمد التويجري ، التربية البيئية وحاجتنا إليها في دول الخليج العربي، مرجع سابق ، س11.
(23) : عبد الباقي محمد النهاري ، المفاهيم والاتجاهات البيئية لدى طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء ، ومصادر اكتسابهم بها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، عمان ، جامعة اليرموك 1997م .
(24) : المرجع السابق ، ص6 .
(25) : وزارة الشؤون القانونية ، صنعاء ، 1990م .
(26) : ابراهيم محمد الحوثي ، إنصاف عبده قاسم وآخرون ، دراسة المعرفة والإتجاهات البيئية لدى تلامذة مرحلة التعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية ، مركز البحوث والتطوير التربوي ، صنعاء ، 1998م ، ص7 .
(27) : عبد الباقي النهاري ، المفاهيم والإتجاهات البيئية لدى طلبة كلية التـربية بجامعة صنعاء ، مرجـع سابـق ، ص11 .
(28) : محمد ابراهيم الصانع ، التربية البيئية العلاقة بين الإنسان والبيئة مركز عبادي ، صنعاء ، 2000م ، ط 2 ، ص27 .
(29) : محمد محمد عبد الحليم ، المسجد ودوره في تربية الفرد والمجتمع ، بحث مقدم إلى مؤتمر " التربية الدينية وبناء الإنسان المصري" المنعقد في جامعة المنصورة ، 1993م ، المجلد الأول.
(30) : محمد بن مقبل المقبل ، الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام ، الرياض ، دار العاصمة ، 1409 ، ط1 ، ص41
(31) : عزيزة محمود غربال ، مرجع سابق ، ص180.
(32) : محمد ابراهيم الصانع ، البيئة في المناهج والمقررات الدراسية ، مركز عبادي ، صنعاء ، 2000م ، ط2 ، ص55 .
(33) : يعقوب يوسف الغنيم ، " ماذا يريد التربويون من الإعلاميين " من وقائع ندوة ماذا يريد التربويين من الإعلاميين ، ج1 ، الرياض مكتب التربية لدول الخليج ، 1986 .
(34) : عبد الرحمن محمد العيسوي ، تنمية الضمير البيئي ، مرجع سابق ، ص293 .
(35) : صالح ذياب هندي ، المفاهيم البيئية في كتب التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية في سلطنة عمان ، رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، الرياض ، العدد 67 ، 1998م .
(36) : عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص148 .
(37) : المرجع السابق ، ص29 .

صورة المسلمين والمستعمرين في كتب التاريخ للتعليم الثانوي العام والمعاهد العلمية في الجمهورية اليمنية

د. عبدالله عبد الكريم الأهدل *

أهمية البحث والحاجة إليه :

تعـــد التربية من أهم وسائل المجتمع في نقل القيم والاتجاهات القيمية إلى الأجيال المتلاحقة ، وتأتي أهمـــية ذلك حرصاً على بقاء المجتمع وكينونته واستمراريته ، والتربية بدورها لها وسائل مهمة لتحقيق ذلك الهـــدف ، ومـــن تلك الوسائل المهمة المنهج بمفهومه الشامل والذي يعني انه مجموع الخبرات التي تهيؤها المدرسة في الداخل والخارج بغية إحداث النمو الشامل والكامل لدى المتعلم .

ويعـــد المحـــتوى (content) جزء من المنهج الشامل ، فهو الوثيقة التربوية المكتوبة التي تتضمن المعارف والاتجاهات القيمية والمهارات .

ومن هنا تأتي أهمية المحتوى متضافرة مع عناصر المنهج الأخرى في اكتساب الطالب النمو المتكامل والشامل سواء ما يتعلق بالجانب الإدراكي (العقلي) أو المعرفي والجانب الوجداني أو العاطفي .

وكذلك الجانب المهاري (النفسحركي) "والجانب الاجتماعي".*(3ص43)

---

* أستاذ مساعد / قسم الدراسات الاجتماعية / كلية التربية / جامعة صنعاء .

والمحتوى المكتوب هو في الحقيقة انعكاس لثقافة المجتمع وتوجهاته فالمحتوى الذي لا يعكس ثقافة المجتمع ولا يخدم متطلباته يعد بعيداً عن أهدافه وطموحاته ، ولا يحقق الأهداف المرجوة منه ، حيث أن المحتوى يبنى على الأهداف أولاً ، والأهداف بطبيعتها لها مصادر اشتقاق هي المتعلم ، المعرفة ، المجتمع وفلسفته ، وإذا أخذنا المجتمع وفلسفته فإن فلسفة المجتمع تمثل المرجعية الأساسية للأهداف ومدى توافقها مع فلسفة المجتمع ، وهذا ما يفسر لنا سر الاختلاف في الأهداف من دولة لأخرى ومن مجتمع لأخر لا سيما الأهداف المتعلقة بالدراسات الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة ومنها التاريخ التي تعمل على تنمية كثير من القيم والاتجاهات لدى الطلاب ، فقد لقي التاريخ اهتماماً كبيراً في معظم دول العالم وذلك لما له من اثر في تنمية الاتجاهات القيمية (فقد قدم تقرير إلى مجلس مقاطعة لندن قبيل الحرب الكبرى جاء فيه "يطلب إلى المدرس في فرنسا أن يرغب في الجمهورية القومية وينفر من الملكية والدولية ، وفي بروسيا يطلب إليه في صراحة أتم أن يشيد بمزايا الملكية ممثلة في آل هنزلرن القائمين بالحكم ، وان ينبه على خطر الاشتراكية الحديثة ، أما في كويتزلاند ، فيطلب إليه أن يؤسس دراسة التاريخ كلها على عقيدة الملكية العامة") .(10ص107)

ومن هنا تأتي أهمية التاريخ في خدمة توجهات المجتمعات والحكومة عن طريق إعادة النسق القيمي لدى الدارسين بما يخدم توجهات تلك المجتمعات أو الحكومة ، حيث إن "القيم تكتسب أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع ، فهي تقترن حيث تقترن بوجود الفرد ، فقد أكد (البورت) بأن الإنسان الناضج يحتاج بطبيعة الحال إلى فلسفة موحدة لحياته كي يضع مقوماً لوجوده ، وفلسفة الفرد تتأسس على القيم التي هي بمثابة القناعة الأساسية عن اصل الشيء أو ماهيته الذي يشكل أو لا يشكل الأهمية الفعلية في الحياة ، فعمل الفرد لإيجاد نظام ومعنى لوجوده تتحكم به القيم" .(15ص311)

والمجتمع اليمني كغيره من المجتمعات الإسلامية له قيمه وعاداته وتقاليده ، ويسعى المجتمع بكل مؤسساته إلى الحفاظ على هويته وعلى كينونته المتسمة بقيم الإسلام وتعاليمه السمحة ، وعلى هويته العربية .

وقد تعرضت اليمن لظروف سياسية متعددة جعلتها تتعرض لكثير من المحاولات التي تهدف إلى مسح هوية المجتمع اليمني كما حدث في بعض المحافظات التي رضخت فترة زمنية ليست بالقليلة تحت ما يسمى بالحزب الاشتراكي الذي حاول أن يكرس كل الطاقات والإمكانات في اتجاه المجتمع الاشتراكي على قاعدة النظرية الاشتراكية العملية (4ص3). فضلاً عن ذلك فإن هناك بعض الشخصيات التربوية التي تحاول أن تفرض اتجاهاً معيناً في الكتب المدرسية والذي لا يخدم سوى تيارات معينة قد لا يرضى عنها المجتمع ، كما حدث في عام 1976م محاولة تقليص حصص مادة التربية الإسلامية في التعليم العام . (12ص9).

كمـــا أن ازدواجـــية التعلـــيم في اليمن أدت إلى اختلاف كبير جداً في القيم المتضمنة في محتوى الكتـــب الدراسية ، ففي عام 1974م صدر قانون التعليم العام رقم (22) الذي ينظم التعليم العام والذي تكـــون مـــن ثـــلاث مراحل وهي المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية ، كما صدرت اللوائح التنظيمية لـــلمدارس في عـــام 1978م والتي تنظم الأمور المتعلقة بالمدارس في كل من المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية .

ولكـــل مرحله من المراحل الثلاث أهداف عامة يحددها القانون الصادر في عام 1974م وكذلك هيـــئات الـــتعاون الأهـــلي لها دور كبير في التعليم العام حيث أسهمت في عملية نشر المدارس في المناطق وكذلك في القضاء على الأمية المتفشية في بعض المناطق اليمنية ، فضلاً عن ذلك المساعدة في إقامة الأقسام الداخلـــية للطلبة العاجزين عن الإيفاء بالمصروفات وكذلك أبناء المناطق النائية التي لا يوجد بها مدارس ، وكـــل ذلـــك كـــان له دور كبير في تشكيل عقلية الناشئة سواء عن طريق المنهج المنفذ والمعلن أو المنهج المستتر (الخفي) .

وفي المقـــابل كان هناك اتجاه آخر في التعليم له جذوره التاريخية إلى ما قبل الثورة اليمنية والمتمثل في تعلـــيم العلـــوم الإسلامية واللغة العربية والذي امتد إلى ما بعد الثورة وحتى يومنا هذا ، تحت ما يسمى بالمعاهد العلمية والتي تهدف بدورها إلى نشر العلوم الإسلامية من اجل إنشاء جيل يسير على هدى القرآن الكريم فاهماً للعقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً .(11ص53)

وكذلك سعت المعاهد العلمية إلى تكثيف المواد الأدبية وربطها بالكتاب والسنة ، فضلاً عن ذلك أهتمامها بالعلوم الشرعية وهذا ما هو غير موجود في التعليم العام .

وبما أن التعليم العام له اهداف عامة وخاصة بكل مرحلة ، فإن المعاهد العلمية كذلك لها أهداف لمـــراحل التعليم الثلاث (ما قبل التعليم الاساسي والتعليم الاساسي الثانوي) بموجب قانون التعليم العام رقم (22) المادة (159) بما فيها التعليم العالي .

ومن أبرز تلك الأهداف في كل من التعليم الأساسي والثانوي ما يأتي :

1. تعليم التلاميذ استظهار بعض أجزاء القرآن الكريم تلاوة وتجويداً صحيحين.
2. تزويد التلاميذ بالقدر المناسب من المعلومات الأساسية المنهجية التي تؤهلهم للآتي:
   أ- التمكن من اكتساب المهارات التربوية التي تساعد على الانتقال للمراحل التعليمية العامة .
   ب- القدرة على مواجهة الحياة بشتى صورها .
3. إعـــداد الطلاب في هذه المرحلة للتمسك بالمبادئ الإسلامية والقدرة على أداء الشعائر الدينية بصورة مكتملة كما يرتضيها الإسلام .
4. تقوية روح الفضيلة وتنمية قدراتهم على القيام بالتوجيه والإرشاد .

5. إكساب الطالب القدرة على الوقوف بصلابة أمام الأفكار الدخيلة على العقيدة الإسلامية .
6. تعميق حب الحفاظ على الكرامة الإنسانية والنواحي الصحية والغذائية والمظهر اللائق .

أما في المرحلة الثانوية فمن أهدافها :

1. نشر الوعي الإسلامي ومواجهة تيارات الغزو الفكري وبأسلوب من العلم والمنطق الإسلامي السليم .
2. تقوية شعور الطلاب بدورهم في بناء المجتمع والمحافظة على المبادئ الإسلامية .
3. اكتساب الطلاب القدرة على التكيف مع حاجات ومظاهر الحياة الجديدة بما يتوافق مع المبادئ الإسلامية وبما يمكنهم من المشاركة فيها .
4. تغطية احتياجات القرى والنواحي والعزل بحملة الشريعة الإسلامية وتنمية قدراتهم على القضاء على العادات والتقاليد الضارة بمقومات المجتمع الإسلامي .

كما أن هناك أهدافاً خاصة بالمراحل الدراسية العليا والنهائية منها :

أ. أيجاد المرشد الكبير والمفتي العام والمحامي العارف والمدرس الكفء ، ورجل القضاء الذي يعمل على نشر الوعي الإسلامي ، ويحافظ على تطبيق القوانين السماوية وتنفيذ الأحكام الإلهية بأسلوب علمي ومنطقي .

ب. تحقيق أيجاد قادة فكر باحثين ومجتهدين في الشريعة الإسلامية ذوي اطلاع بأحوال العصر وتطلعاته وإيجاد ملاكات عليا للعمل في مناصب قيادية تتطلب هذه الفئة من العلماء.(2ص131-133) ومن خلال العرض السابق لبعض أهداف التعليم في المعاهد العلمية يمكن لنا أن نحكم على أهمية تلك الأهداف من عدمه ، في ظل الأصوات التي تنادي بإلغاء ما يسمى بالتعليم المعاهدي .

مشكلة الدراسة :

تتمثل في ازدواجية التعليم حيث أن هناك اختلافاً كبيراً ما بين مناهج المعاهد العلمية والتعليم العام ، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى اختلاف النسق القيمي عند كل طالب من طلاب المعاهد والتعليم العام مما يؤدي إلى أيجاد جيل غير منسجم مع نفسه ، وغير متفاعل مع عقيدته ، وثقافته ، وغير قادر على ترجمة الإسلام إلى واقع معاش يقتنع به الآخرون .

كذلك نجد أن هناك من يدعي بأن الفلسفة التربوية غير واضحة في أذهان المشتغلين في العملية التعليمية ومؤلفي المناهج والكتب الدراسية ، وان أكثرهم لم يسمع بما يسمى بالفلسفة التربوية ، على الرغم من أن المجتمع المسلم ذا العقيدة الواحدة واللسان الواحد لا يحتاج من يبصره بفلسفته في الحياة ونظرته إلى الكون والحياة والإنسان .

فالمنهج واضح وقيم المجتمع معروفة سلفاً ، ومن المواد الدراسية التي لها اثر بالغ في تنمية الشخصية الإنسانية مواد الدراسات الاجتماعية ومنها مادة التاريخ ، فكتب التاريخ عندما تعرض الأحداث السلبية التي وقعت في صدر الإسلام كموقعة الجمل ، ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، تعرضها بشكل مبتور وغير موضوعي مما ينتج عن ذلك تنمية اتجاه سالب في نفوس الطلبة إزاء ما يسمى بالمسلمين الأوائل وبالتالي ينعكس ذلك على قوة الناشئة واعتزازهم بتاريخهم وماضيهم ووحدتهم المستقبلية .

إلى جانب ذلك الأصوات التي تنادي في كل مكان ومناسبة بأن ازدواجية التعليم ظاهرة غير صحية في المجتمع الواحد ، وهذا في اعتقاد الباحث أمر غير صحيح ويتنافى مع الانفتاح العالمي الجديد ، ولذلك نجد أن من ينادون بذلك كثيراً ما يركزون على ما يسمى بالمعاهد العلمية وإلغائها وينسبون إليها النواقص التربوية التي يتميز بها التعليم العام .

ولم نسمع العكس من ذلك أي أن التعليم في المعاهد قد يكون مكثفاً ومركزاً مما يكسب الطالب معارفاً وقيماً واتجاهات ومهارات اكثر من الطالب الذي ينخرط في التعليم العام ، ولذلك فلماذا لا يكون البرنامج المتبع في المعاهد معمماً على جميع مدارسنا ؟ ولماذا لا تعم الفائدة على جميع أبنائنا الطلبة .

فهذه الدراسة سوف تكشف لنا جوانب الضعف والقوة في كل من كتب المعاهد العلمية والتعليم العام .

فضلاً عن ذلك فإنها ستكشف لنا عن كيفية طرح الحقائق والمفاهيم الخاصة بصورة المسلمين والمستعمرين على حد سواء بطريقة علمية دقيقة ليس المقصود منها إشاعة صورة مشوهة عن إحداها دون الآخر وإظهار الآخر بصورة مقبولة .

وقد قال (Luther H. Evans) بأن الكتب المدرسية والمدرسين يمكن أن يكونوا بمثابة البذرة لحصول من التفاهم الدولي والصداقة الدولية من خلال عرض الحقائق عرضاً صحيحاً من الناحيتين الكمية والنوعية وبمنظور سليم ، ولكن يمكن أيضاً أن يكونوا بذرة لحصول من سوء التفاهم والكراهية والازدراء بين أبناء البلد وذلك من خلال المقولات غير الدقيقة وغير المتوازنة وغير المناسبة على أنها حقائق تجاه أنماط الحياة الأخرى .(13ص125)

ولذلك فإن الباحث يشعر بأن هناك مشكلة لابد من دراستها من اجل الحصول على بعض المؤشرات التي يمكن أن تساهم في إظهار جوانب الضعف والقوة في كل من كتب التاريخ للمعاهد العلمية والتعليم العام .

حدود الدراسة :

الحدود الزمنية : 2000 / 2001 م .

الحدود المكانية والجغرافية : الجمهورية اليمنية .

حدود عينة الدراسة :كتب تاريخ المعاهد العلمية للصفوف الثلاثة(الأول والثاني والثالث)
وكتب تاريخ التعليم الثانوي العام للصفوف (الأول والثاني والثالث)

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن الآتي:

أ. كيف صورت كتب تاريخ المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام المسلمين والمستعمرين .

ب. ما مدى توافق وجهات نظر كتب التاريخ في كل من المعاهد العلمية والتعليم العام إزاء السؤال الأول.

دراسات سابقة :

حصل الباحث على عدد كبير من الدراسات السابقة في مواد دراسية مختلفة وحاول الباحث أن يختار الدراسات ذات الصلة المباشرة بدراسته (في مادة التاريخ) والتي استفاد منها الباحث في إجراءات بحثه وتفسير نتائجه ومن هذه الدراسات :

دراسة القميري 1986م :

هدفت الدراسة إلى حصر التغيرات التي أدخلتها إسرائيل في كتب الاجتماعيات للمرحلة الثانوية في مدارس الضفة الغربية من الأردن ومن ثم الوقوف على المعاني التي توخيت من وراء هذه التغيرات .

وقد استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى لتحقيق هدف الدراسة وكانت عينة الدراسة كتب الاجتماعيات للمرحلة الثانوية .

وقد اعتمد الباحث على أربعة محاور للتحليل في ضوئها وهي :

أ. محور الوحدة العربية والإسلامية .

ب. محور الصهيونية واليهود ودولتهم .

ج. محور الاستعمار الأوربي في الوطن العربي ومقاومته .

د. محور تقدم المجتمع العربي وإصلاحه .

وتوصلت الدراسة إلى أن إسرائيل قد أدخلت تغييرات كبيرة في كتب الدراسات الاجتماعية ومنها حذف محور الصهيونية واليهود ودولتهم ، وما يتعلق بالوحدة العربية والإسلامية ، وما يتعلق بالاستعمار الأوربي في الوطن العربي ومقاومته وكذلك تقدم المجتمع العربي وإصلاحه .

دراسة القزاز :

أجريت الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية . هدفت إلى معرفة صورة العرب في الكتب المدرسية الأمريكية للعلوم الاجتماعية في كاليفورنيا في عام (1974- 1975) في مرحلة التعليم الأساسي.

وقد استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى لتحقيق هدف الدراسة وقد تم اعتماد محاور ليتم التحليل في ضوئها وهي :

أ- البداوة.

ب-الإسلام.

ج- الصراع العربي الإسرائيلي.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :

أولاً: أظهرت العرب بأنهم بدو وركزت على ما يسمى بالبداوة وإلصاق كل صفة سلبية بالبداوة دون الإشارة إلى إيجابية كالكرم والضيافة وغيرها .

ثانياً: تشويه صورة الإسلام عن طريق التركيز على تعدد الزوجات وعدم إعطاء المرأة حقها في الإسلام.

ثالثاً: صورت إسرائيل على أنها الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط كدولة حضارية وديمقراطية مع إغفال حقوق الشعب الفلسطيني المسلوب .

دراسة نادية :

أجريت هذه الدراسة في جمهورية مصر العربية وهدفت إلى معرفة الدور الذي تمارسه المدرسة في التنشئة السياسية وذلك من خلال تحليل الثقافة السياسية المتضمنة في كتب المواد الاجتماعية والتربية القومية لطلاب المرحلة الابتدائية في كل من مصر والأردن وسوريا ولبنان .

وقد استخدمت الباحثة أسلوب تحليل المحتوى كأداة للبحث من اجل تحقيق هدف الدراسة .

أما عينة الدراسة فقد شملت بعض كتب التاريخ والتربية الوطنية والجغرافيا في المرحلة الابتدائية في كل من مصر والأردن وسوريا ولبنان .

وقد فسرت الباحثة أبعاد الثقافة السياسية والتي كانت بمثابة المحك الذي يمكن أن يتم التحليل في ضوئه بالأتي :

أ. مفهوم السلطة .

ب. الغاية من استخدام السلطة .

ج. المشاعر والأحاسيس .

د. الثقة وعدم الثقة .

ه. الانتماء القومي .

و. المساواة والحرية .

ز. تطويع قدرات النسق السياسي للتنمية الاقتصادية .

وقد توصلت الدراسة إلى الآتي :

أ. الانتماء القومي :

حيث أكدت الدراسة بأن الكتب المدرسية المصرية تؤكد على الجانب الفرعوني 54% والجانب المصري 30% في حين أشارت إلى الأمة العربية بنسبة 16% فقط.

أما الكتب اللبنانية فلم تشر إلى الوحدة العربية أو الوطن العربي وإنما يتحدث فقط عن الوطن اللبناني والأراضي اللبنانية وبعض الكتب تظهر أن لبنان شيء منفصل عن الوطن العربي ووصف العرب بأنهم محتلون للبنان .

أما في الأردن فقد وجدت الدراسة أن الإشارة إلى الوحدة العربية ومفهوم القومية العربية لم يكن بالشكل المطلوب وإنما كان مفهوماً غير واضح إلى حدٍ ما .

أما كتب المواد الاجتماعية في سوريا فقد تفوقت في الإشارة إلى التعابير الوحدوية وركزت على ما يسمى بالوطن وقللت من استخدام الأمة العربية أو العالم العربي .

أن المتأمل في الدراسات السابقة يجد أن جميعها قد أكدت أهمية المحتوى (Content) والكشف عن مضمون ذلك المحتوى وكذلك الصور المختلفة التي يعكسها إزاء المتغيرات الخاصة بكل دراسة ومنها على سبيل المثال المتغيرات التي أدخلتها إسرائيل في كتب الاجتماعيات والمتعلقة بالوحدة العربية والإسلامية والصهيونية واليهود ودولتهم والاستعمار الأوروبي في الوطن العربي ومقاومته وكذلك تقدم المجتمع العربي وإصلاحه .

فضلاً عن ذلك فقد أكدت الدراسات السابقة أهمية تحليل المحتوى (Content analysis) كأسلوب يمكن أن يظهر لنا جوانب الضعف والقوة في مجتمع الدراسة (كتب التاريخ) وهذا سيكون له مردود إيجابي لدى العاملين في حقل المناهج فضلاً عن ذلك فإنها ستكشف القيم المتضمنة في محتوى الكتب لاسيما في وقتنا الحاضر المتسم بطبيعة المعرفة المتغيرة والمتطورة .

كذلك نجد أن غالبية الدراسات السابقة اعتمدت على بناء تصنيف يتم التحليل في ضوئه ومن ثم عرضه على مجموعة من المحكمين كدراسة نادية والقزاز وهذا ما اتبعته الدراسة الحالية .

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة وجدنا أيضاً الاهتمام بالكتب الدراسية الخاصة بالمرحلة الثانوية ، وهذا يعزز أهمية الدراسة الحالية .

إجراءات الدراسة :

عينة الدراسة :

تكونـــت عينة الدراسة من كتب التاريخ لكل من المعاهد العلمية والتعليم الثانوية العام وعددها ستة كتب المقررة على المرحلة الثانوية في كل من المعاهد والتعليم الثانوي . والجدول رقم (1) يوضح عينة الدراسة .

جدول (1) يوضح عينه الدراسة

	اسم الكتاب	السنة الدراسية	عدد الصفحات	النسبة	المجموع	النسبة
التعليم الثانوي العام	تاريخ الحضارة الإسلامية	1/ ث	229	%39	583	%57.66
	التاريخ الحديث	2/ ث	198	%33		
	تاريخ العرب المعاصر	3/ ث	166	%28		
المعاهد العلمية	التاريخ	1/ث معاهد	137	%32	428	%42.23
	التاريخ	2/ث معاهد	103	%24		
	التاريخ	3/ث معاهد	188	%44		
الإجمالي		6	1011		1011	%100

وبذلك يصبح مجتمع الدراسة هو جميع كتب التاريخ للمرحلة الثانوية.

من خلال الجدول (1) يتضح لنا بأن كتب تاريخ المعاهد تفتقر إلى العناوين الخاصة بالكتب فنجد أن العـــنوان موحـــد وعام وهو كلمه (التاريخ) فقط لجميع الصفوف الأول والثاني والثالث. فلا يستطيع الدارس أن يميز محتوى الكتاب الخاص بالتاريخ القديم من الوسيط من الحديث من المعاصر.

كذلـــك يتضـــح لـــنا بان مجموع محتوى كتب تاريخ التعليم الثانوي العام 583 صفحة وبنسبة 57,66 ومجمـــوع صفحات كتب التاريخ بالمعاهد العلمية بلغ 428 وبنسبة 42,33 وهي بذلك اقل من صفحات كتب التاريخ بالتعليم الثانوي العام.

كذلـــك من الملاحظ أيضا أن صفحات الكتب فيما بينها تتفاوت بشكل كبير في كل من التعليم الـــثانوي العام والتعليم في المعاهد ، فمن خلال قراءة الجدول يتضح لنا بان مجموع صفحات كتاب تاريخ الحضـــارة العربـــية الإســـلامية بلغ (229) صفحة وبنسبة مقدارها (39%) بينما عدد صفحات كتاب الـــتاريخ الحديث (198) صفحة وبنسبة مقدارها (33%) في حين أن كتاب تاريخ العرب المعاصر قد بلغ (166)صفحة وبنسبة مقدارها (28%) وهو الأقل .

أما كتب تاريخ المعاهد فمن الملاحظ أن كتاب تاريخ الصف الثالث الثانوي قد بلغ عدد صفحاته (188)صـــفحة وبنســـبة مقدارهـــا (44%) وهو أعلى عدد بالنسبة لكتاب تاريخ الصف الأول الثانوي والـــذي يـــبلغ عدد صفحاته (137) صفحة وبنسبة مقدارها (32%) في حين أن عدد صفحات كتاب تاريخ الصف الثاني الثانوي (103) صفحة وبنسبة مقدارها (24%) فقط .

وهـــذا الاخـــتلاف بطبـــيعة الحـــال قد يكون له اثر في النتيجة النهائية للتحليل من حيث عدد التكرارات التي حصل عليها كل مجال من المجالات السبعة .

أداة الدراسة :

استخدام الباحث قائمة تتضمن ستة أبعاد هي :

أ. التوجه الإسلامي .

ب. التوجه الديموقراطي .

ج. حياة البداوة والتخلف .

د. التوجه العربي .

هـ الغزو الغربي للوطن العربي .

و- الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية .

وقـــد احتوت الأبعاد على ست عشرة فقرة فرعية موزعة على ثلاثة أبعاد هي التوجه الإسلامي ، التوجه العربي ، الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية.

وللتأكد من صلاحية القائمة ليتم التحليل في ضوئها تمت استشارة خمسة من المتخصصين في قسم الدراسات الاجتماعية والنفسية فأكدوا صلاحيتها . ملحق (1ص)

المعالجة الإحصائية :

لم يســـتخدم الباحـــث أية إحصائية لان الدراسة شملت كل مجتمع الدراسة ولذلك فالنتائج عامة وليست خاصة بعينة حتى تعمم على بقية المجتمع .

قواعد التحليل :

قـــام الباحث بقراءة ستة كتب تاريخية وهي الكتب المقررة على كل من التعليم العام الثانوي والتعليم الـــثانوي في المعـــاهد العلمـــية وقد جعل الباحث لنفسه مجموعة من القواعد سار عليها أثناء قيامه بعملية التحليل وذلك حسب ما أوصى به كل من (Holisti , Stone) .(16ص212) ، (17ص135)

ألا أن هـناك قواعـد يجـب عـلى الباحث أن يسير عليها أثناء عملية التحليل حتى تكون الدراسة موضـوعية ومنهجية ، وتساعد المحلل على تحديد الفكر وتصنيفها بدقة موضوعية ، فضلاً عن أنها تسهم في رفع نسبة الثبات ولذلك فإن الباحث اتبع مجموعة القواعد الآتية :

1. إذا وجد في الفكرة الواحدة اكثر من قيمة فإنه يأخذ بالقيمة التي تؤكد عليها اكثر من غيرها .
2. اعتـبار كـل مـن المعطوف والمعطوف عليه أفكاراً مستقلة وتعطي تكراراً في حالة ما إذا كانت تحمل مدلولاً قيمياً ، وإذا كانت الفكرة تمتد حتى تشمل المعطوف والمعطوف عليه حسبت فكرة واحدة.
3. يـتعامل الباحـث مع مقاطع النص بحيث يكون كل مقطع محصوراً بين نقطتين حتى يحصل على مدلول قـيمي ، وفي حالة عدم ظهور أي دلالة ، ينتقل إلى المقطع الآخر وهكذا حتى تكتمل الفكرة ، وتتضح دلالتها .
4. إهمـال القيم الخارجية عن المجالات السبعة (التوجه الإسلامي الديموقراطي ،وحياة البداوة والتخلف ، والتوجه الغربي ، والغزو الغربي للوطن العربي ، والاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية) .
5. إهمـال الخرائط والصور والأشكال في عينة الدراسة والاقتصار على محتوى الكتاب فقط لأنه يكتسب أهمية بالنسبة للدراسة .
6. تفـريغ نـتائج التحليل في استمارة التحليل الخاصة ، وذلك بإعطاء تكرار واحد لظهور كل قيمة من القيم .

نتائج الدراسة وتفسيرها :

من خلال قراءة الباحث للكتب الدراسية اتضح الآتي :

1. أن الكتب المدرسية تختلف في حجمها من كتاب لآخر (جدول رقم 1) .
2. أن كتـب التعلـيم العام الثانوي ركزت على التقسيم المنطقي للمادة التاريخية وركزت على جوانب مخـتلفة فـيما بينها مما أدى إلى أن الكتب الثلاثة أصبحت مكملة لبعضها البعض فعلى سبيل المثال إذا كـان كـتاب الصف الأول الثانوي قد ركز على التوجه الإسلامي فإن كتاب الصف الثالث الثانوي يركز على إظهار الصورة الحقيقية للاستعمار أو الغرب أو إسرائيل ، وهكذا عكس كتب التاريخ التي تدرس في المعاهد العلمية .

جدول (2) يوضح التكرارات والنسب المئوية المتحققة في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام .

	1			2			3			4			الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية			التوجه الديمقراطي			المجموع
الكتاب المقرر	التوجه الإسلامي الفقرات	التكرار	النسبة		التكرار	النسبة	التوجه العربي الفقرات	التكرار	النسبة		التكرار	النسبة	الفقرات	التكرار	النسبة		التكرار	النسبة	
تاريخ الحضارة العربية والإسلامية	1 2 3 4 5 6 7	214 118 19 3 30 193 36	34.91 19.24 3.09 0.48 4.89 31.48 5.87	حياة البداوة والتخلف	8		1 2 3 4	1 صفر صفر صفر		الغزو الغربي للوطن العربي	20		1 2 3 4 5	7 3 16 4 9	17.94 7.69 41.02 10.25 23.07	التوجه الديمقراطي	17		
المجموع		613	87.82		8	1.14		1	1.14		20	2.86		39	5.58		17	2.43	698
التاريخ الحديث	1 2 3 4 5 6 7	8 1 9 11 16 12 صفر	14.03 1.75 15.78 19.29 28.07 21.05 صفر	حياة البداوة والتخلف	60		1 2 3 4	38 29 5 صفر	52.77 40.27 6.94	الغزو الغربي للوطن العربي	92		1 2 3 4 5	30 12 74 5 39	18.75 7.5 46.25 3.12 24.37	التوجه الديمقراطي	15		
المجموع		57	12.5		60	13.15		72	15.78		92	20.17		160	35.08		15	3.28	456
تاريخ العرب المعاصر	1 2 3 4 5 6 7	3 صفر 2 8 7 صفر صفر	15 - 10 40 35 - -	حياة البداوة والتخلف	48		1 2 3 4	51 90 صفر 35	28.97 51.13 - 19.88	الغزو الغربي للوطن العربي	6		1 2 3 4 5	23 35 42 45 51	11.73 17.85 21.42 22.95 26.02	التوجه الديمقراطي	15		
المجموع		20	4.33		48	10.41		176	38.17		6	1.30		196	42.51		15	3.25	461
المجموع الكلي		690	42.72		116	7.18		249	15.41		118	7.30		395	24.45		47	2.91	1615

جدول (3) يوضح التكرارات والنسب المئوية المتحققة في كتب تاريخ المعاهد العلمية

| 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | 11 | 12 | 13 | 14 | 15 | 16 | 17 | 18 | 19 | 20 |

من خلال قراءة الجدول (2) والجدول (3) يتضح لنا بصورة عامة أن المجالات الستة قد حصلت على (1615) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (63.25%) في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام .

في حين أن المجالات الستة قد حصلت على (938) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (36.74%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية ، وهذا لا يعني أن المجالات الستة متحققة في كتب التاريخ في كل من المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام ، وإنما هناك تفاوت فيما بين المجالات نفسها في الكتاب الواحد .

كذلك من الملاحظ أن مجال التوجه الإسلامي قد حصل على أعلى تكرار في كل من كتب تاريخ التعليم الثانوي حيث حصل على (690) من التكرارات ونسبة مئوية قدرها (42.72%) .

في حين حصل على (518) من التكرارات ونسبة مئوية قدرها (55.22%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية .

ويأتي في المرتبة الثانية مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية حيث حصل على (395) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (24.45%) في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام ، في حين حصل على (231) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (24.62%) في كتب التاريخ المقررة في المعاهد العلمية .

وهذا مؤشر يدل على أن كتب التاريخ في المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام قد اتفقا من حيث الاهتمام بهذين المجالين .

ويأتي في المرتبة الثالثة مجال التوجه العربي والذي حصل على (249) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (15.41%) في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام .

في حين أن هذا المجال قد حصل على (10) تكرارات وبنسبة مئوية قدرها (1.09%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية ، وربما يعود ذلك إلى الاهتمام بعامة المسلمين والروابط التي تربط بينهم وقلة الاهتمام بما يسمى (التوجه العربي أو القومية العربية)

ويأتي مجال الغزو الغربي في المرتبة الرابعة حيث حصل على (118) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (7.30%) في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام ، بينما حصل على (41) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (4.49%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية .

أما مجال حياة البداوة والتخلف فيحتل المرتبة الخامسة بالنسبة لكتب تاريخ التعليم الثانوي العام حيث حصل على (116) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (7.18%) ، بينما حصل المجال نفسه على (29) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (3.17%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية .

ويـأتي في المرتـبة السادسـة مجال التوجه الديمقراطي في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام حيث حصـل عـلى (47) مـن التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (2.91%) ، في حين حصل المجال نفسه على (83) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (9.10%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية .

نتائج كتب تاريخ التعليم الثانوي العام وتفسيرها :-

1) كتاب تاريخ الحضارة العربية والإسلامية للصف الأول الثانوي :

مـن خلال الاطلاع على الجدول (2) يتضح لنا أن مجال التوجه الإسلامي قد حصل على(613) مـن الـتكرارات وبنسبة مئوية قدرها (87.82%) أي أن هذا المجال قد جاء في المرتبة الأولى على بقية المجالات

وربما يعود ذلك إلى الترتيب المنطقي للمادة العلمية التاريخية حيث أننا سنجد هذا المجال لا يحصل على نفس التكرار والنسبة في بقية الكتب المقررة على المرحلة الثانوية في التعليم الثانوي العام ، فضلاً عن ذلك فإن الطالب سوف يدرس الأحداث التاريخية التي تأتي بعد عصر الحضارة العربية والإسلامية .

وقد جاء مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية في المرتبة الثانية حيث حصل على (39) مـن التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (5.58%) ، وربما يعود ضعف التكرار الذي حصل عليه هذا المجال إلى أن عملية الاستعمار وارتباطها بالحضارة العربية الإسلامية لم تظهر إلا في فترة متأخرة من الخلافة الإسـلامية ، ومع ذلك فهذا المجال يعد متحققاً في محتوى كتاب تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ويأتي الاهـتمام بهـذا المجال لكي يعتبر أبناءنا الطلبة بجهاد المسلمين ضد المستعمر وإسرائيل بدءاً بآل زنكي 39 هـ/1144م وانتهاءً بالمماليك 690هـ/1291م .

ولا بد للعرب والمسلمين عامة أن يتحدوا في كلمتهم وإمكاناتهم البشرية والاقتصادية وتسخيرها في مواجهة المستعمر وإسرائيل أو ما نسميه العدو المشترك. فضلاً عن ذلك إبراز حق المسلمين ورغبتهم في الدفاع عن بلادهم وأراضيهم والجهاد في سبيل الله .

في حين نجد أن مجال الغزو الغربي قد جاء في المرتبة الثالثة حيث حصل على تكرار (20) وبنسبة مئوية قدرها (2.86%) وهذا المؤشر يدل على أن هذا المجال يتحقق في محتوى الكتاب المدرسي ، كما أن الاهـتمام بمـا يسـمى بالغـزو الغربي في ظل متغير النظام العالمي الجديد والذي يعني التبعية الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، والهيمنة على دول العالم الثالث بما فيه الوطن العربي (5ص21) .

كمـا أن التركـيز على إظهار الغزو الغربي في محتوى كتاب تاريخ الصف الأول الثانوي في ظل تفكك الدولة العربية وانقسامها على بعضها فضلاً عن ذلك فإن بعض الدول العربية تحارب بعضها بعضا

كمـا أن مجال التوجه الديمقراطي قد حصل على تكرار (17) وبنسبة مئوية قدرها (2.43%) ويعني ذلك أن هذا المجال يأتي في المرتبة الرابعة وتعد هذه المرتبة مقبولة كما أن المجال يعد متحققاً في محتوى

الكتاب الذي يؤكد على التوجه الديمقراطي مواكبة للتغيرات التي حصلت على مستوى العالم لا سيما العربي .

أما في مجال حياة البداوة والتخلف فقد حصل على تكرار (8) وبنسبة مئوية قدرها (1.14%) وربما تعود هذه النتيجة إلى أن كتابة التاريخ لا تقتصر على إظهار الجوانب الإيجابية دون الإشارة إلى جوانب الضعف في الأمة ولكن قد يكون الطرح الذي أشار إلى تخلف الأمة طرحاً موضوعياً بحيث انه لا يجعل الطالب يقف على إيجابيات المجتمع فحسب ولكن على سلبيات المجتمع كذلك متمعناً فيها باحثاً عن أسبابها ومردوداتها سلباً أو إيجاباً على الأمة ؟

وقد حصل التوجه العربي على تكرار (1) فقط وبنسبة مئوية قدرها (1.14%) وهذا يعني انه حصل على أدنى مرتبة من المجالات الستة وربما تعود هذه النتيجة إلى الافتراض بأن وحدة الأمة العربية من المسلمات ، ولكن هذا لا يعني أن نهمل التاريخ والقواسم والمصير المشترك ورابطة الدم وصلة الرحم بين غالبية المجتمع العربي الواحد ، وهذا حقيقة يعد خللاً في بناء محتوى الكتاب المدرسي .

2) كتاب التاريخ الحديث للصف الثاني الثانوي من التعليم العام:

لقد حصل مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية على المرتبة الأولى بتكرار (160) وبنسبة مئوية قدرها (35.08%) وهذا يدل على ان هذا المجال متحقق في محتوى كتاب الصف الثاني الثانوي بمستوى أعلى من كتاب تاريخ الحضارة العربية والإسلامية للصف الأول الثانوي .

ويأتي الاهتمام بهذا المجال في ظل تمتع الوطن العربي بأكبر ثروة نفطية في العالم ، كما أن دولة قطر تعد ثالث دولة من حيث احتياطي الغاز في العالم ، في حين أن أوروبا وأمريكا لازالت في حاجة إلى المادة الخام وهذا يعني أن هناك دوافع للاستعمار قد تكون اقتصادية أو غيرها . هذا ما ينبغي لأبنائنا الطلبة معرفته .

أما مجال الغزو الغربي فيأتي في المرتبة الثانية إذ حصل على (92) من التكرارات وبنسبة مئوية قدرها (20.17%) وهذا يؤكد أو يعزز المكانة التي حصل عليها مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية ، إذ إن هذا المجال يكمل الدور الذي يمكن أن يقوم به المجال الأول في تنمية بعض الاتجاهات السلبية إزاء المستعمر وكذلك العنصر الدخيل على الوطن العربي (إسرائيل) .

كما أن حصول هذا المجال على المرتبة الثانية يدل على انه متحقق في محتوى الكتاب .

أما مجال التوجه العربي فيأتي في المرتبة الثالثة بتكرار (72) وبنسبة مئوية قدرها (15.78%) وهذه النتيجة تعد مقبولة مقارنة بالنتيجة التي حصل عليها هذا المجال في كتاب تاريخ الصف الأول الثانوي الذي لم يكن متحققاً فيه .

كمـــا أن التركيز على هذا المجال يهدي إلى السعي لإيجاد فكر وحدوي نستطيع من خلاله تحقيق الوحـــدة العربية الحلم الذي يراود الكثير من أبناء الوطن العربي لاسيما في ظل عصر الأحلاف والتكتلات والمنظمات الدولية .

ويـــأتي في المرتبة الرابعة مجال حياة البداوة والتخلف الذي حصل على تكرار قدره (60) وبنسبة مئوية قدرها (13.15%) .

وهذا يدل على أن محتوى الكتاب لم يهمل الجوانب السلبية لحياة العرب والمسلمين عامة كما هو الحال في محتوى كتاب الصف الأول الثانوي .

وهـــذا لا يعـــد خلـــلاً إذا ما طرحت الموضوعات بطريقة منطقية وسليمة تجعل الطلبة يدرسون الـــتاريخ مـــن اجل تحقيق الهدف الرئيسي من دراسة التاريخ لفهم الماضي ومعرفته من اجل تفسير الحاضر واستشراف المستقبل .

أمـــا مجـــال التوجه الإسلامي فقد حصل على الترتيب الخامس بتكرار قدره (57) وبنسبة مئوية قدرها (12.5%) ، وهذه النتيجة تدل على أن هذا المجال متحقق في محتوى الكتاب .

في حين أن مجال التوجه الديموقراطي قد حصل على أدنى مرتبة وهي المرتبة السادسة بتكرار قدره (15) وبنســـبة مـــئوية قدرها (3.28%) وكونه يأتي في هذه المرتبة المتدنية بين بقية المجالات يعد أمراً غير مقـــبول ولا يتناســـب والمرحلة التي تعيشها الجمهورية اليمنية وتوجهاتها الشوروية والديموقراطية حيث أن الهـــدف هـــو أيجاد فكر واعٍ لمعنى الشورى والديموقراطية وما تحمل معها من تغيرات على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية .

3) كتاب تاريخ العرب المعاصر للصف الثالث الثانوي من التعليم العام :

أظهرت نتائج التحليل لهذا الكتاب بأن مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية قد حصل على المرتبة الأولى بتكرار قدره (196) وبنسبة مئوية قدرها (42.51%) .

وهـــذه النتـــيجة تعد طبيعية لان كتاب التاريخ يتحدث عن فترة تاريخية معاصرة تتسم بالصراع العـــربي الإســـرائيلي ومقاومة الاستعمار وبذلك يكون هذا المجال متحقق في كتاب تاريخ المستوى الثالث بالمرحلة الثانوية .

ومـــن الملاحظ أن هذا المجال قد حصل على نسبة عالية في كتاب تاريخ العرب الحديث في حين قلت النسبة التي حصل عليها في كتاب تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .

في حـــين أن مجـــال الـــتوجه العـــربي يـــأتي بالمرتـــبة الثانـــية حيـــث حصل على تكرار قدره (176) وبنسبة مئوية قدرها (38.17%) .

ومـــع تأكـــيد كتاب تاريخ العرب المعاصر على إبراز صورة الاستعمار المتسلطة على الشعوب العربـــية ومقدراتها وكذلك الصراع العربي الإسرائيلي يبرز مجال التوجه العربي الذي يعد بمثابة الرد الرادع لكل طامع في وحدة الأمة العربية وثرواتها .

ويعـــتقد الباحـــث بأن هذا الجانب يعد إيجابياً لأننا عندما نبرز بأن لدينا قضية وهدف نسعى إليه لابد من إيجاد السبيل لتحقيق ذلك الهدف السامي والذي لا يتحقق إلا بوحدة الأمة ووحدة أبنائها .

ويـــأتي مجـــال حـــياة الـــبداوة والـــتخلف في المرتـــبة الثالـــثة حيث حصل على تكرار قدره (48) وبنسبة مئوية قدرها (10.41%) .

وهـــذا ليس نقصاً أو خللاً في محتويات كتاب تاريخ العرب المعاصر ، وإنما يعد جانباً إيجابياً حيث أن تشـــخيص الواقـــع العـــربي سلباً أم إيجاباً واجب معرفته من قبل أبنائنا الطلبة حتى يقفوا على سلبيات وإيجابـــيات ذلك المجتمع ، ومن ثم يفكروا في كيفية الخلاص من الجوانب السلبية ومعالجتها ، ولذلك فإن تفســـير الواقـــع العـــربي المـــتردي لا يكون ألا بدراسة ماضي هذا المجتمع وتعثراته على مرّ التاريخ والتي انعكست سلباً على وحدته وتقدمه ورقيه .

ويـــأتي مجال التوجه الإسلامي في المرتبة الرابعة حيث حصل على تكرار قدره(20) وبنسبة مئوية قدرها (4.33%) .

وهـــذه النتيجة أيضاً تعد مقبولة من وجهة نظر الباحث لان هذا المجال كان اكثر بروزاً في كتاب تـــاريخ الحضارة العربية الإسلامية وكتاب تاريخ العرب الحديث وربما يعود ذلك الى تسلسل المادة المنطقي في مرحلة التعليم الثانوي العام .

كمـــا ان مجال التوجه الديمقراطي قد جاء في المرتبة الخامسة وقد حصل على تكرار قدره (15) وبنسبة مئوية قدرها (3.25%) .

وربما تعود هذه النتيجة الى بداية ظهور الأسر الحاكمة في غالبية الوطن العربي وكذلك المشيخات في أجزاء مفتتة من شبه جزيرة العرب .

ولذلـــك نجد أن الحديث عما يسمى بالديمقراطية فلا وجود له ولذلك حصلت على هذا الترتيب وبذلك يعد هذا المجال غير متحقق في كتاب تاريخ العرب المعاصر .

في حـــين أن مجال الغزو الغربي للوطن العربي قد حصل على تكرار قدره (6) وبنسبة مئوية قدرها (1.30%) .

ولذلـــك فإن هذا المجال لا يعد متحققاً لأنه قد اغفل في كتاب تاريخ العرب المعاصر والذي عن الاســـتعمار واثـــر الاستعمار في تمزيق الوطن العربي ، فلابد للمتعلم ان يعرف حقيقة الغزو الغربي وأهدافه وأطماعه في الوطن العربي .

نتائج كتب تاريخ المعاهد العلمية وتفسيرها :

1) كتاب تاريخ الصف الأول الثانوي معاهد علمية :

حصـــل مجال التوجه الإسلامي على تكرار قدره (155) وبنسبة مئوية قدرها (56.15%) وهذا يعـــني أن المجـــال قد حصل على المرتبة الأولى من بين المجالات الأخرى ، ولعل ذلك يعود إلى أهمية المرحلة الـــثانوية الـــتي تعد حلقة الوصل ما بين مرحلة التعليم الأساسي والتعليم الجامعي ، فلا بد من غرس القيم والاتجاهات ذات البعد الإسلامي في نفوس الطلبة .

في حين حصل مجال التوجه الديموقراطي على تكرار (59) وبنسبة مئوية (21.37%) وهذا يدل أن هناك تلازماً ما بين التوجه الإسلامي والتوجه الديموقراطي بحصول المجال الديموقراطي على المرتبة الثانية ولعـــل ذلك يعود إلى اهتمام الإسلام بالتوجه الشوروي (الديموقراطي) لان ذلك يعد سمة من سمات النظام الإسلامي أو ركيزة من ركائزه

ويـــأتي مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية وكذلك مجال الغزو الغربي في الوطن العربي المرتبة الثالثة حيث حصل على تكرار قدره (31) وبنسبة مئوية (11.23%) وهذه النتيجة تعني أن هذين المجالين متحققان في محتوى الكتاب رغم انهما حصلا على المرتبة الثالثة .

في حـــين أن المجـــالين حـــياة البداوة والتخلف والتوجه العربي لم يحصلا على أي تكرار في محتوى الكتاب وهذا يعني أن المجالين غير متحققين في المحتوى .

2) كتاب الصف الثاني الثانوي معاهد علمية :

حصـــل مجـــال التوجه الإسلامي على المرتبة الأولى بتكرار (264) وبنسبة مئوية (74.57%) ، ولعل هذه النتيجة التي حصل عليها هذا المجال تعود إلى أن كتاب التاريخ للصف الثاني الثانوي يعالج قضايا الـــتاريخ الإســـلامي اكثر من غيره ، وسوف نجد أن هذا المجال قد حصل على المرتبة الأولى لدى الكتب الثلاثة المقررة على المرحلة الثانوية مما يعطينا أن كتب التاريخ في المعاهد العلمية تركز بشكل أو بآخر على التوجه الإسلامي وهذا ما تطمح إليه الشعوب العربية والإسلامية لان هذا التوجه يأتي من الاهتمام بعقيدة الأمـــة الـــتي تـــنظم جميع جوانب حياته ، لا سيما أن الإسلام الآن وأهله اصبح يشكل ثقلاً في العالم بعد ســـقوط المـــنظومة الاشتراكية واصبح مستهدفاً من قبل أعداء الأمة الذين لا يريدون لها البقاء إلا في ظل التبعية .

ويـــأتي مجـــال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية في المرتبة الثانية بتكرار قدره (80) وبنسبة مئوية قدرها (22.59%) ، وهذا المجال متحقق في المحتوى الدراسي للكتاب المدرسي .

أمـــا مجـــالي التوجه العربي والغزو الغربي فقد حصلا على المرتبة الثالثة وبتكرار ضعيف قدره (5) وبنسبة مئوية قدرها (1.41%) وهذا يعني أن المجالين غير متحققين في المحتوى .

وهـــذا يعـــد خللاً لان التوجه العربي قد ارتبط بالدعوة الإسلامية منذ بزوغها ، أما الغزو الغربي للوطن العربي فقد سبق الدعوة الإسلامية بحقب زمنية طويلة ، وكان المفروض أن يربط ما بين الموضوعات هذه وتعالج بصورة اكثر شمولية وعمق .

كذلك مجالي حياة البداوة والتخلف والتوجه الديموقراطي فلم يحصلا هذين المجالين على أي تكرار ، وربمـــا يعـــود ذلك إلى أن العصر الإسلامي كان عصر حضارة وتقدم وازدهار وكان يصّدر الحضارة إلى اليونان والى أوروبا وغيرها من العالم .

3) كتاب تاريخ الصف الثالث الثانوي معاهد علمية :

من خلال قراءة الجدول (3) نلاحظ أن مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية قد حصـــل على المرتبة الأولى بتكرار قدره (120) ونسبة مئوية قدرها (42.55%) وهذا يعني أن هذا المجال متحقق في محتوى الكتاب .

كذلـــك نجـــد بأن كتب تاريخ المعاهد العلمية غالباً ما تركز على مثل هذه القضايا والتي تتعلق بقضية الاستعمار والصراع الإسرائيلي العربي .

أمـــا مجال التوجه الإسلامي فيأتي في المرتبة الثانية وذلك بتكرار قدره (99) وبنسبة مئوية قدرها (35.10%) وهـــذه النتـــيجة تختلف مع النتائج التي حصل عليها الباحث إزاء هذا المجال في كتابي الصف الأول والثاني الثانوي بالمعاهد العلمية .

في حـــين أن مجال حياة البداوة والتخلف قد حصلا على المرتبة الثالثة بتكرار قدره (29) وبنسبة مئوية قدرها (10.28%) .

أمـــا مجـــال التوجه الديموقراطي فقد حصل على المرتبة الرابعة بتكرار قدره (24) وبنسبة مئوية (8.51%) .

ويأتي مجال الغزو الغربي وكذلك مجال التوجه العربي في المرتبة الخامسة حيث ان المجالين قد حصلا على تكرار واحد وقدره (5) وبنسبة مئوية قدرها (1.77%) .

وهذا يعني أن المجالين غير متحققا في محتوى الكتاب المدرسي .

ومـــن الملاحظ أن هذين المجالين لم يحصلا على تكرار نستطيع من خلاله ان نقول بأنهما متحققان كغيرهمـــا مـــن المجالات في محتوى كتب التاريخ في المعاهد العلمية بصفة عامة وربما يُعَّدُ ذلك خللاً في بناء محتوى الكتب المدرسية .

التوصيات والمقترحات

في ضـــوء نتائج الدراسة وتحليلها ومناقشتها يمكن أن يخرج الباحث ببعض التوصيات والمقترحات الآتية :

1. إعادة النظر في عناوين كتب التاريخ الخاصة بالمعاهد العلمية وربطها بالعصور التي يتحدث عنها محتوى كل كتاب مدرسي .
2. العمل على إعطاء كل موضوع حقه من محتوى الكتاب المدرسي حتى يكون هناك نوع من التوازن بين الموضوعات وتكون جميع الموضوعات متحققة في محتوى الكتاب المدرسي .
3. إن جميع المجالات تكاد تكون متساوية في تحققها في محتوى الكتب الدراسية على حدٍ سواء في كل من المعاهد والتعليم الثانوي العام .

وفي ضوء ذلك نقترح :

1. إجراء دراسة مماثلة تكشف عن جوانب الضعف والقوة في بقية كتب المعاهد العلمية والمدارس الثانوية.
2. إجراء دراسة ميدانية استطلاعية للكشف عن آراء المدرسين والعاملين في الميدان حول محتوى كتب التاريخ في كل من المعاهد والتعليم الثانوي العام .

ملخص الدراسة

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن الآتي :

- كيف صورت كتب تاريخ المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام المسلمين والمستعمرين ؟
- ما مدى توافق وجهات نظر كتب التاريخ في كل من المعاهد العلمية والتعليم العام إزاء السؤال الأول ؟

قام الباحث بتحليل كتب التاريخ الخاصة بالمعاهد العلمية وكتب تاريخ التعليم الثانوي العام ومجملها ست كتب في ضوء بطاقة صممها الباحث وتتضمن ستة مجالات هي (التوجه الإسلامي – التوجه الديموقراطي – حياة البداوة والتخلف – التوجه الغربي – الغزو الغربي للوطن العربي ، الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية) وقد توصلت الدراسة إلى ان المجالات الستة في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام قد حصلت على(1615) من التكرارات ونسبة مئوية قدرها (63.25%) .

في حين أن المجالات الستة قد حصلت على تكرار قدره (938)ونسبة مئوية قدرها (36.74%) في كتب تاريخ المعاهد العلمية . وهذا لا يعني أن المجالات الستة متحققة في كتب التاريخ في كل من المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام ، وإنما هناك تفاوت فيما بين المجالات نفسها في الكتاب الواحد .

المجال	المعاهد العلمية الترتيب	وقد حصلت المجالات الستة في كتب المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام على الرتب الآتية من الجدول .التعليم الثانوي العام الترتيب
التوجه الإسلامي	1	1
التوجه الديمقراطي	3	6
حياة البداوة والتخلف	5	5
التوجه العربي	6	3
الغزو الغربي للوطن العربي	4	4
الإستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية	2	2

ومن خلال الجدول نستنتج بأن هناك تقارب كبير جداً بين إعطاء الاولوية لمجال دون أخر فمن الملاحظ أن مجال التوجه الإسلامي قد احتل المرتبة الاولى في كتب المعاهد العلمية وكذلك كتب التعليم الثانوي العام ، بينما نجد أن مجال التوجه الديمقراطي قد حصل على المرتبة السادسة في كتب تاريخ التعليم الثانوي العام وحصل على المرتبة الثالثة في كتب المعاهد العلمية . أما مجال حياة البداوة والتخلف فقد حصل على المرتبة الخامسة في كل من كتب المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام في حين أن مجال التوجه العربي قد حصل على المرتبة السادسة في كتب المعاهد العلمية بينما حصل على المرتبة الثالثة في كتب التعليم الثانوي العام ويأتي في المرتبة الرابعة مجال الغزو الغربي للوطن العربي في كل من كتب المعاهد العلمية والتعليم الثانوي العام . أما مجال الاستعمار وإسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية فقد حصل على المرتبة الثالثة .

وقد اوصى الباحث بإعادة النظر في عناوين كتب المعاهد العلمية وفي ضوء ذلك اقتراح إجراء دراسة عن جوانب الضعف والقوة في كتب تاريخ المعاهد والمدارس .

ملحق

التوجه الإسلامي	التوجه الديمقراطي	حياة البداوة والتخلف	التوجه العربي	الغزو الغربي للوطن العربي	الاستعمار واسرائيل منذ فجر الدعوة الإسلامية
إظهار ضعف الأمة 1			الاعتزاز بالانتماء للامة العربية 1		استرقاق الشعوب العربية 1
إظهار قوة الأمة 2			إبراز تاريخ الوطن العربي كوحدة واحدة 2		العمل على تقسيم الوطن العربي 2
إظهار التضامن والتوحد 3			التأكيد على أهمية موقع الوطن العربي 3		زرع الكيان الصهيوني في الوطن العربي 3
تأكيد الانتماء الإسلامي 4			التأكيد على وحدة الوطن العربي 4		التركيز على جوانب القوة للاستعمار 4
إبراز قيمة الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الإسلام 5					إظهار مساوئ الاستعمار 5
الإسلام دين حضارة 6					
دور الإسلام في تنظيم الحياة بمختلف جوانبها 7					

الهوامش

(*) : هرنشو هذا الجانب يساعد الطالب على التكيف مع مجتمعه من خلال حفظ وصيانة القيم والعادات الجتماعية القائمة في المجتمع مثل المعاملات القيمية التي يتعامل بها المجتمع في الحياة اليومية أو استبدال قيمة سيئة بأخرى يحبذها المجتمع .

(**) : كلمة التاريخ بإثبات الهمزة ترجمة لكلمة (Historzraphy) وتقيد مطلق التعريفات بالوقت أما كلمة التاريخ (بتسهيل الهمزة) فهي تعني (History) وتعني العلم من تحقيق وضبط (ص7) .

قائمة المراجع

(1) : الأهدل- عبدالله عبدالكريم- دراسة تحليلية لكتب التاريخ في المرحلة الثانوية في ضوء الأهداف الوطنية والقومية والإنسانية في اليمن – رسالة دكتوراه غير منشورة، 1997م، جامعة بغداد.

(2) : باعباد – علي هود – التعليم في الجمهورية اليمنية (ماضية – حاضرة – مستقبلة)، منشورات جامعة صنعاء – 1984 ط (بدون).

(3) : حمدان-محمد زياد – المنهج المعاصر – دار التربية الحديثة – عمان، الأردن، 1988م.

(4) : الذيفاني – عبدالله أحمد – بناء المنهج وفلسفة التربية، مركز البحوث والتطوير، اليمن، 1993م.

(5) : روجيه – غارودي – العولمة المزعومة (الواقع – الجذور – البدائل) – ترجمة الدكتور محمد السيطلي – دار الشوكاني للنشر والطباعة – صنعاء، 1999م.

(6) : سالم – ناديه حسن – التنشئة السياسية للطفل العربية، دراسة لتحليل مضمون الكتب المدرسية للمواد الاجتماعية بالمرحلة الابتدائية في كل من مصر، والأردن، سوريا، لبنان. مصر، بدون تاريخ.

(7) : طعيمه – رشدي – تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه، أسسه، استخداماته، مكتبة التربية، جامعة المنصورة، دار الفكر العربي للطباعة، مصر، 1994م.

(8) : قانون التعليم العام، الجمهورية اليمنية، ط (بدون)، 1989م.

(9) : القميري – قمر طالب – دراسة تحليلية للتغيرات التي أدخلتها إسرائيل في كتب الاجتماعيات المقررة للمرحلة الثانوية في مدارس الضفة الغربية في الأردن – كلية التربية، الجامعة الأردنية، 1986م.

(10) : هرنشو- ف- ج – علم التاريخ – ترجمة عبدالحميد العبادي – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – 1937م.

(11) : الهيئة العامة للمعاهد العلمية – النشرة الإحصائية الثانية 1983/82م.

(12) : وزارة التربية والتعليم- قرار مجلس القيادة بالقانون رقم (136).

(13) : Adawia Alami, "Misconce ption in The Treatment of The Arab world in selected, American text books for children, "master's Thesis ohio state University, 1946.

(14) : Al-Qazzaz. "Images of The Arabs in American Social Science Text books, "in Abu-Laban et. Al., Arabs in America, pp. 113-132.

(15) : 15- Hgell,l. and Ziglet. D (1988) personaliety Theories Basic Assumptions. Research and application. London, Mezrow. Hill. co.

(16) : 16- Holisti. Ober. R. content analysis for The Social science and Humanities. Reading was Addison – wisely 1969.

(17) : 17- Stone, Philip, J. & others The General Inquirer a computer approach to content analysis. NewYork, MIT 1960.

فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي

د. داوود المندعي *

اختلفت النظرة إلى التاريخ باختلاف العصور وذلك لصلتها بالوضع الحضاري من ناحية وبالتطورات الثقافية من ناحية ثانية ،وبرزت وجهات نظر وآراء متباينة عن التاريخ ومفهومة . ويمكن ملاحظتها في خطين عريضين: أولهما يحاول استنباط قوانين أو وجهات عامة لسير المجتمعات البشرية في التاريخ وأصحاب هذا الخط يختلفون في إصدار وجهة نظرهم هذه فمنهم من يصدرها عن تأملات فلسفية يشتق منها قوانين أو مبادئ يطبقها على التاريخ ومنهم من يقول بالتوصل إلى تلك القوانين والفرضيات بطرق تجريبية أو استنباطية من دراسة المجتمعات البشرية وثانيهما لا يرى ذلك ، ويقرر أن التاريخ مجموعة أحداث وأوضاع مفردة لا تنتظمها قوانين أو مبادئ عامة ، على الرغم من ما قد يكون بينها من ترابط وصلات سببية ، وأن قصد الدراسة التاريخية ، هو فهم الماضي كما حدث ورفض الحكم على التاريخ ، ويرى آخرون انه لا يمكن عرض الماضي كما حدث ، ولا بد من إصدار الأحكام ويؤكد البعض ان جوانب دراسة الماضي تنطلق من مشاكل الحاضر واهتماماته ، وأن هناك انتقاء في دراسة التاريخ ، وأن هذه تصدر ممن تمثلها في مخيلة المؤرخ وذهنه وأن الحكم أمر طبيعي[1].

وكان ممن أعطى تفسيراً للتاريخ ومن أنصار الخط الأول أرنولد توينبي موضوع هذه الدراسة ، وسنعرض بلمحة مختصرة عن حياته ونشأته ، ومسيرة الفكر التاريخي لديه ثم نتناول بالعرض لفلسفة التاريخ عنده.

---

* أستاذ مساعد / قسم التاريخ /كلية التربية / جامعة صنعاء .

ولد ارنولد جوزيف توينبي في لندن في 14 إبريل (نيسان) 1889م ، من أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى المثقفة ، فقد كان والده يعمل موظفاً في شركة للشاي ، وأمه حاصلة على درجة البكالوريوس في التاريخ من جامعة كيمبردج ، وجده لأبيه كان أول طبيب في لندن ، كما أن جده لأمه كان مخترعاً في مجال السكك الحديدية ، وهو من أسرة ميسورة الحال ، ولقد كان فضل أمه عليه قوياً حيث أذكت فيه حب التاريخ كما أنها ألفت كتاباً مدرسياً في التاريخ ، كما كان تأثير عمه فيه قوياً وذلك بآرائه المتحررة وشخصيته القوية [2].

تلقى أرنولد توينبي تعليمه الأولي في مدرسة داخلية في وتون كورت ، حيث أمضى فيها ثلاث سنوات ثم التحق بكلية ونشستر حيث أمضى فيها خمس سنوات (1902-1907)م وفاز في نهاية دراسته الثانوية بمنحة دراسية مكنته من مواصلة دراسته الجامعية في جامعة اكسفورد (1907-1911م) حيث درس التاريخ القديم ، وعين في تلك الجامعة بعد تخرجه ، وأرسلته جامعة اكسفورد للدراسة في المدرسة البريطانية للآثار في أثينا (1911-1912م) فقضى هناك عاماً واحداً ورجع بعد ذلك إلى جامعته وأعطى أهمية كبيرة لهذه الفترة التي قضاها في اليونان ، ورأى أنها كانت تكملة لثقافته الإغريقية ، وأنها كانت سبباً في نقله من عالم اليونان والرومان القديم إلى عالم القرن العشرين[3].

كما تلقى توينبي تعليماً ممتازاً في الموضوعات الكلاسيكية (ونقصد بها التاريخ اليوناني القديم ، والتاريخ الروماني ، واللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما) ، وقد درس اللغة اللاتينية وهو في السابعة من العمر، ولمدة خمسة عشر عاماً، ودرس اليونانية القديمة وهو في العاشرة ولمدة اثني عشر عاماً، وقد أتقن هاتين اللغتين اتقاناً تاماً، كما أن العبارات اللاتينية واليونانية ترد كثيراً في كتابه (دراسة التاريخ) دون ان يحاول ترجمتها – وقد أخذ عليه بعض النقاد ذلك – كما استطاع ان يتعلم في المدرسة وفي الجامعة اللغات الفرنسية والألمانية واليونانية الحديثة ، وأن يلم بالتركية وبالعربية فيما بعد [4].

شغل توينبي منصب أستاذ التاريخ واللغات والآداب البيزنطية واليونانية الحديثة بجامعة لندن خلال الفترة (1919-1924م) حين اضطر لتقديم استقالته[5] وفي عام 1924م عرضت عليه وظيفة مدير المعهد البريطاني للشئون الدولية (الذي سُمي فيما بعد بالمعهد الملكي للشئون الدولية) أو (دارشاتام) ليتولى إصدار حولية (مسح للشئون الدولية) فقبلها، وظل توينبي يعمل في (دارشاتام) ثلاثة وثلاثين عاماً، كما ظل يعمل حتى عام 1955م أستاذاً باحثاً للتاريخ في جامعة لندن [6].

كان لاهتمام توينبي بمسح الشؤون الدولية اقتران بكتابه الضخم دراسة للتاريخ فقد استطاع توينبي أن يكمل عمله بالمسح بعمل آخر ألا وهو كتابه دراسة للتاريخ، فقد اقترن عمله مسح بدراسة للتاريخ فيما كان الأول بحثاً في الحاضر كان الثاني بحثاً في الماضي، وقد استفاد العملان من بعضهما[7].

شرح توينبي في (دراسة في التاريخ) فلسفته للتاريخ، وقد جاءته فكرة الكتاب كتعليق على الجوقة الثانية من مسرحية (انتيجونه) لسوفوكليس، وأنه كتب أثناء سفره بالقطار من استانبول إلى لندن في 17 أيلول 1921م على نصف ورقة قائمة تضم نحو اثني عشر عنواناً، وقد ظلت هذه العناوين – مع تغيير طفيف – عناوين الأقسام الثلاثة عشرة في كتابه (الدراسة)، وبدأ يكسو هذه الدراسة لحماً في عام 1927م، غير أن البداية الجدية كانت في عام 1930، وفي عام 1934، أصدر المجلدات الثلاثة الأولى من كتابه، وقبل الحرب العالمية الثانية بإحدى وأربعين يوماً أصدر ثلاثة مجلدات أخرى، واستطاع أن يحتفظ بمذكراته الخاصة بالكتاب في نيويورك أثناء الحرب العالمية الثانية، وشغل بالحرب فلم يبدأ بالعمل على إتمام كتابه إلا في عام 1947، وفي عام 1954 أصدر أربعة مجلدات أخرى هي تتمة الكتاب، وعاد وأصدر في عام 1959 المجلد الثاني عشر تحت عنوان مراجعات[8] وفي عرضنا هذا استعنّا بطبعة سنة 1979 من دراسة للتاريخ A study of History [9] في اثني عشر مجلداً وقد اشتمل على مقدمة تناول فيها نسبية الفكر التاريخي، ووحدة الدراسة التاريخية، والدراسة المقارنة للحضارات، ومولد الحضارات، ومدى التحدي والاستجابة، ونمو الحضارات، والدول العالمية، والكنائس العالمية، وعصر البطولة، والتعاصر بين الحضارات والقانون، والحرية، ومستقبل الحضارة الغربية، واتهامات المؤرخين.

سار الفكر التاريخي عند توينبي بثلاثة مراحل [10]:

المرحلة الأولى: وتمتد إلى عام 1919 تقريباً وهي تعكس ذهنية توينبي خلال الجزء الأكبر من هذه المرحلة ثقافة أبناء جيله والتيارات السائدة في عصره فمن حيث المعتقد الديني نجده في أول نشأته مؤمناً مثل والديه بتعاليم كنيسة إنجلترا البروتستانتية في إطارها اللاهوتي والأخلاقي، كما نشأ في جيل ركز أعلام مؤرخيه اهتمامهم بالتاريخ القومي ولم يهتموا بغيره من التواريخ إلاّ من حيث اتصالها به، وعليه فقد اتخذوا من التاريخ القومي وحدة للدراسة التاريخية، وقد تأثر توينبي بذلك الاتجاه، كما نشأ توينبي كذلك تحت تأثير النظرة السائدة بين الغربيين من جيله إلى الحضارة الأوروبية على إنها حضارة متفوقة .

المرحلة الثانية: وتمتد هذه المرحلة من عام 1919 إلى أواخر الثلاثينات، وفي أوائل هذه المرحلة أخذ توينبي يفكر جدياً في كتابة دراسته للتاريخ، وبدأت الفكرة تدور بذهنه في صيف 1920، في العام التالي وضع الخطوط العريضة لمخطط الدراسة، على أنه لم يشرع في الكتابة إلاّ في صيف عام 1930 بعد أن كان قد وسع مخططه فأغناه بالتفصيلات والعناوين الفرعية. وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية بواحد وأربعين يوماً كان قد نشر المجلدات الستة الأولى منه.

وفي الفترة الممتدة بين نشوب الحرب العالمية الأولى وشروعه في الكتابة قد انعتق من عدة أفكار ومفهومات تاريخية رئيسة واعتنق عدداً آخر إما بتأثير مجرى الأحداث و بتأثير المؤرخين وغيرهم، وفيما يأتي تعليق موجز على أهم هذه الأفكار والمفهومات:

1ـ الحرب:

كان موقفه تقليدياً قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، ومع نهاية الحرب اقتنع بأن الحرب ليست مؤسسة تستحق الاحترام، ولا خطيئة عابرة وإنما هي جريمة.

2ـ الحضارة لا التاريخ القومي وحدة الدراسة التاريخية:

ومن أهم التطورات في فكر توينبي خلال هذه المرحلة هو تحوله من التاريخ القومي إلى المجتمع أو الحضـــارة كوحـــدة للدراســـة التاريخية، ويقول بأنه ما حلّ صيف عام 1920 حتى وجد نفسه متفقاً مع شبنجلر على هذه الفكرة، فقد اقتنع أن عبارة الدولة القومية والإيمان بتفوقها قد أفسدت منظور الأوربيين التاريخي وجعلتهم يتمحورون على أنفسهم ويتخذون من تاريخهم نقطة الدائرة، ومن تاريخ الأمم الأخرى حواشـــي لهـــا، ويبدو أن الفكرة قد تبلورت بعد مخاض طويل وبفعل عدة روافد جانبية في مقدمتها اقتناع توينبي بوحدة التجربة الإنسانية، وقد غذى فكرة توينبي عن التعاصر الحضاري وتساوي الحضارات فلسفياً عـــدد من المؤرخين منهم الفرد زمرن (Alfted Zimmern) الذي ذهب إلى ضرورة إلغاء الحواجز التي أقامها المؤرخون بتقسيمهم للتاريخ إلى قديم ومتوسط وحديث، وب.ج. تيجارت (Tegagrt) الذي أنار الســـبيل أمـــام توينبي بقوله " إن الخطوة الأولى في دراسة الإنسان ينبغي ان تكون بالرجوع إلى الحاضر"، ولدراسته العميقة الشاملة للتاريخ الإغريقي الروماني، كما غذت شمولية نظرته آراء عدد كبير من الساسة والمفكـــرين والكتاب والمؤرخين كما وجد في مسرحية فاوست للشاعر الألماني جوته ضالته فقد استمد من تحـــدي مفســـتوكليس (Maphistocles) فكـــرته عن التحدي والاستجابة، وأما الصيغة اللغوية ذاتها للفكـــرة فقـــد اســـتمدها مـــن بيت شعر لروبرت برواوننج (Browning) يقول فيه: " ألا يمكنك أن تـــتحداهم ؟ ولا اســـتجابة "، وبذلك صار لدى توينبي تفسيراً لنشأة الحضارة، واتخذ من توالي التحديات والاستجابات نمطاً يفسر انتقال الحضارة من حال إلى حال، ويفسر كذلك سقوطها في النهاية وذلك عندما تعجز عن الاستجابة بشكل صحيح للتحديات.

3 - المرحلة الثالثة:

وتمـــتد مـــن أواخـــر الثلاثيـــنات وتستمر حتى وفاته – 22 أكتوبر 1975 في نيويورك، نورث يوركشـــير– وفـــيها نشـــر توينبي المجلدات الأربعة الباقية من دراسته في هذه المرحلة التي تبدأ من نشوب الحرب العالمية الثانية وتمتد إلى حين وفاته، ومن الملاحظ أن توينبي في هذه الأثناء أعمل يد التعديل والتغيير في أكثر من مفهوم له .

إن نقطـــة البداية في فكر توينبي هي أن كل جزئية من جزئيات التاريخ لا يمكن ان تؤخذ بمعزل عن جملة سياق التاريخ كله، فليس بمقدور أحد أن يقتطع شريحة من التأريخ ليضعها تحت مجهره ويختبر جزيئاتها ويستنبط مغزاها فليس هناك تاريخ أمة من الأمم يمكن أن يفهم بعيداً عن مجرى التاريخ وسياقه، ولا يمكن

أن يفسر الحدث التاريخي الواحد نفسه بنفسه بل هو لغز لا يمكن أن تفك مغاليقه إلاّ من خلال ربطه بالأحداث المتعاقبة في سياق التاريخ، ويضرب توينبي مثلاً لذلك، تأريخ بريطانيا ويتساءل هل بالوسع أن يفهم تاريخ الأمة البريطانية فهماً صحيحاً بمعزل عن سياق التاريخ العام، وينتهي إلى القول بأنه لا التاريخ القومي البريطاني ولا غيره من تواريخ الأمم والشعوب والحضارات يمكن أن يقوم كحقيقة توضح نفسها بنفسها، وإن التجربة التاريخية تغنيها وتشارك فيها عناصر تاريخية عديدة تؤثر في أجزائها المختلفة وتشكل معضلاتها وتحل هذه المعضلات أيضاً من خلال مسلك تاريخي شديد التشعب والتشابك، وهكذا يؤكد توينبي أن الجزء لا يمكن ان يفهم إلاّ بدراسة الكل وإخضاعه لعملية تركيز تستوعب جوانب كل الجزئيات في أطول سياق تاريخي ممكن وأوسعه[11].

لقد وجد توينبي في الحضارة الكاملة المقابلة لأجزاء معزولة منها بصورة مصطنعة مثل الدولة القومية مفهوماً للدراسة، وانطلق من مبدأ رئيسي هو ان مادة التاريخ هي حياة أقسام موحدة من البشرية أسماها مجتمعات، وذكر منها مجتمع المسيحية الغربية ، ومجتمع المسيحية الشرقية أو البيزنطية، والمجتمع الاسلامي، والمجتمع الهندي، ومجتمع الشرق الأقصى، وهي مجتمعات ماتزال قائمة كحضارات في الوقت الحاضر.

"We can hardly advance further in our search for an 'intelligible field of study' without reviving or inventing some name to denote our society as a whole and to distinguish it from other representatives of the species ...it seems preferable to revive the name 'Western Christendom' ... on this plane, we can distinguish unmistakably the presence in the world of today, of at least four other living societies of the same species as ours: orthodox Christian of Byzantine society ... an Islamic society A Hindu Society ... (for Eastern society)[12].

كما أن هناك مخلفات متحجرة لمجتمعات قد بادت.

(Fossilized relics of similar societies now extinct)[13]

ويصف العلاقات والاختلافات بين هذه المجتمعات (الحضارات) السابقة الذكر بأنها اختلافات مسكونية (عالمية) Oecumenical في حين يطلق على الاختلافات في نطاق المجتمع الواحد بأنها اختلافات داخلية (قومية) Parochial.

"for the advancement of historical knowledge, it seems desirable that our historians should distinguish the parochial relation between states within societies from the Oecumenical relations between the societies themselves.[14]

وحقل الدراسة التاريخية عند توينبي متسع وعلى المؤرخ أن يستبصر ويميز الوحدات الحضارية، ويقوم بدراسة العلاقات على المستويين السابق ذكرهما، ويركز توينبي اهتمامه على (مجتمع غرب أوروبا

المسيحي) فيدرسه دراسة تراجعية حتى يصل إلى جذوره الأولى، ثم يطبع نفس المنهج على الحضارات الأربع المتبقية التي هي أكثر قدماً من حضارة غرب أوروبا، ويفيض في دراسة العلاقات بين هذه الحضارات.

"in the process of tracing the history of our western society backward towards its origins, we strike upon the last phase of another society of the same kind, the origins of which evidently lie considerably further back I the past" (15)

وسارت الدراسة لديه وفقاً لمفاهيم حدودها فيما يأتي :

فكرة البنوة والأبوة :

المتمثلة في العلاقة بين مجتمع غرب أوربا والمجتمع الهليني .

"the chapters in the history of one and the same society resemble the successive experiences of a single person; the affiliations' and apparentations' between one society ad another resemble the relations the relations between parent and child"(16)

فكرة المدنية المقابلة للبدائية :

فالمجتمع إما بدائي أو متمدين، وغالبية المجتمعات بدائية، وهي صغيرة المساحة جغرافياً، قليلة السكان، قصيرة الأجل، تلقى نهايتها غالباً بطريقة عنيفة على يد مجتمع متمدين ومتبربر، أما المدنيات فهي أقل عدداً من البدائيات، ولكنها أوسع مساحة وتبني الوحدة فيها لا على الفرد وانما على الطبقة.

"we can at once remark a specific difference of a purely quantitative kind. The humber of known civilizations is small. In a survey of human societies in all parts of the world in every age from the preset to the remotest past on which our modern westerns archaeology yet throws any light. We have succeeded in collecting only twenty one specimens of civilizations, and we have been compelled to concede that no less than ten of these twenty-one compelled to may possibly turn out of to be distinct and separate specimens in their own right. The number of known primitive societies is vastly greater. In 1915 three western anthropologists , .., drew up a list of about 650 societies...(17)

فكرة أوقات الاضطراب (Interregnum)

وهي الفترة الفوضوية التي تأتي بين تآكل أحد المجتمعات وقيام مجتمع آخر وفق مفهوم البنوة، ومن أبرز الأمثلة على هذا فترة العصور الوسطى المظلمة التي تقع بين وفاة الهلينية وقيام مجتمع غرب أوروبا المسيحي، فقد كان المجتمع الهليني يلفظ أنفاسه الأخيرة، وكان البرابرة على مقربة من المسرح وقت وفاته ، فقد كان مصاباً بجروح عميقة أصاب بها نفسه في أوقات المتاعب Time of Troubles لقرون خلت،

وعلى هذا فإن البرابرة ما كانوا أبداً قتلة ذلك الميت العظيم، وإنما اقتصر دورهم على القيام بدور النسور التي نهشت الجيفة.

"the barbarians made their passage felt being in the death of the Hellenic society; but they cannot eve claim the disjunction of having delivered the death blow; for by time when overran the Roman Empire, the Hellenic society was already moribund a suicide slowly dying of wounds self – inflicted during 'time of Troubles centuries before. Thus the Barbarians were not the assassins of the mighty dead, they were merely the vilures feeding on the carrion or the maggots crawling in the carcass. And the very process of dissolution which had brought them on to the scene determined the duration of their existence ; since this transitory interregnum to corruption and decay was the only environment in which they were able to thrive"(18)

فكرة البروليتاريا الداخلية Internal Proletariat

وهي مجموعة الأفراد داخل المجتمع الذي لا يدينون له بشيء سوى وجودهم الفيزيقي، وقد يقدر لهذه المجموعة من البروليتاريا أن تصبح العامل المهيمن على هذا المجتمع الذي تنتمي إليه عن طريق البنوة، والبروليتاريا الداخلية في حالة الحضارة الهلينية هي الكنيسة المسيحية التي جعلت تتكون من تحت الأرض حتى قدر لها قدرها أن تبتلع الإمبراطورية كلها.

"the catholic church in its first phase conformed to the pattern to the Roman political universe by incorporating into it self the whole of the internal proletariat. In this phase the university of the church fell short of that of the Empire in some as sense hold together of the internal proletariat, was for greater than the Empire's hold over either portion of the proletarian under world (19)

فكرة البروليتاريا الخارجية External Proletariat

ومن مثيلتها حركة هجرات الشعوب المتبربرة التي كانت تقيم على وجهها وقت احتضار الحضارة الهلينية، إن القبائل الجرمانية والسلافية والرماتية والهونية هي البروليتاريا الخارجية التي كانت خاضعة لسلطان الحضارة الهلينية الرومانية، ثم تحركت وقت وفاة الحضارة الهلينية ثم أقامت لنفسها ممالك على نفس التربة الهلينية، ويحلو لأصحاب هذه الدويلات المتبربرة أن يطلقوا عليها (عصر البطولة).

"A third phenomenon which is associated with the apparentations and affiliation of the Hellenic and the western society is the Volkerwanderung in which the external proletariat of the Hellenic Society came down in spate from the o-man's –land beyond the frontiers of the Roman Empire – Germans and Slavs from the forests of Northern Europe,... the ephemeral 'successor – states' which were set up on the

former territories of the Roman Empire By these barbarian war – bands shored the stage of history with the church during the interregnum between the disappearance of the Hellenic society and emergence of our western society – an inter rename which was the barbarians' heroic age.

إن البروليتاريا الخارجية، والبروليتاريا الداخلية تتضافران في الإجهاز على المجتمع الأب الذي كان يسيطر عليها، وذلك لتحلا محله [20].

فكرة الدورة العالمية والكنيسة العالمية :

بمفهوم المؤسسات التي تضم بين جنباتها كل مناحي الحياة السياسية الدينية للمجتمع الذي تقوم فيه هذه المؤسسات.

"the evidential value of 'universal churches' is absolute, because churches belong by nature to the future as well as to the past. The evidential value of 'universal states' and Volkerwanderung is conditional [21]

فكرة المجتمعات التي كانت متمدينة على زمانها ثم بادت أو تحجرت:

ومن قبيل ذلك الحضارة السومرية والمينوية والحشية والبابلية والاندياناية والمكسيكية والمصرية، ويطلق على هذه الحضارات البائدة لفظة fossils

"the fossils the information which we have now obtained by investigating the affiliation of all the living societies will enable us at once to identify the extinct societies which are represented to day by certain fossils; Minoan, p.92: Sumeric p. 104; Hittite, p.110; Babylonaic, p.115;Andean, p.119; Yucatec, Maxic. And Mayan, p. 123; Egyptiac , p.128 [22]

وبعد هذا يقوم توينبي بدراسة مقارنة للحضارات – المجتمعات – وأسئلته الرئيسية هي :

2. كيف تظهر الحضارات ولماذا ؟
3. ثم كيف تنموا ، ولماذا ؟
4. وكيف تنهار، وأسباب ذلك ؟

فهو يلاحظ الحالة التي يكون فيها المجتمع البدائي، والتي تسوده حالة اطمئنان وركود، وحالة الحضارة وهي حالة حركة مستمرة، ومسيرة التاريخ برأيه تصدر عن التحول من حالة الركود والمحافظة إلى حالة التقدم الخلاق، ويمثل هذا التحول تنمو الحضارات ويحدث هذا عندما تتعرض الحضارة لتحد Challenge فتستجيب له استجابة ناجحة Response وبذلك لا تقتصر على تجاوز المحنة بل تولد في نفسها القدرة على مواجهة تحديات مقبلة وبتوالي مواجهة التحديات باستجابات أكبر تنمو الحضارة وتنمو حيوية الناس الداخلية، ويتحول العمل والتحدي في الخارج إلى الداخل ، ومن كفاح الناس للسيطرة على

محـيطهم إلى كفـاح للسيطرة على نفوسهم، والحضارة في نموها تخلق تدريجياً لنفسها تحدياتها وتصبح أكثر تقريراً لمصيرها، فمقياس النمو هو تقرير المصير[23].

وكمـا يقـول في مـرحلة مولـد أو تكوين Genesis الحضارة بقانون (التحدي والاستجابة) (Challenge and Response) – كمـا ذكرنا سابقاً وهو يرفض الرأي الشائع بأن الحضارة تولد في البيـئات التي تتيسر فيها ظروف المعيشة للإنسان ويرى أن مولد الحضارة عملية خلق تتضمن تغيرات حتى في عوامل الزمن نفسه، ويضرب لنا مثلاً على هذا بأن الرأي السائد منذ القدم أن الحضارة قد نشأت أول مـا نشـأت في مصـر بسبب خصوبة أرضها ووفرة مياه نيلها، ولما وصف الكتاب الإغريق أرض مصر وصـفوها عـلى أنها (هبة النيل)، غير أن الأبحاث العلمية الجادة تشير إلى أن هذا القول ينطوي على خطأ كـبير، ذلـك لأن حضارة مصر الراعية ليست هبة من النيل بقدر ما هي حصيلة جهود الإنسان المصري الذي أقام الجسور وروض النيل وحطم الأحراج وأقام المقاييس ورصد النجوم وتوصل إلى حسابات السنة الشمسية وتقاويمها، أي أن الإنسان المصري هو الذي سيطر على الطبيعة وأخضعها لخدمة الإنسانية.

(the agricultural Egypt of modern times is as much a gibt of man as it is of the Nile)24[24]

ويضـرب توينبي أمثلة عديدة لتوضيح جهود الإنسان البطولية في صراعه مع الطبيعة وتحدياتها، ويسـتخلص من هذه الدراسات المتتابعة أن (اليسر هو عدو الحضارة) (We have how perhaps established decisively the truth that ease is inimical civilization"[25]

والى جانب الظروف الطبيعية القاسية يساعد انتقال الحضارة من موطنها الأصلي إلى أرض جديدة عـلى التقدم، ويطلق توينبي على هذا العامل حافز الأرض الجديدة (Stimulus of New Ground) ويضرب أمثلة على ذلك بالحضارة البابلية التي اكتمل كيانها في آشور، وهناك حافز آخر يساعد على تقدم الحضـارة وهو ما يسميه توينبي باسم (حافز الضربات المفاجئة) (Stimulus of Blows) فالدول التي تجـتاحها جيوش الإمبراطوريات القوية، سرعان ما تفيق من هول الكارثة وتعمل على بناء نفسها من جديد للارتقـاء بمستواها لكي تتمكن من مواجهة تحديات المستقبل بجهد بطولي خارق، ويضرب أمثلة على ذلك منها ما أصاب العثمانيين على يد تيمورلنك في واقعة أنجورة، ولكن العثمانيين وجدوا هذه الضربة المفاجئة حافـزاً لهم ليقوموا من هذه الكبوة فيحققوا مكاسب مذهلة، فبعد نصف قرن من هذه الكارثة تمكن محمد الفاتح من دخول القسطنطينية فاتحاً عام 1453م[26].

وهناك حافز آخر يولد شرارة الحضارة هو حافز (الضغوط الخارجية)timulus of pressures ومـثال ذلك الحضارة السومرية، فلقد قامت حضارة سومر وأكاد على يد أسرة سومرية مقرها بلدة أور (Ur) في قلب الحضارة السومرية، ثم اعيد بناء هذه الإمبراطورية بعد فترة التدهور على يد العموريين في

عاصـــمتهم بـــابل (بوابـــة الآلهة) وهي نفس البوابة التي شهدت ضغوط البدو على أن القوة السياسية قد انتقلت في إطار الدولة السومرية من الداخل إلى تلك البقعة التي كانت معرضة للضغوط الخارجية.

(Thus, in the Sumeric universal state, political power passed from the interior to the march on which the heaviest external pressure was being exerted) (27)

وهـــناك أيضـــاً حافـــز القصاص (Penalization) الذي يولد بدوره شرارة الحضارة، بمعنى ان الجماعـــة التي تتعرض للعقاب أو القصاص من جانب جماعة أخرى متسيدة تحاول التعويض عما أصابها من خطر بابتكار أساليب جديدة لفرض وجودها وإثبات كيانها، ومثال ذلك ما حدث عندما اضطهد الرومان الجماعـــة المســـيحية الباكرة من العبيد وفقراء القوم، فلقد سعى هؤلاء المضطهدون إلى التماسك والتسلح بقـــوة الإيمـــان حـــتى قـــدر لهـــم في نهاية الأمر ان ينتصروا عندما أصبحت ديانتهم هي الديانة الرسمية للإمـــبراطورية كـــلها: (إن قمع العبادة المسيحية على السطح في روما الوثنية هو الذي دفع المسيحيين ان يخلقـــوا روما مسيحية في الكهوف تحت سطح الكمبانا (بإيطاليا) ونجحت المدينة السفلية في ان تتغلب على مدينة السطح مدينة التلال السبعة.

(The prohibition of Christian worship on the surface of pagan Rome Stimulated the Christians to create for themselves anew Christian Rome in the catacombs below the surface of the catacombs ; and he city of the catacombs eventually triumphed over the city of the seven Hills) (28)

والـــرأي لدى توينبي أنه كلما ازداد التحدي تصاعدت قوة الاستجابة حتى تصل بأصحابها إلى ما يسميه باسم الوسيلة الذهبية (Golden mean).

ثم يتـــنقل توينـــبي للحديث عن مرحلة نمو الحضارات، فبعد مولد الحضارة تتوقع لها أن تنتقل إلى طـــور النمو، غير أن بعض الحضارات لا يتأتى لها طور للنمو الكامل فيكتب عليها التجمد لتصبح حضارة أســـيرة (Arrestedcivilizations) ومـــن أمـــثلة هـــذه الحضارات البولوبنيزية والاسكيمو والبدو والإسبرطيين ، لقد قامت هذه الحضارات نتيجة لقانون التحدي والاستجابة،ولكنها تجمدت في استجاباتها لأنها ظلت على ما هي عليه دون محاولة لاستخدام الحكمة في استغلال ظروف التحدي.

وعـــن مـــرحلة النمو يورد توينبي معايير للنمو الحضاري، فالنمو ينبغي ان يكون من خلال مسير يمضـــي بالمجتمع من تحد إلى استجابة ثم إلى تحديات جديدة واستجابات لهذا الجديد. ومن أبرز معايير النمو الحضـــاري ازديـــاد سيطرة الإنسان على البيئة التي تحيط به بظروفها الطبيعية المختلفة، ثم تطوير أسلوب معالجـــته لتلك الظروف حتى تكون صنوف الاستجابة نجاحاً مقابل صنوف التحديات بالنجاح أيضاً، وهذا النجاح المتولد بين كل تحد واستجابة هو التقدم الحضاري بمعنى انه المحك الأمثل الذي يجعل من أية حضارة

نامـــية صـــاحبة الإرادة في تقرير مصيرها وذلك عندما يتأتى لها الاستيعاب لبيئتها وعناصر تحدياتها وحقل صراعاتها.

(Growth means that the growing personality or civilization tends to become its own environment and its own challenger and its own field of action) (29)

والـــنمو الحضاري لا يتأتى إلا على يد أفراد خلاقين أو على أقليات مبتكرة فهي التي تحدد نوعية الاســـتجابة الـــناجحة للـــتحديات، لتسير بالمجتمع إلى الأمام تجر من ورائها تلك الأغلبية الكسولة (غير الخلاقـــة)، ان النمو الحضاري هو دينامية الحياة وهي من فعل الأقليات النشطة، أما بقية أفراد المجتمع من الخـــاملين فهـــم شركاء الملايين من أهل الكهف في كل أركان الأرض، ويجاهد الخلاقون لكي يجذبوا من ورائهم هؤلاء الكسالى لكي يلحق المجتمع بالموكب الحي.

(In every growing civilization, even at the times whine it is frowning the most lustily, the great majority of the participant individuals ere in the same Stagnant quiescent condition as the members of a primitive society which is in state of rest) (30)

وأســـهب توينبي في الحديث عن أولئك الأفراد الذين قادوا تلك القلة المجاهدة على درب التقدم الـــذي اضطر كل فرد منهم في بداية الأمر إلى الانسحاب ثم عاد إلى المسرح من جديد يعلن الثورة للأخذ بـــيد الجماعـــة إلى الأمام، فأورد إسهامات هؤلاء العمالقة أمثال القديس بولص، القديس بندكيت، بوذا، النبي داوود، صولون الأثيني، يوليوس قيصر، النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)، مكيافيللي، ابن خلدون، ...وغيرهم من العمالقة (31).

ثم ينتقل توينبي للحديث عن مرحلة تدهور الحضارات وانهيارها، فمن بين 26 حضارة توفيت 16 حضـــارة، ولم يـــبق مـــنها سوى عشر وهي: الحضارة الغربية (الأوربية)، الحضارة الارثوذكسية الشرقية، الحضـــارة الارثوذكسية الروسية،، الحضارة الإسلامية، الحضارة الهندية، حضارة الشرق الأقصى (الصين)، الحضـــارة اليابانـــية، الحضـــارة البولونيزية، حضارة الاسكيمو، حضارة البدو الرحل، وتبدو البولونيزية والبدوية اليوم في مرحلة الاحتضار، كما أن سبعاً من الثمان الباقيات تتعرض أحياناً لخطر الامتصاص على يد الحضارة الغربية(32).

إن تدهـــور الحضـــارات هو محصلة الفشل في محاولة العلو بالإنسان من درك الحيوان إلى مستوى آدمي شبيه بتلك الشركة المأثورة عن مجتمع القديسين.

" These breakdown are failures in an audacious attempt to ascend from the level of a primitive Humanity, the living the life of asocial animal to the height of some superhuman kind of being in a communion of Saints"(33)

ويتمـــثل هـــذا الفشل في فقدان الخلق وإفلاس القادة وذبول القوة الدافعة عند الجماهير (فحيث لا خلق ينتفي التماثل).

"where there is no Creation, there is also no mimesis"(34)

ويـــأتي تمـــزق المجتمع دوماً من الداخل، عندما تشعر البروليتاريا الداخلية بأن السحر البراق الذي كان في أيـــدي قـــادتهم قـــد علاه الصدأ ولم يعد يفيد، والتصدع لا يأتي من الخارج على يد حضارة أجنبية فتية، وينحصـــر مـــا تقوم به تلك الحضارة الفتية القوية في توجيه ضربة لكيان قد انتحر بالفعل (إن أكبر عدو للإنسان هو الإنسان ذاته)(35).

"The greatest danger to man is man".

ومـــن أسباب انهيار الحضارة هو فقدان الانسجام بين عناصر مكوناتها مما ينتج عنه فقدان المقدرة على تقرير المصير.

"A society breaks through a loss of harmony between its parts which is paid for by the society as a whole of self – determination".

ومـــن دواعـــي فقدان الانسجام ظهور تيارات اجتماعية جديدة ودخولها إلى حياة مجتمع ما، ثم محاولـــة إقحـــام هذا الجديد بعلاته على نظام لم يكن أصلاً ليستوعب هذا الجديد، ولا هو يتسع له، وهذا شبيه (بالنبيذ الجديد في القنائن العتيقة).

"Neither do men put new wire into old battles – else the bottles break and the wire runneth out and the bottles perish; but they put new wine into new bottles, and both are preserved (36)

ولكي لا تتحطم (القنائن العتيقة) ينبغي عند إدخال قوى ديناميكية جديدة أو مؤثرات خلاقة ان يصـــاحب ذلـــك وفي نفس الوقت إعادة بناء كل النظم القديمة على أساس يُتمكن معه من مواكبة الجديد والانسجام معه وهذا يعني ضرورة الاستجابة الصحيحة التي تتصدى للتحديات الجديدة(37).

ومـــن أسباب انهيار الحضارة أيضاً أن القلة التي اتسمت بالخلق واستجابت لتحد في القديم تمسي أقـــل اســـتجابة للتحديات الجديدة، وهنا تظهر قلة جديدة تستطيع مجابهة التحدي الجديد، وإذاً فإن القلة القديمـــة تقـــف موقـــف المعارضة من القلة الثانية، لأن الأولى قد احتلت مناصب قيادية هامة لا ترغب في التنازل عنها، ويتخذون موقفاً سلبياً تجاه الحاضر ويفتتنون بالماضي – كما يظهر لدى بعضهم – وقد يتخذ ذلـــك الموقف السلبي شكل عبادة الشخص لذاته أو لتراث مجتمعه في فترة من الفترات – كما يظهر لدى الـــبعض الآخر – دون النظر إلى القوانين الدينامية التي تفرضها التحديات الجديدة وضرورة الاستجابات بأساليب جديدة(38).

وأبـــرز مثال على عبادة الذات هم اليهود فقد بدأ تاريخهم في إطار الحضارة السورية، وبلغ قمته عـــلى عهد أنبيائهم، ثم نجح بنو إسرائيل ويهوذا في الوصول إلى فكرة التوحيد فملأ الغرور رأسهم وادعوا

أنهـــم (شعب الله المختار) وقد أعماهم هذا الزهو فتردوا في خطأ مبين هو عبادة ذاتهم والتشبث عند مرحلة تاريخـــية قد عفا عليها الزمان وتخيلوا من خلال هذا الوهم الزائف أن السماء تمطرهم الامتياز والرفعة على سائر مخلوقات الأرض، فأصيبوا لهذا كله بالعقم.

"In this delusion which was amoral as an intellectual fault the Jews 'rested on there oars' when they were called upon to respond to a new challenge ... they persuaded themselves to be God's chaser people..."(39)

ومن عوامل انهيار الحضارات أيضاً ازدياد دق طبول الروح العسكرية لتتغلب روح الحرب على نفـــوس أبناء المجتمع، ويؤدي ذلك إلى الانتحار العسكري Suicidalness of Militarism والأمثلة على ذلك كثيرة، منها سيرة شرلمان، وتيمورلنك (40).

ثم يتحدث توينبي عن دور الاحتضار، فبعد انهيار الحضارة يأتي دور الاحتضار، ومن مظاهر ذلك الاحتضار انتشار الفصام في جسم المجتمع فيتمزق كيانه، ويواكب هذا الخلل انفصام في الروح حيث تظهر الفلســـفات الانهزامـــية مثلما كانت الحال في القديم مع الأبيقوريين والكلبيين والرواقيين، وقد يتطرق هذا الاتجـــاه إلى حـــد (حـــب المـــوت) تحت ستار الاستشهاد، وما هو في حقيقة الأمر إلاّ ضرب من ضروب الانتحار، هروباً من مشاكل الحياة وتحدياتها، وتنعكس مظاهر التمزق على إنتاج المجتمع فترى فيه الغث في الأدب والسوقية والتبربر في الفن (41).

وفي أوقـــات المتاعب هذه نشاهد قيام الدولة العالمية، وفي ثنايا هذه الأوقات تنشأ الكنيسة العالمية التي تستغل نظام الدولة العالمية في تقوية ذاتها حتى تصبح الأخرى مؤسسة كبرى سرعان ما تنافس الدولة، ولـــذا فـــإن رجالات الدولة العالمية سرعان ما ينقلبون على تلك الكنيسة العالمية بسبب ازدياد نفوذها، ثم انهـــم يعملـــون عـــلى التخلص منها فيلصقون بها شتى الاتهامات ويشيرون إليها على أنها المسئولة عن كل الكـــوارث التي تحل بالمجتمع، ويتضح هذا الصراع الأزلي في تلك الأحداث التي وقعت في القرنين الثالث والـــرابع للميلاد بين الإمبراطورية الرومانية (الدولة العالمية)، وبين المسيحية (الكنيسة العالمية) ويرى توينبي ان الكنيســـة لهـــا ما يبرر وجودها لأنها الإطار الوحيد الذي يحافظ على ما قد تبقى في الدولة من حضارة، فهي أشبه ما تكون بالشرنقة التي تصل بين مرحلة هلاك حضارة ومولد أخرى (42).

ويـــرى توينـــبي في خلفية كل حضارة من الحضارات المتبقية كنيسة عالمية تمكنت من خلالها من أن تدخل بالبـــنوة في أحضان حضارة اكثر عراقة، كما يرى أن المهمة التي تضطلع بها الكنيسة العالمية مهمة حضارية بالغـــة الخطورة، ذلك انه في حين ان الدولة العالمية تجاهد للمحافظة على توازنها خوفاً من السقوط النهائي بأســـاليب القمع والردع والتخويف والإحباط تمد الكنيسة يدها إلى الطاقات الإنسانية المتخوفة والمتراكمة وتفـــتح لهـــا آفاقـــاً جديدة أو قنوات لتوجه من خلالها زفرات الضيق في أسلوب إيجابي وهكذا فيما تأخذ الدولة العالمية في الهبوط تأخذ الكنيسة العالمية في الصعود(43).

ثم ينتقل توينبي لمعالجة الصدام بين الحضارات ، ويكرس مساحة كبيرة لمعالجة الحضارة الغربية ثم يعالج تلك الصدامات التي وقعت بين الحضارة الغربية وحضارات العالم الخارجي: في روسيا، والهند، والعالم الإسلامي، والشرق الأقصى، ومع الهنود الحمر.

ويستخلص من هذه المعالجة أن الحضارة الغربية مهددة بالانهيار،ومن بين العوامل التي أسهمت في تصدع الحضارة الغربية عودة الأوروبيين إلى نظام الرق الذي كان سبباً في انهيار الحضارة الهلينية قديماً، وقد تفشت آفة الرق مع التوسع الاستعماري الأوربي وفي ركب الثورة الصناعية،ولم يلغ الرق إلاّ بفضل جهود التيار الديمقراطي الذي أخرجه ابراهام لنكولن، أما عن الحروب الطاحنة التي اكتوت بها الحضارة الغربية فهي من فعل ثورتها الصناعية، ولولا مقاومة النظم الديمقراطية لازداد الاستعمار جنوباً، ويرجع الكاتب الفضل في كبح جماح الحروب إلى منظمات الأمم المتحدة التي يسند عليها الأمل الكبير.

ويعترف توينبي – في مرارة – أن مركز الصدارة اليوم قد خرج من أيدي الحضارة الغربية وآلَ إلى القوتين العظميين أمريكا، وروسيا، وهو يتساءل في حيرة: كيف كان ذلك ؟ وهذا السؤال بعينه، هو الذي حرك الكاتب الكبير لأن يمسك بقلمه ويغوص في سجلات الماضي السحيق عبر حضارات الإنسان لعله يستبصر كيف دخلت تلكم المجتمعات في بوابة الموت[44].

بعد هذا العرض لفلسفة التاريخ لدى توينبي هناك بعض الانتقادات[45] فيرى إسحاق عبيد ان المبادئ التي يسير عليها أرنولد توينبي في دراسته للتاريخ مبادئ مستعارة من مناهج العلوم الطبيعية التي تقوم أساساً على العلاقات الظاهرية والتي يكون فيها عمل العالم الطبيعي واضحا وسليماً فهو يفصل بخط واضح بين حقيقة وأخرى بمعنى انه لا يجب ان يحدث أي تداخل، وعلى ما يبدو فإن هذه المبادئ الخاصة بعالم الطبيعة هي نفس المبادئ التي سار عليها توينبي في دراسته للتاريخ فهو يقسم حقل الدراسة إلى وحدات أو حضارات، وتمثل كل منها تكاملاً ذاتياً.

كما أن أية حضارة من الحضارات يمكن لها في تطورها أن تأخذ أشكالاً جديدة مع بقاء بعض العناصر القديمة التي تمثل حضارة من حيث هي وقدمها، وهذا ما لا يقبله توينبي فهو يرى أن الحضارة التي تتغير تكشف عن الحياة أو تنقرض، لتحل محلها حضارة مغايرة تماماً،وما ينطبق في رأي توينبي على البعد الزماني ينطبق على البعد المكاني فنظريته تفرض فواصل مصطنعة وقاطعة بين حضارة وأخرى، وهذا يلغي مفهوم تفاعل الحضارات الواحدة مع الأخرى.

اعتمد توينبي في مصادره لدراسة التاريخ وتتبع قصة مولد الحضارة ونموها وتدهورها اعتماداً على المصادر المكتوبة ولم يتوقف لجمع مادة من آثار تلك الحضارات وفي هذا إغفال بالغ الخطورة لمن يتعرض لمولد الحضارة، ولكن لا نطالب المؤرخ بأن يكون في الوقت نفسه عالماً بالآثار، كما أن توينبي – على ما يبدو – لم يكرس هذه الدراسة لإنسان ما قبل التاريخ بقدر ما هي سجل لحضارة الإنسان التاريخي

صـــاحب الســـجلات المكتوبة وستظل دراسته إضافة عملاقة شملت قصة الحضارة منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحاضر.

كمـــا يذكر البرت حوراني في كتابه (نظرة في التاريخ) A Vision on History معلقاً على دراسة توينبي للتاريخ أنه كان واضحاً منذ البداية أن الكتاب رائع حتى عندما ينظر إليه من ناحية سطحية جـــداً باعتباره مخزناً للحقائق، فهو يضم ألواناً من الحقائق الغريبة والمشوقة حول العالم الإنساني بل أن أكثر القـــراء عرضـــة إذا نظر إلى صفحة هنا أو هناك سيخرج وقد زادت حصيلته من المعرفة وتعمق إحساسه بغرابة الحياة البشرية[46].

ومـــن الملفـــت للنظر أن توينبي كان يقدر ما يكتب عنه حتى وإن وصل الأمر إلى حد تجريحه أو النـــيل من آرائه فكثيراً ما كتب يوجه الشكر والعرفان إلى معارضيه وخصومه مؤكداً أنه يسعد بالنقد حتى ذلك النقد الذي لا يستهدف النيل من آرائه. مؤكداً أنه لا يكفي أن الناقد أعطى شيئاً من وقته واهتمامه لما كتب إذ أن تجاهل النقاد لما يكتبه المؤلف ربما يكون أشد وأقسى[47].

وأثبت توينبي مرونته واستعداده لتغيير آرائه ويكفي أن نشير إلى انه اختص المجلد الثاني عشر من دراسته، والذي يقع في 745 صفحة لمناقشة نقاده ومراجعة آرائه، وقد ذكر في مقدمته لذلك الجزء انه من الأفـــيد أن يحـــاول المرء أن يستفيد من ناقديه أكثر من أن يحاول الصراع معهم، وأن ما كتبه بالفعل كان يحـــتاج إلى إعادة نظر بسبب تزايد المعرفة والأفكار والآراء الجديدة التي تجمعت منذ بدء صدور مؤلفه عام 1934، فمـــنذ ذلك الوقت ملأت فجوات معرفتي وإضافة إلى الرحلات وزيارة أماكن لم أكن أعرفها إلا عـــلى الخـــرائط معلومات كثيرة، بالإضافة إلى ماجد من استكشافات أثرية حديثة مما لزم معه مراجعة ما كتبت[48].

الهوامش والتعليقات :

(1) : عبد العزيز الدوري : فلسفة التاريخ (عرض تاريخي) ، مجلة أعلام الفكر (الكويت) ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، اغسطس سبتمبر 1971م ، ص 65-66 ، وسيشار إليه فيما بعد الدوري : فلسفة التاريخ .

(2) : Toynbee , Arnold (Josaph) in New Encyclopaedia Britannica , 15th Edtion Encyclopaedia Britannica , Inc , Vol . 11 , p.880 ، و سيشار إليه فيما بعد : Britannica : Toynbee . ، صدقي عبدالله حطاب : أرنولد توينبي ، مجلة عالم الفكر (الكويت) ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ابريل ، مايو ، يونيو ، 1974 ، ص 292-293 ، وسيشار إليه فيما بعد ، حطاب توينبي .

(3) : حطاب: توينبي، ص193. Britannica Toynbee, 11,p880.

(4) : حطاب: توينبي، ص293. Britannica Toynbee, 11,p880.

(5) : حطاب: توينبي، ص293. Britannica Toynbee, 11,p880.

(6) : فؤاد محمد شبل: توينبي مبتدع المنهاج التاريخي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص13، وسيشار إليه فيما بعد شبل: توينبي.

(7) :حطاب: توينبي، ص295-296.

(8) :حطاب: توينبي، ص296.

(9) : Arnold Toynbee: A study of History vols. 1-12, the Royal Institute of International Affairs, Oxford university press, 1979, وسيشار إليه فيما بعد Toynbee: A study

(10) : محمود زايد: سيرة الفكرة التاريخي عند توينبي، في كتاب بحوث مهرجان المؤرخ توينبي اشرف على اعدادها وطبعها عالية احمد سوسة، هاشم صالح التكريتي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 139، ص ص63-75، وسيشار إليه فيما بعد، زايد: سيرة الفكر. Britannica: Toynbee, vol, 11p. 880, vol, 93, vol.25,p. 689,691.

(11) : توينبي، أرنولد: مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، ج1، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ،القاهرة، ط1966،2م ، ص ص3-20، وسيشار إليه فيما بعد توينبي: مختصر.

(12) : الدوري : فلسفة التاريخ، ص78، عبيد ، إسحاق : معرفة الماضي من هيردوت إلى توينبي، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، ص120، Toynbee: A study, vol. I,pp34-35

(13) : الدوري: فلسفة التاريخ، ص78، عبيد: معرفة الماضي، ص121، Toynbee: A study, vol. I,p35-

(14) : الدوري: فلسفة التاريخ، ص78، عبيد: معرفة الماضي، ص121، Toynbee: A study, vol. I,p36-

(15) : عبيد: معرفة الماضي، ص 121، Toynbee: A study, vol. I,p43

(16) : عبيد: معرفة الماضي، ص 121، Toynbee: A study, vol. I,p44

(17) : عبيد: معرفة الماضي، ص 122، Toynbee: A study, vol. I,p48

(18) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص122-123، Toynbee: A study, vol. I,pp61-62

(19) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص 123-124، Toynbee: A study, vol. I,p56

(20) : عبيد: معرفة الماضي، ص 125.

(21) : عبيد: معرفة الماضي، ص 125، Toynbee: A STUDY , vol. I,p62

(22) : عبيد: معرفة الماضي، ص 125-126. Toynbee: A STUDY , vol. I,pp90-129.

(23) : الدوري: فلسفة التاريخ ، ص ص 78-79.

(24) : عبيد: معرفة الماضي، ص 126-127، Toynbee: A STUDY , vol. I,p1-2

(25) : عبيد: معرفة الماضي، ص 127، Toynbee: A STUDY , vol. I,p31

(26) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص127-128.

(27) : عبيد: معرفة الماضي، ص 128، Toynbee: A STUDY , vol. I,p133

(28) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص 128-129، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp209-210.

(29) : عبيد: معرفة الماضي، ص 134-135، Toynbee: A STUDY , vol. I,p216

(30) : عبيد: معرفة الماضي، ص 135، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp220-222

(31) : Toynbee: A STUDY , vol. I,pp248-332.

(32) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص136-137.

(33) : عبيد: معرفة الماضي، ص 136، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp5

(34) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp5

(35) : عبيد: معرفة الماضي ، ص137.

(36) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp133

(37) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137.

(38) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137.

(39) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137-138.

(40) : عبيد: معرفة الماضي، ص 139.

(41) : عبيد: معرفة الماضي ، ص140.

(42) : عبيد: معرفة الماضي ، ص141.

(43) : عبيد: معرفة الماضي، ص142.

(44) : عبيد: معرفة الماضي، ص 142.

(45) : عبيد: معرفة الماضي ، ص ص 134-146.

(46) : جمال زكريا قاسم: ارنولد توينبي وناقدوه ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، العدد 9 ــ 1978، ص222، وسيشار إليه فيما بعد قاسم: توينبي.
(47) : قاسم: توينبي ، ص 223.
(48) : قاسم: توينبي ، ص 224.

المراجـــع

أولاً : الكتب العربية:

(1) : زايـد، محمود: سيرة الفكر التاريخي عند توينبي في كتاب بحوث مهرجان المؤرخ توينبي، أشرف على إعدادها وطبعها عالية احمد سوسة، هاشم صالح التكريتي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1399هـ-1979م، ص ص60-75.

(2) : سوسة، عالية أحمد، التكريتي، هاشم صالح (إشراف على الإعداد والطبع): بحث مهرجان المؤرخ توينبي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1399هـ-1979م.
(3) : شبل، فؤاد محمد: توينبي مبتدع المنهاج التاريخي الحديث،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1975م.
(4) : عبيد، إسحاق: معرفة الماضي من هيردوت إلى توينبي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1981.

ثانياً: الدوريات العربية:

(5) : حطـاب، صدقي عبد الله: ارنولد توينبي، مجلة عالم الفكر (الكويت) ابريل، مايو، يونيو، 1974، ص ص289-310.
(6) : الـدوري، عبد العزيز: فلسفة التاريخ (عرض تاريخي) مجلة عالم الفكر (الكويت) المجلد الثاني، العدد-الثاني أغسطس-سبتمبر 1971، ص ص65-83.
(7) : شـبل، فـؤاد محمد: فلسفة التاريخ عند توينبي، مجلة المجلة (القاهرة) العدد 58، السنة الخامسة، جمادى الثاني - نوفمبر 1961، ص ص18-23.
(8) : شـبل ، فؤاد محمد : التحدي والاستجابة في دراسة توينبي، مجلة الفكر المعاصر (القاهرة) السنة الأولى، العدد 1، 1965، ص ص36-44.
(9) : قاسـم، جمـال زكريا: ارنولد توينبي وناقدوه ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة) العدد 9، 1978، ص ص221-224.

ثالثاً: الكتب المترجمة:ـ

(10) : توينبـي أرنولد: مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الدول العربية، القاهرة، ط1966،2.

(11) : ويدجيري، البان: المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، 1972.

رابعاً: الكتب الأجنبية:

Toynbee, Arnold
(12) : A study of History vols 1-12, the Royal Institute of International Affairs, Oxford university press, 1979.

خامساً: دائرة معارف:

(13) :Toynbee, Arnold (Joseph)
In the new enculopaedia Britannica, 15th Edition, Enlyclopaedia Britannica, Inc, vol. 11,p.880, Vol. 23,p.190, Vol. 25, pp. 689, 691.

أثيوبيا والصراع العربي و الصهيوني حول البحر الأحمر

1948 -1993

د.حميد دولاب حنيدان *

المقدمة :

يعتبر البحر الأحمر منذ القدم من أهم بحار العالم مكانة لما يتمتع به من أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية وتجارية وتنبع هذه الأهمية من كونه أقصر الطرق المائية التي تصل بين الشرق والغرب ، فهو يصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والبحر العربي والمحيط الهندي ، الأمر الذي دفع بالدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا وفرنسا إلى احتلال المنطقة المحيطة بالبحر الأحمر للتحكم بمصائر ومقدرات شعوبها . فضلاً عن وجود العدد الكبير من الجزر ذات المواقع الاستراتيجية في البحر الأحمر ، فهو غني بالمعادن المختلفة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد الخام والرصاص والكروم والزنك ، ناهيك عن الثروة السمكية الطائلة الموجودة فيه .

لقد أصبح البحر الأحمر منذ الثلاثينيات من هذا القرن يؤدي وظيفة جديدة غاية في الأهمية ألا وهي نقل الذهب الأسود (النفط) من منابعه في الخليج العربي إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكذلك نقل المنتجات الغربية إلى البلدان الواقعة على حوض البحر الأحمر وخاصة البلدان العربية التي تعتمد اعتماداً كلياً على هذه المنتجات وبعد قيام دولة إسرائيل عام 1948 ازدادت حدة التوترات الإقليمية في هذه المنطقة بعد الحروب العربية الإسرائيلية (الحرب الأولى عام 1948م التي انتهت بهزيمة العرب واحتل الكيان الصهيوني فيها جزيرتي تيران وصنافير المتحكمتين في مداخل خليج العقبة واحتل

---

* استاذ مشارك / قسم التاريخ / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار .

الكيان الصهيوني منطقة شرم الشيخ في 29 أكتوبر 1956م تمهيداً لشن العدوان الثلاثي على مصر ، واضطر الكيان الصهيوني إلى الانسحاب منه في 10مارس 1957م بعد الإنذار الذي وجهه الاتحاد السوفيتي لدول هذا العدوان ، بعد أن تم السماح لهذا الكيان بالملاحة في خليج العقبة وقامت إسرائيل في 5حزيران 1967م بعدوانها الشهير الذي نتج عنه احتلال سيناء والجولان وما تبقى من أرض فلسطين ، وحرب أكتوبر عام 1973م) التي أصبح البحر الأحمر بعدها مسرحاً للصراعات الإقليمية والعالمية وأدت إلى قيام العديد من التحالفات في هذه المنطقة بين معاد لإسرائيل ومؤيد لها ودخول الدول العظمى طرفاً في هذه الصراعات وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق للدفاع عن مصالحها في هذه المنطقة الغنية بالبترول وتعد أثيوبيا طرفاً في هذا الصراع الدائر من أجل الهيمنة على البحر الأحمر كونها الدولة الثانية غير العربية بعد إسرائيل التي تطل على البحر الأحمر ، التي منذ قيام دولة إسرائيل بدأت توثق علاقتها معها يوماً بعد يوم انطلاقاً من أهداف جيوبوليتيكية واستراتيجية لمنع العرب من السيطرة على البحر الأحمر وجعله بحيرة عربية ، وهي بذلك تلتقي ليس فقط مع إسرائيل وإنما مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد عملت أثيوبيا الكثير بالضد من المصالح العربية في منطقة البحر الأحمر من أجل الهيمنة الإسرائيلية على هذا الممر المائي المهم فهي لن تكتفي بوضع سواحلها وموانئها تحت تصرف إسرائيل بل سهلت الوجود العسكري الإسرائيلي في البحر الأحمر وساعدت على بناء قواعد المراقبة والاستطلاع الإسرائيلي الموجهة ضد العرب أصلاً . مسوّغة ذلك بسبب الدعم العربي لإرتيريا ومساندتها من أجل الانفصال والاستقلال عن أثيوبيا قبل استقلالها وفي سنوات الثمانينات من القرن العشرين انتهجت أثيوبيا سياسة الانفتاح العلني والرسمي مع إسرائيل بتوقيعها العديد من الاتفاقيات والصفقات الاقتصادية والعسكرية معها التي تسمح لإسرائيل بالتصرف في أراضيها وموانئها ومطاراتها ، والتي كان من أبرز نتائجها صفقة تهجير اليهود الفالاشا تحت غطاء أمريكي إلى إسرائيل .

الملامح الجغرافية للبحر الأحمر

يمتد البحر الأحمر ما بين السويس شمالاً ، وباب المندب جنوباً ، ويبلغ طوله حوالي 2000كم ويتراوح اتساعه ما بين 20 و 304 كم ، عمقه لا يزيد عن 1000 قدم[2] .يضم البحر الأحمر حول سواحله ، ثماني دول هي : مصر – السودان – جيبوتي – أثيوبيا – إسرائيل – الأردن – السعودية واليمن.

وتشكل السواحل العربية من الناحية الجغرافية 90.2% من مجموع سواحل البحر الأحمر ، بما في ذلك خليج عدن [3] . وعلى هذا الأساس فالبحر الأحمر يقع في مركز الكتلة العربية ، من الناحية الجغرافية . وأن هذه السواحل العربية المترامية الأطراف تشكل ثروة غنية تجعل من البلدان العربية محط أنظار الدول الاستعمارية التي لا تخفي عن نواياها في إخضاع هذه المنطقة لسيطرتها ومن هذا المنطلق فهي

تولي أهمية كبيرة لإقامة مختلف الوشائج والعلاقات مع بلدانها من خلال توقيع الاتفاقيات الجائرة بحق شعوب هذه المنطقة التي تستطيع من خلالها نشر قواعدها العسكرية في هذه البلدان ونشر أساطيلها العدوانية في مياهها الإقليمية التي تشكل بوجودها العسكري بؤرة توتر وخطرا دائما يهدد أمن المنطقة وسيادتها بشكل دائم . ناهيك عن الهيمنة على مقدرات المنطقة والتصرف بمواردها الطبيعية وفرض الرقابة على حركة الملاحة في مياهها الإقليمية . ومثالا على هذه الاتفاقيات تلك الاتفاقيات الجائرة والطويلة الأمد التي وقعتها المملكة العربية السعودية مع الولايات المتحدة الأمريكية واضعة بذلك أطول مسافة من سواحل البحر الأحمر تحت تصرف أمريكا وحلفائها الذين لن يترددوا لحظة واحدة عن نهب خيرات المنطقة وثرواتها البحرية وإحكام السيطرة عليها وكذلك الاتفاقيات التي وقعتها الدول العربية الخليجية مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية عشية حرب الخليج الثانية وبعد هذه الحرب التي وصلت مبيعاتها من الأسلحة إلى هذه الدول وخاصة الكويت مليارات الدولارات .

جدول رقم (1)
يوضح توزيع سواحل البحر الأحمر

البلد	طول السواحل (بالميل)	النسبة المئوية
السعودية	1125	36
مصر	898	28.8
أثيوبيا	425	15.6
السودان	309	9.8
اليمن	275	8.6
جيبوتي	25	0.7
الكيان الصهيوني	7	0.2
الأردن	5	0.1

(4)

جدول رقم (2)
توزيع الجزر في البحر الأحمر

البلد	عدد الجزر	أهم الجزر
السعودية	144	فرسان
أثيوبيا	126	دهلك ، فاطمة ، حالب ، دوميرا
اليمن	41	بريم ، حنيش الكبرى ، قمران ، زقر
السودان	36	سواكن
مصر	26	شدوان ، صنافير ، كمران
جيبوتي	6	سيبا ، موليله

(5)

وتحتوي مياه البحر الأحمر على 380 جزيرة بعضها آهل بالسكان والبعض الآخر خال أو مهجور بسبب وعورة طبيعتها البركانية أو المرجانية .[6] لكنها مستخدمة للأغراض العسكرية لمواقعها الاستراتيجية التي تشكل منطلقات للسيطرة على الملاحة ونقاط المراقبة في البحر الأحمر .[7] وأهم هذه الجزر تلك الجزر الواقعة في المناطق الضيقة من البحر الأحمر وعند باب المندب توجد جزيرتا بريم ومولية الواقعتان داخل المضيق . وتليهما في الأهمية جزيرتا تيران وصنافير الواقعتان عند مدخل خليج تيران المفضي إلى خليج العقبة . وتقع جزر جوبال عند مدخل خليج السويس وأكبرها جزيرة شدوان .

فجزيرة بريم قاحلة ، تتخذ شكل الهلال وهي مليئة بالصخور البركانية وتفتقر إلى المياه إذ إن نسبة سقوط الأمطار فيها سنويا لا تتجاوز 2.0 بوصة ومتوسط الحرارة فيها خلال أشهر الصيف تبلغ 90 درجة فهرنايتية . وطول هذه الجزيرة الهلالية ثلاثة أميال وعرضها ميلان وتبلغ مساحتها ستة أميال مربعة وتحتوي مرفأ صغيرا عند طرفها الجنوبي الغربي . وتتميز بريم بموقعها الذي يتيح التحكم في البحر الأحمر من جهة الجنوب .[9]

أما جزيرة حالب فتقع في خليج عصب عند الطرف الجنوبي من الساحل الإرتيري . وهي تلي بريم في كونها أقرب الجزر إلى مضيق باب المندب . وفي شمال جزيرة حالب تقع جزيرة فاطمة فيما يقع أرخبيل حنيش شمال حالب بين سواحل اليمن الشمالي وإرتيريا عند خط عرض 13 شمالا وخط 12 شرقا. وأكبر الجزر المأهولة في هذه البقعة هي جزيرة حنيش الكبرى . وجزيرة زقر تقع عند خط عرض 14 شمالا على بعد حوالي 20 ميلا من سواحل اليمن الشمالي و65 ميلا عن سواحل أرتيريا .[10]

وتتميز جزيرة زقر بأهمية استراتيجية كبيرة بفضل ارتفاعها الذي يتيح إمكانية المراقبة والرصد للنشاطات البحرية التي تجري في المياه المحيطة بها ، وهناك جزيرة أبو عيل وهي جزيرة صغيرة جداً وتبعد عن زقر بأقل من ميل واحد إلى الشمال الشرقي . وهناك أيضاً جزيرة قمران التي تبعد حوالي 45 ميلا شمال ميناء الحديدة اليمني ، وحوالي 200 ميل عن جزيرة بريم وتبلغ مساحة قمران 35 ميلا مربعاً ومواطنوها يمنيون . أما جزر الزبير فتقع عند خط عرض 15 شمالا وخط طول 42 شرقا ملاصقة للساحل اليمني ، ونجد كذلك أرخبيل دهلك القريب من مصوع ويتكون من جزيرتين رئيسيتين و 124 جزيرة صغيرة .[11]

وأكبر هذه الجزر هي دهلك ومساحتها 290ميلاً مربعاً وطولها 40ميلاً . وتليها جزيرة نورة ومساحتها 50 ميلاً مربعاً وتقع جزر فرسان قرب جيزان في السعودية عند خط عرض 17شمالاً وخط طول 42 شرقا ، وأكبرها فرسان الكبرى التي يبلغ طولها 40ميلاً .[12]

أما جزيرة صنافير فتقع على بعد ميل ونصف شرقي جزيرة تيران ، وكلتاهما في مضايق تيران ، في حين أن جزيرة شدوان هي أكبر الجزر الواقعة عند مدخل خليج السويس قرب الغردقة وطولها حوالي تسعة أميال .[13]

وتمثل مساحة الأرض العربية من مجموع مساحة هذه الجزر حوالي 66.8% أي القسم الأكبر من هذه الجزر أرضا عربية .[14] ولكن للأسف أن هذه المساحة الكبيرة من الجزر لم تستثمر من قبل

البلدان العربية وبشكل خاص الأنظمة العربية بالشكل الذي يتناسب مع موقع هذه الجزر وأهميتها الجغرافية والاقتصادية والعسكرية . مقارنة بما تقوم به إسرائيل من نشاطات اقتصادية وعسكرية على أرض ليست لإسرائيل صلة بها بل كل ما في الأمر عقدت اتفاقيات سرية أو علنية مع مالكيها وشيدت عليها العديد من القواعد العسكرية ومحطات المراقبة والتنصت والتجسس كل هذا شيد على جزر الدهلك الأثيوبية التي سنتناولها في هذا البحث لاحقاً .

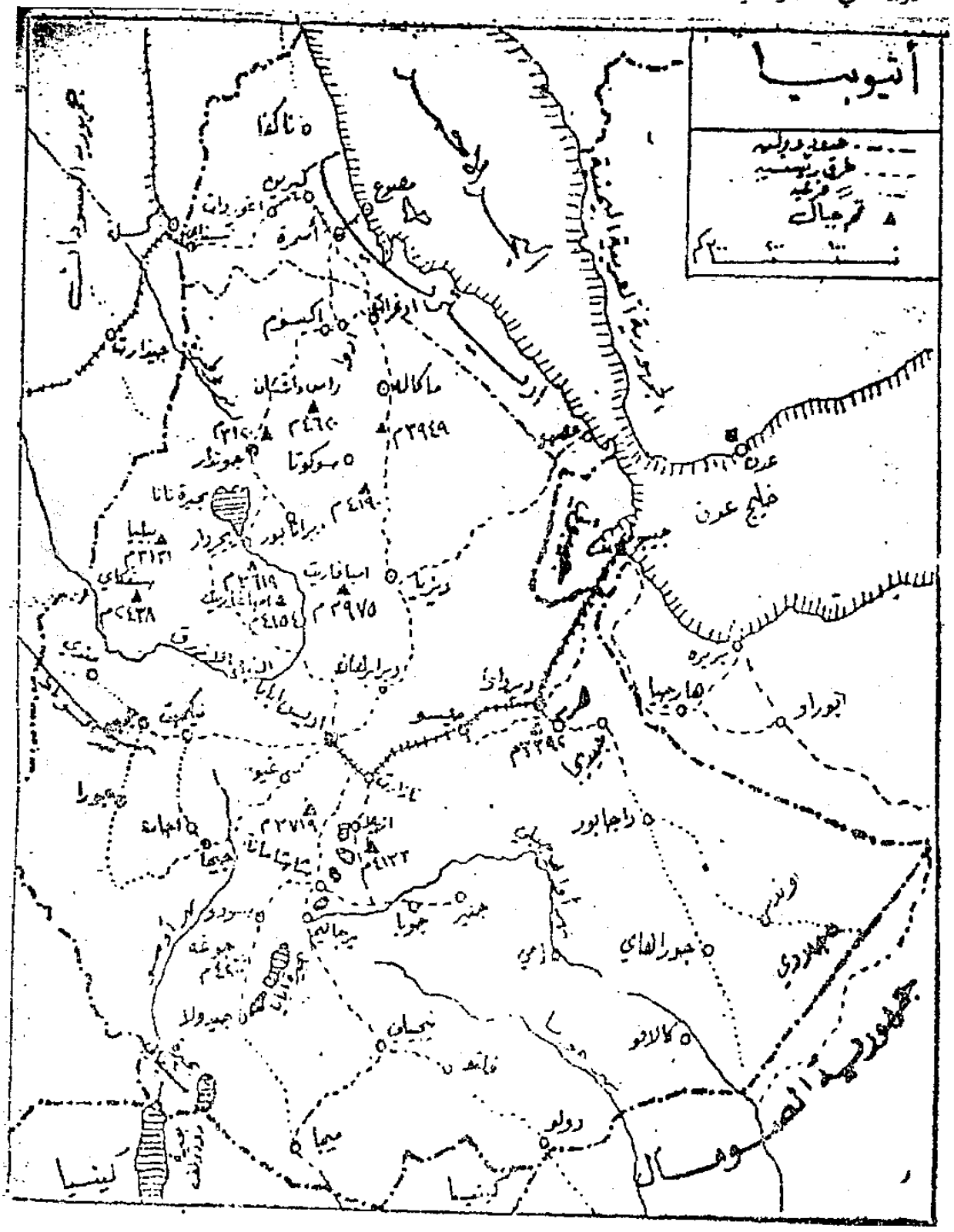

الأهمية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للبحر الأحمر :

على الرغم من أن امتداد البحر الأحمر يمثل هذا العدد المعروف من الجزر فضلاً عن الأخرى غير المعروفة وعلى الرغم من كثرة الشعاب المرجانية على شطئانه وانحصار المجرى الملاحي في وسط مياهه بشكل يحيل الملاحة فيه إلى ملاحة خطيرة تحتاج إلى ملاحين مهرة ، يحفظون ممرات البحر وشعابه . على الرغم من كل ذلك فقد كان البحر الأحمر يمثل أعظم طرق المواصلات البحرية في العالم وخاصة بين الشرق والغرب . ومنذ العصور السحيقة اكتسب هذا البحر أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية . وذلك عرف القدماء فيه ميزة الربط بين الساحل الأسيوي عند شبه الجزيرة العربية والساحل الأفريقي عند مصر إلى شمال أفريقيا وعند السودان والصومال إلى قلب القارة السوداء .

ويقول المؤرخون إن أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية والميزات السياسية والاقتصادية عرفت منذ أربعة آلاف سنة تقريبا وربما خلال الألف الثانية قبل الميلاد [15] . ولقد كانت الريادة في كشف أهمية الإبحار عبر هذا البحر تعود للفراعنة وبالذات إلى أسطول الملك حتشبسوت الذي أبحر في مياهه لبلوغ بلاد البنوت عند القرن الأفريقي (الصومال وإرتيريا) لجلب العطور والبخور والأخشاب منذ عشرين قرناً قبل الميلاد [16]. ثم اختراق الفراعنة جنوباً حتى بلغوا بلاد الهند بقصد التجارة في العطور والتوابل وغيرها من منتوجات الشرق في الألف السنة الأولى قبل الميلاد . واتسعت بعد ذلك فائدة البحر الأحمر كواسطة للنقل البحري لنقل شتى أنواع التجارة من اليمن والهند وشرق أفريقيا التي تشق طريقها حتى حوض البحر المتوسط ثم أوروبا الغربية .

ويعود الفضل في تحديد معالم الملاحة وتنظيمها وتحديد المسالك التي يمكن الإبحار من خلالها إلى الفينيقيين وهم أشهر وأمهر الملاحين في عصور ما قبل التاريخ وخاصة من خلال رحلاتهم الجغرافية الاستكشافية للشواطئ الأفريقية الطويلة قبل الميلاد بأكثر من خمسمائة عام على الأقل[17] .ومنذ فتح قناة السويس عام 1869 زادت أهمية البحر الأحمر كممر دولي يتوسط بلاد الشرق الأوسط ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية الكبيرة في حلبة التنافس بين الدول الاستعمارية الكبرى . وفي الوقت نفسه تفاقمت حدة الصراعات وأخذت مظاهر مختلفة ، منها الثقافي والإيديولوجي والاقتصادي والعسكري .

إن أهمية البحر الأحمر والصراع المحتدم عليه ليست جديدة بل ترجع إلى عشرات القرون سواء أكانت الصراعات بين الشعوب القديمة في مصر والجزيرة العربية وسواحل أفريقيا ، أم بين دويلات العصور الوسطى أم بين إمبراطوريات الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر المتمثلة في بريطانيا وفرنسا والبرتغال وأسبانيا ، أم تلك الصراعات التي كانت دائرة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق . فالبحر الأحمر بمدخله الشمالي عند قناة السويس ، وبمدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي ظل وسيظل يلعب دور محور الصراع في هذه المنطقة من العالم .

فما من ممر مائي كان سببا في الصراعات المستمرة بين أكثر الأنظمة الحاكمة وفي التدخل السافر في شئون المنطقة أكثر مما كان البحر الأحمر .

إن الخـواص الاسـتراتيجية لهذا البحر ، ظلت على مر التاريخ عامل جذب لاهتمام قوى مختلفة ومتصارعة ، ما لبث أن دخلت في غمار مناورات ومنافسات وصراعات ومنازعات مسلحة في إطار سعي كـل منها إلى تحقيق أهداف اقتصادية وعقائدية وسياسية وعسكرية واستراتيجية عن طريق السيطرة على المـنطقة بأكمـلها . فـإذا كان البحر الأحمر يشكل بحكم موقعه الاستراتيجي أقصر ممر مائي بين الشرق والغـرب ، فهو أيضا مصدر للصراعات الإقليمية والدولية . وبفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية بكميات تجارية كبيرة وبفعل الحاجة الماسة للنفط في أوروبا وأمريكا أصبح البحر الأحمر بكل مميزاته وخصائصه الجيبولتكية أخطر محاور الصراع الدولي وملتقى أهم نقاط التحكم الاستراتيجي باعتباره حامل البـترول والشريان الذي ينقل 70% من بترول الخليج المتدفق إلى أوروبا وأمريكا[18] . ومصير التجارة الأساسـية ومجال تدفق القوة العسكرية ما بين البحر المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهادي والمحيط الهندي .

وهكـذا نلاحظ أن البحر الأحمر ومنذ اللحظة الأولى لاكتشاف الملاحة فيه وحتى يومنا هذا كان محـورا للصراعات الإقليمية والدولية ، فالمستفيدون من تجارة الشرق كانوا يحمون أمن طريق هذه التجارة بأسـاطيلهم وجيوشهم التي احتلت العديد من البلدان الواقعة على هذا البحر ، والمستهلكون للبترول بين الشـرق والغرب الأوروبي الأمريكي بأي ثمن حتى ولو كان حياة تلك الشعوب التي تملك هذا البترول ، إنهـم لـن يـترددوا عن إشعال الحروب الإقليمية أو المحلية أو حملات تأديب وردع عسكرية ومناورات عسـكرية أو أعمـال إرهابـية أو تدخل سافر بشئون هذا البلد أو ذلك إلى حد الاحتلال الاستعماري والسيطرة التامة عليه ، كما يجري اليوم في منطقة الخليج والجزيرة العربية والعراق وإيران التي تعد أضخم مـناطق إنـتاج البـترول واحتياطه في العالم ولذلك فهي قابلة للاشتعال الفوري في أية لحظة تتعرض فيها مصـالح الدول الغربية الصناعية الكبرى الاستعمارية للخطر وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد نفسها صاحبة " الحق الأول " في بترول هذه المنطقة ، فهي صاحبة شركات التنقيب والإنتاج والنقل وهي سوق الاستهلاك والاحتكار العالمي . لهذه السلعة الاستراتيجية وهي التي تحدد سعرها في السوق العالمية .

ومـا حـرب الخليج الثانية التي شهدت أكبر عدوان سافر قامت به الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ضد العراق وأوسع تدخل شهدته المنطقة بأكملها تحت ذريعة تحرير الكويت ، التي كانت ذريعة واهية لتدمير القدرات العسكرية والاقتصادية والحضارية والعمرانية للعراق إلا دليل قاطع على هذا النهج العدواني الأمريكي في هذه المنطقة الغنية بمواردها ، إن أمريكا لن تبالي لو دمر العراق ودمر الكويت وقتل مئات الآلاف من العراقيين والكويتيين كما حصل ولن تمتم لو كان على رأس دولة الكويت أميرا أو ملكا أو رئيسا ، كل ما في الأمر أن ما يهمها وتقوم قائمتها عليه هو لو تعرض برميل واحد من النفط للحرق أو الدمـار فما بالك أن تعرضت مئات الآبار للحرق والدمار . إنها أمريكا لا غيرها جعلت من العراق ومن الكويـت مسرحا لتجريب أحدث الأسلحة العسكرية وآخر مبتكراتها التكنولوجية الحربية من أجل حماية وسـلامة وصـوله من الخليج عبر مضيق هرمز إلى خليج عدن فباب المندب إلى البحر الأحمر ، إنه السيد النفط .

بعد تناولنا في بحثنا هذا وبشكل عام الملامح الجغرافية والأهمية الاستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية للبحر الأحمر باعتباره الشريان الذي يغذي العالم الأوربي والأمريكي بالذهب الأسود ، الذي ينبع من بلدان الخليج والجزيرة العربية والعراق وإيران . نتناول الآن جانبا من أهم جوانب الصراعات الدائرة والمتعددة والهادفة وإن اختلفت أشكالها إلى السيطرة على هذا الممر المائي العظيم . ألا وهو موقف أثيوبيا من الصراع العربي الإسرائيلي حول البحر الأحمر .

موقف أثيوبيا من الصراع العربي الإسرائيلي :

يعود الصراع العربي الإسرائيلي حول البحر الأحمر إلى عام 1949م عندما قامت القوات الإسرائيلية بخرق اتفاقية الهدنة التي فرضها مجلس الأمن الدولي واحتلت مدينة أم الرشراش العربية وأسست لنفسها وجودا في خليج العقبة وأطلق على أم الرشراش أسم ميناء أيلات عام 1952م . بدأت إسرائيل بتحقيق هذا الوجود على البحر الأحمر لتأمين صلتها مع العالم الخارجي واستخدامه لتحقيق مصالحها العسكرية والاقتصادية والسياسية . خطوة أولى باتجاه السيطرة على البحر الأحمر ذاته ومن أجل هذا الهدف بدأت باحتلال الأراضي العربية في الجزء الشمالي واحتلال الجزر الواقعة في الجزء الجنوبي من المنطقة [19] .

إن اهتمام إسرائيل بالبحر الأحمر وسعيها للسيطرة عليه هو جزء من توجهها العام الذي يرتبط بسياستها التوسعية الاحتلالية التسلطية هذا من جانب ومخاوف إسرائيل من أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية وذلك أن أغلب الدول الواقعة على سواحله هي بلدان عربية وكونه الشريان الناقل والأقرب من بحيرة النفط في الخليج والجزيرة العربية ، فليس من مصلحة إسرائيل أن تحكم البلدان العربية قبضتها على منافذ البحر الأحمر والسيطرة على الملاحة فيه وغلق الباب بوجه التجارة والملاحة الإسرائيلية من جانب آخر .

لقد كتب " كاتسنلسون " المحرر في صحيفة حيروت الإسرائيلية عام 1949م قائلا : (نحن نملك أسطولا بحريا ضخما ، يعمل في مرافئ العالم كافة ، وسيرتفع عدده عام 1956م ، ولذا فعلينا أن نعد العدة لمستقبل تستطيع فيه أساطيلنا البحرية والحربية ، أن تحطم الحصار العربي ، المفروض علينا وأن نفرض الحصار بدورنا على بعض الدول العربية بشكل أقوى مما فرضوه علينا .. أي باختصار مطلوب منا أن تكون لدينا خطة نستطيع عن طريقها أن نحول البحر الأحمر إلى بحيرة يهودية بالتدريج)[20] .

إن الكيان الصهيوني وبعد إنشاء ميناء إيلات على البحر الأحمر ، عدّ النفاذ إلى القارة الإفريقية عبر الرئة الثانية التي يتنفس منها وهي البحر الأحمر مسألة غاية في الأهمية وذلك للحصول على امتيازات سياسية واقتصادية واستراتيجة في القارة الإفريقية ، وقد أكد هذه الحقيقة رئيس وزراء الكيان الصهيوني الاسبق دافيد بن غوريون حيث قال بمناسبة افتتاح ميناء أيلات ، وبدء تسيير الخط البحري مع أقطار شرق أفريقيا :" إن العلاقات مع أفريقيا تحتل المرتبة الأولى مع علاقات إسرائيل الخارجية مع العالم نظراً لقرب موقعها الجغرافي ، ولما تكتنزه هذه القارة من مواد خام تحتاج إليها ولما تشكله من سوق ضخمة

تحتاجها لتصريف منتجاتها ومجالاً لممارسة مختلف النشاطات ، ونقل تجاربنا في مجالات الزراعة وإحياء القفار وإعمار المناطق الصحراوية لتلك الأقطار "[21] .

ويواصل بن غوريون التعبير عن اهتمامه بالبحر الأحمر عندما قال : " أنني أحلم بأساطيل داؤود تمخر عباب البحر الأحمر . وقال أيضاً إننا محاصرون براً والبحر هو طريقنا الرئيسي ، للمرور الحر إلى يهود العالم وللاتصال بالعالم "[22] وقد ترجم الزعماء الصهاينة الذين خلفوا بن غوريون على قيادة الحركة الصهيونية هذه الأقوال إلى حقيقة بإقامة ميناء أيلات عام 1949م في خليج العقبة ، وأقاموا علاقات وثيقة مع أثيوبيا (أكبر دولة في القرن الأفريقي) في عهد زعيمها هيلاسيلاسي ، حيث استفادوا منها كثيراً كما شهدت الأيام فيما بعد .

ترتبط أثيوبيا تاريخيا بقيام أول دولة سياسية تتمثل في مملكة اكسوم بشمال هضبة الحبشة التي ترجع إلى القرن الأول الميلادي . وشعب هذه المملكة تكون من اختلاط الكوشيين والساميين الذين عبروا البحر الأحمر منذ فجر التاريخ المعروف[23] . وقد أصبحت هذه المملكة مسيحية في عام 330 م وظلت محتفظة بمسيحيتها حتى بعد انتشار الإسلام وإحاطة البلدان الإسلامية بها [24] . تضم أثيوبيا داخل حدودها خليطا معقدا ومختلفا من الأعراق والأديان واللغات وهذا يعود في الأساس إلى سعة هذه الإمبراطورية وتعدد الأقاليم السكانية فيها .

تضم أثيوبيا حالياً ما يقرب من 70 مجموعة عرقية ، تتمثل بصفة أساسية في عدة مجموعات رئيسة فهنالك مجموعة الأمهريين والتيجريين الذين يشكلون ما يقرب من 35 % من مجموع السكان ومعظمهم يرتكز في الشمال والوسط ، وهم يرجعون إلى أصول سامية ويؤلفون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة في البلاد[25] .

وهناك مجموعة الجالا الذين يشكلون ما يقارب 40 % من مجموع السكان ويتركزون في الجنوب وعلى السفوح الدنيا في الوسط وعلى الحدود الغربية للمنطقة و توجد عناصر الشانجالا الذين يشكلون ما يقرب من 6% من السكان . ونفس النسبة يشكلها الصوماليون والدناكل الذين يتركزون في الأقاليم الجافة الشرقية والجنوبية الشرقية . فضلاً عن ذلك تنتشر القبائل النيلية على الحدود السودانية في الركن الجنوبي الغربي من البلاد[26]. كما توجد قبائل الفالاشا [27] ، أو اليهود السود الذين يعيشون في منطقة سمين شمال بحيرة تانا وقبائل البجه في الطرف الشمالي من البلاد وقبائل اجايو في وسط الهضبة ، فضلا عن مجموعة قبائل سيدامو على السفوح الجنوبية لهضبة الحبشة . هذا فضلاً عن الأقليات والجاليات العرقية الأخرى كالعرب والأرمن واليونان والإيطاليين والهنود وغيرهم .

ويوجد في أثيوبيا ما يقرب من 50 لغة ولهجة ، ومعظم هذه اللغات واللهجات تنتمي إلى الشعبة السامية والحامية التي تتفرع من مجموع اللغات الأفرو أسيوية [28] .

إن أثيوبيا الإمبراطورية منذ عصر منليك الثاني جد هيلاسيلاسي (1889 – 1913) مرورا بعصر هيلاسيلاسي ثم أخيراً عصر منغستو هيلا مريام وحتى يومنا هذا ، كانت وما زالت تؤكد اهتمامها

الاستراتيجي بالإطلال على باب المندب وتمسكها بالساحل الأرتيري المطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي المتمركز فوق القرن الأفريقي[29].

لقد وجدت إسرائيل في أثيوبيا الصديق التقليدي والدولة غير العربية الوحيدة المطلة على البحر الأحمر وجاءت المصالح السياسية والعسكرية والاقتصادية لتضع أثيوبيا وإسرائيل في جبهة واحدة لمواجهة الجبهة العربية المعادية .

وكذلك وجدت أثيوبيا هي الأخرى نفسها في موقف التعاطف والإلتقاء الاستراتيجي مع إسرائيل لأسباب مختلفة أهمها البعد التاريخي للعلاقات بين ممالك الحبشة القديمة و اليهود وأخطرها التقاء الطرفين في مواجهة السياسة العربية

ومما عجل بسرعة الالتقاء بين أثيوبيا وإسرائيل الدعم المباشر أو غير المباشر الذي قدمته الدول العربية لأرتيريا والصومال في حربهما ضد أثيوبيا من أجل الاستقلال .

مراحل التعاون الإسرائيلي الأثيوبي :

من خلال دراستنا لتاريخ العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية يمكننا تحديد مرحلتين أساسيتين للتعاون بين البلدين :

المرحلة الأولى : 1948م ـ 1974م :

وتمتد هذه المرحلة منذ قيام الكيان الصهيوني عام 1948م وحتى عام 1974م ، أي خلال فترة حكم الإمبراطور هيلاسيلاسي الذي حكم أثيوبيا من عام 1930م حتى عزله في 12سبتمبر عام 1974م بسبب المعارضة الشديدة له وخاصة في العشر سنوات الأخيرة من حكمه لفشله في حل المشاكل الخطيرة التي واجهت أثيوبيا مثل الجفاف والمجاعة التي شهدتها البلاد عام 1973م ، ثم اغتياله في ظروف غامضة بعد أحد عشر شهراً من عزله [30] .

وقد شهدت سنوات الخمسينات من حكم هيلاسيلاسي اهتماماً كبيراً من قبل الكيان الصهيوني وخاصة في المجال العسكري والاقتصادي ، فقد صرح عام 1952م موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي بأن أمن أثيوبيا وسلامتها هو الضمان لإسرائيل وخاصة في منطقة البحر الأحمر ، ومنذ عام 1952م فضلاً عن تدريب العسكريين قامت إسرائيل بمشروعات إنمائية في مجال الزراعة وصناعة اللحوم في منطقة أرتيريا [31] . جاء بعد ذلك الاعتراف الدبلوماسي الأثيوبي بإسرائيل عام 1956م ، إذ تبادل الطرفان التمثيل القنصلي الذي رفع إلى درجة سفارة عام 1961م وتم تبادل السفراء فعلاً في عام 1962م [32] .

نشأت العلاقة بين إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسي والكيان الصهيوني على أرضية تاريخة قديمة يعود عهدها إلى الماضي البعيد ، ويدعي مؤرخون صهاينة أن العلاقات الصهيونية الأثيوبية لها جوانب دينية وتاريخية ، فالحبشة كانت في الماضي السحيق مركزاً مهماً للديانة اليهودية بعد أن اعتنق الأحباش هذه الديانة التي انتقلت من اليمن واتخذت هذه العلاقة بعداً تاريخياً آخر في عهد الملك سليمان عندما تزوج

ملكة سبأ ، ولا تزال هناك قبائل يهودية كبيرة يعرف أفرادها بقبائل (الفالاشا) تعيش في الحبشة ، وقد بدأ أفرادها يهاجرون إلى الكيان الصهيوني منذ عام 1984م [33] .

ومن هنا فلا غرو أن يكون تعامل الصهاينة مع هيلاسيلاسي لكسب وده مختلفاً تماماً ، فالكيان الصهيوني لم يعد إلى أسلوب الإغراء وإنما استعان بالأساطير القديمة لإثارة نوازع لدى هيلاسيلاسي وقد شاهدنا آثار ذلك من خلال تركيز أرباب الدعاية الصهيونية على تلك العلاقة التاريخية بين مملكة إسرائيل القديمة والحبشة ، وتذكير الإمبراطور بأصله اليهودي وبالدم اليهودي الذي يجري في عروقه [34] .

لقد لعبت إسرائيل على الإمبراطور هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة في ذلك الوقت لعبة الأصل العرقي المشترك فرغم أن الإمبراطور أرثوذكسي يرتبط روحيا بالكنيسة المصرية فإنه كان يتباهى بعلاقته القديمة بالتاريخ اليهودي والأصول اليهودية ، الشيء الذي سهل لإسرائيل كثيراً من الأمور مقابل أن تمده هي بالأسلحة والمدربين وبالتعاون الاقتصادي المتزايد وساعدته في إخماد الثورة الأرتيرية وساحل الصومال الغربي [35] .

كان التعاون العسكري بين أثيوبيا والكيان الصهيوني يعدّ ومنذ البداية أهم مجال للتعاون بينهما ، فقد شمل هذا التعاون إرسال المدربين للإشراف على تنظيم وتدريب الجيش الأثيوبي ، وعلى الأخص الوحدات الخاصة وقوات الكوماندوز البحري والمظلّيين والحرس الإمبراطوري ، وقد استدعى ذلك وجود أكثر من (600) مستشار صهيوني بدءوا يتوافدون على أثيوبيا منذ عام 1963م أي منذ بدأ التعاون العسكري بين تل أبيب وأديس أبابا في هذا المجال ، ولم يقتصر النشاط العسكري على تدريب القوات الأثيوبية والإشراف على تنظيماتها بل امتد إلى مجال آخر وهو إسناد مهمة الكلية الحربية في أديس أبابا للضباط الصهاينة وإنشاء مدرسة عسكرية لتدريب الجنود على حرب العصابات لمواجهة الثورة الأرتيرية ، أما ضباط الشرطة الصهاينة فقد تولوا تدريب الشرطة وكذلك التدريب في كلية الشرطة ومهمات أخرى في وزارة الداخلية الأثيوبية وفي أجهزة المخابرات ، هذا بالإضافة إلى تدريب مجموعات كبيرة من الأثيوبيين [36] .

حاولت إسرائيل إقناع بعض الدول الإفريقية من خلال إقامة علاقات معها وإغمارها بالمساعدات من إن سيطرة العرب على مدخل البحر الأحمر الجنوبي يشكل خطراً على التجارة الإفريقية وعلى رأسها أثيوبيا ، وقد تم اتفاق إسرائيل وأثيوبيا على وضع قوات صهيونية في الجزر الأرتيرية وعلى ضوء هذا الاتفاق قام هيلاسيلاسي يرافقه وفد إسرائيل بزيارة جزر دهلك في مايو 1970م وقد أشيع أن هدف هذه الزيارة هو بناء فندق سياحي فيها لجلب الأنظار والتغطية على الهدف العسكري من وراء هذه الزيارة [37] .

وفي 11سـبتمبر 1971م قـام الجنرال حاييم بارليف رئيس أركان القوات المسلحة الإسرائيلية بزيارة إلى أسمرة وإلى الحدود السودانية وطاف والوفد المرافق له سواحل البحر الأحمر وبعد تلك الزيارة تم احتلال جزيرة دهلك والجزر المحيطة بها دون أن تكون هناك أية معلومات عند العرب عن هذا الموضوع ، إلى أن أذاعت وكالات الأنباء الأمريكية الخبر في مارس 1973م بعد ثمانية شهور من إتمام عملية الاحتلال الإسرائيلية [38] .

وحـتى في عـام 1973م عندما قطعت الحبشة علاقتها الدبلوماسية مع إسرائيل ، ظلت إسرائيل تقـيم علاقات وثيقة جداً مع أثيوبيا ، فقد كانت إسرائيل تحتفظ ببعثة دبلوماسية قوية في أديس أبابا ، كما ارتـبط الجانـبان بعلاقات تجارية متطورة والأهم من ذلك هو تلك المساعدات الفنية المختلفة التي كانت تقدمها إسرائيل إلى أثيوبيا ، علماً بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي الممول لهذه المساعدات[39] .

كانـت إسرائيل تعرف جيداً قيمة الموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به أثيوبيا وأهمية موانئها الواقعـة على البحر الأحمر قبل استقلال أرتيريا ، وكانت ترى فيها حليفاً طبيعياً باعتبار أنها أشبه ما تكون بجزيرة غير إسلامية وسط محيط عربي إسلامي[40] .

وقـد أدت المصالح السياسية والعسكرية والاستراتيجية بإسرائيل في ظل الحصار العربي ، إلى أن تـنظر جـنوبا تجـاه المخنق الجنوبي للبحر الأحمر عند القرن الأفريقي حيث يقتسم العرب وأثيوبيا مناطق السيطرة والتحكم في مضايق باب المندب والجزر المتناثرة عبره وعند مداخله .

وأدت المصـالح والمطامح نفسها بأثيوبيا أن تنظر شرقاً إلى الموقع نفسه ذي الأهمية الاستراتيجية الكبرى باتجاه تعزيز نفوذها في منطقة القرن الأفريقي وفي البحر الأحمر ذي الأهمية الاستراتيجية الكبرى .

ومـن خـلال أثيوبيا والتقرب إليها ونسج مختلف الوشائج والعلاقات معها نجحت إسرائيل في الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية في السواحل والجزر الأرتيرية المطلة على باب المندب والتي تحتلها أثيوبـيا قبل استقلال أرتيريا ، خاصة في مينائي عصب ومصوع وفي أرخبيل جزر دهلك التي أقامت عليها إسـرائيل تحـت الغطـاء الأثيوبي مراكز مراقبة واتصال ومجموعات عمل عسكرية هذا فضلاً عن تدعيم الطيران الإسرائيلي ليصل مدى قوته الضاربة حتى باب المندب بعد تزوده بالوقود في الجو [41] .

يعد أرخبيل دهلك التابع لساحل أرتيريا والمواجه لمنطقة مصوع وميناؤها الكبير واحداً من ثلاث مـناطق تسيطر على أكثر بحار العالم ملوحة وحرارة (البحر الأحمر) . فبين قناة السويس في الشمال ومضيق باب المندب في الجنوب تستقر جزر دهلك وسط الممر المائي الدولي مستندة إلى ساحل طوله 1515 كيلو متر (شاطئ أرتيريا وتيغراي) .

ولـولا السيطرة الأثيوبية على سواحل أرتيريا قبل استقلالها وتيغراي لكان البحر الاحمر قد تحول بحـق إلى بحيرة عربية ولكن ... ثمة نافذة فتحت على هذا البحر بعد احتلال الأراضي الفلسطينية وتكون

محـــور إســـرائيل – اثيوبـــيا الـــذي تعزز بوجود الأمريكيين عسكرياً في أثيوبيا وعلى السواحل الأرتيرية والتـــيغرية [42] ، بعد هزيمة المحور الإيطالي – الألماني وما لبث هذا الحضور أن تعزز إثر ضربة السويس ثم جـــلاء الإنجليز عن جنوب اليمن واحتلال الإسرائيليين لسيناء وإقفال قناة السويس في وجه مصر والملاحة الدولية في آن واحد .

وكـــلما تدهـــور الوضع العربي العام حققت إسرائيل نجاحات كبيرة أو احتلال جديداً للأراضي العربـــية ســـارعت أثيوبيا لتوطيد وتعميق علاقاتها مع إسرائيل ، حيث كانت أثيوبيا من أولى الدول التي سارعت إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني وبناء تحالف معه غير مجاهر به رسمياً . وكان لعلاقة حاييم وايزمان بالإمبراطور هيلاسيلاسي دور كبير في دفع عجلة التعاون إلى الأمام بين الكيان الصهيوني والأسرة الحاكمة في الحبشة التي شهدت قمة تطورها في عهد منليك الثاني جد هيلاسيلاسي .

وبمـــرور الأيام وتعاقب الأحداث السياسية وتوطيد العلاقة بين الطرفين صارت إسرائيل هي التي تعـــد الملاكات الإدارية والفنية لدولة الإمبراطور [43] ولن ينتهي هذا الدعم وهذه المساعدة بانتهاء سلطة الإمـــبراطور ، بل أخذ اشكالا مختلفة وأوسع من الماضي ليشمل المجال السياسي والعسكري والاقتصادي وخاصة في زمن منغيستو هيلامريام .

المرحلـــة الثانيـــة : 1974م-1993م :

وتمـــتد هـــذه المرحلة من سقوط هيلاسيلاسي ونهاية النظام الإمبراطوري في أثيوبيا عام 1974م وحـــتى نهايـــة حكـــم مانغستوهيلا ماريام وهروبه خارج البلاد في مايو 1991م بعد الإطاحة بالإمبراطور هيلاسيلاسي عام 1974م ، تأسست في أثيوبيا حكومة عسكرية وصار الجنرال أمان أندوم رئيساً للدولة ، وبعـــد فـــترة قصيرة من نفس السنة التي تولى فيها الرئاسة تم اغتياله ، وجاء إلى الرئاسة في أثيوبيا شخص جديـــد هو الجنرال تافا بينيتي واصبح كل من مانغستوهيلا ماريام وأنتانفو أبايّ نائبين له . وفي 20ديسمبر 1974م أصـــبحت أثيوبـــيا دولـــة ذات توجـــه اشتراكي ، وتم تأميم أكثر من مائة شركة وتم تأميم كل الأراضـــي الزراعية عام 1975م ، وفي 3فبراير عام 1977م أصبح مانغستوهيلا ماريام رئيساً للدولة . قام مانغستوهيلا ماريام بعد تسلمه الرئاسة بإلغاء منصب الإمبراطور وألقاب الأمراء ، وكما ألغى شعار الدولة الإمـــبراطورية أسد يهوذا الذي تحول إلى أسد أثيوبيا ، وظل مانغستوهيلا ماريام يحكم أثيوبيا حتى مايو عام 1991م عندما قامت الثورة ضده وهروبه خارج البلاد [44] .

شـــهدت العلاقات العربية الأثيوبية حالة من التدهور والتوتر بين الطرفين في عهد مانغستو الذي حـــارب الثورة الإرتيرية وتعاون مع الحركات الإنفصالية في جنوب السودان والصومال وجيبوتي والتدخل في الشـــئون الداخلـــية لهذه الدول ، وبالمقابل شهدت العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية تطوراً كبيراً في عهده وخاصة في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري .

فقد أكمل المستشار السياسي الأول لمنغيستو هيلا ميرام كيسي كبيدي دراسته الجامعية في تل أبيب حيث أمضى خمس سنوات هناك من 1960م إلى 1965م ونال شهادتين في الاقتصاد وعلم الاجتماع . وهو كغيره من الملاكات الأثيوبية التي تعلمت هناك يتقن اللغة العبرية اتقانا كاملاً .

وبعد نكسة 1967م وسعت أديس أبابا تعاونها مع تل أبيب في شتى المجالات وخاصة المجال العسكري إذ إن معظم ضباط الجيش الأثيوبي تلقوا تدريباتهم ودروسهم الحربية في المعاهد والمؤسسات الحربية الإسرائيلية . هذا فضلاً عن التدريبات التي يقوم بها الضباط والخبراء الإسرئيليون داخل الجيش الأثيوبي[45] حتى أن البعض من هؤلاء الخبراء الإسرائيليين أخذ يطلق على الجيش الأثيوبي " الفرقة السوداء " في تساحال .. و " تساحال " هو أسم الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية .

شكل التحالف الإسرائيلي الأثيوبي خطراً كبيراً على الأمن القومي العربي [46] ، كون هذا التحالف يعد من أقوى وأهم التحالفات في أفريقيا حيث تنظر إسرائيل إلى أثيوبيا باعتبارها حليفاً استراتيجياً يجب المحافظة على العلاقات معه بأي ثمن كان ويعزى هذا الاهتمام الإسرائيلي الكبير بأثيوبيا إلى الاعتبارات التالية :

1. أن أثيوبيا هي الدولة الوحيدة غير الإسلامية وغير العربية التي تطل على البحر الأحمر ، ومن ثم ينبغي الإبقاء عليها موحدة للحيلولة دون تحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية .
2. استخدام أثيوبيا منفذاً للتغلغل الاقتصادي في أفريقيا ومن ثم كسر حدة المقاطعة العربية .
3. وعن طريق التحالف والتعاون الإسرائيلي الأثيوبي تستطيع إسرائيل مراقبة الملاحة عبر مضيق باب المندب ومحاولة السيطرة عليه عن طريق جزر دهلك التي احتلتها ووضعت فيها قواتها وبنت فيها قواعد عسكرية ومطارات حربية ونقاط مراقبة وأجهزة استطلاع ورادارات متطورة لمراقبة نشاط الدول العربية [47] .
4. لتوطيد العلاقة مع اليهود الفلاشا وترتيب عملية هجرتهم إلى إسرائيل كما حصل في عام 1977م و 1984م و 1989م[48] .

دور أمريكا في تعزيز العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية :

1. في المرحلة التي كان فيها الصراع الأمريكي – السوفيتي حول القرن الأفريقي وبالذات حول منطقة البحر الأحمر يزداد حدة ويأخذ أشكالا مختلفة واستقرار الأمريكان في الصومال بعد انسحاب السوفيت منها إلى أثيوبيا وتوطيد العلاقة السوفيتية الأثيوبية وعلى الرغم من الدعم والمساندة والمساعدة الكبيرة التي تلقتها أثيوبيا من السوفيت ، لن يتوقف التعاون العملي بين أثيوبيا وإسرائيل ، بل كل ما في الأمر استمر هذا التعاون متكيفا مع التغيرات والمعطيات التي فرضتها الظروف السياسية في تلك المرحلة . ومع علم إسرائيل بعدم رضى أمريكا عن شخص منغيستو وسلوكه أعلن روفين

ميرهـــارف مدير عام الخارجية الإسرائيلية " أننا نعتبر أثيوبيا الدولة الصديقة الثانية في البحر الأحمر ، وأنـــنا نؤمن بوحدة أثيوبيا ولا نتمنى انهيار نظامها القائم وإن كان الأمريكيون لا يحبون هذا النظام " ، لأن أثيوبيا الدولة الغير عربية الوحيدة التي تتمتع بموقع استراتيجي على البحر الأحمر [49] .

2. إن هـــذا التصريح الذي قام به مدير عام الخارجية الإسرائيلية كان بمثابة الضوء الأخضر لأثيوبيا عن استعداد إسرائيل في استمرار وزيادة دعمها لأثيوبيا . وقد كان هذا التصريح في الوقت الذي كانت به أثيوبـــيا بأمس الحاجة للمساعدات العسكرية بعد الخسائر الكبيرة التي مني بها الجيش الأثيوبي على يد الجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا وجبهة تحرير تيغراي .

3. بعـــد الإطاحة بحكم مانغستو في مايو 1991م تولى زيناوي رئاسة أثيوبيا معلناً فيها بداية عهد جديد . دخلـــت حكومـــة زيناوي في مفاوضات مع حركة التحرير الإرتيري ، نتج عنها اتفاقية أغسطس عام 1991م الـــتي اعترفـــت بحـــق الشعب الأرتيري في تقرير مصيره من خلال استفتاء شعبي كما نصت الاتفاقـــية عـــلى أن يبقى ميناء عصب الأرتيري منطقة حرة مفتوحة تستطيع أثيوبيا استخدامها منفذاً للبحر الأحمر .

4. نالـــت أرتيريا استقلالها عن أثيوبيا بعد الاستفتاء الشعبي الذي جرى عام 1993م بعد صراع دام 30 عامـــاً ، غير أن أرتيريا لم تعلن هويتها العربية ولم تطلب الانضمام إلى الجامعة العربية ، واقتصرت على إعلان نفسها دولة أفريقية بحكم الانتماء الجغرافي ، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تحاول تقويـــة علاقـــتها بإسرائيل وإبعادها عن الدول العربي والتنسيق معها ، خاصة وأن إسرائيل تمكنت من احتواء الموقف العدائي الأرتيري بعد علاج الرئيس الأرتيري سياسي أفورقي في مستشفياتها بعد إصابته بمرض خطير في المخ ، وبترتيبات أمريكية وصهيونية تحول أفورقي إلى صديق حميم للدولة الإسرائيلية ، بيـــنما أدار ظهـــره لكل الدول العربية التي قدمت المساعدة والتأييد للشعب الأرتيري في نضاله ضد الاحتلال الأثيوبي لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن [50] .

5. إن وحدة أثيوبيا تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة للمصالح الأمريكية والإسرائيلية في منطقة البحر الأحمر ومن أجـــل الحفـــاظ على هذه الوحدة قام الرئيس الأمريكي كارتر بمحاولة فاشلة لإقناع الجبهتين الأرتيرية والتيغرية في لقاء أطلنتا بقبول صيغة الحكم الذاتي الذي أقرته أديس أبابا للإقليمين [51] .

6. إن هذه الوحدة تعني بقاء السواحل الأرتيرية والتيغرية تحت السلطة الأثيوبية وكذلك جزر دهلك ذات الأهـــمية الاســـتراتيجية . وإن بقـــاء هـــذه السواحل وهذه الجزر تحت السلطة الأثيوبية يعني لأمريكا وإســـرائيل حق التصرف بها تحت ذريعة توفير الحماية والدعم لأثيوبيا ولكن الهدف الخفي الذي يكمن وراء ذلك هو السيطرة الكلية على البحر الأحمر .

7. وهكذا وبعد هزيمة الجيش الأثيوبي في مصوع حسمت أثيوبيا تذبذبها باتخاذ خطوة مشتركة مع إسرائيل لتعزيز أوضاع الجيش الأثيوبي . إنها فرصة ذهبية لإسرائيل لا يمكن أن تفوتها وهي التي عرفت بقدرتها على التكيف مع المعطيات والمتغيرات واستغلال الفرص المناسبة التي تتوفر لها بل وتتحينها .
8. وعلى هذا الأساس قام رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال دان شمرون بزيارة سرية إلى العاصمة الأثيوبية على رأس وفد عسكري كبير لتفقد الجبهات والإطلاع على احتياجاتها .
9. وفي المقابل قام كيس كيبيدي بزيارة إلى تل أبيب للحصول منها على تأكيدات حول تطوير برنامج التعاون العسكري والاقتصادي والثقافي قبل أن يتوجه إلى واشنطن . وعند انتهاء زيارته صرح كيسي كيبيدي : " لإسرائيل وأثيوبيا اهتمامات جغرافية استراتيجية مشتركة تقضي بالحول دون تحول البحر الأحمر إلى بحر يسيطر عليه ويتحكم بمنافذه العرب "[52].

إن إسرائيل تدرك جيدا الأهمية الاستراتيجية للسواحل الأثيوبية . قال مدير عام الخارجية الإسرائيلية " من يسيطر على مصوع يتحكم بالملاحة في البحر الأحمر " . وكذا هو الموقف من السواحل الأثيوبية بالنسبة لأمريكا التي كانت حريصة كل الحرص على توطيد علاقة حليفها الاستراتيجي إسرائيل مع أثيوبيا .

فقد كان الأمريكيون منذ وقت مبكر عنصر ربط وارتباط بين إسرائيل وأثيوبيا حيث كانت أثيوبيا الإمبراطورية لصيقة الارتباط بالسياسة الأمريكية وبالمعسكر الغربي بصورة عامة وكان الوجود الأمريكي المباشر قائما في قاعدة " كاجنيو " القريبة من اسمرا عاصمة أرتيريا ، وفي هذه المنطقة كانت توجد أضخم قاعدة للاتصالات الأمريكية خارج الأراضي الأمريكية ذاتها ، ومنها كانت ترصد منابع البترول وطرق إمداداته وحماية تدفقه إلى أوروبا وأمريكا بما يعنيه ذلك من أهمية استراتيجية بالغة إلى واشنطن . هذا فضلاً عن أن توطيد التعاون العسكري والاقتصادي بين أثيوبيا وإسرائيل ، شكل أساسا متينا لتعاون وصداقة البلدين مع أمريكا ووضع مقدراتهما تحت التصرف الأمريكي وخاصة أن كلا البلدين يتمتع بموقع غاية في الأهمية الاستراتيجية في البحر الأحمر . ففي الجنوب تطل صديقتها أثيوبيا على القرن الأفريقي وباب المندب وفي الشمال تطل صديقتها إسرائيل على خليج السويس ومضايق تيران من جانب وعلى خليج العقبة من جانب آخر .

وقد تطورت العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية واخذت أبعاداً مختلفة في أوائل الخمسينات بعد توقيع العديد من المعاهدات العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية الحليفة لكليهما ، وجاءت نقطة التحول الأساسية في هذه العلاقات بعد قيام إسرائيل في عام 1956م باحتلال سيناء فأصبحت إسرائيل بعدئذ قادرة على الملاحة من ايلات عبر مضيق تيران ، ومن ثم ساعدت أثيوبيا في توسيع هذه الملاحة بتقديم

موانئها كمحطات توقف للسفن والرحلات الجوية الإسرائيلية في طريقها إلى كينيا وجنوب أفريقيا وجنوب شرق آسيا [53] .

الخاتمة

نستنتج مما تقدم من المعطيات والحقائق والملابسات والخلافات والظروف السياسية والمصالح الاقتصادية التي تحيط بالصراع العربي الإسرائيلي حول البحر الأحمر ودور أثيوبيا في هذا الصراع الطويل الأمد ، والتي تمت الإشارة إليها . إن أثيوبيا وجدت في إسرائيل حليفا طبيعيا نظرا لأنهما الدولتان الوحيدتان غير العربيتين اللتان تطلان على البحر الأحمر وتجمعهما مصلحة مشتركة في أن لا يتحول هذا البحر إلى " بحيرة عربية " . وأن أثيوبيا لن تلتزم بموقف الحياد من هذا الصراع ومن الاستراتيجيات المتناحرة المتناقضة التي كل طرف فيها ينظر إلى الطرف الآخر بعين العداء ويحدد موقفه من هذا الصراع على أساس الموقف من الصراع الأساسي العربي الإسرائيلي حول القضية الفلسطينية والأراضي العربية الأخرى المحتلة .

لقد أتخذت أثيوبيا مواقف متغيرة ومتذبذبة بين مساندة العرب وإدانة الاحتلال الصهيوني كما حصل في عام 1968م وكذلك في عام 1973م حينما قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وطالبتها بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة[54] بل تجاوزت ذلك إلى تحريض الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية إلى اتخاذ نفس الموقف وتقديم الدعم السياسي للدول العربية في صراعها مع العدو الصهيوني وبين توسيع علاقات التعاون الاقتصادي والعسكري والاستراتيجي مع إسرائيل ومساندتها في مختلف مواقفها وخاصة تلك المواقف التي تخص منطقة البحر الأحمر والقرن الأفريقي بشكل خاص . تلك العلاقات التي تنبهت مبكرا إلى إقامتها إسرائيل مع أثيوبيا ولأهداف بعيدة ومحسوبة . فقد صرح عام 1952م موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي بأن أمن أثيوبيا وسلامتها هو الضمان لإسرائيل . وهكذا تدريجيا نمت العلاقات الأثيوبية – الإسرائيلية خلال الخمسينات والستينات في المجالات الاقتصادية والعسكرية . فضلاً عن تدريب العسكريين قامت إسرائيل بمشروعات إنمائية في مجالات الزراعة وصناعة اللحوم في منطقة أرتيريا . ويلاحظ أن هذه المشروعات كلها ركزت في منطقة أرتيريا اعتبارا من عام 1952م الذي شهد قيام الاتحاد الفدرالي بين أرتيريا وأثيوبيا .وإذا كان ذلك قد شكل اعتراف أثيوبيا واقعيا بإسرائيل فقد جاء الاعتراف الدبلوماسي عام 1956م إذ تبادل الطرفان التمثيل القنصلي الذي رفع إلى درجة سفارة عام 1961م وتم تبادل السفراء فعلا في عام 1962م .

علما بأن أثيوبيا لم تقطع علاقتها غير الرسمية بإسرائيل حتى في تلك السنوات التي أدانت فيها أثيوبيا السياسة الصهيونية الإسرائيلية وقطعت علاقتها الدبلوماسية بها .

لقد انتهجت أثيوبيا في السنوات الأخيرة سياسة الانفتاح العلني والرسمي مع إسرائيل وقامت بتوقيع العديد من الاتفاقيات والصفقات الاقتصادية والعسكرية والثقافية معها والتي تسمح لها بالتصرف

بأراضيها وموانئها ومطاراتها والتي توجتها بصفقة تهجير الفلاشا تحت الغطاء الأمريكي إلى إسرائيل وتوقيع اتفاقية تقضي بتأجير جزر الدهلك الاستراتيجية في البحر الأحمر إلى إسرائيل لمدة 99 سنة .

إذا كانت أثيوبيا بالأمس تعمل حسابها للمساندة العربية والمساعدة العربية والتضامن العربي وعلاقة الجوار التاريخية فهي اليوم وهي تعيش ظروف الاضطراب والقلق السياسي بعد إنفصال أرتيريا واستقلالها التام عنها عام 1991 وظروف اقتصادها المتدهور والمجاعة التي تجتاح كل عام أجزاء كبيرة منها بسبب الجفاف الذي يعتريها وحاجتها الماسة إلى المساعدة الاقتصادية ، لن تفكر بالتضامن العربي والعلاقة العربية بقدر ما تفكر بمن يملأ سلتها الفارغة . ومن يملأ سلتها سفنه ترسو بالقرب منها . لكن شروطه قاسية اجبرتها ليس فقط على الخروج من الجبهة العربية والانتقال إلى مواقع العداء لها وإحداث شرخ عميق بتلك العلاقة العربية الحبشية التي امتدت جذورها إلى عصور ما قبل التاريخ إلى علاقة العرب بمملكة اكسوم وذلك قبل ظهور دولة إسرائيل إلى الوجود بعشرات القرون . وإنما أصبحت المناطق والقواعد العسكرية الأثيوبية التي تسيطر وتشرف عليها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تشكل خطرا ليس فقط على البلدان العربية المجاورة أو الممتدة أراضيها على سواحل البحر الأحمر بل وإنما على عموم المنطقة وخاصة القرن الأفريقي منها .

إنها تشكل خطرا حقيقيا في الفترة الحالية أكثر من أي وقت مضى بسبب الوجود الأمريكي والأطلسي في الخليج والبحر العربي والبحر الأحمر وعلى الأراضي السعودية والكويتية والإماراتية التي لم تشهد منطقة الشرق الأوسط له مثيلا من قبل . إذ تجوب أساطيلها العسكرية العدوانية في المياه الإقليمية لبلدان هذه المنطقة دون الاستئذان منها وبالضد من كرامتها والدوس على استقلالها وسيادتها الوطنية وتحويل المنطقة إلى ترسانة من الأسلحة المحرمة والمدمرة قابلة للاشتعال بأي لحظة ممكنة كما حصل في حرب الخليج الأولى والثانية .

كل هذا باسم النظام الأمريكي الجديد وليس النظام العالمي الجديد ، الذي يهدف إلى الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية كلياً والتحكم بثرواتها البترولية واستعمارها من جديد وبشكل تدريجي وعبر مخطط أمريكي إسرائيلي تحت غطاء ودعم عربي ، ابتداء بتدمير القدرات العسكرية والاقتصادية والحضارية والبشرية للعراق وفرض الحصار عليه وإلحاق الضرر المتعمد بشعبه المكافح ، الذي ما زال ومنذ أكثر من عشر سنوات يرزح تحت وطأة هذا الحصار المروع والظالم ثمنا لمواقفه الوطنية والقومية ، ورفضه لسياسة الكيل بمكيالين التي يمارسها مجلس الأمن الدولي الذي تحول إلى أداة للظلم والتسلط على الشعوب الصغيرة ومساندة الدول الكبرى وحماية مصالحها في مختلف أنحاء العالم .

الهوامش :

(1) : أطلس العالم الجغرافي . موسكو 1986 ، ص 144 .

(2) : يوسف روكز : أفريقيا السوداء سياسة وحضارة . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1986 ، ص 99 .

(3) : محمود عبد الفضيل : النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1979 ، ص 86 .

(4) : محمـــود توفيق محمود : البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية . مجلة السياسة الدولية ، العدد 57 ، القاهرة ، يوليو 1979 ، ص 32 .
(5) : يوسف روكز : مرجع سابق ، الصفحة نفسها.
(6) : محمود نعناعة : إسرائيل والبحر الأحمر . مكتبة الخانجي ، القاهرة 1974 ، ص 8 .
(7) : عـــبد الله عبد المحسن السلطان : البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1984 ، ص 32 .
(8) : المرجع السابق نفسه ، ص 29 .
(9) : المرجع السابق نفسه ، ص 32 .
(10) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(11) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(12) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(13) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(14) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(15) : Morgan W.T. : East Africa . London 1973 , P.148 .
(16) : محمود توفيق محمود : المدخل الجنوبي للبحر الأحمر . دار المريخ للنشر ، الرياض 1983 ، ص 57
(17) : مجموعة من الأساتذة السوفيت : عرض اقتصادي تاريخي . دار الفارابي ، بيروت 1981 ، ص 81 .
(18) : يوسف روكز : مرجع سابق . ص 111 .
(19) : عبد الله عبد المحسن السلطان . مرجع سابق ، ص 181 .
(20) : رياض رشيد الحيدري : مجلة آفاق عربية . 1981 ، عدد 8 ، ص 69 .
(21) : صحيفة معاريف الإسرائيلية في 1962/10/11م .
(22) : المرجع السابق نفسه .
(23) : فتحي غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ . شركة الطباعة الفنية المتحدة ، دون مكان وتاريخ النشر، ص 2.
(24) : Spencer Trimingham : Islam in the Ethiopia . Oxford university Press , London , 1952 , P . 38 .
(25) : محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة 1965 ، ص 241 .
(26) : المرجع السابق نفسه ، ص 238 .
(27) : عبد الوهاب محمد الميسري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة 1975 ، ص 281 .
(28) : جودة حسنين جودة : جغرافية أفريقيا الإقليمية . دار النهضة العربية ، بيروت 1981 ، ص 265 .
(29) : عبد الله عبد المحسن السلطان : مرجع سابق . ص 207 .
(30) : عـــبدالله عـــبدالرزاق إبراهـــيم : موســـوعة الـــتاريخ والسياسة في أفريقيا . المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1997م ، ص72 .
(31) : عـــبدالله النفـــيس : أرتـــيريا شأن جزيري عربي . مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . عدد 8 ، 1976م ، ص70 .
(32) : عـــبد الســـلام إبراهـــيم بغدادي : العلاقات الصهيونية الأثيوبية في ضوء المتغيرات الاخيرة . جريدة الجمهورية العراقية بتاريخ 1985/2/19م .
(33) : حلمي عبدالكريم الزعبي : مخاطر التغلغل الصهيوني في أفريقيا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1985م ، ص39 .
(34) : المرجع السابق نفسه ، الصفحه نفسها .
(35) : ندوة العرب وأفريقيا . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1984 ، ص 392 .
(36) : حلمي عبدالكريم الزعبي : مرجع سابق ، ص65 .
(37) : محمد علي حوات : مضيق باب المندب أهميته الاستراتيجية وتأثيرها على الأمن القومي العربي . مكتبة مدبولي، القاهرة دون تاريخ نشر ، ص34 .

(38) : المرجع السابق نفسه ، ص35 .
(39) : ديفيد كسلر : الفلاشا يهود أثيوبيا . منشورات دار الكرمل – صامد ، عمان 1985م ،ص113 .
(40) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها .
(41) : عبد الله عبد المحسن السلطان : مرجع سابق . ص 232 .
(42) : المرجع السابق نفسه ، ص 228 .
(43) : ديمـــتري ك . بونومـــاربوف : سياســـة إسرائيل في أفريقيا الاستوائية . ترجمة عماد الدين حاتم ، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، سبها 1984 ، ص 36 .
(44) : عبدالله عبدالرزاق إبراهيم : مرجع سابق ، ص73 .
(45) : المرجع السابق نفسه ، ص 72:
(46) : مـــن ندوة أقامها مركز دراسات الوحدة العربية – مكتب القاهرة – حول التطورات الراهنة في القرن الأفريقي وانعكاساته على الأمن القومي العربي – أكتوبر 1991م .
(47) : محمد علي حوات : مرجع سابق ، ص112 .
(48) : ديفيد كسلر : مرجع سابق ، ص118 .
(49) : عبد الله عبد المحسن السلطان : مرجع سابق . ص230 .
(50) : محمد علي حوات : مرجع سابق ، ص117 .
(51) : المرجع السابق نفسه ، ص 137 .
(52) : عبد المنعم سعيد : العرب ودول الجوار الجغرافي . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1987 ، ص 186 .

(53) : Michael A . Ledeen : " The Israeli connection " . Washington Review of strategic and International Studies . (May 1978) , special supplement , white paper , "The Horll of Africa " , P . 47 .

(54) : Organization of African Unity . Council of Ministers , Resolutions Recommendations and Extraordinary Sessions of the Council of Ministers (Tenth to the twentieth ordinary sessions , seventh Extra – ordinary sessions) , 1968 – 1973 , vol . 2 Addis Ababa 1973 , P . 2 .

التصحر في الوطن العربي وفي اليمن خاصة آثاره ومعالجاته البيئية

أ. د. عبدالله محمد المجاهد*
أ. د. عبد الحميد أحمد اليونس**

التصـــحر مظهر يثير القلق والهلع بمجرد النظر الى مساحة تراكمت فيها الرمال والكثبان فكيف يكون الحال عندما تقتحم هذه الرمال مساحات واسعة كانت الى وقت قريب مغطاة بالاخضرار.

إن التصحر يبعث في النفس الخوف لأن ذلك المنظر يوحي بتعاظم حدة الجوع وانحسار كل مظاهر الحياة.

إن معظم أراضي الوطن العربي تقع في نطاق المناطق الجافة وشبه الجافة اذ تشكل هذه المناطق حوالي 12.8 مـــليون كيلومتر مربع بنسبة 89%من المساحة الإجمالية لهذا الوطن والبالغة 14.3مليون كم2 وان حوالي 2.9 مـــليون كم2 بنسبة 20% من المساحة الإجمالية تتراوح معدلات الأمطار السنوية فيها 100-400 مـــلم2 ، وتعد هذه المناطق هامشية وهي اكثر البيئات العربية عرضة للتصحر(4) وبصورة عامة فإن مناطق الرعي هي السمة الغالبة لأراضي الوطن العربي نظراً لاتساع السهول ذات النبت العشبي والذي تتخلله في بعض المواقع اشجار وشجيرات . اما الغابات فإنها تشكل مساحات محدودة جدول رقم (1) .

وقـــد بيـــنت احـــدى دراسات منظمة الغذاء والزراعة الدولية ان حوالي 360 الف كم2 من الاراضـــي الـــزراعية البالغة 1.982مليون كم2 (أي بنسبة 18%) وهي نسبة عالية ستصبح تحت تأثير فعاليـــات التصـــحر في الســـنوات القليلة القادمة مما ستؤدي الى آثار اقتصادية واجتماعية وبيئية خطيرة، فهناك عشرات الآلاف من الأراضي الزراعية سوف تتحول الى صحاري ومناطق تسيطر عليها الرمال التي

---

* رئيس جامعة ذمار
** أستاذ/ كلية الزراعة والطب البيطري / جامعة ذمار

تهدد المزارع والقرى بالدمار وقد تضاعفت مشكلة التصحر في السنوات الاخيرة بسبب الانشطة البشرية فالانسان بسوء تعامله مع البيئة من أكثر العوامل المدمرة لها .

وفي اليمن تشير الدراسات الى ان 90% من الأراضي الزراعية مهددة بالجفاف والتصحر الناتجة عن زحف الرمال وتدفق السيول المدمرة وتملح التربة ، فعوامل التعرية هذه قد تتلف في ايام ما بنته الطبيعة خلال مئات السنين .

ففي تهامة طمرت الرمال قرية شبيطة التي تقع على بعد 25 كم عن مدينة زبيد فهاجر منها المواطنون ، وفي شمال وادي عبيدة الرمال تزحف سنوياً وقد طمرت مساحة 450 هكتار ، فالرياح عامل خطير من عوامل التعرية ،. ففي حالات معينة قد تذرو الرياح ما مقداره 150طناً من التربة السطحية من كل هكتار من الأرض خلال ساعة واحدة .

اما الفيضانات بسبب السيول فقد سببت في يومي 14-1996/6/15م في محافظات شبوة وحضرموت ومأرب والجوف والمهرة خسائر كبيرة في المعدات والمنازل والأراضي الزراعية وتشرد الكثير من الناس[2].

وبصورة عامة يمكن ان تعزي ظاهرة التصحر وانجراف التربة في اليمن خاصة وفي الوطن العربي عامة الى عوامل عديدة نوجزها بالتالي:-

1. ازالة الاشجار:

لقد تقلصت مساحات الغابات بشكل كبير بسبب القطع الجائر للأشجار لغرض استخدامها حطباً للوقود وكذلك قلع الأشجار لزراعة الأرض او إقامة المباني ، اضافة الى حصول الحرائق المدمرة أحياناً ، ففي اليمن تشير الدراسات الإحصائية أن 68% من الطاقة المنزلية تأتي من مصادر حطبية غابية . وان ما يحتاجه اليمن سنوياً يصل 9 مليون متر مكعب من احطاب الوقود وبالتالي فإن مايستخرج من الغابات من احطاب واخشاب يفوق معدل النمو السنوي بضعفين ومع ذلك كله فإن مشاريع الغابات محدودة.

ونتيجة لذلك اضحت معظم الأراضي ذات الانتاجية ولو بدرجات متفاوته معرضة للتصحر بسبب الضغط المتواصل على الموارد الطبيعية وازدياد السكان مع غياب القواعد العلمية لأدارة هذه الأراضي في كثير من الحالات.

ومن مساحة اليمن البالغة 55.5 مليون هكتار يوجد 16 مليون هكتار المصنفة كمراعي تشمل تلك المناطق المغطاة بالشجيرات والنباتات المعمرة ، ومن الانواع الرئيسية التي تدخل في تكوين الغابات في اليمن هي اشجار الاثل والاراك والسدر والعرعر والسنط والطلح والضبه والهجليج والخروب والتمر الهندي واللبان وغيرها .

2. **تصحر المراعي :**

من أهم اسباب التصحر لنظم الزراعة هو ازدياد المساحات المزروعة على حساب المراعي الطبيعية لاسيما في المناطق الشحيحة الأمطار . وفي الاراضي الهامشية التي لايسمح التركيب الفيزياوي للتربة باستعمال الآلات الزراعية والتي تؤدي في اغلب الاحيان الى ازالة الغطاء النباتي وتفتيت التربة وجعلها اكثر عرضة للتعرية بالرياح ، وكنتيجة لذلك انحسرت اراضي المراعي مما زاد الحمل الحيواني على ما تبقى منها وبذلك زادت سرعة تدهورها . فقد أدت الزيادة المطردة في الثروة الحيوانية الى تدهور الجزء الكبير من المراعى وكان نتيجة الرعي الجائر والمبكر وزراعة المناطق الهامشية واقتلاع الشجيرات مما جعلها تتحول بمرور الزمن الى اراضي مهجورة.

فالمساحة الواسعة لأراضي المراعي تقع في بيئة قاحلة يكون معظمها عرضة للتصحر اذا لم تتخذ اجراءات صيانة فعالة جدول رقم (2) . فالمراعي الطبيعية والغابات تعد من أهم الثروات الطبيعية المتجددة في اليمن فهي مستودع للتنوع الأحيائي النباتي والحيواني ، فالكساء النباتي المتكون من الاشجار والشجيرات والاعشاب منجم طبيعي يستخرج منه نسق الانتاج الغذائي للإنسان والدوائي والعطري والعلفي والحراجي بالاضافة الى الدور التي تلعبه في الحد من الانجراف المائي والريحي للتربة ومقاومة الزحف الصحراوي وهي ملجأ للحيوانات البرية ولصيانة مساقط المياه وحفظ التوازن البيئي وتنشيط السياحة ، فهي نسق متعدد الموارد . ذو فوائد ومزايا عديدة لها أهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية وترفيهية ، فالمحافظة عليها وتنميتها غاية في الاهمية [7].

3. **العوامل البشرية :**

ان ازمة التناقض بين عمل الانسان وصيانة بيئته بدأت تظهر جليا منذ أوائل القرن العشرين وازدادت هذه الأزمة شدة منذ بدأت التكنولوجيا الحديثة تدخل المناطق الجافة ، فمع ازدياد السكان وازدياد الحاجة الى الغذاء زاد الضغط على الموارد الطبيعية عن طريق الرعي الجائر وقطع الاشجار وصيد الغزلان والحيوانات البرية وغيرها مع انعدام القواعد العلمية لإدارة هذه الأراضي ادارة سليمة ، وهكذا بدأت الصحراء تتسع رقعتها وملايين الماشية تعرضت للهلاك وهاجر الناس الى المدن المكتظة وتفاقمت المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، وأدى التحسن الصحي الى النمو السكاني الى الاستثمار الجائر ولاسيما في المناطق الهامشية حيث يتم بغية تحقيق منافع لسكان المنطقة الا انها في الحقيقة فوائد قصيرة الامد فلم يعيها المزارع الفرد الذي لايتوفر لديه غالباً سوى حافز اقتصادي محدود خصوصاً في البلدان الفقيرة حيث يضطر العديد من المزارعين تحت ضغط الحاجات المباشرة للغذاء الى انتزاع كل ما يمكنهم فكثيراً ما يؤدي التدهور البيئي الى موجات ضخمة من اللاجئين فراراً من المجاعة ، وهكذا ينشأ

نوع من الحلقات المفرغة فهذه الجموع اللاجئة تساهم من جديد بتدمير الموارد الطبيعية في البلدان والمناطق التي لجأت اليها بسبب المعيشة الهامشية .

المعالجات

ان الشروط الأساسية للتنمية هي القدرة على الاحاطة بحيثيات الوضع الراهن وبالخطط الحالية والمستقبلية بغية التعرف على التخريب البيئي لمعالجته قبل ان يغدو متفاقماً وانه من الضروري التأكيد على العائد الذي يتحقق من خلال التركيز على المواقع الأفضل والنهوض بها تدريجياً من حالة التدهور الى وضع اكثر إنتاجاً ، فالتنمية القابلة للاستمرارهي إدارة قاعدة الموارد الطبيعية وصيانتها وتوجيه التحولات التكنولوجية والتنظيمية بطريقة تضمن تحقيق الحاجات الانسانية للأجيال الحاضرة والقادمة ، او هذه التنمية تعمل على صيانة الأراضي والمياه والغطاء النباتي وهي مناسبة اقتصادياً ومقبولة اجتماعياً[8] وهنا نورد جملة اقتراحات هي :

1. **التكامل الزراعي الحراجي :**

لقد وضعت الجماعات الساكنة للمواقع الغابية خلال العقود الطويلة ، من الزمن نظماً رشيدة لإدارة الموارد ولعل من المفيد أن نتعرف على هذه النظم لمساعدة السكان على تطويرها مما يخدم في تحقيق التنمية المستديمة ومفهوم التكامل الزراعي والحراجي Agroforestry أو التكامل الحراجي الرعوي agroforestry - pasturate فقد تطورت هذه الفكرة لكي تغدو علماً ومنهجاً تطبيقيا يشتمل على عدة تقنيات ونظم يمكن استخدامها في حل مشكلة الأراضي خاصة في الاراضي الهامشية والجافة وشبه الجافة حيث تتطلب الظروف البيئية تطبيق نظم زراعية يتحقق فيها التكامل الزراعي بستانية ومحصولية وحتى الانتاج الحيواني ، ويمثل هذا التكامل الحراجي الزراعي حلاً علمياً وبنفس الوقت حلا لمشاكل اجتماعية واقتصادية فهو وثيق الصلة بحياة الناس ومعرفتهم لبيئتهم والمزارع اليمني قد عرف العديد من النظم الزراعية الحراجية التقليدية وما زال العديد من هذه النظم قائماً حتى الآن ففي منطقة تهامه نلاحظ عدة نظم زراعية حراجية نذكر منها:

1. النخيل Pheonex dactylifera والعلب Zizyphus spina- cristi مع المحاصيل الحقلية العلفية.
2. السنط Acaia nilotica والهجلي Balanites aegyptiaca والسدر Zizyphus jihula مع المحاصيل الحقلية الرعوية .
3. الأراك Salvadora persica مع المحاصيل الحقلية .
4. الدوم Hyphaene thebaica مع المحاصيل الحقلية.
5. الأثل Tamarix sp مع المحاصيل الحقلية .

وهناك أمثلة اخرى يمكن تجربتها مثل الكازورينا مع الاشجارالمثمرة والقضب.

2. **الثقافة البيئية :**

وهـــي تهـــدف الى تطوير مفاهيم الافراد والجماعات لكي يصبحوا اكثر إدراكاً وإهتماماً بالبيئة ويمتـــلكون مـــن المعارف والدوافع والالتزام بالعمل للحفاظ على البيئة وتجنب حدوث مشكلات جديدة وهـــذه تستوجب الإلمام بالمفاهيم الايكولوجية الاساسية والمبادئ الرابطة بها في الانظمة البيئية بحيث يكون واضـــحاً بـــأن مـــوارد البيئة بأنواعها الدائمة والمتجددة وغير المتجددة محدودة لذلك يجب الحفاظ عليها وصيانتها وعدم التفريط بها وإصلاح العطب في البيئة الذي يحدث نتيجة سوء الاستخدام[6].

وتســـعى الـــثقافة البيئية الى خلق الوعي المتنامي بدور البيئة وتكوين الانسان المثقف بيئياً الذي يســـتطيع ان يـــتعامل مع البيئة بصورة عقلانية ورشيدة بحيث تمكنه من اكتساب تبصر متزايد في الانظمة الفعالـــة وطرق تعامل الانسان معهاوهي عملية مستمرة مدى الحياة . والثقافة البيئية تتم عن طريق وضع بـــرامج في التعلـــيم العام غير النظامي وذلك من خلال الاسرة ومنظمات الشباب والنوادي ودور العبادة ومـــن خـــلال إقامة المعارض وإعلان المحميات ، وكذلك برامج التعليم النظامي الذي يتمثل في الجامعات والمعـــاهد والمـــدارس ، هذا بالاضافة الى مجموعة من الاستراتيجيات التعليمية التي تنمي الثقافة البيئية مثل الخبرة واستراتيجية البحوث والدراسات لقضايا البيئة واستراتيجية حل المشكلات ووضع الحلول[5].

امـــا الاعـــلام البيئي فله أهمية بالغة ويلعب دوراً وأثراً في الثقافة البيئية مـــــن خلال الوسائل المقروءة والمصورة والمسموعة والمرئية ويتركز دوره [1] في :

أ- الـــتحفيز والحث على التغيير الى الافضل : وذلك بالعمل على ايجاد الاتجاهات والقيم البيئية وتعزيزها وازكاء روح الحماس للمحافظة على البيئة والتغلب على المشكلات القائمة .

ب-الدعوة الى المشاركة : ويكون بالتوجيه الى تغيير السلوك الذي يؤدي الى فعل مافيه مصلحة الانسان والبيـــئة معـــاً، ويقع هذا في صميم اهتمامات التنمية المستدامة التى تدعو الى توازن بين نوعية الحياة ونوعيـــة البيئة فللانسان الحق ان يحيا حياة صحية ومنتجة بما ينسجم مع البيئة بحيث تتحقق للسكان الرفاه والحياة الكريمة

3. **البحث العلمي :**

إن القـــرن الحـــالي هو قرن عصر ثورة مابعد التقانة لابرازها التحول من الارتكاز على الطاقة الماديـــة الى الطاقـــة الفكـــرية عصر مابعد التقانة هو عصر المعلوماتية ، ولعلنا هنا نؤكد عندما نتكلم عن الـــبحث العلمي في الاقطار النامية نقصد به بالمرتبة الاولى البحث العلمي الجامعي حيث اننا نجد الجامعات خاصـــة كـــليات الزراعة والغابات تزخر بشكل طبيعي بالاختصاصات المختلفة فضلاً عن توفرالمختبرات

والاجهـــزة العلمـــية ولذلك فإن الجامعات تمثل هدفاً اقتصادياً من جهة ، وربط الجامعات بالمجتمع من ناحية ثانية . هذا بالاضافة الى التعاون مع مراكز البحوث العلمية القائمة في البلد .

وهنا لابد من اتخاذ الاجراءات التالية عند اجراء البحوث البيئية :

1. اتـــباع اســـلوب البحث البيئي المتكامل متعدد الاختصاصات (اراضي – مناخ– بساتين– غابات– حقليات – اقتصاد) في مواجهة المشاكل المتعددة المعقدة .
2. التأكيد على النواحي الاجتماعية والاقتصادية في تنفيذ البحوث المتكاملة .
3. التفاعل المستمر بين الباحثين والمخططين والسكان الذين يجري البحث في مناطقهم لحل مشاكلهم.
4. زيادة دور التعليم الشعبي الموجه الذي يهدف الى اهمية الصيانة وصلتها بالاهداف الاستراتيجية للتنمية المستدامة للسكان.
5. وضع تنفيذ قوانين صيانة البيئة ويدخل في هذا المجال تبني الاتفاقات الدولية وتشجيع الدول والمنظمات الدولية للاشتراك والمساهمة بشكل كامل .

جدول رقم (1)
استعمالات الأراضي في الدول العربية

الدولة	مساحة الأراضي في الدولة العربية				
	الكلية	الغابات	الزراعات	المراعي	غير منتجة وصحاري
الجزائر	238174	4366	7540	30400	195535
مصر	99545	52	2583	–	96931
ليبيا	175954	779	2145	13300	15826
المغرب	71500	4718	8820	20900	–
تونس	15536	424	4826	3050	–
السعودية	214969	1601	1185	85000	127584
البحرين	68	–	2	4	62
الامارات	8360	–	39	200	8118
الكويت	1782	–	4	134	1642
عمان	21246	–	48	1000	20198
قطر	1100	–	5	50	1045

الدولة	مساحة الأراضي في الدولة العربية				
	الكلية	الغابات	الزراعات	المراعي	غير منتجة وصحاري
اليمن	55797	4060	1479	16650	32133
العراق	43397	1550	5450	4000	32397
الاردن	8893	146	374	719	7657
لبنان	1040	84	301	10	632
سوريا	18406	429	5560	8231	4072

جـــــدول رقم (2)

كمية سقوط الامطار الشهرية (بالمليمتر) لمحطات الرصد الرئيسية خلال عام 2000م

المدينة / الشهر	صنعاء	عدن	تعز	الريان	سيئون	سقطرى	مأرب	صعده	الحديده	اب
يناير	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	3.5	0.0	0.0	1.0	0.0
فبراير	0.0	0.0	0 0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0
مارس	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0
ابريل	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	42.1	0.0	117.4
مايو	3.2	0.0	0.0	0.5	0.0	0.0	0.5	29.7	0.0	117.0
يونيو	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	123.5
يوليو	4.5	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	1.6	0.0	182.9
اغسطس	48.7	0.0	1.2	0.0	2.1	0.0	6.4	4.0	83.6	244.3
سبتمبر	0.1	0.0	0.7	0.0	0.5	0.0	2.5	1.9	55.2	125.9
اكتوبر	0.0	0.0	2.4	5.0	14.5	26.0	0.0	0.0	16.5	53.9
نوفمبر	7.4	0.0	1.8	11.6	0.0	7.1	18.4	6.0	0.0	41.7
ديسمبر	0.0	0.0	0.0	1.0	0.0	98.0	0.0	1.0	0.0	0.0
الاجمالي	63.6	0.0	6.1	18.1	17.1	134.6	27.8	86.3	156.3	1006.6

الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الاحصاء السنوي 2000م ، صنعاء يونيو 2001م ، ص 21

الهوامش

(1) :توفـيق ، محسن عبدالحميد-1994. الاعلام العربي ونشر التوعية البيئية على الجماهير – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس.

(2) :جريدة الثورة- 1996. العدد 11710 في 1996/12/3- صنعاء.

(3) :الجهاز المركزي للاحصاء – 2000- كتاب الاحصاء السنوي – صنعاء.

(4) :شلبي، محمد نبيل- 1994. نظم إدارة الغابات والمراعي كوسيلة متطورة للحفاظ على البيئة – الندوة القومية في مجال الحفاظ على الموارد البيئية العربية – قطر.

(5) :الصـباري، محمـد سعيد.– 1998م . الثقافة البيئية ودورها في حماية البيئة – مجلة ابحاث البيئة والتنمية المستدامة .م.أ.ع-1 . إتحاد مجالس البحث العلمي العربية – بغداد.

(6) :الصباري، محمد سعيد ورشيد الحمد – 1994. الانسان والبيئة ، اربد – الاردن.

(7) :مفرح، محمد محمد – 2000 . الاهمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للمراعي الطبيعية في اليمن ودورها في حماية البيئة – الهيئة العامة للبحوث والارشاد الزراعي – ذمار .

(8) :نحال ،أ ، 1989. التكامل الزراعي الحراجي وطرق تطويره في الجمهورية اليمنية من اجل التنمية الريفية ، ومكافحة التصحر – صنعاء .

نحو منهج جغرافي يستجيب لسوق العمل في اليمن

د. مارش أحمد سعيد العديني *

مقدمة

إن الخوض في موضوع المناهج الدراسية وخاصة في التعليم العالي يعد مغامرة ولاسيما إذا كان إجتهاداً فردياً ، لأن تفكير الإنسان مهما كان علمه فإنه قاصر عن إدراك جميع الجوانب ولا يسد هذا القصور إلا باجتماع الآراء العلمية المتخصصة .

فقد يتبارد إلى ذهن بعضهم أن المقصود بالمنهج الكتب الدراسية المقررة التي يتطلب من الطالب اجتيازها بنجاح ، ولكن المنهج هو مجموعة الانشطة والفعاليات التعليمية سواء داخل القاعة الدراسية أم خارجها فضلاً عن الوسائل والطرق التدريسية والمحتوى الدراسي الذي يعد حجر الزاوية في مكونات المنهج الجامعي الذي تستند عليه الأقسام بشكل رئيسي حتى اليوم ، ويعد الفهم الحقيقي للمنهج ومكوناته ومتطلباته المرحلة الأولى والأساسية لتطوير المناهج وتحديثها في أقسام الجغرافيا وغيرها من الأقسام في الجامعات اليمنية .

إن هذه المحاولة الفردية المتواضعة لوضع مقترح لمنهج جغرافي جديد يستجيب لسوق العمل في اليمن ، جاء من خلال خبرة ومعايشة للواقع اليمني على مدار ربع قرن من الزمن ، ولكنه يعاني من القصور بسبب وجهة النظر الفردية .

لذلك لنا أمل أن يجد من الأخوة المتخصصين الاهتمام اللازم ، والعمل على الالتقاء فيما بينهم ، لاخراج منهج جغرافي جديد يعمم على أقسام الجغرافية في الجامعات اليمنية .

---

* رئيس قسم الجغرافيا / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار.

أولاً : تطور مفهوم ووظيفة علم الجغرافيا :

لقد مر علم الجغرافيا منذ ظهوره بمراحل كثيرة ، تميزت كل منها بخصائص جوهرية عن الأخرى، ولذلـك فإن الجغرافيا من العلوم المرنة التي استطاعت مجاراة التطورات المتلاحقة عبر تاريخها الطويل وحتى وقتنا الحاضر ، مما يدل على أنها قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة والمستقبلية من خلال ما تقدمه من حلـول ومعالجـات لكثير من المشكلات الطبيعية والبشرية وتنظم العلاقة بين الإنسان وبيئته ، ومن أهم المراحل التي مرت بها الجغرافيا ما يأتي :

1ـ الجغرافيا الوصفية :

ظهـرت مع بداية الحضارة اليونانية منذ كتب هيكاتايوس كتاب (الفترات) في القرن الخامس قبل الميلاد ، إذ اكتسبت الشخصية المستقلة نوعاً ما من العلوم الأخرى ، ثم تواصل الاهتمام بالجغرافيا من لـدن الفلاسـفة وغيرهم من الكتاب والمهتمين ، وتبلورت شخصيتها على يد اراتوستيني في القرن الثالث قبل الميلاد ، ثم واصلت تقدمها على يدي كل من استرابو في آواخر القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي وبطليموس في القرن الثاني الميلادي.

لقـد كانـت الوظيفة الأساسية للجغرافيا في هذه الفترة ، تقديم المعلومات الطبيعية والبشرية عن الأرض ووصـف الأمـاكن ، ويؤكـد ذلـك أسمهـا الـذي يـتألف من مقطعين هما GEO ويعني الأرض و GRAPHIA ويعـني وصـف ، ومن هنا أطلق عليها أسم الجغرافيا الوصفية ، ولكنها استعانت منذ الـبداية بالخريطة والرياضيات ، بل أن كلمة جغرافيا كانت تعني خلال فترات من هذه المرحلة الخريطة إذ كـان كتاب الدليل في الجغرافيا لبطليموس عبارة عن خرائط للأرض ، وحظيت الرياضيات بنفس الدرجة مـن الاهـتمام ، إذ تطلـب تقسـيم الأرض إلى دوائر العرض وخطوط الطول ، الاعتماد على الهندسة والرياضيات في قياس مساقط أشعة الشمس والنجوم ، وكان اراتوستيني مبتكر مصطلح الجغرافيا من أكبر رياضيي عصره ، وهو الذي توصل إلى رقم قريب جداً من الرقم الحقيقي لمحيط الأرض بحساباته الرياضية .

2ـ الجغرافيا التحليلية (1860 – 1960) :

اكتسبت الجغرافيا سماتها على يدي العالمين الالمانيين همبولت وكارل ريتر ، فلم تعد مجرد تسجيل ووصـف لمشـاهد الطبـيعة وأنشطة الإنسان ، بل تحولت إلى علم تحليلي يستند إلى التجربة ويعتمد على الاسـتقراء والاستنباط ، ويبحث عن السبب والنتيجة ، وشكل هذا المنهج بداية سلسلة من التطورات لم تنته حتى اليوم ، مع أن الجغرافيا لم تخرج عن وظيفتها الأساسية ، وهو وصف العالم المشاهد ، ولكنها فضلاً عـن ذلـك ترصد ما يحدث من تفاعل بين البيئة والإنسان ، وما ينتج عن ذلك التفاعل من تنظيم مكاني للمجتمع بكل أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ونظـــراً لنـــبوغ عدد كبير من علماء الجغرافيا في هذه الفترة في كل من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايـــات المـــتحدة وغيرهـــا فقد توسع البحث وتعددت الوظائف ، وظهر الخلاف في وجهة النظر بين الجغرافـــيين حـــول مفهـــوم ووظيفة الجغرافيا ، مما أدى إلى ظهور الثنائية الجغرافية وهي الجغرافيا الطبيعية والجغرافـــيا البشـــرية [1] ، مـــع أن رائـــدي هذه المدرسة (همبولت وريتر) لم يفكرا في الفصل بين مجالي الجغرافيا الطبيعي والبشري [2] .

لقـــد ظهـــر اتجاه ثالث بعد ذلك انتقد الثنائية في الجغرافيا بزعامة الفردهتنر ، وانتشرت افكاره ونتج عنها ظهور الجغرافيا الاقليمية التي تستند على المعطيات الجغرافية الطبيعية والبشرية على حد سواء ، وقد أدى هذا الاتجاه إلى ظهور نظرية الحتم البيئي ثم ظهور النظريات البيئية الأخرى ، كالنظرية الامكانية والتركـــيز عـــلى دراســـات الأنظمة البيئية ، وبلغ هذا الاتجاه أقصاه على يد الجغرافي الامريكي ريتشارد هارتشـــورن ، الذي نادى بأن وظيفة الجغرافيا هي دراسة التباين المكاني ، وهو ما كان سائداً في الجغرافيا العربـــية الإسلامية إذ ألفوا كتباً كثيرة تحمل عنوان الأقاليم [3] ، فضلاً عن ظهور المدرسة الاحتمالية التي تحتل الموقف الوسط بين الحتم المطلق والحرية المطلقة [4] .

3ـ الجغرافيا العلمية (النظرية) 1961ـ1970 :

انتقلـــت الجغرافيا من التحليل عن طريق الاستقراء والاستنباط والبحث عن الأسباب والنتائج ، إلى اســـتخدام القوانـــين والنظريات والنماذج المستخدمة في بعض العلوم الأخرى ، وكانت البداية ظهور كـــتاب بونـــج (الجغرافـــيا الـــنظرية) الذي صدر عام 1962 إذ قدم فيه مفهوماً جديداً لبناء البيانات الجغرافـــية في ضـــوء خصائصها الهندسية ، وذكر أن الأنماط المكانية تمثل في الحقيقة قوانين مورفولوجية ، وعليـــنا أن نتوصـــل إلى تلك القوانين ودعوا إلى أن يكون هدف الجغرافيين هو البحث بطرق رياضية عن القوانين الخاصة بالمكان ، وأنه لا بد من التركيز على التحليل المكاني ، وركزوا على تقنية البحث ومنهجه أكثر من اهتمامهم بمادة البحث في كثير من الاحيان .

ومـــن فوائـــد هذا الاتجاه ، أنه جعل الجغرافيا أكثر استخداماً في الجوانب التطبيقية في التخطيط الأقليمي ، وشبكة النقل والمواصلات ، والتطوير المدني والعمراني ، والزراعي والصناعي ، وقد ساعد على ذلك انتشار استخدام الحاسوب في معالجة البيانات الكبيرة [5] .

4ـ الجغرافيا المعاصرة ما بعد عام 1970 :

بـــرزت عـــدة اتجاهـــات جديـــدة في الدراسات الجغرافية منذ اوائل العقد السابع من القرن العشرين ، وتبلورت في منتصفه ، ومن أهمها :

إتجاهات الجغرافيا الإنسانية والراديكالية والسلوكية ، وكانت رد فعل على اتجاه الجغرافيا الوضعية التي أضعفت من دور الإنسان وبالغت في شد الجغرافيا إلى العلوم الطبيعية .

والحقيقة أن المرحلة التي نعيشها تستوعب جميع الاتجاهات المذكورة سواء القديمة أم الحديثة أم المعاصرة ، ولكن بنوع من التوازن والموضوعية وعدم التطرف أو الافراط ، فالهدف هو خدمة الإنسان وسعادته من خلال حل المشاكل التي تواجه حياته ، وتهدد مستقبله .

مما سبق نلاحظ الاتساع والتعدد الكبير في المناهج والاتجاهات الجغرافية ، مما يجعل الفرد غير قادر على ضم أطراف هذا العلم في ظل التأكيد على وحدة مجالاته ، فالجغرافيا كل لا يتجزأ إلا لغرض الدراسة والتخصص مما يجعل بعضهم ينتقدون الجغرافيا بشكل لاذع ، حتى من لدن بعض أفرادها ، وذلك يعود إلى عدم ادراكهم لأهمية الوظائف التي اصبحت الجغرافيا تؤديها ، وفي مجالات كثيرة ومنها التخطيط الإقليمي والحضري والدراسات البيئية بمختلف مجالاتها ، وهذا دليل على حيويتها وقدرتها على التفاعل الإيجابي مع التطورات العلمية الحديثة في كثير من المجالات ، وأن المرونة في أهداف الجغرافيا واساليبها ومناهجها هي التي حافظت عليها ، باعتبارها علماً متجدداً يمكن الانتفاع به على الدوام وجعلها قادرة على الصمود أمام التحديات وعلى إيجاد مهام ووظائف جديدة لها وخاصة في مجال الجغرافيا التطبيقية وهو ما سوف نستعرضه لاحقاً .

ثانياً : وظيفة علم الجغرافيا المعاصرة :

لقد حدث تحول جوهري في الدور الجغرافي ووظيفة الجغرافيا التي تقوم بها خلال الربع الأخير من القرن العشرين ، وخاصة في مجالات التخطيط والتنمية والبيئة في المجتمعات المتقدمة : الأوروبية والأمريكية ، وجاء هذا التطور الإيجابي انعكاساً لسياسة وبرامج الأقسام الجغرافية في تلك المجتمعات ، إذ أصبح توجهها الرئيس المتبع هو الاهتمام بالجوانب التطبيقية ، أي ربط معطيات التطور العلمي في ميدان الجغرافيا بمشكلات ومتطلبات الإنسان في بيئاته المختلفة ، وكان أبرز التوجهات في الجغرافيا التطبيقية ، التي أصبح المجتمع الإنساني المعاصر يحتاج إليها في ميدان التخطيط الحضري والاقليمي والبيئي وارتباطها ببرامج التنمية الشاملة ، ولقد برز هذا الدور الجغرافي الجديد في الأعداد المتزايدة للجغرافيين العاملين في مجالات التخطيط والتنمية الحضرية والاقليمية والدراسات البيئية بمختلف جوانبها .

وكما هو معلوم فإن الجغرافيا قد اكتسبت أهميتها في السابق من خدمتها للأهداف الوطنية للدول الاستعمارية وللشركات الاستثمارية ، وهي لا تزال قادرة على أن تجتذب الأهداف الوطنية في التطور الاقليمي والحضري والصناعي والزراعي وشبكة النقل والمواصلات ، وكذلك في البحث عن الموارد وصيانة التربة والمحافظة على البيئة ومكافحة التصحر وفي المجال الاقتصادي صناعياً وزراعياً وسياحياً وتجارياً وغيرها من المواضيع المرتبطة بالتنمية الشاملة ، وبالطبع لن يتحقق هذا الوضع بكامله إلا إذا

طـورت الجغرافـيا مـناهجها ومقرراتها الخاصة بالجانب الطبيعي ، واستحدثت برامج جديدة تؤكد على المعـرفة العلمـية التي تساهم في تفهم عمل الكائنات الحية والتفاعل بين الحياة البيئية المختلفة ، ولابد من التأكـيد على أن مثل هذه البرامج تستدعي وجوداً جغرافياً بمواصفات معينة ، ينبغي تأهيله على نحو خاص حتى يقوم بأداء واجباته العملية والبحثية على الوجه المطلوب ، وأن ترتبط هذه المقررات المستحدثة بأقسام علمية تقدم خدمتها تحت مظلة علم الجغرافيا من غير حساسية أو تنافس سلبي من الأقسام الأخرى .

إن طبـيعة الجغرافيا وتركيبتها باعتبارها جسراً بين العلوم المختلفة كونها تتفاعل مع كم هائل من الظواهـر الطبيعية والبشرية يؤهلها أكثر من غيرها من العلوم ، لتؤدي دوراً رائداً لتوفير التأهيل النظري والعمـلي والتطبيقي من خلال الدراسة المتداخلة المناهج ، وينبغي التأكيد على أن دورها محوري في ربط وتقـارب العلـوم الطبيعية والاجتماعية اللازمة للفهم الشمولي لقضايا البيئة من خلال المناهج المتعددة ، ولعـل الجغرافـيا بفضـل منظورها الشمولي وعلاقاتها التقليدية المتشعبة والمتداخلة مع علوم تتعاطى مع الظواهـر الطبيعية والبشرية في حد ذاتها ، يمكن أن تؤدي أقسامها العلمية دوراً توفيقياً وتكاملياً في تقديم برامج الدراسات البيئية والإشراف عليه .

لقـد أشـارت البيانات أن حوالي 20% من مجموع أعضاء رابطة المخططين الأمريكيين هم من الجغرافـيين ، كما أوضحت الدراسات أن أكثر من نصف الأقسام الجغرافية في الجامعات الأمريكية بدأت بتوسـيع برامجها لتتضمن تخصصات في موضوع التخطيط [6] ومع أن مثل هذه التوجهات أصبحت حقائق مسلماً بها في الأقسام الجغرافية الأوروبية والأمريكية إلا أن هذا الاتجاه الجغرافي الجديد ما زال يتطور ببطء في جامعات الوطن العربي ، وقد ظهرت محاولات عديدة لدفع عجلة سير هذا الدور، كان أبرزها توصيات المؤتمـر الجغرافي العربي الثاني الذي عقد في بغداد في مارس عام 1976م ونصت إحدى توصياته على دور الجغرافـيا في عملـية التخطيط والتنمية بشكل واضح عندما ذكرت (أن المؤتمر إذ يدرك ما للجغرافيا من صلة بالتخطيط للتنمية في مختلف المجالات ويوصي بأن يتجه الجغرافيون العرب في بحوثهم ودراساتهم لخدمة هذه الناحية)[7].

وباستعراض مسميات الوظائف لمن يحملون شهادات في الجغرافيا في الولايات المتحدة الأمريكية ، نجـد مـنها مـثلاً أخصـائي سـكان DEMOGRAPHER ، محلـل طـرق مواصـلات TRANSPORTATIONANALYST ، مسـؤول خـرائط CARTAAGRAPHER ، أخصائي نظم معلومات جغرافية GISSPECIALIST ، باحث تسويق ARKETING RESEA RECHER ، مسـؤول سفريات ، استشاري استعمالات الأرض ، باحث عقاري ، مدير بيئي ، مخطط سياحي ، محلل مواقع ، محلل مصادر طبيعية وغيرها [8] .

ويتسلم الجغرافيون مناصب عدة في كثير من المصالح الحكومية في الولايات المتحدة ، ومن أشهرها مصلحة المساحة الجيولوجية ، وزارة الخارجية ، الاستخبارات ، مكتب حماية البيئة ، وزارة الدفاع ، وزارة الطاقة ، سلاح المهندسين ، وزارة المواصلات ، مكتبة الكونغرس ، وزارة الإسكان والتنمية العمرانية [9] .

إن الذي عزز الدور الجغرافي في ميدان التنمية والتخطيط الحضري و الإقليمي وبرامج التنمية الشاملة ، هو رصيد الخبرات والمهارات التي إكتسبها الجغرافيون من خلال تطويرهم وصقلهم لقدرتهم ، وتمكنهم من منهجيات البحث الحديث وأدواته المعاصرة ، إذ أدى ذلك إلى إغناء قدراتهم ورفع مستوياتهم البحثية والدراسية بحيث مكنهم ذلك من الوقوف على قدم المساواة مع بقية المجالات العلمية .

وقد كانت أبرز التطورات في أدوات التحليل المتمثلة بالنماذج الإحصائية والرياضية ومعالجة وتحليل وتفسير البيانات ، والصور الجوية والفضائية ، واستخدام أنظمة المعلومات الجغرافية GIS والحاسوب في المعالجات البيانية ، ورسم وتطوير الخرائط والأشكال الآلية وفي أساليب وأدوات الإستشعار عن بعد ، وغير ذلك من الأساليب والمهارات المهنية .

وهنا نتساءل : هل أقسام الجغرافيا بجامعاتنا العربية أخذت بهذه المنهجية وطورت مناهجها وكوادرها لتأهيل جغرافيين قادرين على مواجهة تحدي التطورات العلمية الحديثة والتفاعل معها بإيجابية ؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عليه لاحقاً .

ثالثاً : المناهج الجغرافية الحالية وعلاقتها بسوق العمل

من الحقائق المسلم بها ان جميع الدول العربية من غير استثناء ومنها اليمن ، تبذل جهداً كبيراً للنهوض بنفسها لتلحق بركب الدول المتقدمة والتقريب من الهوة الحضارية التي تفصل بينها وبين تلك الدول .

ومن هذا المنطلق تبنت الدول العربية الخطط التنموية الشاملة لتحقيق الأهداف المرسومة ، ولكن كان نجاح معظمها نسبياً نظراً لما يواجه تنفيذها من معوقات محلية وخارجية اقتصادية واجتماعية ، ويعد معدل النمو السكاني المرتفع من أكبر المشكلات التي تواجه الوطن العربي ، إذ بلغت 3.8% وهو من أعلى المعدلات السكانية في العالم [10] . إذ أن الأعداد الجديدة من السكان تلتهم كل الموارد الاقتصادية المتاحة ولا تسمح بتحقيق معدلات نمو مرتفعة في اقتصاديات الدول العربية ، ولا سيما الفقيرة منها فضلاً عن التعليم في الوطن العربي واليمن خصوصاً يعد تعليماً نظرياً استهلاكياً لا اقتصادياً ، لعدم عنايته بالجوانب التطبيقية والفنية والمهنية بما فيه التعليم العالي والاهتمام بالكمية أكثر من النوعية بما يتناقض وتوجهات التنمية .

لقد طالبت الخطط التنموية العربية بان تتجاوب أنظمة التعليم والتدريب مع احتياجات سوق العمل، وحذرت من توسع الهوة في المستقبل من الناحية النوعية بين المهارات المطلوبة والمهارات المعروضة ، وتمثل الجامعات المورد الرئيسي لتوفير القوى العاملة .

ان عوامل نجاح برامج التنمية الشاملة وجود الإنسان المخطط والمنفذ لها ، فالإنسان هو هدف التنمية ووسيلتها ، ولا يتم ذلك إلا من خلال اعداده علمياً ومهنياً وأكاديمياً على مستوى عال من الكفاءة والقدرة ، حتى يتمكن من أداء واجباته العملية والوظيفية بدرجة عالية من الاتقان والجودة والمهارة التي توفر الوقت والجهد والمال .

وهنا سؤال يطرح نفسه في هذا الموضوع ، وهو : هل برامج إعداد الجغرافي في الجامعات العربية ومنها اليمنية يلبي احتياجات سوق العمل وبشكل يؤهله للقيام بواجباته بكفاءة ومهارة ؟ وللاجابة على هذا السؤال نستعرض الجدول (1) ، الذي يحتوى على المقررات الدراسية لأقسام الجغرافية في بعض الجامعات العربية ، ومنها ثلاث جامعات يمنية حكومية والموزعة على ثمانية فصول وأربع سنوات دراسية وكما يأتي:

جدول (1) المقررات الدراسية في بعض الجامعات العربية واليمنية

	الفصل الدراسي	جامعة صنعاء	جامعة تعز	جامعة ذمار	جامعة القاهرة (خرائط)	جامعة أم القرى (تقنيات جغرافية وخدمات)	جامعة مؤته
الأول	1	جغرافية طبيعة	جغرافية طبيعة	جغرافية طبيعة	البنية والتضاريس	مقدمة في الجغرافيا	1- المقررات الإجبارية (20مقرراً) الخرائط والصور الجوية مبادئ الجغرافيا جغرافية الوطن العربي جغرافية الاردن مناهج البحث الجغرافي مبادئ علوم البيئة الجغرافيا البشرية اشكال سطح الارض الجغرافيا المناخية الجغرافيا السياسية نظرية الموقع جغرافية العمران الأراضي الجافة الجغرافيا العسكرية استخدام الاحصاء في الجغرافيا طرق المواصلات
	2	خرائط عامة	خرائط عامة	خرائط عامة	العمران الريفي	المدخل إلى الخرائط	
	3	جغرافية بشرية	—	جغرافية بشرية	جغرافية اوراسيا	المدخل للعلوم الاجتماعية	
	4	—	—	جغرافية الوطن العربي	—	جغرافية العالم الاسلامي	
	5	—	—	جيولوجيا	—	مقدمة في المعلومات الجغرافية	
	6	—	—	—	—	المدخل إلى طرق البحث الجغرافي	
الثاني	1	جغرافية المناخ	جغرافية الوطن العربي	جغرافية الطقس والمناخ	مدخل إلى علم الجغرافيا	جغرافية التضاريس	
	2	الجغرافيا الاقتصادية	الجغرافيا البشرية	مبادئ المساحة	المساحة والخرائط	الجغرافيا المناخية	
	3	مبادئ الاحصاء	—	خرائط التوزيعات	الجغرافيا الزراعية	جغرافيا افريقيا	
	4	مبادئ الاقتصاد	—	الجيومورفولوجيا(1)	—	بيئة ومجتمع المملكة	
	5	—	—	—	—	تطبيقات على الخرائط	
الثالث	1	الجيومورولوجيا	الجيومورولوجيا	الجيومورولوجيا (2)	جغرافية البيئة	تطور الفكر الجغرافي	
	2	الجيولوجيا	الجيولوجيا العامة	مبادئ الاقتصاد ،	جغرافية الوطن العربي	جغرافية السكان	

الفصل الدراسي	جامعة صنعاء	جامعة تعز	جامعة ذمار	جامعة القاهرة (خرائط)	جامعة أم القرى (تقنيات جغرافية وخدمات)	جامعة مؤته
	جغرافية السكان	مبادئ الاقتصاد	المناخ التطبيقي	جغرافية المعادن والطاقة	الجغرافيا الزراعية	الاستشعار عن بعد تحليل الأراضي التخطيط الاقليمي الجغرافيا الطبيعية
	جغرافية المدن	—	الحاسب الآلي	اقتصاديات التجارة الدولية	جغرافية الوطن العربي	
	نصوص انجليزية	—	—	—	جغرافيا الخدمات	
	—	—	—	—	الجغرافيا الكمية والاحصائية	
السـراديـة	جغرافيا افريقا واستراليا	خرائط التوزيعات	جيمورفولوجيا تطبيقية	جغرافية السكان	جغرافية العمران	
	خرائط طبيعية	الجغرافيا المناخية	جغرافية اليمن الطبيعية	جغرافيا المناخ	الجغرافيا السياسية	
	جغرافية الزراعة	الجغرافيا الاقتصادية	قاعة بحث جغرافي	جغرافية البحار والمحيطات	جغرافية التعدين والصناعة	
	مبادئ المساحة	جغرافيا الريف	جغرافيا أوراسيا	الخرائط	جغرافيا اسيا واستراليا	
	جغرافية الوطن العربي	الاقاليم الجافة	—	—	مقدمة الصور الجوية	
	—	—	—	—	مبادئ الحاسوب	
الخامس	جغرافية الصناعة	جغرافيا الامريكتين	الجغرافيا الحيوية والتربة	خرائط جيولوجية	الجيمورفولوجيا	
	جغرافية أوراسيا	جغرافية البحار والمحيطات	صور جويه (1)	جغرافية التوزيعات	جغرافية أوروبا	
	خرائط التوزيعات	جغرافية البيئة	جغرافية الامريكتين	نصوص بالعربية	خرائط الحاسوب	
	جغرافية النقل والتجارة	التخطيط الاقليمي	جغرافية اليمن البشرية	الدراسة الميدانية	مبادئ المساحة	
	—	الموارد المائية	نظم معلومات جغرافية	جغرافية المدن	مقدمة في نظم المعلومات	
	—	مبادئ المساحة	الإحصاء	—	—	
	—	—	خرائط الوديان في اليمن	—	—	
السادس	الفكر الجغرافي	الجغرافيا الكمية	جغرافية المياه	الجيمورفولوجيا	النقل والتجارة	2مقررات اختيارية (20 مقرر) المساحة الطبوغرافية أنظمة المعلومات استعمال الخرائط التحليل الكمي في الجغرافيا استخدام الحاسوب بادئ الجيولوجيا أخطار بيئية أشكال السطح التطبيقي التغير المناخي
	جغرافيا البحار والمحيطات	الخرائط الطبيعية	جغرافية أفريقيا واستراليا	نصوص بالاوربية	جغرافية امريكا الشمالية	
	أقاليم جافة	جغرافية النقل التجارة	جغرافية البحار والمحيطات	الاحصاء	الجغرافيا الطبية	
	نصوص بالإنجليزية	الفكر الجغرافي	الاستشعار عن بعد	الطرق الفنية	جغرافية التسويق	
	انثروبولوجيا اجتماعية	نصوص بال E	جغرافية السكان	المساحة	الاستشعار عن بعد	

الفصل الدراسي		جامعة صنعاء	جامعة تعز	جامعة ذمار	جامعة القاهرة (خرائط)	جامعة أم القرى (تقنيات جغرافية وخدمات)	جامعة مؤته
	6	—	الجغرافيا الميدانية	الفكر الجغرافي	النقل والتجارة	تطبيقات على نظم GIS	الأحواض المائيه جغرافية السكان الجغرافيا الحضارية الموارد الاقتصادية مشكلات دولية تنمية إقليمية . الجغرافيا الطبية الجغرافيا الاستراتيجية تخطيط المدن موضوع خاص بالطبيعية موضوع خاص بالبشرية (يتم اختيار 8 مقررات من الـ 20المقرر السابقة)
السابع	1	الجغرافيا السياسية	جغرافية الصناعة	جغرافية الزراعة	مشروع كرتوغرافي	تخطيط المدن والاقاليم	
	2	جغرافية اليمن الطبيعية	جغرافية اليمن	جغرافية الصناعة	جغرافية السياحة	نظرية الموقع واستعمالات الارض	
	3	الموارد الطبيعية	جغرافية استراليا وافريقيا	جغرافية المدن	نصوص بالـE	الجغرافيا السياحية	
	4	قاعة بحث جغرافي	صور جويه واستشعار عن بعد	الجغرافيا السياسية	الاراضي الجافة	معالجة الصور الفضائية	
	5	صور جويه واستشعار عن بعد	طرق البحث	الموارد الاقتصادية	افريقيا وحوض النيل	تحليلات مكانية بالحاسوب	
	6	—	جغ شبة الجزيرة العربية	—	—	—	
الثامن	1	جغرافية الريف	الجغرافيا السياسية	النقل والتجارة	جغرافية مصر البشرية	جغرافية أمريكا اللاتينية	
	2	جغرافية الامريكتين	الجغرافيا الزراعية	التخطيط الاقليمي	جغرافية مصر الطبيعية	جغرافية المملكة	
	3	جغرافية اليمن البشرية	جغرافية المدن	جغرافية الأقاليم الجافة	التخطيط الأقليمي	جغرافية الخدمات التعليمية	
	4	التخطيط الاقليمي	جغرافية السياحة	جغرافية السياحة	الجغرافيا السياسية	جغرافية الحج والاماكن المقدسة	
	5	—	بحث جغرافي	جغرافية اليمن الاقتصادية	الخرائط الجويه	تدريب ميداني	
	6	—	—	بحث التخرج	—	—	

الجدول من إعداد الباحث إعتماداً على المصادر الآتية :

11. جامعة صنعاء دليل جامعة صنعاء لعام 1997م، الافاق للطباعة والنشر، صنعاء، 1997م.ص76 .
12. جامعة تعز الآداب ، خطة توزيع المقررات على الفصول الدراسية لقسم الجغرافيا للعام الدراسي99/2000م.
13. جامعة ذمار ، دليل ذمار للعام الجامعي 2000/1999م ، مطابع المفضل للافست ، صنعاء ، 1999م . ص84-85
14. يوسف عبد المجيد فايد ، تأهيل خريجي أقسام الجغرافيا لخدمة المجتمع ، بحوث ملتقى الجغرافيين العرب الأول ، منشورات جامعة صنعاء ، 1998 . ص 411-413 .
15. جامعة مؤته ، كلية الآداب ، خطة متطلبات درجة البكالوريوس في قسم الجغرافيا ، الخطة الجديدة من عام 1998/1997 .
16. الزهراني ، أحمد رمزي ومعراج بن نواب مرزا ، التقنيات الجغرافية الحديثة والخدمات في مناهج قسم الجغرافيا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، بحوث ملتقى الجغرافيين العرب الاول ، منشورات جامعة صنعاء ، 1998 . ص 630 .

باستعراض وتحليل الجدول (1) تتضح الملاحظات الآتية :

1. تشـــابه المقررات الدراسية في جميع الجامعات المذكورة ، وقد تصل إلى درجة التطابق بين بعضها ويوجد بعـــض التبايـــنات المحدودة بين البعض الآخر ، وذلك يعود إلى سعي الجامعة نحو التخصص أو تقديم أو تأخير المقررات بحسب المستويات الدراسية .

2. الـــتطابق النســـبي في مسميات المقررات في الجامعات اليمنية المذكورة باستثناء بعض المواد الجديدة في جامعـــة تعـــز ، وهي الجغرافيا الميدانية وجغرافية البيئة وجغرافية شبه الجزيرة العربية ، وفي جامعة ذمار جغرافـــية السياحه الجيموفولوجيا التطبيقية والمناخ التطبيقي ، كما ان جامعة تعز تضيف مقرراً في كل فصل من المستوى الثالث لطلبة الشرف (أربعة مقررات).

3. وجـــود تخصص في جامعة القاهرة من المستوى الثالث ولذلك فإن المقررات المذكورة في الجدول لكل مـــن المســـتويين الثالـــث والرابع تخص شعبة الخرائط ، ومع ذلك لم نلاحظ الاهتمام الكافي بموضوع الخـــرائط ، إذ أن نصـــيب التخصص عدد بسيط من المقررات هي الخرائط الجيولوجية والطرق الفنية والمشـــروع الكوتوجرافي والخرائط الجوية فقط خلال العامين الدراسيين ، أما بقية المقررات فهي مواد عامة لاتخرج عن مقررات الجامعة اليمنية .

4. تتـــبع جامعـــة مؤته الأردنية نظام الدراسة بالساعات المعتمدة ، ولذلك فإن هناك (20) مقرراً جغرافيا بقـــيمة (60) ساعة معتمدة إجبارياً وهي مواد عامة لا تميل إلى أي تخصص ، فضلاً عن ثمانية مقررات جغرافـــية يـــتم اختـــيارها مـــن ضمن عشرين مقرراً اختياريا ، وهنا بالإمكان أن يختار الطالب معظم المقـــررات التي تخدمه وبحسب رغبته وميوله ، إذا كان لدى الجامعة الإمكانات اللازمة وهيئة تدريس كافية .

5. قسمت الدراسة في قسم الجغرافيا بجامعة أم القرى إلى شعبتين دراسيتين هما :

أ – شعبة الجغرافيا (التخصص العام) .

ب– شعبة الجغرافيا (تخصص التقنيات الجغرافية والخدمات) .

حـــوالي14 مقرراً دراسياً وتعد كافية لإعد اد الجغرافي المتخصص وقد تم الشروع في تطبيق هذا البرنامج من بداية العام الدراسي 1998– 1999م ، وتعد هذه الخطوة أبرز تجربة في سبيل تطوير برنامج أقسام الجغرافيا العربية ، وتبلورت عن دراسات متعمقة من لدن المختصين بالقسم ، إذ برزت فكرة التركيز على توجـــيه البرامج ، بما تقضيه المتطلبات والفرص الوظيفية في المجتمع [17] ولذلك فإن كل فصل دراسي من

الفصول الثمانية تضمن مقررين أو اكثر ، تهتم بموضوع التقنيات الجغرافية ، إذ بلغ مجموعها في هذا المجال ، وتركز على الحاسوب والاستشعار عن بعد والصور الجوية وصناعة الخرائط الآلية وتفسيرها وتحليلها .

ونؤكد هنا أنها خطوة تستحق الاهتمام والتقويم والإفادة منها في الجامعات العربية الأخرى ، أما بالنسبة لمناهج الجامعات اليمنية المذكورة فإنها بعيدة عن سوق العمل ، وأن مخرجاتها ضعيفة وليست مرغوبة من الجهات ذات العلاقة ، بسبب النقص الواضح في إعدادها الأكاديمي والتطبيقي في الجامعة .

رابعاً : مقترح لمنهج جغرافي جديد يستجيب لسوق العمل في اليمن :

لقد كانت الجامعات مركز إشعاع للعلم والفكر والمعرفة وإعداد المواطنين الصالحين المثقفين ، ولكن سياسة الجامعات في كثير من الدول قد تغيرت ، فالعلم فيها لم يعد مطلوباً لذاته ومن ثم لم تعد الجامعات معزولة عن المجتمعات ، مكتفية بتكثيف جهودها في التدريس والبحث ، وإنما أصبحت العلوم والمعارف في خدمة المجتمعات ، إن العلم لم يعد هدف الجامعة وإنما ينبغي أن تكون له منفعة وجدوى اقتصادية ، وقد أصبحت الجامعات في وقتنا الحاضر مؤسسات علمية ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع وبمستقبله وبتنميته الاقتصادية والاجتماعية وبعلاقته الدولية ، وبتكوين العلماء الصالحين لخدمة شعوبهم وأوطانهم ، ولكن يلاحظ أن الجامعات اليمنية لم تتضح سياستها الفعلية في هذا الموضوع .

ومساهمة في إخراج الجغرافيا بالجامعات اليمنية من الركود والجمود الذي تعيشه منذ نشأتها ، إذ لم تحدث أي خطوات جوهرية على طريق التطوير والتجديد بما يتماشى مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها اليمن ، بل إن بعض الأقسام تعود إلى الخلف بهذا الجانب ، لذلك تم اقتراح منهج جغرافي جديد يلبي حاجات سوق العمل في اليمن وسوف نستعرضه من حيث المبررات والأهداف والمكونات كما يلي:

أ – مبررات المنهج المقترح :

1. أدى اتساع وتعدد المجالات التي يهتم بها علم الجغرافيا في الوقت الحاضر في ظل الوحدة الكلية لعلم الجغرافيا ، إلى عدم قدرة الطالب الجغرافي بالإلمام بجميع تلك المجالات مما استدعى الأمر إلى تخصصه .
2. ضرورة الإفادة من جميع المجالات الجغرافية ، ولاسيما ذات الطابع الذي يخدم المجتمع وأهمها المجالات الخمسة الآتية :

- التقنيات والمهارات الجغرافية وتضم : الخرائط والإحصاء والحاسوب واستعمالاتها الجغرافية ، والاستشعار عن بعد وأنظمة المعلومات الجغرافية GIS والصور الجوية .
- الدراسات الطبيعية لسطح الأرض من حيث التضاريس والبنية والمناخ والتربة والنبات والحيوان.
- الدراسات الإقليمية، وتشمل التخطيط الإقليمي والحضري .
- الدراسة الطبيعية وتشمل الموارد الطبيعية واستخداماتها .

- التنظيم المكاني ويشمل الإنسان ومؤسساته والبنى الهيكلية(عمران ، صناعة ، زراعة ، طرق ..الخ).

4. ضـــرورة إيجاد الكوادر المتخصصة التي تسد حاجة سوق العمل ، والتي تمتاز بمستوى عالٍ من الإعداد والكفاءة العلمية للمساهمة الإيجابية في التخطيط والتنفيذ لمشاريع التنمية الشاملة .
5. الدفع بالجغرافيا اليمنية خطوة إلى الأمام لتحتل المكانة المناسبة بين العلوم الأخرى .
6. تقديم فكرة قد تفيد منها الجامعات العربية الأخرى وتحسنها وتطورها .

بـ الأهداف التي يسعى المنهج المقترح لتحقيقها :

1. تزويد الطلاب بالمبادئ والمفاهيم الجغرافية العامة والثقافية و الجغرافية النظرية الواسعة .
2. تنمية قدرات الطلاب المعرفية ، والتخلص من تكرار المعلومات الجغرافية والتدرج من العام إلى الخاص خلال سنوات الدراسة الأربع .
3. الانـــتقال مـــن إطار التلقين والحفظ إلى مرحلة اعتماد الطالب على نفسه والتعلم الذاتي وتدريبه على البحث والاستيعاب .
4. مساهمة الطالب في حل مشكلات مجتمعه المحلي والقومي التي ترتبط بعلاقة الإنسان ببيئاته المختلفة مثل مشكلات المياه والتلوث والتصحر والغذاء وغيرها .
5. قـــدرة الطالب على التعامل مع الوسائل والأساليب البحثية الحديثة ، والأجهزة العلمية المتطورة التي تخدم الجغرافيا والتنمية على حد سواء .
6. حصول الطالب على عدد من المقررات العلمية المساعدة كالإحصاء ومناهج البحث واللغة الإنجليزية وغيرها .
7. تدريب الطالب على العمل والتطبيق الميداني ، لانه الأساسي للبحوث الجغرافية التطبيقية .
8. تدريب الطالب على تقويم مشروعات التنمية الاقتصادية والعمرانية والبيئية .
9. تخصص الطالب في أحد الفروع الجغرافية حتى يصبح قادراً على أداء واجباته بكفاءة في مجال تخصصه
10. إعـــادة الـــثقة بأقسام الجغرافيا بالجامعات العربية واليمنية والتأكيد على أن من أخص مهامها إعداد علماء قادرين على الإسهام في إيجاد الحلول المثلى لمشكلات الإنسان في بيئته ، وليس تخريج أجيال من مدرسي الجغرافيا للتعليم العام .
11. أدراك الطالـــب للأحـــداث المحلـــية والعالمـــية وفهم العلاقات الدولية السائدة سواء السياسية أم الاقتصادية.

جـ مكونات المنهج الجغرافي المقترح وتقسيماته :

تحقـــيقا للأهـــداف المرســـومة الـــتي يسعى المنهج المقترح إلى تحقيقها ، وانسجاما مع المنطلقات السابقة، فقد تم تصميم المنهج من جزأين رئيسيين هما :

أولا : مقررات القسم العام : يدرس الطالب 37 مقررا دراسيا بمجموع 104 ساعات معتمدة خلال السنوات الدراسية الثلاث الأولى وتتضمن هذه المقررات المجالات الآتية :

1. مقررات متطلبات الجامعة (مقررين عربي ومقررين إنجليزي وثقافة إسلامية).
2. مقررات الجغرافيا العامة : كالطبيعية العامة والبشرية العامة والخرائط العامة والاقتصادية ... الخ .
3. المقررات الإقليمية وهي : إفريقيا واستراليا ، واو راسيا و الأمريكتان والوطن العربي واليمن .
4. المقررات المساعدة ، كالنصوص الجغرافية بالإنجليزية والإحصاء ومناهج البحث والحاسوب والاستشعار عن بعد والصور الجوية أنظمة المعلومات الجغرافية (GIS).
5. مقدمات ومداخل للمقررات التي سيتم التخصص بإحداها ، وتمثل بقية المواد المدرجة في الجدول (2).

وباجتياز الطالب المستوى الثالث يكون لديه ثروة معرفية في مختلف المجالات الجغرافية تعادل تقريبا خريج الجغرافيا في الوقت الحاضر والمدرجة في الجدول (1) .

جدول (2) مقررات المنهج الجديد المقترح

المقررات العامة

الفصل الدراسي	م	المستوى الأول	س.م	المستوى الثاني	م	المستوى الثالث	م
الأول	1	الجغرافية الطبيعية	3	الجيمورفولوجيا	3	جغرافيا الامريكتين	3
	2	الجغرافية البشرية	3	افريقيا واستراليا	3	جغرافية اليمن الطبيعية	3
	3	الجغرافية الاقتصادية	3	المساحة الجغرافية	3	جغرافية النقل والتجارة	3
	4	مدخل إلى علم الخرائط	3	الاحصاء الجغرافي	2	الاستشعار عن بعد	2
	5	لغة عربية 91	3	مقدمة في الحاسوب	2	مقدمة في الصور الجوية	2
	6	لغة إنجليزية 91	3	نصوص جغرافية بالانجليزية (1)	2	الفكر الجغرافي	3
الثاني	1	جغرافية الطقس والمناخ	3	جغرافية السكان	3	الجغرافيا السياسية	3
	2	مبادئ الجيولوجيا	3	جغرافية المدن	3	جغرافية البحار والمحيطات	3
	3	خرائط التوزيعات(1)	3	جغرافية أوراسيا	3	جغرافية الوطن العربي	3
	4	الثقافة الإسلامية	3	جغرافية الريف	3	جغرافية اليمن البشرية	3
	5	لغة عربية 92	3	مقدمة في انظمة المعلومات الجغرافية (1)	2	الجغرافية الحيوية والتربة	3
	6	لغة إنجليزية 92	3	نصوص جغرافية بالإنجليزية (2)	3	الجغرافيا السياحية	2
	7			منهج البحث الجغرافي	2		
الإجمالي	12	12 مقررا	36	13 مقررا	34	12 مقررا	33

*** ثانيا مقررات الأقسام المتخصصة وبحسب الشعب الخمس الآتية :**

يجب على الطالب أن يتوجه إلى إحدى الشعب الخمس لاستكمال متطلبات التخرج خلال السنة الرابعة لدراسته ، اذ لابد له أن يجتاز 13 مقرر خلال العام الرابع منها التطبيقات والتدريبات الميدانية وبحث التخرج وبعدد ساعات معتمدة 32 ساعة .

جدول (3) المقررات التخصصية بحسب الشعب "المستوى الرابع "

الفصل	م	التقنيات الجغرافية والخرائط	ق م	التخطيط الاقليمي والحضري	ق م	الدراسات البيئية والسكان	ق م	الدراسات الاقتصادية	ق م	الدراسات الطبيعية	ق م
الأول	1	الجغرافيا الفلكية	3	الجغرافية الحضرية	3	جغرافية البيئة	3	جغرافية التعدين والطاقة	3	الجيومورفولوجية التطبيقية	2
	2	الجغرافيا الكمية	3	التخطيط الاقليمي	3	جغرافية الموارد المائية	3	الجغرافيا الكمية	3	دراسات في المناخ المحلي والتطبيقي	2
	3	المساحة الطبوغرافية	3	جغرافية الاستيطان الريفي	3	مشكلات بيئية معاصرة	2	نظرية الموقع	2	الجيولوجيا والمعادن	3
	4	خرائط التوزيعات الطبيعية	2	نظرية الموقع	2	جغرافية الاراضي الجافة	3	جغرافية الصناعة	3	جغرافية التربة	3
	5	الاستشعار عن بعد وتطبيقاته	2	التنمية الأقليمية	2	الاستشعار عن بعد	2	جغرافية التنمية	2	الجغرافيا الكمية	3
	6	الخرائط الموضوعية	2	جغرافية أقليم المدينة	2	تحليل الصور الجوية	2	جغرافية التجارة العربية والدولية	2	الخرائط الطبيعية	2
	7	تحليلات مكانية بالحاسب	2	تخطيط المدن	2	الجغرافيا الطبية	2	جغرافية التسويق	2	الاستشعار عن بعد وتطبيقاته	2
الثاني	1	تفسير وتحليل الصور الجوية	3	جغرافية الموارد الاقتصادية للأقليم	3	تحليل واستعمالات الأرض	2	جغرافية الموارد الاقتصادية	2	جغرافية الموارد المائية	2
	2	الخرائط الآلية	2	المشكلات الحضرية	2	مشكلات الأراضي الزراعية	2	استعمالات الأراضي الزراعية والصناعية	2	جغرافية الأراضي الجافة	3
	3	صناعة الخرائط من الصور الجوية	2	جغرافية سكان الأقليم	2	جغرافية المشكلات الدولية	2	جغرافية السياحة	2	جغرافية الغلاف الحيوي	3
	4	خرائط التوزيعات البشرية	2	استعمالات الأرض	2	مشكلات سكانية	2	جغرافية الموانئ والمناطق الحرة	3	خرائط التوزيعات الطبيعية	2
	5	تطبيقات جغرافية على GIS	2	تطبيقات جغرافية على GIS	4	تطبيقات جغرافية على الـGIS	4	تطبيقات جغرافية على الـGIS	2	تطبيقات جغرافية على الـ GIS	2
	6	تطبيقات ميدانية وبحث التخرج	4	تطبيقات ميدانية وبحث التخرج	2	تطبيقات ميدانية وبحث تخرج		تطبيقات ميدانية وبحث تخرج	4	تطبيقات ميدانية وبحث تخرج	4
الإجمالي		13مقرراً	32	13مقرراً	32	13مقرراً	32	13مقرراً	32	13مقرراً	32

تمت الأفاده من الابحاث الآتية في اختيار بعض المقررات :

17- عبد الملك الجبلي ، مناهج الجغرافيا المناخية في جامعة صنعاء ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد 6 ، لعام 1999 ، بغداد ، ص 145 .

18- قائد حسن الجمرة ،واقع ومستقبل مناهج الجغرافية الصناعية ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد 6، لعام 1999. بغداد ص188-189 .

ومن الجدول (3) يتضح مسميات الشعب الخمس والمقررات الدراسية والتخصصية في كل منها وهي كما يأتي :

1. شعبة التقنيات الجغرافية والخرائط : يدرس الطالب 13 مقرراً تركز على الجوانب المهنية والتطبيقية والبحثية ، هي الجغرافيا الكمية والفلكية وخرائط التوزيعات الطبيعية والبشرية والمساحة الطبوغرافية والاستشعارعن بعد ، واستخدام الحاسوب في التحليلات المكانية ، والخرائط الآلية والرقمية والموضوعية وتحليل وتفسير الصور الجوية ، والدراسات التطبيقية والميدانية .
2. شعبة التخطيط الإقليمي والحضري : يدرس الطالب 13 مقرراً بقيمة 32 ساعة معتمدة خلال العام ، والتي تؤهله للعمل والإبداع في هذا المجال وهي : التخطيط الإقليمي ، الاستيطان الريفي ، جغرافية المستوطنات الحضرية ، تخطيط المدن والأقاليم ، نظرية المواقع ، استعمالات الأرض ، المشكلات الحضرية ، الجغرافية الديموجرافية للأقاليم ، الموارد الاقتصادية للإقليم ، التنمية الإقليمية ، الدراسات الميدانية وبحث التخرج .
3. شعبة الدراسات البيئية والسكان : يدرس الطالب 13 مقرراً بقيمة 32 ساعة معتمدة و تهتم بالقضايا البيئية وعلاقتها بالسكان وهي :مبادئ علوم البيئة ، الموارد المائية ، الأراضي الجافة ، الاستشعار عن بعد وتطبيقاته ، الصور الجوية ، مشكلات سكانية ، الجغرافيا الطبية ، مشكلات بيئية معاصرة ، تحليل واستعمالات الأرض ، مشكلات دولية ، تطبيقات على GIS، تطبيقات ميدانية وبحث تخرج .
4. شعبة الدراسات الاقتصادية : يدرس الطالب 13 مقرراً بقيمة 32 ساعة معتمدة، وتركز على المجالات الإنتاجية وهي :جغرافية التعدين والطاقة ، نظرية الموقع ، الجغرافيا الكمية ، جغرافية الصناعة ، جغرافية التنمية ، التجارة الدولية والعربية ، جغرافية التسويق ، الموارد الاقتصادية ، استعمالات الأرض الزراعية والصناعية ، جغرافية الموانئ والمناطق الحرة ، صناعة السياحة ، تطبيقات جغرافية على الGIS ، بحث التخرج .
5. شعبة الدراسات الطبيعية : يدرس الطالب 13 مقرراً بقيمة 32 ساعة معتمدة خلال العام الرابع وهي:المناخ المحلي والتطبيقي ، الجيمورفولوجيا التطبيقية ، الجيولوجيا والمعادن ، جغرافية التربة ، الخرائط الطبيعية ، الجغرافيا الكمية ، الاستشعار عن بعد وتطبيقاته ، الموارد المائية ، الأراضي الجافة ، الغلاف الحيوي المائي والبري ، تطبيقات جغرافية على الـGIS ، دراسات ميدانية وبحث التخرج .

خامساً : الصعوبات التي ستواجه تنفيذ المنهج والمقترحات :

يتوقع أن تواجه تنفيذ المنهج المقترح عدة مشاكل ، من أهمها :

شحة الموارد المالية لتوفير جميع الأجهزة والمعدات الحديثة ذات القيمة المرتفعة ، لذلك سيكون من غير المتوقع توفير تلك الأجهزة لكل أقسام الجغرافيا في الجامعات اليمنية أو معظمها .

نـــدرة الكوادر البشرية المؤهلة بشكل يغطي احتياج تلك الاقسام وإن وجد الفرد المتخصص القادر على الـستدريس فإنه سيكون بشكل محدود ، والهدف ليس اسم المقرر وإنما الهدف هو الفائدة المرجوة منه والتي ستعود على المتعلم من دراسته .

كثرة الشعب المتخصصة سيؤدي إلى تقسيم عدد الطلبة المتخرجين من المستوى الثالث إلى خمس مجموعات ،كـــل مجموعة ستدرس مقررات مختلفة في معظمها عن الشعب الأخرى ، مما يستدعي توفير هيئة تدريسية كبيرة لتغطية تلك المقررات من الداخل أو من الخارج ..

قد تعترض تنفيذ المشروع قلة القاعات الدراسية والمعامل والمختبرات المختلفة .

عـــدم وجود الأجهزة الحكومية والخاصة للتدريب الميداني في مختلف التخصصات ، وخاصة في المدن النائية مثل ذمار وقلة التعاون بينها أن وجدت .

وهـــناك مبررات كثيرة سيطرحها غير الراغبين بتطوير أقسام الجغرافيا في الجامعات اليمنية ، ولكن أقول ، لابد من البداية والألف ميل تبدأ بخطوة واحدة وليس من الضروري أن نبدأ بفتح جميع الشعب ولكن نبدأ بشكل تدريجي ولو بتخصص واحد ثم نضيف تخصصاً آخر بعد ذلك وهكذا ، ونبذل الجهود ونبحث عن مصادر للتمويل حتى نتمكن من شراء الأجهزة المطلوبة ، ونؤهل الكوادر المحلية سواء بالداخل أم بالخارج للقيام بالتدريس في تلك الأقسام ولا سيما في المجالات الفنية والمهنية .

الهوامش :

(1) : الجغرافـــيا الطبيعية هي التي ترتبط بالدراسات الطبيعية عن الأرض ، مثل المناخ والتربة والنبات والمياه والتضاريس ، أما البشرية فترتبط بالأنشطة البشرية على سطح الأرض .

(2) : شاكر خصباك ، الجغرافيا وتحديات المستقبل ، بحوث ملتقى الجغرافيين العرب ، المجلد الثاني ، صنعاء ، 16-19/نوفمبر 1998م ص 427 .

(3) : المصدر نفسه . ص 429 .

(4) : الحتروشـــي ، سالم بن مبارك وصالح عبد الله العريفي ، الجغرافيا والاتجاه نحو المزيد من التخصص في المجالات التخطيطية والبيئية ، بحوث ملتقى الجغرافيين العرب ، منشورات جامعة صنعاء ، 1998م . ص 492.لمزيد من التفاصيل ، ينظر المصدرين السابقين لخصباك والحتروشي .

(5) : أبـــو عياش ، عبد الله يوسف ، التخطيط والتنمية من المنظور الجغرافي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1983 . ص11 .

(6) : المصدر نفسه . ص 12 .

(7) : الزهراني ، رمزي بن احمد ومعراج بن نواب مرزا ، التقنيات الجغرافية الحديثة والخدمات في مناهج قسم الجغرافـيا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، منشورات جامعة صنعاء ، بحوث ملتقى الجغرافيين العرب ، المجلد الثاني ، 1998 . ص 615 .

(8) : المصدر نفسه . ص616 .

(9) : الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 1999 . ص

(10) : جامعـــة تعـــز الآداب ، خطـــة توزيـــع المقررات على الفصول الدراسية لقسم الجغرافيا للعام الدراسي 2000/99م .

(11) : جامعة ذمار ، دليل ذمار للعام الجامعي 2000/1999م ، مطابع المفضل للافست ، صنعاء ، 1999م . ص84-85 .

(12) : يوسف عبد المجيد فايد ، تأهيل خريجي أقسام الجغرافيا لخدمة المجتمع ، بحوث ملتقى الجغرافيين العرب الأول ، منشورات جامعة صنعاء ، 1998 ص 411-413 .

(13) : جامعـــة مؤته ، كلية الآداب ، خطة متطلبات درجة البكالوريوس في قسم الجغرافيا ، الخطة الجديدة من عام 1998/1997 .

(14) : الزهراني ، أحمد رمزي ومعراج بن نواب مرزا ، مصدر سابق . ص 630 .

(15) : المصدر نفسه . ص614 .

(16) : عبد الملك الجبلي ، مناهج الجغرافيا المناخية في جامعة صنعاء ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد 6 ، لعام 1999 ، بغداد ، ص 145

(17) : قـــائد حسن الجمرة ،واقع ومستقبل مناهج الجغرافية الصناعية ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد 6، لعام 1999. بغداد ص188-189

تقييم منسوب المياه الجوفية لمشروع مياه ذمار

د. أحمد ياسين السامرائي*
أ. نبيل خشافة**

مقدمة

تعد مشكلة توفير مياه كافية تلبي الاحتياجات البشرية المختلفة من المعوقات الرئيسة لتنمية مستقبلية متوازنة في اليمن، الذي يعتمد اعتمادا كليا على المياه الجوفية، والتغذية التي توفرها لها كميات الأمطار الساقطة عليه. لقد واجهت الدولة اليمنية مشكلتين مائيتين في عاصمة البلاد صنعاء، ومدينة تعز وذلك في تدهور نوعية المياه وهبوط مناسيبها في هذين الحوضين، اضافة الى مشاكل مائية في مدن اخرى. وهذا يدعو الى إعادة النظر في العادات الاستهلاكية السائدة حاليا للمياه. وتقييم وضع المياه في الأحواض الأخرى، لتفادي الوقوع في مشاكل مماثلة.

تأتي هذه الدراسة للوقوف على منسوب المياه الجوفية في آبار مشروع مياه ذمارالذي يتميز بنوعية مياه جيدة، وذلك من خلال قياس مناسيب المياه في ثمانية آبار عائدة الى مشروع مياه ذمار، تقع في قاع (سامة)وهو جزء من حوض ذمار المائي وهي توفر المياه لسكان مدينة ذمار وبعض القرى المجاورة (شكل 1).

اختيرت مواقع آبار المشروع الثمانية الحالية بعناية، وبعد دراسات هيدروجيولجية مستفيضة قامت بها الشركة المنفذة للمشروع* في إقليم ذمار. وبعد حفر 23 بئرا استكشافيا تم اختيار 8 أبار إنتاجية، تقع جميعها شرق مدينة ذمار في قاع (سامة) في المنخفض الواقع شمال وجنوب طريق (ذمار – رداع)،

* قسم الجغرافيا / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار
** رئيس دائرة التخطيط والمتابعة بمشروع مياه ذمار

(شـــكل 2) وكان الاختيار قائما على نقاوة المياه والخصائص الجيولوجية لمنطقة الآبار والتي تضم بركانيات اليمن الرباعية والرواسب الرباعية المتميزة بمخزون مائي جيد.

الدراسات السابقة:

تم تناول موضوع انخفاض مستوى المياه الجوفية في اليمن بالدراسة من لدن الجهات الحكومية، وبخاصة في منطقة المرتفعات التي لها دراسات منذ بداية الثمانينات، فكانت دراسة **Bisset, P.O.** [1] سنة **1981** م والتي حذر فيها من أن مستوى المياه الجوفية في الآبار التي تم اخذ قياسها في مناطق متفرقة من المرتفعات الوســـطى هـــو باتجـــاه هبوط منذ أخر دراسة مسحية في عام **1977**م. كما قامت وزارة الزراعة اليمنية بالـــتعاون مـــع إدارة التنمـــية وراء البحار البريطانية [2] بدراسة علاقة الطقس بمستويات المياه الجوفية في الســـهول الوســـطى، وقـــد تبين أن مستوى المياه الجوفية يهبط ببطء، وكانت بعض الآبار في مدينة ذمار مشمولة بالدراسة، وأجريت دراسة أخرى قام بها **Turner, A. And Mohammed Noman** [3] لدراســـة المناخ ومستويات المياه الجوفية في ثمان مناطق في السهول الوسطى، ومن ضمنها بعض الآبار في مدينة ذمار.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة

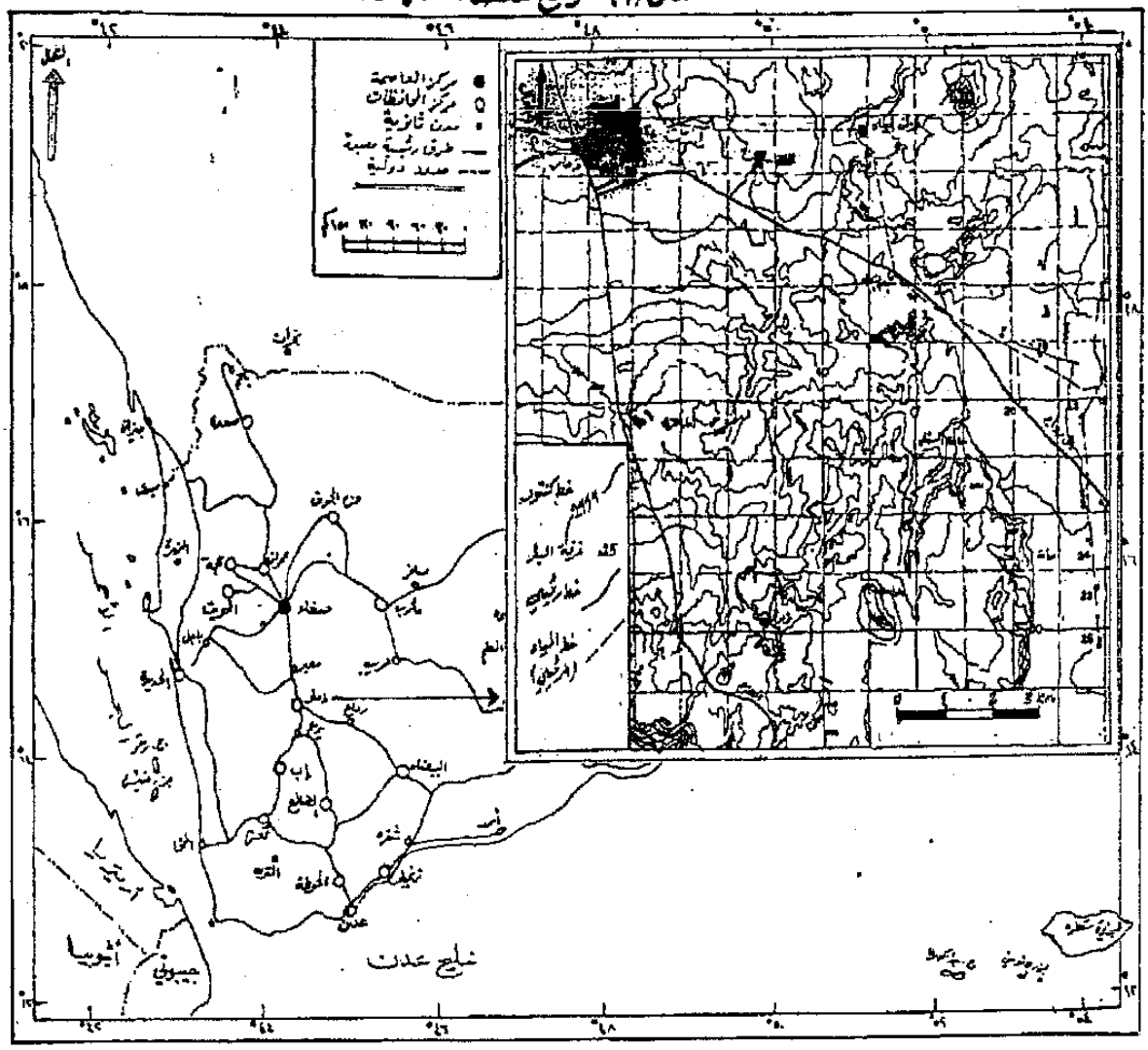

أوضـــحت هذه الدراسة أن التسجيلات لمستويات المياه في الآبار تشير الى هبوط عام ضعيف. وهناك دراســة أخــرى للمهندس اسماعيل محمد راوية [4] عن انخفاض مستوى المياه الجوفية في محافظة ذمار، وقد شملت الدراسة عدة آبار في مناطق مختلفة في محافظة ذمار، ومنها ستة آبار في مدينة ذمار، خمسة منها يدوية وواحــدة غــير يدوية، بينت الدراسة أن هناك هبوطاً في مستوى المياه الجوفية في هذه المحافظة. وبعد إنجاز مشــروع مياه ذمار الذي بدأ تشغيله في شهر مايو في عام **1991** والذي يعتمد على ثمانية آبار تقع في قاع (ســامة) التي هي جزء من حوض ذمار المائي، أجرت إدارة المشروع ثلاثة قياسات لمناسيب المياه في الآبار المذكورة وذلك في الأعوام **1993**، **1995**و **1996** ولم تجر قياسات أخرى بعد هذه التواريخ. وتأتي هذه الدراســة في عام **2001**، وفيها تم أجراء القياس لمناسيب المياه في الآبار ومقارنتها بالقياسات السابقة مع محاولــة الباحثين تقصي أسباب الهبوط الحاصل في مناسيب المياه في الآبار واقتراح المعالجات لتفادي الوقوع في مشاكل مائية وتفاقمها بحيث يصعب حلها.

الوضع الجيولوجي

تنكشف في منطقة الدراسة صخور بركانية تعود الى العصر الثلاثي والرباعي، تتخذ شكل أراض مــتموجة تعرضـــت لعملـــيات التجوية والتعرية المائية والريحية فتشكلت فيها أودية ومنخفضات امتلأت بالرواســب الســيلية التي جلبتها مياه الأمطار وتركت مناطق مرتفعة وحافات وجروفاً صخرية. كما تبرز على سطح المنطقة مخاريط بركانية رباعية عديدة أبرزها (جبل ذمار القرن، وجبل رفان، وجبل حيئة). تقع منطقة الدراسة جيولوجيا ضمن حقل ذمار – رداع البركاني الذي يغطي مساحة تقدر بـ**25000** كم [5]. ويمكن وصف الوحدات الصخرية المنكشفة في (الشكل 2) من الأقدم الى الأحدث كما يأتي :-

شكل (٢) الخريطة الجيولوجية لمنطقة الدراسة

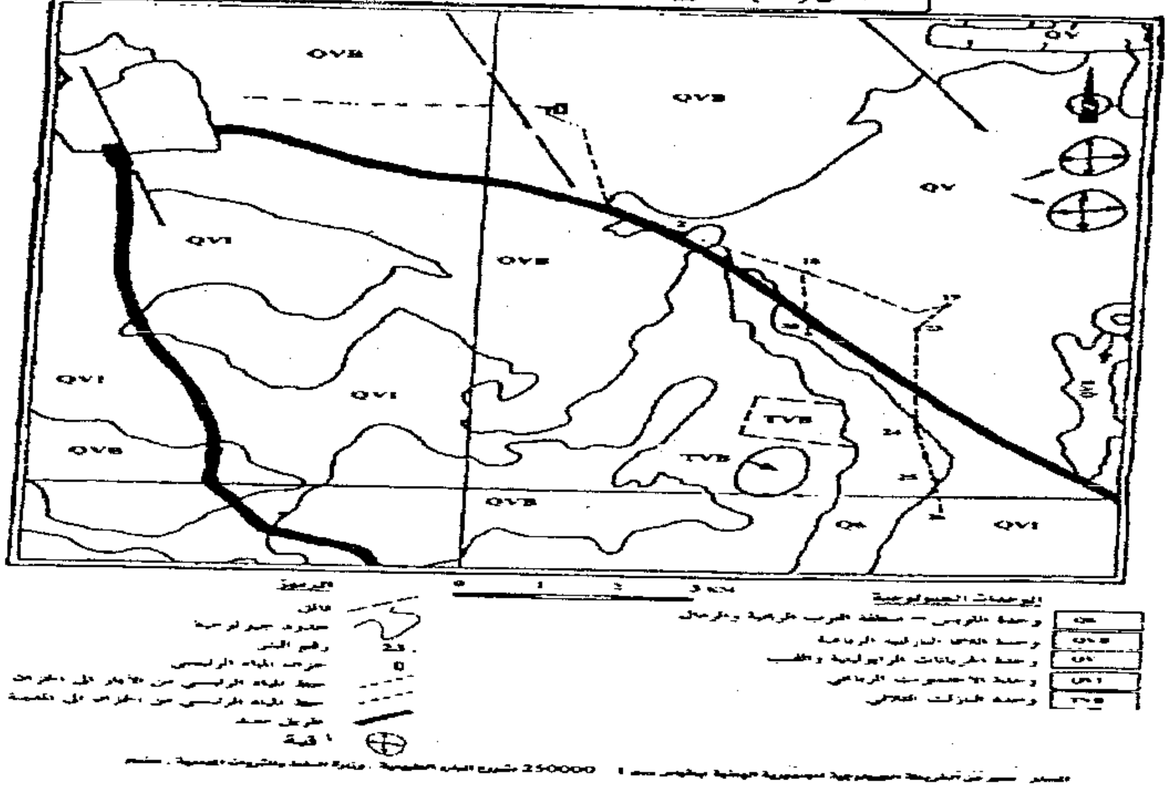

1ـ وحدة البازلت الثلاثي :

نشـأت هـذه الوحـدة من خلال قنوات متفجرة مختلفة مثل القواطع والكالديرا **Caldera** والجـذوع **Stocks** ، وهـي تـتكون أساسا من طبقات اللافا **Lave** المكونة من البازلت والاندسايت والتراخايـت، والـتف والاكنمـبرايت والزجاج البركاني، ترجع الى الثورانات البركانية التي حدثت في الاوليكوسـين المـتأخر ـ الميوسين المبكر [6]. تنتشر على مساحات محدودة في منطقة الدراسة غرب قاع (سامة) وبالتحديد غرب وحدة اللويس الرباعي.

2- وحدة اكنمبرايت ذمار:

توضـح الخـريطة الجيولوجية انتشار هذه الوحدة في الأجزاء الغربية والشرقية من منطقة الدراسة. وهـي صـخور حامضـية ريوليتية، اصلها صهير لزج غني بالسليكا تتخلل صخورها ذات اللون الوردي والرمادي الفاتح مقذوفات وحمم متلاحمة من الزجاج البركاني والذي يمنح هذه الصخور مظهرها المتميز[7]. ويتميز المظهر العام لهذه الوحدة بالاستواء بصفة عامة، وانحدارها المعتدل وهي مغطاة بتربة سميكة تصل الى 8 أمـتار كونـتها الانجـرافات السيليه الصفائحية التي جلبتها مياه الأمطار والتي تنحدر نحو الشرق مع الانحدار العام في غرب طريق (صنعاء ـتعز) ونحو شرق مدينة ذمار في شرقي منطقة الدراسة. وتظهر بعض مكاشف هذه الوحدة في شكل ركام وقطع صخرية وبعض نواتج التجوية [8].

3- وحدة اللويس :

وهـي رواسب غير متماسكة، تتكون من جسيمات دقيقة طباشيرية نفاذة تتكون من الكالسايت والمـرو الفلسـبار والمـيكا وقليل من الكوارتز[9] . ونظرا للنفاذية العالية التي تتميز بها رواسب اللويس وقدرتهـا العالـية على امتصاص المياه الناتجة عن سقوط الأمطار، فإنها تمتاز بقابلية كبيرة على تخزين المياه الجوفـية، لهـذا فـإن بئرين من الآبار المنتجة الثمانية التي تزود مشروع مياه ذمار بالماء، تتواجد في هذه الوحدة (شكل 2) الواقعة شرق ذمار جنوب طريق (ذمار- رداع).

4- وحدة الجريانات الرايولايتية والقبب :

وتظهـر عـلى مساحة صغيرة من منطقة الدراسة على محيط الكالديرا المحيطة بقرية (شوكان) شرق (حـيد ـ الحافـر). تـتكون مـن صـخور ريولايتية ومواد فلذبركانية تكونت خلال النشاط البركاني الرباعي[10].

5- وحدة اللافا البازلتية الرباعية :

تنتشـر على مساحات واسعة من منطقة الدراسة (شكل 2) نتجت عن احدث ثورة بركانية في حقـل ذمار-رداع البركاني. تكونت من طفوحات بركانية بازلتية سوداء اللون مخلوطة بمقذوفات بركانية فتاتـية وزجاجية. تصاعدت من صدوع وشقوق تعرضت لها وحدة الاكنمبرايت[11]. تتكون صخورها من

بازلت ثيولي ذي نسيج بورفيري غني بمعادل البلاجيوكليز والاولفين والكلاينوبايروكسين الخشنة البلورات والمنتشرة ضمن أرضية دقيقة التبلور من المعادن نفسها واكاسيد المعادن الأخرى[12]. ينتشر على هذه الوحدة عدد من المخاريط البركانية يظهر فيها من منطقة الدراسة (جبل ذمار– القرن).

الخزان المائي الجوفي :

يشكل قاع (سامة) الذي تتواجد فيه آبار مشروع مياه ذمار الثمانية جزءاً من قاع (شرعة) الممتد من شمال شرق مدينة (يريم)، الى قاع (سامة) جنوب شرق مدينة ذمار. وهو يمتد في شكل حوض طولي يصل طوله إلى أكثر من 20كم ويتراوح عرضه بين 4–10 كم، وتتراوح متوسطات مناسيب سطحه بين 2490 متراً فوق مستوى سطح البحر في الأجزاء الجنوبية وبين 2460 متراً في قاع (سامة) في الأجزاء الشمالية .

تنتشر على سطح قاع (شرعة) الرواسب السلتية الرملية Silty sands مع قليل من الحصى Gravel والزلط Pebbles . كما تنتشر في بعض أجزاء سطحه الرواسب الريحية، ويتراوح سمك رواسب اللويس بين 10–40مترا [13].

تحدد الخزانات المائية الجوفية المهمة في قاع (شرعة) وقاع (سامة) بصخور بركانيات اليمن الثلاثية التي تبلغ مساحتها 37كم2. أما البركانيات الرباعية ذات النفاذية العالية فهي تعد مصدراً ثانوياً، وذلك لقلة تكسرها لحداثتها ولكنها تساهم بدور مهم في تزويد الخزانات الجوفية التحتية بالمياه عن طريق التسرب. ومع ذلك نجد ان اكثر من 100 بئر حول مدينة ذمار ذات مياه بنوعية جيدة [14] .

لقد اوضحت دراسة جيوفيزيائية لمنطقة آبار المشروع أن الطبقة السطحية من الرواسب الرباعية والسترب تبدأ من السطح إلى عمق 5–8 أمتار، وتبدأ بعدها طبقة من الصخور البركانية الجوفية من العمق السابق ، وحتى عمق 50–80 متراً، تليها طبقات من الصخور البركانية المتشققة ذات النفاذية العالية، تبدأ من عمق 50–80 متراً

وتستمر حتى عمق 100–150 متراً، وهذه الطبقة هي التي توقعت الدراسة أنها حاوية للمياه وهي تستقر فوق طبقة أخرى من الصخور البركانية الصلبة الجافة [15].

ويبلغ سمك الطبقة المشبعة الخازنة للمياه فوق عمق 150 متراً من مستوى سطح الأرض يبلغ 120 متراً. وكمية المياه المخزونة الصالحة للأستعمال تبلغ 22,2 مليون متر مكعب [16].

تساهم مياه الأمطار الساقطة على أقليم مدينة ذمار والتي لايتجاوز معدلها السنوي 320,7 ملم، تساهم بدور أساسي في تغذية الخزان المائي الجوفي. وبالنظر لعدم توفر البيانات المناخية الخاصة بكميات الأمطار الساقطة على منطقة الدراسة (محطة ذمار) للسنوات 1994–1995–1996–1997–1998، وذلك لتوقف المحطة عن العمل، فلا يمكن أن نحدد دور مصدر التغذية الوحيد للخزان المائي الجوفي بشكل

دقـيق. وأتاحـت لنا الأرقام الواردة في (الجدول 2) صورة غير كاملة عن أثر تذبذب كميات الأمطار أو تفاوتها من سنة إلى أخرى، والتي يمكن أن يكون لها أثر في هبوط مناسيب المياه الجوفية في آبار مشروع مياه ذمار.

(جدول 2) كميات الأمطار الساقطة على محطة ذمار للسنوات1992-2001 @.

السنة	992	993	994	995	996	997	998	999	000	001
كمية الأمطار الساقطة(ملم)	63	21						94	76,3	75,9

@- المصدر: وزارة الزراعة والري، الهيئة العامة للبحوث والارشاد الزراعي (بيانات غير منشورة).

فـالجدول (2) يوضـح أرتفاع كمية الأمطار الساقطة على محطة ذمار عن معدلها السنوي في عام 1992 وعـام 1993، إذ بلغـت 563ملم و421ملم على التوالي، وكذلك هبوطها في عام 1999إلى 194 ملم وفي عـام 2000 إلى 276,3 ملم ، إلا أنها تعاود الأرتفاع عن معدلها في عام 2001 ، لتصل إلى 375,9 مـلم. وبهـذا فإن كمية الأمطار الساقطة في عام 1999 قد يكون له أثر سلبي في هبوط مناسيب المياه في الآبار، ولكن هذا لايفسر وحده الهبوط الكبير والمستمر طول السنوات منذ بدأ الأنتاج 1992 ولحد الآن (شـكل 3). ولعـل أكبر هبوط في مناسيب المياه هو الذي حصل بين عامي 1996 و 2001 والذي بلغ معدل هبوطه 5,587 متراً وبمعدل هبوط سنوي بلغ 0,93 متراً. ساهم فيه زيادة الأنتاج بعد ربط القرى المجاورة مثل قرية (المواهب وثمر) وشبكة مياه المدينة وماتبع ذلك من تجاوزات.

ورغـم أن القياسات التي اجريت للآبار في عام 2001 هو قبل موسم الأمطار الرئيسي، إلا أن البـئر رقـم (23) الـذي أجـري القـياس له في شهرنوفمبر، أي بعد موسم الأمطار الرئيسي (يوليو- أغسطس)، كان مقدار الهبوط فيه مقارب جداً للهبوط الحاصل في بقية الآبار كما يوضحه (جدول 2). مما يوضح الأثر المحدود لكميات الأمطار الساقطة على أرتفاع منسوب الماء في البئر.

المناخ يقع إقليم مدينة ذمار ضمن مناخ إقليم المرتفعات الوسطى، الذي يتصف بمديات حرارية يومـية مـرتفعة وانخفاض في معدلات الرطوبة النسبية، إلا أنها تتصف بكميات أمطار معتدلة. يخضع إقليم ذمار للكتل الهوائية الناجمة عن أنظمة الضغط الواقعة على شبه الجزيرة العربية شمالا والمحيط الهندي جنوبا، إذ تهـب الـرياح الشمالية الشرقية من منطقة الضغط المرتفع السائد فوق شبه الجزيرة العربية شتاء وهي تتصف بجفافها، وتحمل معها طقسا مستقرا وجافا وتغيما قليلا.

وفي بدايـة الصـيف تهب الرياح الجنوبية الغربية من مناطق الضغط المرتفع شمال المحيط الهندي، وتسبب سقوط أمطار الربيع الممتد من (مارس- مايو) وهي فترة الأمطار الأقل أهمية من أمطار الصيف، إذ يـبلغ معدلها لفصل الربيع 145 ملم /سنة، ومعدله لفصل الصيف 190 ملم/سنة. في حين يصل المعدل السـنوي للتساقط الى 380 ملم/سنة (جدول 1). ويوضح (الملحق 1) أن معدل كميات الامطار الساقطة

عـــلى محطـــة ذمار لفترة اثنتي عشرة سنة يبلغ 7 و320، وهو أكثر قرباً للواقع لطول فترة القياس. وهي أمطار متذبذبة في كمياتها، فقد تصل كمياتها بعض السنوات الى اقل من 200 ملم/سنة وفي سنوات أخرى الى اكـــثر من 500 ملم/سنة ويساهم عامل الارتفاع عن مستوى سطح البحر الذي يصل الى 2400 متر في خفض معدلات درجات الحرارة السنوية العظمى والصغرى لمدينة ذمار، فمعدل درجة الحرارة السنوي يـــبلغ 16.4° مـــئوية وهو معدل منخفض مقارنة مع مناطق تقع في دائرة العرض نفسها لمدينة ذمار واقل ارتفاعـــا. ودرجات الحرارة العظمى يصل معدلها الى 24.8° مئوية، ومعدل درجة الحرارة الصغرى يصل الى 8.1° مـــئوية. أمـــا معدلات التبخر السنوية فهي مرتفعة فتبلغ 1507 ملم، وهو عامل يساهم في قلة افادة الخزانات المائية الجوفية من مياه الأمطار الساقطة.

يســـاهم في ارتفاع معدلات التبخر السنوية الإشعاع الشمسي المرتفع البالغ 15 ميكا جول /م^2/ اليوم. كما يبلغ معدل الرطوبة النسبية السنوية 44%، وترتفع في الأشهر الرطبة من(يوليو – أغسطس) وتـــتراوح بين 43.4% – 48.3%، وتنخفض في الأشهر الجافة عن هذه المعدلات، إلا أنها ترتفع في شهر يناير الى 47.3% لانخفاض درجات الحرارة في هذا الشهر (جدول 1).

(جدول -1-) البيانات المناخية المتوفرة عن محطة ذمار(معدلات السنوات 1987-1992)*

الشهر		درجات الحرارة (مئوية)			الرطوبة النسبية	السطوع الشمسي	الإشعاع الشمسي	سرعة الرياح	التبخر نتح		معدلات الأمطار
		العظمى	الصغرى	المعدل	نسبة مئوية	ساعة/يوم	ميكاجول/م/يوم	م/ثانية	ملم/يوم	ملم	ملم
يناير	(1) عشرة أيام	22.3	2.9	12.6	43	9.4	15.0	1.3	3.1	31	0.0
	(2) عشرة أيام	22.3	2.9	12.6	51	9.5	15.3	1.3	3.1	31	0.0
	(3) عشرة أيام	22.3	4.0	13.1	48	9.2	15.4	1.4	3.3	33	8.0
فبراير	(1) عشرة أيام	22.3	5.4	13.8	44	9.8	15.5	1.7	3.6	34	3.6
	(2) عشرة أيام	22.3	4.1	14.2	43	8.7	15.8	1.9	3.8	38	1.8
	(3) عشرة أيام	23.1	8.8	15.0	44	8.9	16.5	1.7	4.0	40	10.0
مارس	(1) عشرة أيام	24.1	7.8	16.0	45	9.1	17.1	1.8	4.2	42	25.2
	(2) عشرة أيام	24.6	8.3	16.5	46	9.2	17.7	1.6	4.3	43	10.0
	(3) عشرة أيام	24.6	8.8	16.7	47	9.1	17.8	1.6	4.4	44	39.0
أبريل	(1) عشرة أيام	24.5	9.3	16.9	47	9.0	17.9	1.7	4.5	45	23.6
	(2) عشرة أيام	24.5	9.6	17.0	48	8.9	17.8	1.7	4.5	45	13.7
	(3) عشرة أيام	25.2	9.9	17.6	46	9.1	18.2	1.7	4.7	47	7.3
مايو	(1) عشرة أيام	26.1	10.4	18.3	43	9.2	18.4	1.8	4.9	49	16.6
	(2) عشرة أيام	26.7	10.6	18.6	42	9.5	18.5	1.8	5.0	50	8.4
	(3) عشرة أيام	27.1	10.9	19.0	41	9.4	18.3	1.8	5.0	50	1.2
يونيو	(1) عشرة أيام	27.7	11.3	19.5	39	9.4	18.1	1.8	5.1	50	0.5
	(2) عشرة أيام	28.0	11.5	19.7	38	9.3	18.1	1.8	5.1	51	9.7
	(3) عشرة أيام	27.7	11.6	19.7	40	8.9	17.5	1.9	5.0	50	1.8
يوليو	(1) عشرة أيام	27.4	11.7	19.6	42	8.3	16.9	2.0	4.9	49	3.8
	(2) عشرة أيام	27.3	11.9	19.5	43	8.0	16.6	2.0	4.9	49	9.0
	(3) عشرة أيام	27.0	11.7	19.4	45	7.9	16.5	1.9	4.8	48	43.6
أغسطس	(1) عشرة أيام	26.6	11.7	19.2	48	7.6	16.1	1.8	4.6	46	26.4
	(2) عشرة أيام	26.4	11.7	19.1	49	7.5	16.2	1.8	4.5	45	43.9
	(3) عشرة أيام	26.3	11.1	19.7	48	7.9	16.5	1.7	4.5	45	26.6
سبتمبر	(1) عشرة أيام	26.0	10.1	18.1	46	8.4	17.0	1.7	4.5	45	17.7
	(2) عشرة أيام	25.8	10.0	17.9	48	8.6	17.1	1.7	4.5	45	21.0
	(3) عشرة أيام	25.3	9.1	17.2	44	9.0	17.3	1.7	4.4	44	0.2
أكتوبر	(1) عشرة أيام	24.5	7.9	16.2	42	9.6	17.6	1.6	4.2	42	8.4
	(2) عشرة أيام	24.1	7.3	15.7	41	9.9	17.9	1.6	4.1	41	0.0
	(3) عشرة أيام	23.8	6.2	14.9	41	9.9	17.0	1.6	3.9	39	0.0
نوفمبر	(1) عشرة أيام	23.3	4.8	13.9	41	9.9	16.4	1.5	3.6	36	1.4
	(2) عشرة أيام	22.7	4.1	13.4	41	9.9	16.0	1.4	3.4	34	0.0
	(3) عشرة أيام	22.8	3.7	13.1	42	9.7	15.5	1.4	3.3	33	4.8
ديسمبر	(1) عشرة أيام	22.4	3.1	12.6	43	9.5	15.0	1.4	3.2	32	0.8
	(2) عشرة أيام	22.4	2.8	12.6	43	9.4	14.8	1.4	3.1	31	0.0
	(3) عشرة أيام	22.4	2.9	12.6	46	9.4	14.8	1.4	3.1	31	3.4
المتوسط		24.8	8.1	16.4	44	9.0	16039	1.7	4.2	1507	385

* المصدر : وزارة الزراعة والري، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي (بيانات غير منشورة)

منسوب الماء الجوفي في آبار مشروع مياه ذمار

بـدأ مشروع مياه ذمار بالعمل عام 1991، وأجريت القياسات لمناسيب المياه في الأعوام 1993 – 1995 و1996. ولم يجـر قياس آخر بعد هذه التواريخ إلا من قبل الباحثين وذلك في (مارس) من عام 2001 . إذ خـرج الباحث الثاني الى مواقع آبار المشروع مع السيد رئيس قسم التشغيل بدائرة مشروع مياه ذمار، بتاريخ 2001/3/3، الساعة العاشرة صباحاً، وذلك بهدف اجراء القياسات على مناسيب المياه في الآبـار. وكان الجهاز المستخدم هو جهاز (البيزوميتر Piezometer)، وطريقة عمله تقوم على أساس إنـزال متر الجهاز الذي هو عبارة عن سلك معدني مدرج الى أمتار و سنتيمترات وفي نهايته قطعة حديدية، وعـند ملامسة نهاية القطعة الحديدية لسطح الماء فإن مصباحاً يضيء في الجهاز فوق سطح الارض، عندئذ يقـرأ عمق الماء في البئر على السلك المعدني المدرج. وهكذا تم اجراء القياسات على كافة ابار المشروع، فـيما عـدا البئر رقم (23) لعدم وجود الشخص المسؤول عن غرفة البئر. وقد اجري القياس قبل موسم الامطار الرئيس لعام (2001) الواقع في شهر يليو – أغسطس (شكل– 3).

ثم قـام أحـد الموفدين من (مؤسسات التعاون الفني الالماني GGTZ) بإجراء القياس على البئر (23)،وذلـك في 2001/11/14.بعـد موسـم الامطـار الرئـيس، واضـيفت نتـيجة القياس على (الشكل– 3).

وكان القياس يجري اثناء تشغيل الآبار (مياه متحركة) لعدم امكانية توقيف تشغيل الآبار التي تعمل بطاقتها القصـوى لامـداد المدينة بالمياه وبصورة مستمرة. إضافة الى صعوبة الانتظار لعدة ساعات لعودة مناسيب المـياه الى وضـعها الطبـيعي. ولكون القياسات للسنوات السابقة جميعها اجريت اثناء تشغيل الابار، فأن مقارنة القياسات صحيحة (جدول– 2).

ويوضـح (الشـكل 3) الهـبوط الواضـح في مناسيب المياه في الآبار التابعة للمشروع، وتم مقارنة معدلات الهبوط لمناسيب المياه حسب سنوات القياس في (الجدول–2).

شكل (3) مناسيب المياه عن مستوى سطح الأرض لآبار الثمانية الانتاجية التي تزود مدينة ذمار بالمياه للسنوات 1993 ، 1995 ، 1996 ، 2001 م

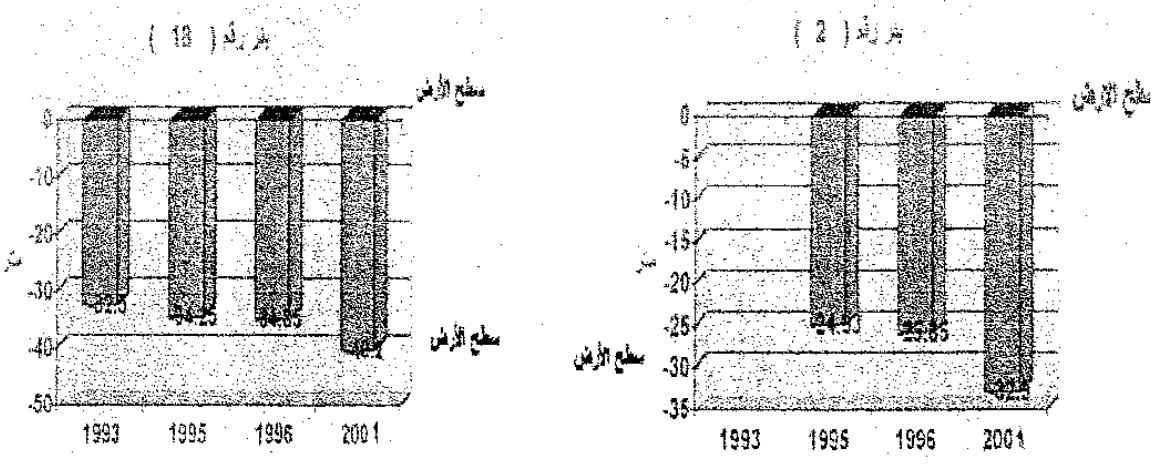

تابع شكل (3)

بئر رقم (19)

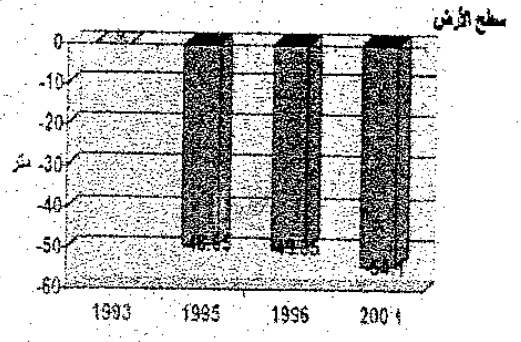

بئر رقم (20)

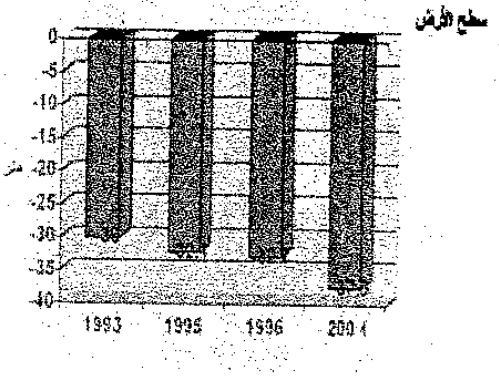

بئر رقم (23)

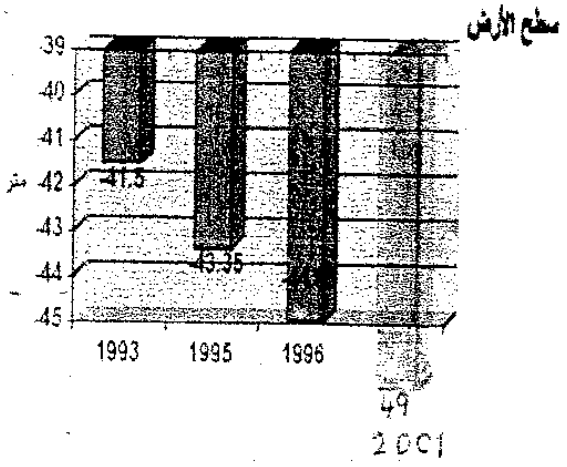

بئر رقم (24)

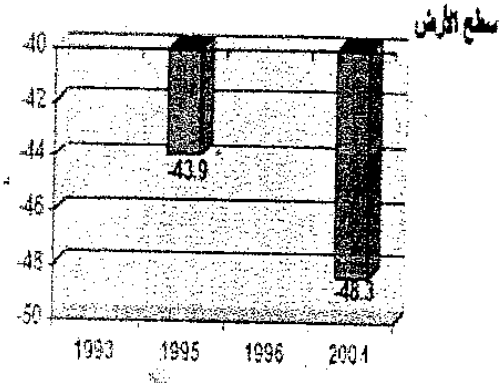

بئر رقم (25)

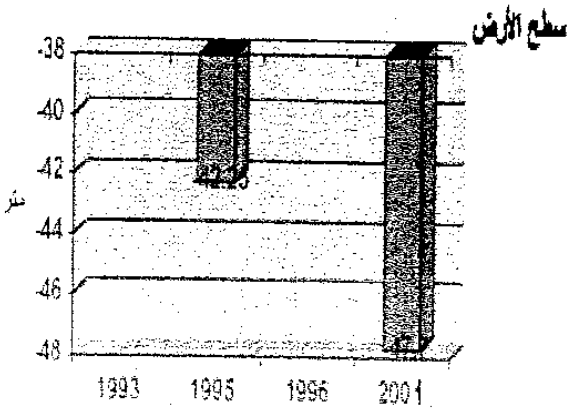

بئر رقم (26)

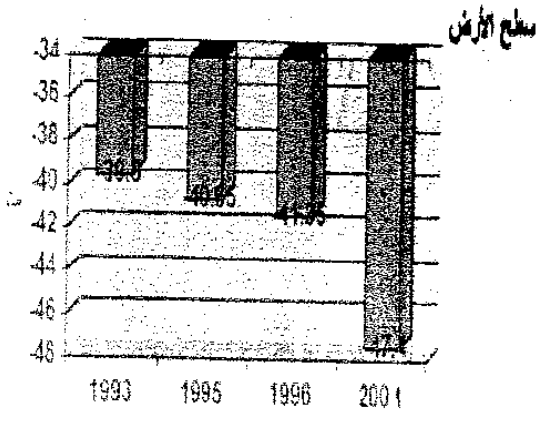

جدول (2) مقادير الهبوط ومعدلات الهبوط السنوية
لمناسيب المياه في أبار مشروع مياه ذمار (بالمتر)

رقم البئر	مقادير الهبوط بين عامي 2001-1993	معدلات الهبوط السنوي للفترة 2001-1993	مقادير الهبوط بين عامي 2001-1995	معدلات الهبوط السنوي للفترة 2001-1995
2	-	-	7.05	1,175
18	7.7	0,962	5.35	0,891
19	-	-	4.75	0,791
20	7.5	0,937	5.2	0,866
23	7,5	0,937	5,65	0,941
24	-	-	4.4	0,733
25	-	-	5.55	0,925
26	7.9	0,987	6.75	1,125
المعدل	7.65	0,955	5,587	0,930

ومن الجدول (2) يتضح ما يلي:

1. بلغت معدلات الهبوط في ثمانية آبار تم أخذ قياسات لمناسيبها في الأعوام 1995و 2001 بلغت **5.587** متراً. وبمعدل هبوط سنوي **0.93** متراً.
2. كانت معدلات الهبوط في أربعة آبار تم أخذ قياساتها في الأعوام 1993و2001 ما مقداره **7.08** متراً، وهو معدل كبير وبلغ معدل الهبوط السنوي **0.955** متراً.

نظراً لعدم امكانية تحديد دور عامل التغذية للخزان الجوفي في منطقة الدراسة بدقة، وذلك لعدم وجود بيانات لكمية الامطار الساقطة لخمس سنوات. وقد خلصنا فيما سبق إلى أن هبوط كمية الأمطار الساقطة في عام 1999 لايفسر وحدة الهبوط الكبير، والمستمر طوال السنوات ومنذ عام 1992 ولحد الآن. ولهذا فنحن نحيل هذا الهبوط في مناسيب المياه في آبار المشروع، والتي تقع في حوض ذمار المائي إلى زيادة كمية المياه المسحوبة، والمنتجة منه.

يرتبط هذا الهبوط الكبير في مناسيب المياه في آبار المشروع والتي تقع في حوض ذمار المائي بزيادة كمية المياه المسحوبة منها بشكل غير متوازن مع معدلات التغذية لهذه الآبار من مياه الأمطار الساقطة على

الحوض. ومن مقارنة كميات المياه المنتجة في مشروع مياه ذمار مع أعداد السكان المستهلكين لهذه المياه في (الجدول 3) يتضح:

1- ارتفاع إنتاجية المياه الى اكثر من الضعف في العام 2000 بالمقارنة مع إنتاجية المياه في العام 1992 وبنسبة زيادة بلغت 109% .

2- أن معدل إزدياد سكان مدينة ذمار لم يرتفع بنفس نسبة الزيادة، فبعد أن كان عدد السكان76705 نسمة في عام 1992، وصل في العام 2000 الى 104489 نسمة وبلغت نسبة الزيادة في أعداد السكان 36.2%.

من الواضح أن نسبة الزيادة في كمية إنتاج المياه تفوق بشكل كبير نسبة الزيادة في أعداد السكان لمدينة ذمار، وهذا يعني أن هناك عوامل أخرى ساهمت في هذا الاستنزاف للمخزون المائي ومن ثم هبوط مناسيب المياه في حوض ذمار.

جدول (3) كميات المياه المنتجة من آبار مشروع مياه ذمار واعداد السكان المستهلكين لها للسنوات 1992-2000 **

السنة	1992	1994	1995	1996	1997	1998	2000
كمية الإنتاج السنوي (متر مكعب)	1917610	2838240	265564	329250	3409207	3703683	4011534
أعداد السكان لمدينة ذمار(نسمة)	76705	82920	86630	89939	93375	96942	104489

أسباب هبوط منسوب المياه في آبار مشروع مياه ذمار

تشترك عوامل سلبية عديدة في تأثيرها على هبوط مناسيب المياه الجوفية في آبار مشروع ذمار، وهذه هي:

1- زيادة الضخ والانتاج وارتفاع نسبة الفاقد من المياه المنتجة، إذ بلغت هذه النسبة أكثر من 55% من كمية المياه المنتجة في عام 2001وهذا يرجع الى جملة عوامل هي:-

أ- وجود شبكة مياه قديمة تتركز في وسط المدينة، وربط شبكة المياه الجديدة بها. مما أدى الى تسرب جزء من المياه من خلال الشبكة القديمة. خاصة وان المياه التي تمر عبر الشبكة تندفع بقوة نظرا لانحدار المياه من الخزان الرئيس الواقع عند قرية (ثمر)، الواقعة على ارتفاع يبلغ 2480 متر فوق مستوى سطح البحر الى مدينة ذمار الواقعة على ارتفاع يبلغ 2400 متر فوق مستوى سطح البحر. وبهذا فان ارتفاع الخزان عن سطح مدينة ذمار يبلغ 80 مترا.

ب- كثرة التوصيلات غير القانونية في مدينة ذمار والتي تجاوز عددها 3200 حالة [15] حيث تسحب المياه من الشبكة من غير رقابة.

ت- اســـتخدام بعض أهالي القرى المجاورة لمدينة ذمار والتي ربطت بالمشروع في الأعوام 1995 _ 1997 لمـــياه المشروع في ري مزروعاتهم وبشكل خاص شجرة القات، إما من خلال إحداث كسور في الشبكة المائـــية التي تمر عبر أراضي عدد منهم [16] . وإما من خلال الربط غير القانوني من خلف العداد. ويؤكد ذلـــك ارتفـــاع كمية الإنتاج للمياه خلال الفترة 1995-1997 وهي الفترة التي تم ربط تلك القرى بشبكة مياه المدينة.

ث- عـــدم تعميم العدادات لجميع المستهلكين، إذ أن حوالي 70% منهم يدفعون مبالغ تقيدرية ثابتة ومن غير عائدات. وهذا يساهم في الإسراف الزائد لعدم وجود ما يترتب عليه.

ج- تعمـــيم تعرفة ثابتة للاستهلاك تساوي بين المستهلك المترلي والمستهلك التجاري، يؤدي الى استنزافهم لمياه المشروع بشكل لا يتناسب مع حاجتهم الفعلية للمياه، لعدم دفعهم مبالغ توازي زيادة الاستهلاك.

ح- اســـتخدام مزارعي الخضار في داخل المدينة والتي تسمى (بالمقاشيم) جوار المساجد لجزء كبير من مياه المشـــروع في ري مـــزروعاتهم. فضلاً عن بعض المزارع المنتشرة جوار المنازل في داخل المدينة والمسماة (بـــالاحواش)، وأخرى تنتشر خارج المدينة، والتي تسحب المياه بأساليب غير قانونية.وما يترتب على كل ذلك من استنزاف كبير لمياه أنتجت ووزعت أساسا للاستهلاك المترلي.

خ- كثرة ألانكسارات في شبكة المياه الرئيسة داخل المدينة، بسبب الأعمال الحكومية ومعداتها الثقلية التي تقـــوم بأعمـــال مســـحية أو تـ ـيط شوارع أو حفر مجاري... وما يرافق ذلك من تسرب المياه بشكل كبير.

2- وجود الكثير من الآبار المنتشرة بالقرب من قاع (سامة) أو تتواجد عليه (قسم منها تابع لقرية الويداء وأخـــرى لقـــرى ســـامة الســـفلى والعلـــيا التي تقع في قاع سامة)، وتلك الآبار تستهلك المياه لري المزروعات، وخاصة شجرة القات ومن ثم تساهم في تدهور الوضع المائي في حوض ذمار.

3-حفر بئر لغرض إنتاج المياه المعلبة الصحية قريبا من آبار المشروع، وتبعد عنها في حدود كيلومتر واحد وبطاقـــة إنتاجـــية قصوى لهذا البئر من المياه تبلغ 37.125.00 لتر/سنة، وقد بدأ إنتاج المياه منذ عام 1994 [17].

إن اســـتمرار تسرب مياه الصرف الصحي لمدينة ذمار غير المعالجة الى وادي (الصلة- مدافع) يؤدي الى اســـتمرار تلـــوث المياه الجوفية في الوادي المذكور ومن ثم استمرار مطالبة أهالي قرى أخرى بتوصيل المياه أليها من شبكة مياه المدينة، وما ينجم عن ذلك من استنزاف لمياه الحوض.

التـــوصيـــات :

لوضـــع حـــد لتدهور الوضع المائي في حوض ذمار، وتجنبا لحدوث مخاطر مائية مشابهة لتلك التي وصـــلت ألـــيها أحواض عديدة في اليمن مثل حوضي (صنعاء وتعز)، ولكي يبقى حوض ذمار مصدرا لمياه

بنوعية جديدة كما كان في السابق. كل ذلك يتطلب عدد من الإجراءات تتخذها مؤسسة المياه والصرف الصحي بذمار، مدعومة من جهات حكومية منها محافظة ذمار ووزارة الكهرباء والمياه وغيرها من الجهات ذات العلاقة، واهم المعالجات المطلوبة في هذا السبيل هي:-

تخفيض نسبة الفاقد في المياه من خلال اتخاذ عدد من الإجراءات وتشمل هذه في ما يأتي:-

1. إزالة ما تبقى من شبكة المياه القديمة المتركزة في وسط مدينة ذمار. واستبدالها بشبكة جديدة.
2. إزالة كافة التوصيلات غير القانونية والتي قدرت بأكثر من 3200 توصيلة، وذلك من خلال فرض غرامات باهضة على كل توصيلة منها، وتمنح نسبة من هذه الغرامات للمبلغين عن هذه التوصيلات المخالفة للقانون سواء من موظفي مؤسسة المياه أم من الموطنين.
3. فصل القرى الموصلة بمياه من مشروع مدينة ذمار وذلك بإقامة مشاريع منفصلة خاصة بها لضمان وصول المياه الى منازل تلك القرى بنوعية وكمية جيدة. للحد من استنزاف حوض ذمار.
4. تركيب عدادات لجميع المستهلكين في مدينة ذمار، والقرى الموصلة من شبكة مياه المدينة. وإعادة ختم العدادات التي نزعت أختامها. وفرض غرامات مالية كبيرة على كل من ينزع العداد أو أختامها أو يقوم بعملية عكس اتجاه العداد ليقوم بقراءة عكسية. أو يحدث أي ضرر بالعداد.
5. معاقبة أصحاب (المقاشيم) في حال استغلالهم لمياه المساجد المجاورة لها، وإلزامهم بإعادة تشغيل الآبار اليدوية التي كانت تعمل في السابق، والتي تتواجد داخل مزارعهم وقطع أي اتصال بين مياه الجوامع وتلك (المقاشيم). وتكون العقوبة في حالة المخالفة فرض غرامات كبيرة.
6. نقل مصنع المياه المعلبة الصحية الى خارج حوض ذمار.
7. العمل على إقامة منشأة لمعالجة المياه العادمة، والتي ستقوم بدور رئيس في معالجة المياه والصرف الصحي، والذي سيعمل على الحد من تلوث المياه الجوفية في وادي (الصلة-مدافع)، ومن ثم الحد من مطالبة أهالي القرى الواقعة على هذا الوادي بربطها بشبكة مياه ذمار لتلوث مياهها.
8. توصيل الطاقة الكهربائية الى خزان المياه الرئيس، بهدف تشغيل العداد الرئيس الموجود فيه ضمانا للمراقبة المستمرة للمياه المسحوبة، ومقارنتها مع المياه المستهلكة، وتحديد الفاقد في المياه مما يمكن من اكتشاف أي استنزاف للمياه في وقت قصير ومعالجة نواحي القصور.
9. قيام الجهات الحكومية ووسائل الأعلام بحملة لتوعية المواطنين بمخاطر استنزاف المياه، وأهمية المحافظة على ما موجود منها. وترشيد الاستهلاك.
10. إصدار لائحة قانون المياه التنفيذية التي ستعمل على وضع الأسس والضوابط لاستهلاك المياه.

Station	Dhamar	Years	Jan	Feb	Mar	Apr	May	Jun	Jul	Aug	Sep	Oct	Nov	Dec	Yearly sum.
		1986	0.0	23.1	42.5	68.2	%%%%	5.0	54.6	112.5	5.8	0.0	0.0	0.0	311.7
latitude	14.58	1987	0.4	39.2	78.0	82.1	21.2	12.8	18.2	74.2	24.8	0.0	0.0	17.0	347.9
altitude	2390	1988	0.0	15.2	9.0	50.4	5.8	32.0	131.1	149.9	35.8	0.0	0.0	0.0	429.2
		1989	%%%%	%%%%	%%%%	%%%%	%%%%	20.9	%%%%	46.8	0.0	%%%%	0.0	%%%%	67.7
Rainfall	(mm/month)	1990	0.0	39.1	99.3	29.2	13.5	0.5	77.4	28.9	2.3	0.0	0.0	0.0	290.2
		1991	0.0	21.1	88.6	32.0	26.7	8.1	6.6	49.3	10.2	1.8	0.0	6.1	250.5
		1992	0.0	30.0	49.0	25.0	61.0	5.0	80.0	180.0	26.0	30.0	31.0	46.0	563.0
		1993	46.0	31.0	42.0	158.0	65.0	7.0	31.0	20.0	8.0	13.0	0.0	0.0	421.0
		1999	0.0	0.0	0.0	2.0	5.0	3.0	97.0	52.0	23.0	5.0	0.0	7.0	194
		2000	0.0	0.0	0.0	10.0	20.0	13.0	35.0	116.1	18.0	0.0	11.2	53.0	276.3
		2001	0.0	0.0	86.0	0.0	33.0	0.0	141.4	113.5	0.0	0.0	0.0	0.0	375.9
		Average	4.2	18.1	45.1	39.7	22.8	9.8	61.1	85.7	14.0	4.5	3.6	11.7	320.7
		Sum.	46.4	198.7	496.4	436.9	251.2	107.3	672.3	943.2	153.9	49.8	42.2	129.1	3527.4

%%%% Missing data

المصادر والهوامش

* الشركة المنفذة للمشروع هي الشركة الصينية للطرق والجسور، تحت أشراف الشركة الاستشارية الالمانية (دورش/جيتك).

(1) : Bisset, P.O., Weather and Ground Water Level on The Mountain Plains, U.K., O.D.A., 1981.

(2) : U.K., Over Seas Development Administration, Y.A.R, Ministry of Agriculture, Weather and Ground Water Levels on The Mountain in Plains, Central High lands Rural, Y.A.R.,1983.

(3) : Turner, A. and Noman Mohammed, Climate and Ground Water Levels in The Central Highlands (Dhamar Governorat), Puplication No. 137, 1988.

(4) : إسماعيل محمد رواية، انخفاض مستوى المياه الجوفية في محافظة ذمار، ورقة نقدية مقدمة الى حلقة العمل حـول الوضـع الحالـي للمياه الجوفية للهيئة العامة للبحوث الزراعية، المحطة الإقليمية لبحوث المرتفعات الوسطى، ذمار، 1996، بحث غير منشور.

(5) : صـلاح الخـرباش ومحمد إبراهيم الانبعاوي، جيولوجية اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر،صنعاء، 1996. ص103.

(6) : المصدر نفسـه، ص (103-104).

(7) : باسم القيم وأحمد السامرائي، اثر المحدودات الطبيعية على النمو الحضري لمدينة ذمار، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد 24 ، 2001، ص 112 – 113.

(8) : المصدر نفسـه، ص 113.

(9) : عدنان النقاش ومهدي الصحاف، الجيومورفولوجي، جامعة بغداد، 1989، ص262.

(10) : الجمهوريـة اليمنـية، وزارة النفط والثروة المعدنية، الخريطة الجيولوجية للجمهورية اليمنية، مقياس 1/ 250000، صنعاء 1990.

(11) : باسم القيم واحمد السامرائي، المصدر السابق، ص 113.

(12) : صلاح الخرباش ومحمد إبراهيم الانبعاوي، المصدر السابق، ص104.

(13) : Alawi, Ali Jaber and Others, Ground Water Resources Available for Development, Y.A.R. 1975, P.58.

(14) : Ibid, P.59.

(15) : الجمهوريـــة اليمنية، وزارة النفط والثروات المعدنية، الهيئة العامة للاستكشافات المعدنية، الإدارة العامة للهيدروجيولوجيا، إدارة الجيوفيزياء، تقرير عن الدراسة الجيوفيزيائية للمياه بمنطقة ذمار، 1992، تقرير بصفحة واحدة.

(16) : Alawi, Ali Jaber and Others, OP.Cit., P.60.

** الجمهوريـــة اليمنية، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مكتب محافظة ذمار، كتاب الإحصاء السنوي لمحافظة ذمار، ص16.
- إنتاج المياه لعام 2000 أعتمد من قبل إدارة مشروع مياه ذمار.
- تم احتساب أعداد السكان للأعوام 1992و 2000 من قبل الباحثان.

(17) : الجمهوريـــة اليمنـــية، وزارة الكهرباء والمياه، المؤسسة العامة للمياه والصرف الصحي بذمار، تقرير مرفوع للوزارة

(18) : عن المديونية التي للمؤسسة لدى المستهلكين، ذمار،2001، ص2 .

(19) : الجمهوريـــة اليمنية، وزارة الكهرباء والمياه، المؤسسة العامة للمياه والصرف الصحي بذمار، تقرير عن استخدام بعض أهالي القرى الموصلة من شبكة مياه المدينة للمياه في ري القات-ذمار، 2000 تقرير غير منشور.

(20) : الجمهوريـــة اليمنـــية، مجلـــس الوزراء، الهيئة العامة للاستثمار، تصريح إقامة مصنع لإنتاج المياه الصحية، صنعاء، 1992، ص1.

استعراض موجز لكتاب عالم السبئيات الروسي افرام لوندين ، والذي يحمل عنوان : دولة مكربي سبأ ((الأيبونيم السبئي)) موسكو دار العلم 1971

د. مهيوب غالب أحمد *

لا يعد كتاب لوندين : دولة مكربي سبأ " الأيبونيم السبئي " حجر الزاوية في كل المؤلفات الشرقية والغربية المكرسة لتاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية فحسب بل يكاد يكون تقريبا المرجع الوحيد في هذا الميدان الذي اكتشف فيه نظرية نظام الحكم في مملكة سبأ (الأيبونيم السبئي)، التي يعود إليها كل المختصين بشؤون السبئيات ، ولم تدحض أو تعدل الى الآن _ مع تحفظ كاتب هذه السطور على بعض ما جاء في بعض جوانب الكتاب الأخرى _ . وقد كرس المؤلف جهوده لدراسة الحضارة اليمنية القديمة إذ حدد فيه طبيعة بناء المجتمع الطبقي الذي ظهر في تلك المرحلة التي درسها وكيفية تشكل الدولة فيه . وقد افرد في الكتاب حيزاً كبيرا لكرونولوجيا[1] الدولة السبئية التي بنيت لأول مرة على أساس أنظمة وضع التواريخ التي استخدمها السبئيون أنفسهم . ويستجلي (الكاتب) نشوء نظام الدولة في سبأ على مدى خمس مائة عام وألف .

في المقدمة لفت لوندين الانتباه الى عدم التطابق بين المادة التي عثر عليها من خارج اليمن ، وقرأها فيما يخص تاريخ شبه الجزيرة العربية ، والتي أضفت هالة أسطورية حول ثراء اليمن وغناها فضلا عما وجده من وثائق في اليمن ذاتها . ولاحظ أن هذه المنطقة بظروفها المناخية تشبه مصر وبلاد ما بين النهرين ، ومع ذلك لا يلمس المؤرخون بحسب اللقى الأثرية أن مجتمع العربية الجنوبية (اليمن القديم) كان متطورا .

---

* رئيس قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة ذمار .

ويشـــير لوندين الى أن فريقا من الباحثين يرجع ابجدية العربية الجنوبية الى اللغة السينائية ، تلك الأبجديـــة التي دونت على امتداد القرن الخامس عشر ق.م . وهو ما يشهد _ بحسب ذلك الفريق _ عن مـــيلاد الحضارة اليمنية القديمة في منتصف القرن الخامس عشر ق . م ، مع أن استنتاجاتهم أولية ولم تدعم بشكل نهائي بوثائق تاريخية. كما يرى المؤلف هنا انه ربما يجري الحديث أما عن شرح مغلوط للآثار العربية الجنوبـــية ، وأمـــا عن أوضاع عامة غير كاملة وغير مضبوطة ، وهذا ما يؤكد أهمية دراسة مشكلة تاريخ الشرق الأدنى القديم ، وربما تاريخ العالم القديم بأكمله .

وبمعالجـــة وضع التطور الحضاري العام يتأكد للمؤلف ، أن الوضع الجغرافي لسبأ لا يمكن إدراجه ضـــمن الرسم العام لهذه العملية ، نظرا لخصوصية سبأ في إطار خصوصية بلاد العرب الجنوبية ذاتها . كما يشـــير لوندين إلى أن تحليل موضوع تاريخ الدولة السبئية بالنسبة لليمن القديم يسهل دراسته بالارتباط بـــالجيران المـــتطورين في مـــنطقة الهلال الخصيب ، مع أن بدايته كانت متأخرة . على أن وجود الكتابة (الوثـــائق المكتوبة) ربما سهل دراسته بالارتباط بالجيران المتطورين في منطقة الهلال الخصيب ، مع أن بدايته كانت متأخرة . على أن وجود الكتابة (الوثائق المكتوبة) ربما سهل دراسة هذا الموضوع من كافة جوانبه.

تكمن أهمية المادة الوثائقية العربية الجنوبية في أنها تتمحور حول بحث القضايا النظرية المطروحة ، مـــثل ظهـــور المجتمع الطبقي وقيامه وما ارتبط به من مشكلات أخرى . ويلفت الكاتب نظر المهتمين إلى ضـــعف دراسة هذه القضايا : مثل غياب الاستنتاجات العامة بنظام تصنيف تواريخ الأحداث وأزمنة تطور مراحل المجتمع ، وعدم دراسة التاريخ الاقتصادي / الاجتماعي . ويبرز المؤلف هنا صفتين متميزتين للوثائق التاريخية بالنسبة لسبأ ؛ الأولى : غياب المصادر الأجنبية ، والثانية : غياب الوثائق الاقتصادية والعملية . إن المصـــدر الوحـــيد المهم المتوافر الآن هو المادة الأبيقرافية[2]. ويشير لوندين إلى أن الترتيب الزمني هو أهم صـــفة لهـــذا الـــنوع من المصادر . وينوه الكاتب أيضاً إلى أن قيمة هذا النوع من المصادر تكمن في دقة معلوماتهـــا ، كمـــا أن المصـــطلحات التي تحويها غير مشروطة ، وصحتها تصل إلى 100% ، كما تغيب الأخطـــاء في هذه الوثائق عملياً ومن ثم يكون التحريف غير ممكن فيها فيما بعد . غير أن تلك المعلومات الـــتي تحتويها النقوش لا تـــنفي أنها مختصرة جداً وبذلك فمن غير الممكن عمل استنتاجات عن الأحداث المعطـــاة هـــل هـــي قاعدة أم استثناء ، خاصة إذا كانت دراسة تاريخ الدولة السبئية " الأيبونيم السبئي " تتـــناول فقـــط المرحلة المبكرة من وجود تلك الدولة وبالتالي المرحلة الأولى من تاريخ بلاد العرب الجنوبية عموماً . ويشير لوندين إلى الصعوبة في فرز الترتيب الزمني لهذه الحقبة الزمنية .

إن أولى مهـــام الكاتب هي تحديد تلك الوضعية التي هي مثار البحث ، والتي ستسمح له بإيضاح المواضـــيع الأساســـية لـــلمرحلة الأكـــثر قدماً في تاريخ سبأ ، وهي مواضيع كرونولوجيا النظام السبئي

والعلاقات الاقتصادية / الاجتماعية . ويرى لوندين أن أكثر المصادر مناسبة التي تفي بمعظم المطالب هي : الأيبونيم السبئي .

يعرف الأيبونيم السبئي بأنه النظام المستخدم أو الذي استخدم من أجل وضع (أو إقرار أو تثبيت) ترتيب وتتابع للأحداث ، ولكنه أيضاً أسلوب وضع تاريخ بأسماء أشخاص يؤدون وظائف مختلفة ، اقتصادية ، دينية وإدارية في الوقت نفسه . لذلك فالأيبونيم السبئي هو مفتاح المشكلة لكل تاريخ سبأ . وهو يعطي إمكانية تجميع كل المواد والمواضيع المتفرقة الأخرى . كما أن دور ذلك الأيبونيم قد حتم على الكاتب ضرورة جمع مادة دراسته بالتفصيل . فضلاً عن أن لوندين يعطي توضيحاً كاملا عن مراحل تأليف الكتاب . وهو يفرز في كل مرحلة منها القضايا التي حلها ، وكذلك يشير إلى المساعدات التي قدمها الآخرون له من أجل استكمال عملية التأليف وبالذات من ريكمانس وويسمان وخليل يحيى نامي وغيرهم.

وفي الفصل الأول من الكتاب يعطي المؤلف مصدرين في تاريخ سبأ هما : صيغة النقوش المؤرخة أولاً وكشف الأيبونيم ثانياً . وقد شغلت النقوش التي حللها من مجموعة جلازر حيزاً كبيراً في هذا الفصل ويشير لوندين إلى أن كل مقاطع النصوص لا يمكن أن تكون قد جمعت دفعة واحدة ، إلا أنه من الواضح أنها تنتمي إلي مجموعة نقشية واحدة . ويتحدث الكاتب عن الصعوبة التي واجهها في أثناء فك رموز النقوش التي أصابها التشويه بسبب عبث الإنسان بها وكذلك عدم الوضوح في الكتابة بسبب ذلك التشويه. وفي الأخير تبين من سياق البحث والتحليل والاستقراء أن مجموعة لا بأس بها من تلك النقوش لم تحفظ نهائياً كنتيجة للتدمير الذي حدث لها . لذلك فإن النظرة العامة إلى المادة الأثرية لا تعطي انطباعاً عن تتابع النقوش ، ومن ثم فإن قانونية (ترتيب) وضعها تبقى غير واضحة . ولا يرى لوندين ضيراً من قبول النصوص البارزة المكتوب في أعلى كشف (الأيبونيم) التي يتوقع أنها كتبت قبل النصوص السفلى مع وجود استثناءات في ذلك . إن وحدة المادة الأثرية تسندها وحدتها الصياغية ، بمعنى انتماء النقوش الداخلة فيها إلى وحدة بليوغرافية واحدة (نمط خطي واضح وواحد) . وبعد ذلك فإن لوندين يعطي وصفاً لهذه المادة الأثرية ويؤكد وحدة محتوياتها . ويصف الكاتب النقوش باعتبارها شاهداً أثرياً واحداً مزبورا على الصخر ، والتي تتشكل من نقوش مختلفة الأوقات[3] وقد صيغت على نمط واحد وتحوي جوهراً متشابهاً كنقوش نذرية مثلاً .

وعلى أساس دراسة تلك الصياغات يصل الكاتب إلى استنتاج أن كل التأكيدات تدل على الاعتقاد بأن هذا الشاهد الاثري هو عينة كشف الايبونيمات السبئية التي تعود إلى قبيلة خليل (أحدي أكبر ثلاث قبائل تعاقبت على حكم سبأ طيلة ما يقارب الألف سنة) . وقد أولى الكاتب فيما بعد أهمية كبيرة لقضية أسماء الايبونيمات السبئية .

مـــن خـــلال بحث نقوش القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، يبرز لوندين علائم معينة خاصة بالنسبة للنقوش كلها ، ويعمل استنتاجا عن أهمية بحث خصائص الأسماء في هذه النقوش ولغتها شرطاً من أجل فهم عدة جوانب للايبونيمات السبئية ، وكذلك فهم الحضارة اليمنية القديمة وتاريخها . هذا فضلاً عن اهتمامه بفـــرز وتحليل النقوش التي تتناول المراسم الملكية ، وبالذات تلك التي تخص التنظيم الحكومي – التشريع والاقتصاد – في مملكة سبأ ، ويصنفها على أساس أنها مراسيم (نقوش) حقوقية (قوانين) .

في الفصـــل الثاني من الكتاب يولي المؤلف أهمية خاصة لمشكلة بحث الايبونيمات السبئية العامة . وهـــنا يلامس لوندين قضية ترابط المجموعات العشائرية – القبلية والايبونيم السبئي . ويصل الكاتب إلى استنتاج مؤداه وجود تزامن واضح في نظام التقويمات المستخدمة في كل أراضي الدولة . وعلى أساس هذه الفرضية يستنتج المؤلف أنه كان في سبأ نظام عام للايبونيمات .

وبمقارنـــة الايبونيم السبئي مع المعينيين والقتبانيين يوضح لوندين إمكانية وضع تقويمات للنقوش حســـب الايبونـــيم ، ويصـــل إلى استنتاج أن فترة الأيبونيم في سبأ هي سبع سنوات على الأكثر . وعلى أســـاس تحلـــيل سلسلة أنساب قبيلة خليل ، يؤكد الكاتب أن كشف الايبونيم وضع بحسب نظام شجرة الأنساب مع أنه ليس عاماً بالنسبة للكشف عن الكل ، أي للكشف عن سلسلة أنساب مختلف قبائل سبأ، فضـــلاً عن الكشف عن مختلف الدول اليمنية القديمة . ولقد أثبت لوندين أن منصب الايبونيم ينتقل من الأب إلى الابن وأن المنصب يعود إلى القبيلة نفسها أو العشيرة بعد واحد وعشرين عاماً ، أي خلال ثلاث دورات للايبونـــيم وعلى هذا الأساس يعمل استنتاجاً على أنه في نظام الايبونيم السبئي العام كان يجب أن تشـــارك في الحكم ثلاث قبائل . وكانت تلك القبائل برأي لوندين هي ذو حزفر كبير خليل وذو حذمت وذو فضحم .

وفي الفصـــل الثالـــث يحاول الكاتب أن يبرز حقوق الايبونيم (ربما المقصود صلاحياته) كما يعير اهـــتماماً لمعطيات الكرونولوجيا لكشف الايبونيم ، وذلك من أجل وضع تاريخ للأحداث المحددة . مع ان لوندين يحاول تحديد كرونولوجيا عامة فقط للكشف العام ، ويؤسس استناداً للمعطيات البليوغرافية [4]، ومـــنهج شجرة الأنساب والأبيقرافيا . على أن نطاق الكشف العام يتحدد بحوالي (600–700عام) . في أثناء ذلك فإن الحدود الدنيا يمكن أن تكون عام 1050-950 ق.م .

وببحـــث المصـــادر القديمة للبلدان الأخرى يشير لوندين إلى أن الدولة السبئية كانت معروفة في القـــرن الســـابع ق . م في بلدان الشرق القديم مثل آشور . وتؤكد المصادر الأولية الأجنبية التقويم الذي وضعه لوندين .

وبتحلـــيل كشـــف ايبونيم عشائر ذو فضح وذو حذمت وذو حزفر كبير خليل ، يضع المؤلف اللائحـــة العامـــة للايبونيم السبئي محللاً إياها باعتبارها إمكانيات لفحص الاستنتاجات التي وضعها . ولا

يكتفي باحصاء أسماء الأعلام (أسماء الحكام وبعض الموظفين) للايبونيم ، بل لعدد العناصر الواقعية المعروفة والتي كان لها تأثير في سير الأحداث آنذاك ومذكورة بالكشف العام .

في الفصل السرابع (نظام الحكم في سبأ): يبحث الكاتب وظائف الايبونيم السبئي .. ويصف العاملين فيه بوصفهم موظفين حكوميين أو قبليين ، والذين لعبوا دوراً مهماً في جهاز الإدارة . وعند تحليل نقش جلازر 1691 [5] يبرز لوندين الوظيفة الدينية للايبونيم . كما أن النقوش تظهر أنه ربما كان الايبونيم من سلالة المشائخ (الوجهاء) أو الابن الأكبر للايبونيم السابق . وبذلك تتمثل الوظائف الدينية للايبونيم بشكل محدد في تنفيذ الخدمات للإله عشتار في معابد محددة ، والمشاركة في طقوس التسميات (الدعوات – التعاويذ) وكذلك متابعات التقويم . ومن الناحية الأخرى فإن مصطلح sb / ttr^{e} في العبارات الآتية يتكرر في عدت صفحات (138، 146.....الخ) كما يأتي :

Ywm / v^{c}sw / ^{e}ttr / sb

Ywm / sqy / ^{e}ttr / sb

.....wsqy / ^{e}ttr

إذ تقابل في هذا المصطلح (Ywm / sqy / ^{e}ttr) عادة الإشارة التالية : " عندما يقوم الكاهن بخدمة الإله عشتار " . وتبرز هنا كونها مهمة دينية في مقدمة واجباته ، ومن ثم بقية المهام تتكرر مراراً باعتبارها إضافات إليها . لذلك فإن هذا المصطلح هو بالضبط يعكس أساس واجبات الايبونيم ، فضلاً عن أنه يتكرر في حوالي 14 نقشاً ، وعلى أن ذلك لاينفي أن الايبونيم لم يمارس مهاماً أخرى بل على العكس فقد أدى دور المشرف على الاقتصاد الزراعي والحرفي في حدود ممتلكات المعبد وربما أبعد من ذلك . ومارس الايبونيم أيضاً مهام إدارة ملكية الأراضي .

وبحصر مهام المكربين (حكام سبأ الأوائل) يبرزها المؤلف هنا : بمهام البناء أي تشييد المباني الحكومية والمعابد وقنوات الري والمباني الدفاعية العسكرية . كما نفذوا أيضاً مهام تقديم القرابين للآلهة وأقاموا الطقوس الدينية وبذلك كانت المهام الأساسية للمكاربة دينية وحكومية وسياسية ، أي أنهم قاموا بالاشتراك في الحملات العسكرية وإصدار المراسيم والقوانين . كما أن الكاتب يقف عند مقارنة مهام المكاربة والايبونيم ، ويصل إلى استنتاج عن تماثلها الوراثي ، وكذلك دخولهم ضمن نظام موحد لإدارة البلد . فضلاً عن ذلك فإن وضوح الانسجام الكامل لهذا النظام والطبيعة المتماثلة لمهام الموظفين في مختلف المراتب والفئات يتطابق مع التحديد الدقيق لحجم وواقعية محتوى الوظائف . وقام فيما بعد في وظائف مهمة ، بحثها المؤلف وهي تنسيق العلاقة بين المهام الرسمية والمهام الدينية (أي بين الملك والمكرب) ودرس العلائم البليوغرافية للنقوش في هذا الصدد ..

الهوامـــش :

(1) : كرونولوجيا : تعني تصنيف مراحل التاريخ ، وأحيانا يستخدم بعض الباحثين عبارة نظام الترتيب الزمني .

(2) : الابيقرافية : تعني دراسة النقوش . والمقصود هنا فك رموز النقوش لتصبح مادة جاهزة للتحليل والدراسة.

(3) : أغلـــب الظـــن أن المجموعة النقشية التي عالجها هنا لوندين قد تم العثور عليها في مكان ربما مكانا عاما مخصصا لزبر النقوش كلما كانت هناك ضرورة أو حاجة . إضافة إلى ذلك وربما كان هذا الصخر موجودا عند ملتقى طرق يستطيع أكبر عدد من الناس مشاهدته وإذا ما أضيف إلى أنه هو كشف الايبونيم فمعنى ذلك أنه سجل الحكومة السبئية العام آنذاك .

(4) : البليوغرافيا : علم يدرس تطور الخط – شكل الحروف ، طريقة كتابتها وقواعد تلك الكتابة .

(5) : المجموعة النقشية التي نشرها ادوارد جلازر سميت باسمه مثل GL. 1،2،3 وهكذا .

مكتبة المجلة

بقلم
د. محمد إبراهيم الصانع *

تشـــهد جامعة ذمار نشاطاً علمياً وأكاديميا متميزاً من قبل أعضاء هيئة التدريس سواء المحليين أو الأشقاء العرب ، فالعديد منهم شارك ويشارك في الندوات والمؤتمرات و الملتقيات العلمية المحلية والإقليمية والدولـــية وفي الجانـــب الآخر لم يؤثر هذا على أهم مهامهم كأساتذة أكاديميين منتجين للمعرفة . وفي هذا الصدد شهدت السنتان الأخيرتان إنتاجا معرفياً واضحا لبعض الأساتذة في الكليات المختلفة وقد شمل ذلك الإنتاج المعرفي مؤلفات عدة في مجالات تخصصية مختلفة ومن أبرز تلك المؤلفات وأولئك المؤلفين ما يلي :

1- اسم المؤلف : د . محمد عبد الله السياني

عميد كلية العلوم الإدارية / جامعة ذمار

عنوان الكتاب : إدارة الإنتاج

سنة النشر : 2000م

ضـــم هـــذا الكـــتاب في محتواه عشرة فصول تحدثت عن مفاهيم ومواضيع مختلفة في مجال إدارة الانتاج حيث ركزت الفصول الثلاثة الأولى على بعض المفاهيم المرتبطة بإدارة الإنتاج ، أما الفصول الرابع والخـــامس والســـادس فقد تناولت قضايا التخطيط لاختيار الموقع والتخطيط للترتيب الداخلي للمنشأة وتحلـــيل العوامل المؤثرة في الطلب وبالنسبة للفصول الأخرى السابع والثامن والتاسع والعاشر فقد ركزت عـــلى مواضـــيع مـــثل سياسات المنتج وتخطيط المنتج والتخطيط لعنصر العمل ومدخل إلى إدارة الجودة

* رئيس قسم الأحياء / كلية التربية / جامعة ذمار .

كـالجودة التصـحيحية والفعلـية وضمان الجودة وتكاليف ضمان الجودة وغيرها من المواضيع الأخرى المتعلقة بقضايا إدارة الإنتاج .

2- أسم المؤلف : د .عبد الكريم الخلف

رئيس قسم الدراسات الإسلامية / كلية التربية رداع / جامعة ذمار

عنوان الكتاب : أصول الفقه الإسلامي

دار النشر : مطابع ذمار للأوفست .

سنة النشر : 2000م

احـتوى الكـتاب عـلى أربعة أقسام إلى جانب المقدمة ، حيث ركز الفصل الاول على الأدلة الشـرعية والقـياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف والاستصحاب وقول الصحابي ، فيما اهتم القسـم الثاني بالقواعد الأصولية اللغوية وقد ركز القسم الثالث على الأحكام الشرعية والحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه و أما القسم الرابع فقد عرض معلومات مهمة حول القواعد الأصولية التشريعية ومنها قواعد النسخ والاجتهاد والتعارض والترجيح .

3- اسم المؤلف : د . محمد إبراهيم الصانع

رئيس قسم الأحياء / كلية التربية / جامعةذمار

عنوان الكتاب : التربية البيئية ، العلاقة بين الإنسان والبيئة

سنة النشر : 2001م

دار النشر : مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء .

احتوى الكتاب على خمسة فصول ، حيث استعرض الباب الاول البيئة من حيث المفهوم والمعنى والدلالـة ، بيـنما ركز الفصل الثاني على المعنى والفلسفة والأبعاد للتربية البيئية ، أما الفصل الثالث فقد اسـتعرض قضايا صحة البيئة في اليمن ، ويأتي الفصل الرابع ليتحدث عن أكثر من عشرة قضايا من قضايا البيـئة المحلية اليمنية وقد اختتم الكتاب بالفصل الخامس الذي يتحدث عن الآثار البيئية الضارة للمنشآت الصناعية والتنموية في اليمن.

4 – اسم المؤلف : د . محمد إبراهيم الصانع

عنوان الكتاب : الأهداف السلوكية والاختبارات المدرسية

سنة النشر : 2000م

دار النشر : مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء .

أتت فكرة هذا الكتاب لتهدى إلى المعلمين والمعلمات داخل الجمهورية اليمنية وذلك لتنويرهم بأهم قضيتين هما كيفية إعداد الأهداف السلوكية وكيفية إعداد الاختبارات المدرسية : استعرض الكتاب

في محتواه نماذج وأمثلة لأهداف خاطئة وأسئلة امتحانات خاطئة من واقع الكتب الدراسية والامتحانات الوزارية والصيفية السنوية والفصلية ، ثم أورد الكتاب السبل والطرائق الصحيحة والمعالجات حول هاتين القضيتين فيما يحفز أداء المعلمين .

5- اسم المؤلف : د . محمد إبراهيم الصانع

عنوان الكتاب : البيئة في المناهج والمقررات الدراسية

سنة النشر : 2001 م

دار النشر : مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء .

اهتم محتوى هذا الكتاب بالاستراتيجيات والطرائق الحديثة اللازم استخدامها في تدريس مفاهيم وقضايا البيئة وقد أورد الكتاب (كتيب) أربع عشرة استراتيجية كمساعدة للمعلمين في المدارس والأساتذة في الجامعات اليمنية ليستخدموها في تدريس مادة التربية البيئية ومن ابرز تلك الاستراتيجيات ما يلي : (لعب الأدوار – التمثيل – الرحلات الميدانية – الاستقصاء ــ المجموعات المصغرة ..... الخ) .

6. اسم المؤلف : د . وجدان عبدالإله الصائغ

رئيسة قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار

عنوان الكتاب : جذوة الإبداع وموقد البوح ، قراءات بلاغية في نصوص معاصرة

سنة النشر : سبتمبر 2001م

دار النشر : مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء

شــعّ الكــتاب بمواقــد هي بديلة عن تسمية الفصول حيث تضمن الموقد الاول القصيدة ذات الشطرين وانطوى الموقد الثاني على قصيدة النثر وكان الموقد الثالث عن القصة والرواية وأما الموقد الرابع فإنــه عــن القصة الشعرية وختم الكتاب بموقد أدب الطفل ، وتميز الكتاب بأنه تناول نتاج مبدعين عرب (شــعراء وقاصّــين وروائــيين) ينتمون إلى عشرة أقطار عربية هي(اليمن والعراق والإمارات والبحرين والسودان والسعودية وسوريا وقطر وعمان والمغرب) توكيداً لوحدة الهمّ والطموح العربيين .

7-اسم المؤلف : د. وجدان عبد الإله الصائغ

عنوان الكتاب :" زهرة اللوتس " قراءات بلاغية في شعر علي عبدالله خليفة

دار النشر : دار العالم للملايين ، بيروت.

سنة النشر : يناير 2002م

تناول كتاب زهرة اللوتس شعرية الشاعر العربي الكبير علي عبد الله خليفة ونتاجه الممتد على مدى ثلاثين عاما وفق منظور بلاغي يتلبث عند جماليات الصورة البلاغية وقدرة المبدع على تشكيل بؤر انزياحية مشفرة تشع في كل اتجاه .

ضم الكتاب في محتواه فصلين كبيرين حيث ركز الفصل الأول على أربعة مباحث تناولت المهاد الشعبي وقصيدة الغوص في مجموعة " أنين الصواري " والهيكلية السردية في مجموعة " إضاءة لذاكرة الوطن " وجدلية (المرأة / الطبيعة) في مجموعة " في وداع السيدة الخضراء " والتوهج وانزياحاته في مجموعة "حورية العاشق " أما مباحث الفصل الثاني فقد اهتمت بطرافة الكناية في موويل "عطش النخيل " و إيحاءات المكان في مجموعة " عصافير المساء " وشعرية التشبيه في مجموعة " عصافير المساء " ، علماً بأن هذه الدراسة قد انتخبت ضمن عشر دراسات قرر الملتقى الثقافي الأهلي البحريني أن يتكفل بطباعتها وإهدائها في احتفالية افتتاح المقر الجديد للملتقى .

8- أسم المؤلف : أ . صلاح مبخوت

عنوان الكتاب : الاحتمالات والإحصاء الرياضي

دار النشر : مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء

سنة النشر : 2001م

تناول هذا الكتاب في محتواه عدداً من قضايا الاحتمالات والإحصاء الرياضي وذلك من خلال عشرة فصول ، حيث ركزت الفصول الخمسة الأولى على الاحتمالات مستعرضة مواضيع مثل المبادئ الاحتمالية والتوقع الرياضي والتوزيعات الاحتمالية والعزوم ، بينما تناولت الخمسة الفصول الأخيرة موضوعات الإحصاء الرياضي المتمثل بالتوزيعات الخاصة وتوزيع العينة ونقطة التقدير وفترات التقدير واختبارات الفروض .

9- أسم المؤلف : أ . صلاح مبخوت

عنوان الكتاب : نشوء الكون

دار النشر : مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء

سنة النشر : 2001م

ضم الكتاب في محتواه تسعة فصول تناولت كلها قضايا نشوء الكون وبشكل محدد فقد ركزت أغلب تلك الفصول على علم الفلك وطبيعة الضوء وطبيعة النجوم والمتغيرات العظمى وأثرها في نشوء الكون والحياة إلى جانب نشوء الكواكب والأرض والمنظومة الشمسية والنظرية النسبية العامة والثقوب السوداء والمجرّات ونشأة الكون وأخيراً التأويل العلمي للآيات الكونية .

10- أسم المؤلف : مجموعة من الأساتذة

عنوان الكتاب : " إضاءات على مسيرة المفكر اليمني أحمد عبد الوهاب الوريث "

دار النشر : مطابع ذمار للأوفست

سنة النشر : يناير 2002م

بتوجيه من رئيس جامعة ذمار الأستاذ الدكتور عبد الله المجاهد وبإشراف مباشر منه أصدرت رئاسة جامعة ذمار الكتاب التذكاري والحلقة الأولى من سلسلة أعلام اليمن وقد جاء الإصدار تحت مسمى (إضاءات على مسيرة المفكر اليمني أحمد عبد الوهاب الوريث) في 248صفحة من القطع المتوسط وقد تضمن ثلاثة محاور .

أرخ المحور الأول لأدبيات مهرجان الوريث الثقافي من خلال توثيق البحوث المشاركة في هذه التظاهرة الثقافية ، وتلبث المحور الثاني عند أصداء المهرجان في الصحافة اليمنية وكان المحور الثالث بحثا مستفيضا تناول أحمد عبد الوهاب الوريث بوصفه رائد النهوض والتنوير وقد شـــــارك في الإشراف على إخراج هذا الإصدار كل من الأستاذ الدكتور صبري مسلم عميد كلية الآداب والألسن والدكتورة وجدان الصائغ والأستاذ يحيى داديه والأستاذ علي الو شلي .

تنضيد وصف ضوئي
مركز المستقبل للكمبيوتر واللغات ـ ت : 507050
تصوير مكتبة العصار ـ ت : 502483

جامعة ذمار
THAMAR UNIVERSITY